



التراث والعلوم الإسلامية لكل الشعب

من أنبياء الرسل
(المجلد الثاني)

محمد خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم

عبد السلام محمد بدوي

مطابع كراشي شريف بالقاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

بين الحقيقة والصورة

أيها الإنسان الحادث.. الكائن بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً... إنك إذا أمعنت النظر.. وتدبرت أن إنعام النظر نفسه ليس منك. بل هو من فيض قوة التجلي بصفة بصره - تعالى - على بصيرتك.. فأبصرت وأمعنت نظرك.. وصرت بصيراً.. أنت كلما تدبرت ذلك.. أدركت حقيقة عبوديتك.. وكلما أدركتها.. أحسست بفضل الله عليك.. بتنزل صفاته إليك.. والاعتراف بالفضل من أسباب ازدياده.. فالله - سبحانه - يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم)(١).. كما علمك أن تقول: (رب زدني علماً)(٢).

ففى هذا الشعور منك.. إسناد لصفاتك إلى مسندها الحق.. فهي ليست من ذاتك لذاتك.. وإنما هي منحة من الله إليك.. وهذا يقتضى شعورك بالذل لنظرك إلى نفسك.. ويكون هذا سبباً مباشراً لمنحك العزة منه - سبحانه - : (وله العزة ولرسوله وللمؤمنين)(٣).

فكلما تم استشعارك الاعتماد عليه.. والاستناد إليه.. تم كمال تجليه لك.. وإقباله عليك.. وذلك تمشياً مع القاعدة الفقهية «كمال الإمداد من كمال الاستعداد» بمعنى أن إمداد الله لك.. لا يكون إلا على قدر استعدادك لقبول هذا الإمداد.. وبهذا تكون العبودية أشرف مقام يصل إليه العبد.

وكمال هذا الشعور منك.. هو استواء كمال الاستعداد.. المقصود فى قوله تعالى عن موسى: (فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً)(٤).

وما دام الحديث.. قد تطرق بنا إلى معنى الاستواء.. فجدد بنا.. أن نلمح إلماحة خفيفة إلى مقامات الاستواء.. حيث شطحت بعض المفاهيم.. فى معنى قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)(٥) شطحات قد تؤدى إلى الكفر

(١) ٧ - إبراهيم.

(٢) ٨ - المنافقون.

(٣) ٥ - طه.

(٤) ١١٤ - طه.

(٥) ١٤ - القصص.

- والعياذ بالله - فقالوا: إنه استواء تعالى بعد أن خلق الخلق .. وسوى السماوات والأرض .. وأدى بهم هذا الفهم الخاطيء .. إلى التصور والتجسد .. بالنسبة لكرسى العرش . ولصاحب العرش .. وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فالاستواء له مقامات ثلاثة:

الأول: استواء كمال الاستعداد النفسى .. لتلقى تجليات الصفات الإلهية .. فإن الإمداد - كما قلنا - يكون دائما بحسب الاستعداد .. وكمال الإمداد .. متوقف على كمال الاستعداد .. فأنت مثلا لا تستطيع أن تضع قنطارا من أى نوع .. فى وعاء سعته نصف قنطار من نفس النوع . وهذا هو ما أشرنا إليه - فى قوله تعالى عن موسى - عليه السلام :-
(فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما).

وتكون كلمة (آتيناه) هى الدالة على استواء موسى بكمال استعدادده .. لقبول الإتياء من الله .. وهو ما عبر عنه بكلمة الإمداد .

والثانى : هو الاستواء بمعنى الارتفاع والتعالى .. بصفة القدرة .. وليست بالذات .. كقوله: (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شىء عليم)(١) .
إذ أن سريان القدرة فى أى مخلوق - يجعل القدرة مبدأ لهذا المخلوق .. فلا يستند المخلوق إلا إليها - أى إلى القدرة - ولا يقوم إلا بها .

والثالث: هو استواء الكمال المطلق .. المنوه عنه فى قوله تعالى:

(الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى)(٢) .

فإعطاء كل شىء خلقه .. مقترنا بالهداية .. معناه كمال تجلى الصفات الإلهية على جميع المخلوقات .

وبهذا نستطيع أن نفهم معنى: (الرجمن على العرش استوى) .. بمعنى أن العرش .. هو كل مخلوقات الرحمن وكلماته .. التى لا يحدها حد .. ولا يحصرها عد .. فلا يعقل عرش بغير معروشين .. ولا ملك بدون مملوكين .. ولا حكم بلا محكومين .

وليس الاستواء هنا بمعنى الاستقرار أو الجلوس .. ولا بمعنى الاستيلاء على السلطان والحكم .. كما يقول بعض المؤولين .. الذين استشهدوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مہراق

ولكنه استواء سريان الحياة والقوة .. فى كل شىء .. لأن الذى استوى على العرش - جل شأنه - هو (بكل شىء محيط) و (وهو معكم أينما كنتم) إلى آخر الآيات .. الدالة على شمول إحاطته - سبحانه - بالعلم والذات والقوة .. لأنه لا قوة إلا بالله .

ويكون الحاصل من هذا : ان الاستواء معلوم ، والكيف مجهول . لاننا ناقضبو عقل .. في هذه
النشأة الاولى . التي نحياها على هذه الأرض . ولا تزال تصائرنا في غفلة عن إدراك الحقائق الملائكية
الكبرى .. إلى أن يحين الحين . ونقول الملائكة لنا

(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك عطاءك ففهمك اليوم حديد) (١)

وهذا لن يكون إلا عند الموت . عند الانفصال من ملك النشأة الأرضية . إلى الحياة البرزخية (ومن
ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) (٢)

وإلى أن يتكشف ذلك الغطاء . يكون من العدل والإنصاف أن نتوقف العقل المحجوب تحت
الغطاء .. عن إصدار أى حكم . في حقيقة لن تظهر له إلا بعد كشف الغطاء

ومن هنا يقول تعالى : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (٣)

بل وأتى على هذا القليل أيضا . فقال : (إن الله يعلم وأسر لا تعلمون) (٤)

فإن مجرد الصور . تخرج الأمر عن نطاق الإيمان . لأن الإيمان مصدق بحارم بالعيب كما قال تعالى
(الذين يؤمنون بالغيب) (٥)

فليس أمامنا علم نطمئن إليه النفس . إلا إذا كان الله - تعالى - مصدقه وما من حكم يشرح له القدر
إلا إذا كان منه تعالى . بوصف أنه الملك

واسم الملك . سترم مخلوقين . نسما سترم اسم - الحكم - محكومين . واسم - الخالق - مخلوقين
.. واسم الرازق مرزوقين . وهكذا مع جميع الصفات

وهنا نستطيع أن نفهم قوله تعالى (وكان عرشه على الماء) (٦)

لا بمعنى الاستعلاء . بل بمعنى سيطرة المخلوقات في النشأة الأولى . بقدرته - تعالى - بحدث التطور
الخلقي . وهو ما يعبر عنه عند الحكماء . بالانفصال من ذات الخلق الواحدة . من - الفيروس - إلى المركبات
متعددة الخلايا . بسبب الانفعالات المتعاقبة . كما قال تعالى (خلقنا من بعد خلق) . كأثر لتسلسل التركيب
على البساطة البدائية الاولى ومنه نفهم أيضا قوله تعالى (ثم اسوي إلى السماء وهي دحان)

والدحان هنا . هو المسمى - هبولة - في عرف متخلفي المسلمين . ويسمى - السديم - في عرف
فلاسفة الإغريق . بمعنى أن الأصل في السماء - هبولة - أي ثلثة قطعية . فائقة لجميع الصور . من مبدأ
واحد .. بسيط . غير مركب البنية . بل هو أسط السائط

الأصل في الأرض الماء . وفي السماء الدحان . هذا كان العرش الأرضي . وذلك كبيان العرش
السمائي . ووسع عرشه السماوات والأرض

وبهذا نحكم بعدم انفصال الخالق عن المخلوق . إذ لو لمسا ذلك الانفصال . لكان معناه استقلال
المخلوق بنفسه .. وقيامه بذاته . وهو محال

(١) - ٢٢ - ق

(٢) - ٨٥ - الإسراء

(٣) - ٣ - العنكب

(٤) - ١٠٠ - المؤمنون

(٥) - ٧١ - الحديد

(٦) - ٧١ - هود

ويؤنسنا في ذلك: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)(١).
 وقوله: (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت)(٢).
 وقوله: (إن القوة لله جميعا)(٣).
 وقوله: (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه)(٤).
 فكل كائن قائم بربه.. واسم - الربوبية - يشمل صفة - الإبقاء والإمداد - إذ لا بد للمخلوق من المانع من قيامه يكون وحده هو القائم بذاته.. مع افتقار كل ماسواه إليه.. كما في (لا إله إلا الله) إلهه الوحيد.
 والقيام بالنفس إذا فالمخلوق مقوم - بالفتح - لا قائم.. ومستمد لا بمد - لقوله تعالى (لا تمدنوه لآلهة ولا من عطاء ربك)(٥).
 وبذلك يشرك من سأل غير الله مددا لأنه يكون قد سأل غير مستول - وأمل في غير مأمول - وأسأله من صفات الباري - سبحانه - إلى غيره.. كفرا بوحدايته في صفاته - فاستعان غير قادر - واستمدع غير قادر - ومن هنا نعلم.. أن هناك عالما آخر قبل عالم الخلق هو عالم الأمر - (ألا له الخلق والأمر ببارئ)(٦) العالمين(٦).
 فلكل شيء حقيقة.. ولكل شيء صورة.. الحقيقة هي الروح - والصورة هي الجسم - ولا وجود للصورة إذا فقدت حقيقتها.. فهل يكون للجسم قيمة إذا فقدت الروح؟
 الحقيقة جوهر أزلي خالد.. والصورة عرض حادث باند - الحقيقة أمر والصورة خلق - العلم والادراك يطلق عليهما عند المسيحيين: الناسوت واللاهوت.. بمعنى أن الناسوت هو الخلق أو الجسم واللاهوت - الأمر أو الروح.
 فالحقيقة الإنسانية المشتركة - هي القوى الروحانية.. المنجردة عن المادة - وهي في العالم المادي سرىاني.. به يقوم المخلوق.. وبانسحابها يفسد هذا المخلوق - وفساد خلقه - لا يعني فساد هذه القوى السرىانية الروحانية التي هي من عالم الأمر.
 فظاهر الإنسان خلق (ومن نعمره ننكسه في الخلق)(٧). وباطنه - أي روحه أمر - ولا يوحى به.. ففناء الروح.. إلا إذا أمكن أن نفهم فناء الأمر.. ولا نص في هذا.. لأن الله تعالى قال (مثل من عبثها فان)(٨).
 وحصر الفناء بذلك.. في القسم الأدبي المادي.. الذي هو عليها - أي عن الأرض - ذلك الله تعالى المتحلل والفساد.
 وهنا مدخل جميل.. نشرف منه على حقيقة أحمد - عليه الصلاة والسلام - الأمانة الروحانية التي نعرف على صورته المحمدية المخلوقة.

والله تعالى هو السور النهائي
 عبد السلام محمد مدني

(٢) ٣٣ - الرعد

(٤) ٦٥ - الحج

(٦) ٥٤ - الأعراف

(٨) ٢٦ - الرعد

(١) ٢٥٥ - البقرة

(٣) ١٦٥ - البقرة

(٥) ٢٠ - الإسراء

(٧) ٦٨ - يس

أحمد في عالم الأمر

في صحيح مسلم.. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إن الله عز وجل.. كتب مقادير الخلق.. قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.. وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر - وهو أم الكتاب - أن محمدا خاتم النبيين».

وقال:

«لأنى عند الله لخاتم النبيين.. وإن آدم لمجدل في طينته».

أحمد فى عالم الأمر

أنواره .. ثم سلخ منها العوالم كلها .. علويها وسفليها ..
ثم أعلمه بنبوته .. وآدم لم يكن .. إلا كما قال - عليه
الصلاة والسلام - بين الروح والجسد.

● ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن فى حقه .. إلى
وجود جسمه .. وارتباط الروح به .. انتقل حكم الزمان
إلى الاسم الظاهر .. وظهر محمد بكليته جسما وروحا.

● وعلى هذا يكون اسمه - أحمد - هو اسم
الحقيقة الروحية .. واسمه محمد .. هو اسم الجسم آدمى
الطينى .. ولهذا ورد فى الحديث القدسى: «هو فى السماء
أحمد .. وفى الأرض محمد».

● ألم تر أن عيسى - عليه السلام - كان يبشر
العالم به .. فيقول: (ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه
أحمد) (١). وذلك لأن الجسم لم يولد بعد؟

● إن الله - سبحانه - أوجد الأرواح قبل خلق
الأجساد .. فالإشارة بقوله - صلى الله عليه وسلم -:
«كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» يشير إلى الروح
أو الحقيقة .. والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها .. وإنما
يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي ..

قلنا إن لكل شىء حقيقة (وصورة) وصورته
جسمه وهيكله .. وهى خلق .. ولا قيمة للصورة إذا
فقدت حقيقتها .. فالجسم بدون الروح عدم وفناء.

وإذا فهمنا هذا استطعنا أن نفهم وجود محمد
- عليه الصلاة والسلام - من قبل خلق آدم.

● ففى صحيح مسلم .. عن النبى - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال:

«إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق .. قبل أن
يخلق السماوات والأرض .. بخمسين ألف سنة .. وكان
عرشه على الماء .. ومن جملة ما كتب فى الذكر - وهو أم
الكتاب أن محمدا خاتم النبيين».

● كما ورد عن العرياض بن سارية .. عن النبى
- صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إنى عند الله لخاتم النبيين
.. وإن آدم لمجنل فى طينته» أى طريح .. ملقى قبل نفخ
الروح فيه.

وقد روى أنه لما تعلق إرادة الله - تعالى - بإيجاد
خلقه .. أبرز الحقيقة الأحمدية من

فحقيقة النبي .. قد أتاها الله وصف النبوة من قبل خلق آدم .. إذ أوجدها منهية لذلك .. وأفاض عليها هذا الوصف من ذلك الوقت .. فصار نبيا .. وكتب اسمه .. وأخبر عنه بالرسالة .. ليعلم الملائكة وغيرهم كرامته عنده .
فحقيقته موجودة من ذلك الوقت .. وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها .

● وقد سأل بعضهم أبا جعفر .. محمد بن علي : كيف صار محمد - صلى الله عليه وسلم - يتقدم الأنبياء .. وهو آخر من بعث ؟ .

● فقال : إن الله - تعالى - لما أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ .. كان أحمد - صلى الله عليه وسلم - أول من قال بلى .. ولذلك صار يتقدم الأنبياء .. وهو آخر من بعث .

(١)

● وحديث العهد هذا .. الذي يشير إليه أبو جعفر محمد بن علي .. حديث لطيف .. يسمونه - حديث الذر - لأنه كان قبل عالم الخلق .

فقد ورد .. تفسيراً لقوله تعالى :

● (وإذا أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) (١) .

● أنهم قالوا : بلى .. أنت ربنا .. لا يصرفنا عنك صارف .. ولا يمننا من طاعتك مانع .

● فقال لهم : سأخلقكم .. وأجعل لكم أجساماً ؛ لأبتلى مدى صدقكم في هذا العهد .

● فقالوا جميعاً : أنت ربنا .. لا يصرفنا عنك صارف .. ولا يمننا من طاعتك مانع .

● فخلق الدنيا .. وعرضها عليهم بمتاعها : من نساء .. وبنين . وقناطير مقنطرة من الذهب والفضة ..

وخيل (٢) مسومة .. وأنعام .. وحرث .

فانقسموا إلى عشرة أقسام .. تسعة منها جرتهم الدنيا بزخارفها .. وغرتهم بمتاعها .. فانصرفوا إليها .. ونسوا العهد .. وبقي العشر قائماً بالعهد .

● فقال الله - تعالى - لهؤلاء الذين لم ينصرفوا : خلقت لكم الدنيا .. فلم تنصرفوا ..

● قالوا : أنت ربنا لا يصرفنا عنك صارف .. ولا يمننا من طاعتك مانع .

فخلق الجنة .. وعرضها عليهم بنعيمها .. من حور وقصور .. وفاكهة وطيور « وأنهار من لبن وخمر وعسل » فانقسم العشر إلى عشرة أقسام .. تسعة منها بهرتهم الجنة بما فيها من نعيم .. فانصرفوا إليها وبقي العشر لم ينصرف ..

فقال - تعالى - لهؤلاء الذين لم ينصرفوا : خلقت لكم الدنيا .. فلم تنصرفوا .. وخلقت لكم الجنة فلم تنصرفوا .

● فقالوا : أنت ربنا لا يصرفنا عنك صارف .. ولا يمننا من طاعتك مانع .

فخلق النار .. بما فيها من بلاء وعناء وشقاء فانقسموا إلى عشرة أقسام تسعة منها .. لم يتحملوا الأملها وزقومها وزمهريرها .. ففروا منها .. وبقي العشر قائماً بالعهد .. لم ينصرف .

فقال لهم : خلقت لكم الدنيا .. فلم تنصرفوا إليها والجنة فلم ترغبوا فيها .. والنار فلم تفروا منها .. قالوا : أنت ربنا لا يصرفنا عنك صارف .. ولا يمننا من طاعتك مانع فصب عليهم البلاء صبا .

● واستمر الانقسام بينهم .. من تنوع أنواع الابتلاء .. ودرجة قسوته .. حتى المرحلة السادسة من الانقسام .. فالذين ثبتوا على العهد .. بعد كل تلك المراحل .. ألهمهم الله تعالى فنظروا فغشبيهم نور أحمد - عليه الصلاة والسلام - فقالوا : نور من هذا ياربنا ؟ قال : إنه نبي منكم .. إن آمنتم به وبنبوتهم جعلتكم أنبياء .. قالوا : أمنا به وبنبوتهم .. فقال الله - تعالى - أشهد عليكم ؟ .. قالوا : نعم . فذلك قوله تعالى :

(وإذا أخذ الله ميثاق النبيون لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) (٣) .

١١ ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام :
« أشدكم بلاء الأنبياء .. ثم الأولياء .. ثم

(١) ١٧٢ - الأعراف .

(٢) يدخل في نطاق الخيل المسومة : السيارات والطائرات ووسائل النقل .

(٣) ٨١ - آل عمران .

الأمثل فالأمثل» وعلى هذا الأساس.. كانت العبادة على ثلاث درجات:

● النوع الأول: عبادة تجارية.. وهذا يعطى ليأخذ يعبد الله ليدخله الجنة.. فالجنة هي المقصودة من عبادته وهم القسم الذين بهرتهم الجنة بتعيمها يوم العهد وانصرفوا إليها.

● النوع الثاني: عبادة العبيد.. وهؤلاء يعبدون الله خوفا من عقابه.. واتقاء غضبه.. وهؤلاء هم الذين فروا يوم العهد من ألم النار وعذابها.. وهؤلاء أرقى درجة من النوع الأول.

● أما النوع الثالث: فهي عبادة الأحرار.. لا طمعا في الجنة.. ولا خوفا من النار.. وإنما يعبدون الله حبا في ذاته فقط.. وهؤلاء هم الذين لم يتصرفوا إلى الجنة ولم يفروا من النار.. وثبتوا على عهدهم.. لم يتصرفهم عن الله صارف.

● وكان الدنيا.. تطبيق عملي بالجسم المخلوق لما حصل في يوم العهد.. وهذا ما نقول عنه.. المكتوب.. وهو في الواقع ليس مكتوبا.. وإنما هو معلوم عند الله تعالى لأنه حصل فعلا في عالم الأمر.. قبل عالم الخلق ● ولهذا يقول.. عليه الصلاة والسلام.. «الأرواح جنود مجندة.. ما تعارف منها ائتلف.. وما تناكر منها اختلف».

● ولو تأملنا آية الميثاق (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين.. الخ).

نجد فيها تنويها بالنبي.. صلى الله عليه وسلم.. وتعظيما لقدرة.. فإنهم به قبل خلقه.. يكون مرسلًا إليهم.. فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق.. من زمن آدم.. إلى يوم القيامة.. ويكون الأنبياء وأممهم.. كلهم من أمته.. ويكون قوله.. عليه الصلاة والسلام.. «بعثت إلى الناس كافة» لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة.. بل يتناول من قبلهم أيضا.. وبشأن بهذا معنى قوله.. صلى الله عليه وسلم.. «كنت نبيا وادم بين الروح والجسد».

● وبهذا كان.. عليه الصلاة والسلام..

نبي الأنبياء.. لفي عالم الأمر.. هادوا الله.. تعالى.. على الإيمان به وتصويرته.. وفي الدنيا.. صلى بهم في بيت المقدس لسلة الإسراء والمعراج وفي الآخرة.. يكون الأنبياء جميعا تحت لوائه

وقد روى أنه لما خلق الله تعالى آدم.. الهمة أن قال.. ما رب.. لم تسمي أما محمد فقال الله.. تعالى.. له.. ما ادم ارفع رأسك.. ارفع رأسه.. فعنه يوم أحمد.. صلى الله عليه وسلم.. فقال.. ما رب.. ما هذا النور.. قال.. هذا نور نبي من ديارك.. من السماء أحمد.. وفي الأرض محمد.. لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا..

وقد ورد في الجبل.. برنابا.. وهو أصبح الأنجيل سنلا.. وأمر بها بالمسححة رجعا.. قال.. إن الله لما ظهر من الجنة.. رأى سقطرا.. فسقط في يده.. فبها من.. لا إله إلا الله.. محمد.. رسول الله..

● تلك هم الخليفة الروحية الأبدية.. التي آمن بها الرسل.. وصديقوه.. وتصبروه في عصورهم.. وبين أعمهم.

والتقى بها بعضهم من أولى العزم من الرسل التقى بها موسى.. عليه السلام.. عند مجمع السحرة وقد أنشأ بنسب الله.. أن المد الصالح صاحب موسى هو حقيقته محمد.. عليه الصلاة والسلام.. لربه من هو أعلم به (٢١)

والتقى بها عيسى.. عليه السلام.. عليه السلام.. الرينون فلسطين.. كما هو مرسوم في الإصحاح السابع عشر من إنجيل متى والإصحاح التاسع من إنجيل مرقس.. والإصحاح التاسع من إنجيل لوقا (٢٣)

لقد ذكرت تلك الأنجيل.. أن عيسى التقى على الجبل بموسى وإيلياء.. وأثبتنا أن إيلياء.. هو أحمد.. عليه الصلاة والسلام

وفهم الآن معنى قوله تعالى على نزار عيسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد.. أي.. اسمه في زمن عيسى ناز.. أحمد.. باسم الخليفة الروحية التي هي في عالم الأمر.. لأن محمدا.. وهو اسم الصورة الخسدية.. لم يولد بعد في عالم الخلق

إلى عالم الخلق

جاء عن ابن عباس أنه قال . قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - «لم يلتق أبواي قط
على سفاح .. لم يزل الله ينقلني من
الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ..
مصطفى مهذباً .. لا تشعب شعبتان .. إلا
كنت في خيرهما».

إلى عالم الخلق

• قامت الحياة على قولين :

• **القول الأول :** شهادة أن لا إله إلا الله .. وحده لا شريك له .. فلو اجتمعت السماوات والأرضون .. لخرقتها «لا إله إلا الله» حتى تبلغ ربها.

فبها قامت السماوات والأرض .. ومن أجلها خلق الله جميع المخلوقات .. وبها أرسل الله الرسل .. وأنزل الكتب .. وسن الشرائع .. ولأجلها قام الصراط .. ونصب الميزان .. وأعدت الجنات والنيران .. فهي منشأ الأمر والخلق .. وعليها يكون الثواب والعقاب .. وأمامها قامت القبلة .. وعليها أسست الملة .. ومن أجلها جردت سيوف الجهاد .. وهي حق على جميع العباد.

• **والقول الثاني :** شهادة أن محمدا عبدا لله

ورسوله.

فالقولان مجتمعان .. هما كلمة الإسلام .. وعنهما يسأل كل إنسان .. فلا تزول قدما العبد .. من بين يدي الله تعالى .. حتى يسأل :

ماذا كنت تعبد؟ وماذا أجبته الرسل ؟

• **فالإجابة الأولى :** تحقيق لا إله إلا الله .. معرفة

وعلمها .. وإقرارا وعملا .

• **وإجابة الثانية :** تحقيق أن محمدا رسول الله ..

معرفة وانقيادا وتسليما وطاعة .. أرسله ربه إلى الناس كافة .. الأولين منهم والآخرين .. بل للإنس والجن معا .. بل وكان رحمة للعالمين .. من إنس وجن وملائكة مقربين.

أرسله على حين فطرة من الرسل .. بلا إله إلا الله .. فهدى به .. إلى أقوم الطرق .. وأوضح السبل .. وجعل طاعته ونصره فريضة .. على جميع العباد.

وسد دون جنته الطرق فلا تفتح إلا من طريقه .. ومنح العزة والسيادة لمن أطاعه واتبع هداه .. كما ضرب الذلة والصغار على من خالفه وعصاه ..

• **فقى المسند .. من حديث أبي منيب الجرش ..**

عن عبدالله بن عمر .. قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

• **«بعثت بالسيف بين يدي الساعة .. حتى يعبد**

الله وحده لا شريك له .. وجعل رزقي تحت ظل رمحي .. وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري .. ومن تشبه بقوم فهو منهم».

● أما أهل طاعته وتابعوه .. فلهم العزة والمجد والسعادة :

(وله العزة ورسوله وللمؤمنين (١)).

واقراً أيضاً :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم

مؤمنين) (٢).

ثم اقرأ :

(فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله

معكم (٣)).

□ □ □

● من أجل هذا .. شرح الله له صدره .. ورفع

ذكره .. ووضع عنه وزره .. وجعله خالصا مخلصا ..

صافيا نقيا .. وعصمه من سفاح الجاهلية الأولى ..

والجاهلية الأخرى.

● وعن علي - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله

عليه وسلم - قال :

«خرجت من نكاح .. ولم أخرج من سفاح .. من

لادن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي .. لم يصبني من سفاح

الجاهلية شيء».

● وجاء عن ابن عباس .. أنه قال .. قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - :

«لم يلتق أبواي قط على سفاح .. لم يزل الله

ينقلني من الأصلاط الطيبة .. إلى الأرحام الطاهرة ..

مصفى مهذباً .. لا تشعب شعبتان .. إلا كنت في

خيرهما».

● ولا أكتفك يا قارئ العزيز .. أنني لم أفهم قوله

تعالى :

(الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين) (٤)

حتى قرأت هذا الحديث .. الذي رواه ابن عباس - رضي

الله عنه - ففهمت معنى تقلبه - عليه الصلاة والسلام - في

الساجدين أي انتقاله من صلب ساجد .. إلى صلب

ساجد .. من لادن آدم .. إلى عبدالله بن عبدالمطلب

والأصلاط : هي ظهور الآباء.

● وأما الآن .. حديث عن ابن عباس -

أيضا - رأيت أن أنقله .. لتتسم فيه عبير الإسلام .. من

لادن آدم .. إلى رسولنا الخاتم .. يقول فيه .. قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - :

□ «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء .. ما ولدني

إلا نكاح الإسلام» نراه - عليه الصلاة والسلام - صفوة

المصطفين .. وزيادة المختارين

.. ففي صحيح مسلم .. عن واثلة بن الأسقع ..

قال .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله

اصطفى كنانة من بنى إسماعيل .. واصطفى قريشا من

كنانة .. واصطفى من قريش بنى هاشم .. واصطفاني من

بنى هاشم .. فأنا خيار .. من خيار .. من خيار»

□ □ □

● ويجبرنا هذا الحديث .. على ذكر ما تحقق لنا

من نسبه الشريف .. من لادن آدم .. إلى أبيه عبدالله .

● ● يمكننا أن نقسم هذا الزمن .. إلى ثلاث

مراحل :

● المرحلة الأولى : بين آدم وإبراهيم - عليهما

السلام .

وتلك مرحلة ضاربة في أعماق التاريخ .. ولكن

المؤرخين والمفسرين استطاعوا أن ينسبوا إبراهيم إلى نوح

- عليهما السلام - ومن نوح إلى إدريس ومن إدريس إلى

شيث بن آدم - عليهم جميعا السلام .

وكانت أسفار التوراة مرجعهم في هذا غالبا .. مع

بعض الكتب التاريخية القديمة .

أما القرآن الكريم .. فهو كما هي عادته .. لا يهتم

بأمر الأسماء .. وإنما يهتم بالمعظلات والمبر .. والحدود

والشرائع .. التي تنقذ البشرية من وهدة الضلالة والعمى

.. إلى قمة الهدى والنور .

● فذكروا لنا في نسب إبراهيم : أنه ابن نارج بن

ناحور بن سروج بن رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن

قينان بن أرفكشاذ بن سام بن نوح .

وذكروا في نسب نوح : أنه ابن لامك بن متو شالح

ابن أخنوخ .. وهو نبى الله - إدريس .

وذكروا في نسب إدريس : أنه ابن يارد بن مهلائيل

بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .

□ □ □ هذا ما أجمع عليه المفسرون ورجال التاريخ

.. عن تسلسل النسب .. في تلك المرحلة الضاربة في

أعماق التاريخ .. من أول البشرية .. حتى إبراهيم - عليه

السلام - وقد تقلب - عليه الصلاة والسلام - في تلك

الأصلاط الطاهرة الساجدة .. إلى أن وصل نوره إلى أبيه

إبراهيم .. هذه هي المرحلة الأولى .

(٢) ١٣٩ - آل عمران .

(٤) ٢١٩ - الشمراء .

(١) ٨ - المنافقون .

(٣) ٣٥ - محمد .

●● **والمرحلة الثانية :** تبدأ من نابت بن إبراهيم .. حتى تصل إلى عدنان - تنازليا - وتلك مرحلة مجهولة تماما .. بالنسبة لنا .. فقد أجمع العلماء - والإجماع حجة قوية - على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه .

● **وعن ابن عباس ..** أنه - صلى الله عليه وسلم - كان إذا انتسب - لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمكس ويقول: «وكذب النسابون» ويكررها مرتين أو ثلاثا.

● **وعن ابن عباس - أيضا - :** «بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون».

وذلك لأن إبراهيم - عليه السلام - نسل ولددين: إسماعيل وإسحاق .

فأما إسحاق .. فكان مقره ونسله .. في أرجاء الشام .. وقد تناسل منه جميع الأنبياء والرسل .. إلا محمداً - عليه الصلاة والسلام - فهو وحده من نسل أخيه إسماعيل بمكة .. وهو ابن العاقر - مكة - كما تسميها أسفار التوراة .. لأنها لم تلد من الرسل غيره ..

● **فاقرأ عنه - صلى الله عليه وسلم - في سفر التثنية ..** في الإصحاح الثامن عشر .. مخاطبا موسى - عليه السلام - وهو من نسل إسحاق بن إبراهيم . آية ١٥ - يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك .. من إخوتك .. له تسمعون .

وفي الآية ١٨ - أقيم لهم آخر الزمان نبيا مثلك .. من بني إخوتهم مثلك .. وأجعل كلامي في فمه .. فيتكلم بكل ما أوصيه (١).

هذا عن محمد - صلى الله عليه وسلم - قطعاً .. لأنه وحده من أبناء إسماعيل أخى إسحاق.

● **ثم اقرأ أيضا عن مكة ..** في سفر أشعيا في الإصحاح الرابع والخمسين :

١٢١ - ترغمني أيتها العاقر .. التي لم تلد .. أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمحض .. لأن بني المستوحشة .. أكثر من بني ذات البعل .. قال الرب.

٢١١ - أوسعى مكان خيمتك .. ولتبسط

شقق مساكنك .. لا تمسكى .. أطيلي أظنابك وشددى أوتادك .

٣١١ - لأنك تمتدين إلى اليمين .. وإلى اليسار .. ويرث نسلك أما .. ويعمر مدنا خربة (٢)

وواضح أن تلك العاقر هي مكة .. لأنها لم تلد من الرسل .. إلا محمداً .. عليه الصلاة والسلام.

وقال ابن قيم الجوزية .. في كتابه - زاد المعاد :

●● **اختار الله سبحانه الأنبياء من ولد آدم - عليه السلام -** وهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً .. ثم اختار الرسل منهم .. وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر - على ما في حديث أبي ذر الذي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه (٣).

ثم اختار من الرسل أولى العزم .. وهم خمسة .. جمعتهم آية الأحزاب :

(وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم. ومنك .. ومن نوح .. وإبراهيم .. وموسى .. وعيسى بن مريم) (٤)

● **كما تجمعهم أيضا آية سورة الشورى:** (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا .. والذي أوحينا إليك .. وما وصينا به إبراهيم .. وموسى .. وعيسى .. أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (٥).

ف نجد أن أولى العزم من الرسل .. خمسة .. وهم: نوح .. وإبراهيم .. وموسى .. وعيسى .. وخاتم الجميع محمد - عليهم جميعا السلام - فكان محمد - عليه الصلاة والسلام - هو صفوة الخمسة .. وقمة الوجود.

وكأننى أرى ميزان النبوات والرسالات .. فى إحدى كفتيه مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول .. إلا واحدا .. وفى الكفة الثانية محمد - صلى الله عليه وسلم - ونرى أن الأنساب من بعد نابت بن إسماعيل .. قد انقطعت إلى عدنان .. حيث اتجه المؤرخون .. إلى تسلسل الرسالات والنبوات .. التى انحصرت فى هذا الزمن .. فى نسل إسحاق بن إبراهيم .. فى فلسطين.

(٢) سفر أشعيا - إصحاح ٥٤ فقرات ١-٣ .

(٤) ٧ - الأحزاب .

(١) سفر التثنية - إصحاح ١٨ / ١٥-١٨

(٣) ابن قيم الجوزية ص ١٩ - ج ١ .

(٥) ١٣ - الشورى .

ولولا أن العرب مشهورون بالأنساب .. لما استطعنا أن نصل في نسبه الشريف إلى عدنان .. الذى كان - عليه الصلاة والسلام - إذا انتسب لم يجاوزه .. ثم يمسك ويقول: « كذب النسابون » كما قال ابن عباس .. فى الحديث الذى ذكرناه .. من قريب .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة :

فمن حقنا أن نتقل إليها .. بعد أن نعلم أنه - عليه الصلاة والسلام - لم يشاركه فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت .

وبالتأمل فى نسبه الشريف .. فى تلك المرحلة .. سوف نجد أنه من سلالة آباء كرام .. فهو النبى العربى الهاشمى القرشى .. نخبة بنى هاشم . المنتخب من خير بطون العرب .. وأعرقها فى النسب .. وأشرفها فى الحسب .. أنضرها عودا .. وأطولها عمودا .. وأفصحها لسانا .. وأوضحها بيانا .. وأرجحها ميزانا .. وأصحها إيمانا .. وأعزها نفرا .. وأكرمها معشرا .. من قبل أبيه وأمه ومن أكرم بلاد الله على الله ..

فهو سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله - الذبيح - بن عبدالمطلب .. واسمه « شيبه الحمد » بن هاشم - واسمه « عمرو » - بن عبد مناف .. واسمه « المغيرة » - بن قصي .. واسمه « مجمع » - بن كلاب .. واسمه « حكيم » - ابن مرة .. بن كعب .. بن لؤى .. بن غالب .. بن فهر - « واسمه قریش » - بن مالك .. بن النضر .. واسمه « قيس » - ابن كنانة .. بن خزيمه .. بن مدركة .. بن إياس .. بن نضر .. بن نزار .. بن معد .. بن عدنان .

حيث ينتهى نسبه الشريف .. إلى إسماعيل الذبيح .. ابن إبراهيم - عليه السلام - والنسبون .. وإن اختلفوا فى آباءه - عليه الصلاة والسلام - بعد عدنان .. إلا أنهم لم يختلفوا فى أن عدنان من نسل إسماعيل .. وهم متفقون فى هذا اتفاقا جازما .

وكان عليه الصلاة والسلام - يقول : « أنا ابن الذبيحين » .

فما معنى تلك العبارة ؟

الذبيح إسماعيل

قال إسماعيل لأبيه .. عليهما السلام:

«يا أبت . اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف ثيابك
عنى حتى لا ينضح عليها دمي فينقص أجرى .. وتراه أمتى
فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع بجرحها على حلقى ليكون
أهون الموت على .. فإن الموت شديد .. فإذا أتيت أمتى فاقرأها
منى السلام .. وإن رأيت أن ترد قميصى إليها فافعل . فإنه
عسى أن يكون أسلى لها عنى»

ثم قال:

(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من

الصابرين) ..

الذبيح إسماعيل

(فبشرناه بغلام حلیم * فلما بلغ معه السعى قال يابنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يإبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه فى الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين *).

وبعد هذا قال - سبحانه - : (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) (٤).

ومنه نرى تسلسل النص.. وتتابع الأحداث.. مما يثبت أن التبشير بإسحاق كان بعد حادث الذبح.

ثانيا: لقوله - عليه الصلاة والسلام - : «أنا ابن الذبيحين».. فأولهما جده إسماعيل.. وثانيهما أبوه عبد الله.

ثالثا: لأن الذبيح كان بمكة.. وقد ثبت من عدة روايات.. أن قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة.. حتى احترقا فى أيام الزبير.. فقد قال ابن عباس: «فوالذى نفسى بيده.. لقد كان أول الإسلام.. وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة.. وقد ييس» (٥).

قال إبراهيم لابنه إسماعيل - عليهما السلام -: (يابنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) (١) قيل إنه رأى ليلة التروية (٢).. أن قاتلا يقول له: إن الله يأمرك بذبىح ابنك.. فلما أصبح.. شك فى أنه من الله.. أم من الشيطان.. فلما أمسى رأى مثل ذلك.. فعرف أنه من الله فكان هذا يوم عرفة.. ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة.. فهم بنحره..

وقال له:

(يابنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) (٣).

ولهذا سميت الأيام الثلاثة: بيوم التروية.. ويوم عرفة.. ويوم النحر.

وقد شط بعض المفسرين - وراء أهل الكتاب - فقالوا: إن الذبيح إسحاق.. وهذا باطل.. فالذبيح إسماعيل - عليه السلام - لكثير من الأسباب:

أولا: لأن البشارة فى القرآن الكريم بإسحاق كانت بعد البشارة بإسماعيل وبعد قصة الذبيح.. فافقروا.. إن شئت.. من قوله تعالى:

(١) ١٠٢ الصافات.

(٢) ١٠٢ - الصافات.

(٣) ١٠٢ - الصافات.

(٤) ليلة الثامن من ذى الحجة.

(٥) ١٠١ - ١١٢ الصافات.

رابعاً: لأن البشارة بإسحاق.. كانت مقرونة بولادة يعقوب من نسله.. اقرأ: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) (١).

فلا يناسبها الأمر بذبح إسحاق مراهقاً.. لأن إبراهيم - عليه السلام - يعلم مسبقاً أن يعقوب سيكون من نسل إسحاق.

خامساً: حتى أهل الكتاب.. الذين يدعون أن الذبيح إسحاق.. لينالوا شرف الانتساب إلى الذبيح.. يوجد في كتبهم المقدسة.. ما يثبت أن الذبيح.. هو إسماعيل.

فجاء في الإنجيل برنابا.. على لسان المسيح.. بالنص:

الحق أقول لكم.. إذا أمعنتم النظر.. في كلام الملاك جبريل.. تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا لأن الملاك قال: يا إبراهيم.. سيعلم العالم كله.. كيف يحبك الله.. أجاب إبراهيم: ها هوذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الرب.. أجاب إبراهيم قائلاً: خذ ابنك البكر.. واصعد الجبل.. لتقدمه ذبيحة.. أه -

فكيف يكون إسحاق هو البكر.. وهم لا ينكرون أن إسماعيل ولد قبل إسحاق بزمان وإذا قيل إنهم لا يعترفون بإنجيل برنابا.. فلا مانع لدينا من مناقشة أسفار التوراة.. التي تعترف بها الكنيسة.. في كتابهم المقدس.

فإن التوراة.. التي قالت: إن الذبيح هو ابنه وحيد.. حيث جاء في سفر التكوين.. والخطاب موجه لإبراهيم.

فقال: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه - إسحاق - واذهب إلى أرض الموريا.. واصعد هناك محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك (٢) - أه.

وواضح أن لفظ - إسحاق - مدسوس في هذا المكان من العبارة.. وإلا كانت التوراة متناقضة مع نفسها.. فقد قالت بصريح العبارة.. إن إسحاق ولد.. ولإسماعيل أربعة عشر عاماً.. وإليك هذا النص.. من سفر التكوين أيضاً.. في الإصحاح السادس عشر:

١٥- فولدت هاجر لإبرام ابناً.. ودعا إبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر - إسماعيل -

١٦- كان إبرام ابن ست وثمانين سنة.. لما ولدت هاجر إسماعيل لإبرام (٣).

(١) ٧١ - هود.

(٣) سفر التكوين إصحاح ١٦ فقرتي ١٥ - ١٦.

لاحظ هنا أن إبراهيم كان سنه ستاً وثمانين سنة.. عند ولادة إسماعيل.

ثم تعال معي نقرأ في الإصحاح الحادى والعشرين.. من نفس سفر التكوين:

١- وافترقد الرب سارة كما قال.. وفعل الرب لسارة كما تكلم.

٢- فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ولداً في شيخوخته.. في الوقت الذي تكلم الله فيه.

٣- ودعا إبراهيم اسم ابنه.. المولود له.. الذي ولدته سارة - إسحاق -

٤- وختن إبراهيم إسحاق ابنه.. وهو ابن ثمانية أيام.. كما أمره الله.

٥- وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه (٤) - أه -

وحصيلة ما ذكرناه من التوراة.. أن إسماعيل ولد.. وإبراهيم في السادسة والثمانين من عمره.. وإسحاق ولد.. وهو في سن المائة.. فيكون إسماعيل أكبر من إسحاق بأربعة عشر عاماً.

ومعنى هذا أنه ليس لإبراهيم - عليه السلام - ابن وحيد غير إسماعيل.. فيكون إسماعيل هو الذبيح.. حتى من نصوص التوراة نفسها.

|| || ||

وقد سئل معاوية بن أبي سفيان: الذبيح إسماعيل.. أو إسحاق.. فقال: على الخبير سقطتم.. كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء رجل فقال: يا رسول الله.. أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين.. فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقيل: يا أمير المؤمنين.. ومن الذبيحين؟.. فذكر إسماعيل وعبد الله.

كما سئل أبو سعيد الخدري عن الذبيح.. فأشدد:

إن الذبيح - هديت إسماعيل

نطق الكتاب بذلك والتنزيل

شرف به خص الإله نبينا

وأتى به التفسير والتأويل

إن كنت أمته فلا تنكر له

شرفاً به قد خصه التفضيل

(٢) سفر التكوين إصحاح ٢٢ - فقرة ٢.

(٤) سفر التكوين ص ٢١ فقرات ١ - ٥.

وعن الأصمعى .. قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح .. فقال: يا أصمعى .. أين عذب عنك عقلك؟ .. ومتى كان إسحاق بمكة؟ .. وإنما كان إسماعيل بمكة .. وهو الذى بنى البيت مع أبيه .. والمنحصر بمكة .. ولعل القارىء الكريم «لم يعد عنده شك» فى أن الذبيح هو إسماعيل.

.....

رأى إبراهيم - عليه السلام - فى منامه .. أن يذبح ابنه إسماعيل .. فقال له: يا بنى خذ هذا الحبل .. وهذه السكين .. ثم انطلق معى إلى هذا الشعب .. فلما خلا به أخبره بما رأى .. وقال:

«يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى».

فقال له إسماعيل - عليه السلام -: يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب .. واكفف ثيابك عنى .. حتى لا ينضح عليها دمي .. فينقص أجرى وتراه أسمى فتحزن .. واشحذ شفرتك .. وأسرع بجر السكين على حلقى .. ليكون أهون للموت على .. فإن الموت شديد .. فإذا أتيت أسمى .. فاقراها منى السلام .. وإن رأيت أن ترد قميصى إليها فافعل .. فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى.

ثم قال: «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين».

فقال إبراهيم - عليه السلام - نعم العون يا بنى أنت على تنفيذ أمر الله .. ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه .. ثم أقبل عليه يبكى .. والابن يبكى .. حتى استتبع الدموع تحت لحيته .. ثم وضع السكين على حلقه وجرحها .. فانقلب سنها إلى أعلى.

فقال إسماعيل: يا أبت أعصب عيني .. فنظرت إليها بمنعك من الذبيح.

فعصب عينيه .. وجرح السكين .. فانقلبت ثانية فقال إسماعيل:

كبنى على وجهى .. فلأنك إن تنظر إلى وجهى رحمتنى .. وأدركتك على رقة تحول بينك وبين أمر الله .. لفعل إبراهيم ذلك .. ثم أنه وضع السكين على قفاه .. فانقلبت .. فنودى .. «أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا» .. هذه ذبيحتك فداء لابنك .. فاذبحها دونه.

وإذا هو بجبريل - عليه السلام - ومعه

كشش أعين(١) .. أجلح .. أقرن .. فكبر إبراهيم وإسماعيل.

وروى أنه لما ذبح الكبش .. قال جبريل: الله أكبر .. الله أكبر .. فقال الذبيح لا إله إلا الله .. والله أكبر .. فقال إبراهيم: الله أكبر .. والله الحمد.

فبقى التكبير سنة من هذا اليوم.

كما روى أنه لما رأى إبراهيم فى المنام .. أن يذبح ابنه إسماعيل .. قال الشيطان: والله لئن لم أفتن آل إبراهيم .. وإلا لم أفتن أحدا منهم أبدا .. فتمثل لهم الشيطان رجلا .. فأتى أم الغلام .. وقال لها: أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنك؟

قالت: ذهب ليحتطب لنا من هذا الشعب .. فقال لها: لا والله .. ما ذهب به إلا ليذبحه .. قالت: كلا .. هو أرحم به منى .. وأشد حياء من ذلك.

فقال لها: إنه يزعم أن الله أمره بذلك .. قالت: إن كان الله أمره بذلك .. فقد أحسن فى امتثال أمر الله .. وفى استسلامه لطاعة ربه.

فخرج الشيطان من عندها .. هاربا .. حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه.

فقال له: يا غلام .. هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ .. قال: نحتطب لأهلنا من هذا الشعب .. قال: لا والله .. ما يريد إلا ذبحك.

قال: ولم؟ .. قال: يزعم أن الله أمره بذلك .. قال: فليفعل ما أمره الله به .. فسمعا وطاعة لأمر الله.

فلما امتنع منه الغلام .. أقبل على إبراهيم.

فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ ..

قال: أريد هذا الشعب لحاجة لى .. فقال: والله إنى أرى الشيطان قد جاءك فى منامك .. يأمرك بذبح ابنك هذا.

فعرفه إبراهيم - عليه السلام - فقال له: إليك عني ياملعون .. فوالله لأمضين لأمر ربى.

فرجع إبليس بغیظ .. لم يصب من إبراهيم وأهله شيئا.

فهذا هو إسماعيل - عليه السلام - أول أجداد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من بعد إبراهيم - عليه السلام - نرى فيه قوة الإيمان .. وقمة الفداء .. فالجود بالنفس أعلى مراتب الفداء .

لمحات عن أجداده

هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله .. بن
عبدالمطلب .. بن هاشم .. بن عبدمناف ..
ابن قصي .. بن كلاب .. بن مرة .. بن
كعب .. بن لؤي .. بن غالب .. بن فهر ..
ابن مالك .. بن النضر .. بن كنانة .. بن
خزيمة .. ابن مدركة .. بن إياس .. بن مضر
.. بن نزار .. بن معد .. بن عدنان ..
حيث ينتهي نسبه إلى إسماعيل الذبيح
- عليه السلام - .

- ٤ -

لمحات عن أجداده

وهو أول من حدا للإبل.. وكان حسن الصوت.
ومنهم (إياس).. وهو فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه.. ومن مآثوراته: «من يزرع خيرا يحصد غبطة.. ومن يزرع شرا يحصد ندامة».

ويذكر أنه كان يسمع فى صلبه تلبية محمد - صلى الله عليه وسلم - بالحج.

وأما (فهر).. فإليه تنسب قريش.. ومن كان فوقه.. لا يقال له قرشى.. وإنما يقال له - كنانى - واسمه قريش.. وهو الجد السادس لأبى عبيدة بن الجراح.. وكان مشهورا بالكرم.. لا ينتظر صاحب الحاجة حتى يأتيه.. وإنما كان يفتش عليه.. ويقضى حاجته.

ومنهم (كعب).. وكانت تجتمع إليه قريش يوم الجمعة.. فيخطب فيهم ويعظهم ويذكرهم بمبعث النبى - صلى الله عليه وسلم - وينبئهم بأنه من ولده.. وبأمرهم باتباعه.. وهو الجد الثامن لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه -.

□ □ □

لو رجعنا بالبحث - تاريخيا - عن أجداده - عليه الصلاة والسلام - لوجدناهم جميعا.. سلامة آباء كرام.. فيهم السيادة والقيادة.. والقوة والفداء.. والحكمة والكرم.. والشجاعة والإقدام.. كما سنرى فى لمحات خفيفة عن بعضهم:

فمنهم (معد) وهو صاحب حروب وغارات.. ولم يحارب أحدا.. إلا رجع منتصرا.. وهو أبو العرب.

ومنهم (نزار) وكان أرجح أهل زمانه عقلا.. وأسمحهم وجها.. وأجملهم صورة.. وقيل إنه سمي بهذا الاسم.. لأنه لما ولد.. ونظر أبوه إلى نور محمد - عليه الصلاة والسلام - فى وجهه.. فرح به فرحا شديدا.. وأطعم كثيرا.. وقال: إن هذا كله نزر - أى قليل بحق هذا المولود.. فسمى نزارا.

ومنهم (مضر).. وكان جميلا لم يره أحد إلا أحبه.. وكان حكيما.. ومن حكمه: «خير الخير أعجله.. فاحملوا أنفسكم على مكروها.. واصرفوها عن هواها فيما أفسدها.. فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فواق(١)».

(١) صبر فواق: أى الزمن بين الخلتين «لأن الناقة تحلب» ثم تترك لفصيلها لتدر.. ثم تحلب.

ومنهم (مرة) .. وهو الجدد السادس لرسول الله صلى الله عليه وسلم - ولأبي بكر الصديق .. وفى مرة أيضا يجتمع نسب الإمام مالك .. بنسب رسول الله .

ومنهم (كلاب) .. واسمه - حكيم - ولقب بكلاب .. لأنه كان كثير الصيد بالكلاب .. وهو الجدد الثالث للسيدة آمنة - أمه صلى الله عليه وسلم - فهو ملتقى نسب أبيه بنسب أمه .

وهو أول من سمي الأشهر العريية .. بالأسماء المستعملة الآن .

ومنهم (قصي) .. واسمه - مجمع - جمع الله به القبائل من قريش .. بعد أن تفرقوا فى الشعاب والجبال .. فأنزلهم بطحاء مكة .. وقسم منازلهم .. فسمى مجمعا . وفيه يقول حذافة بن غانم :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر

وهو أول من جدد بناء الكعبة من قريش .. بعد إبراهيم .. وأول من أوقد نار المزدلفة .. وكانت توقد .. حتى يراها من نزل من عرفة .. وكان إليه فى الجاهلية حجابة البيت (١) .. وسقاية الحجيج وإطعامه .. المسمى .. بالرفادة .. وكان الماء عزيزا بمكة يجلب إليها من الخارج .. فكان قصي يسقى الحجاج ويطعمهم لأنهم ضيوفه .. وكانت له الندوة .. وهى مجلس الشورى .. فلا يتم أمر .. إلا فى بيته .. ولا يعقد نكاح إلا فى داره .. ولا يعقد لواء حرب إلا عنده .

فكان بيته .. القيادة والسيادة .. والملجأ لجميع المشاكل الخاصة والعامة .. ومن كلامه .

«من أكرم لثيما شاركه فى لؤمه .. ومن استحسن قبيحا ترك إلى قبحه .. ومن لم تصلحه الكرامة .. أصلحه الهوان .. ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان .. والحسود هو العدو الخفى» .

ولما حضرته الوفاة عام ٤٨٠م - وقد عاش ثمانين عاما - جمع بنيه .. ونهاهم عن شرب الخمر .

□ □ □

ومنهم (عبد مناف) .. وكان لشدة جماله وبهائه وحسنه .. يقولون عنه : - قمر البطحاء -

وكان اسمه المغيرة - وكانوا يسمونه أيضا - الفياض - لشدة كرمه .. وهو الجدد الرابع لعثمان بن عفان - والجدد التاسع للإمام الشافعى .

أما (هاشم) .. واسمه - عمرو بن عبد مناف - ويقال له - عمرو العلاء - لعلو منزلته .. وهو أخو عبد شمس .

ساد قومه .. بعد موت أبيه - عبد مناف - وقيل عن سبب تسميته - هاشم - أن قريشا أصابها مجاعة مهلكة .. لا زرع ولا ضرع .. فخرج - هاشم - إلى الشام .. واشترى دقيقا وكمكا .. وقدم به مكة فى الموسم .. فهشم الخبز والكعك .. ونحصر الإبل .. وجعل ذلك كله ثريدا .. وأطعم منه الناس .. حتى أشبعهم .. فسمى بذلك - هاشما - وكانوا يقولون عنه : - أبو البطحاء - و - سيد البطحاء - فكانت مائدته دائما منصوبة .. للغادى والرائح .. وكان موسرا .. يسد عن المدين .. ويؤمن الخائف .

وهو أول من سن رحلتى الشتاء والصيف .. فكان يرسل شتاء إلى اليمن والحبيشة .. وصيفا إلى الشام .. بتجارته وتجاره قريش .

يقول عنه الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه
ورجال مكة مستنون عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما
سفر الشتاء ورحلة الأضياف
ومات هاشم بغزة .. من أرض الشام .. وهو بتاجر عام ٥١٠م

ومنهم (عبدالمطلب) .. واسمه - شيبه الحمد - لأنه ولد وله شيبه .. مع رجاء حمد الناس له .. وأمه - سلمى بنت زيد النجارية ..

ويقال : سمي عبدالمطلب .. لأن عمه المطلب . أردفه خلفه فى سفر .. وكانت ملابسه رثة لفقره .. فقبل لعمه : من هذا ؟ .. فقال : إنه عبدى - حياء من السائل - فسمى - عبدالمطلب - .

وكان مجاب الدعوة .. فى قلبه رقة ورحمة .. حتى بالحيوان .. وبلغت به تلك العاطفة النبيلة .. أنه كان يرفع من مائدته للطير

(١) تولية مفتاح بيت الله .

والوحوش فى رءوس الجبال .. وهذا إحساس مرهف .
ورفق بالحيوان الأعجم .. ولذا كانوا يسمونه - مطعم
الطير - كما يقولون عنه - الفياض لشدة كرمه .

**كان موئل قريش فى البلاء .. ومفزعهم عند
الكرب .. وملجأهم فى كل أمر .. كان شريفهم وسيدهم
وجليلهم .**

**وهو أول من تعبد بحراء .. فكان إذا دخل شهر
رمضان .. صعد الجبل إلى حراء .. وأطعم المساكين جميع
الشهر .. وكان صعوده للخلوة بعيدا عن الناس .. متفكرا
فى خلق الله وجلاله وعظمته .**

**ويؤثر عن - عبدالمطلب - سنن جاء بها القرآن
الكريم .. وجاءت السنة بها .. منها: النهى عن نكاح
المحارم .. وقطع يد السارق .. والوفاء بالنذر .. والنهى عن
وأد البنات ..**

**وتحريم الخمر .. والزنا والحد عليه .. والألا يطوف
بالبيت عريان .. وتعظيم الأشهر الحرم . وهو أول من
خضب شعره بالوسمة - أى السواد - لأن الشيب قد ولد
معه .. كما أنه أول من سن الدية مائة من الإبل .. فصارت
فى قريش .. ثم فى العرب .. وأقرها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم -**

**ولعبد المطلب فى الحق موقف .. نتنسم فيه عبير
العظمة والمجد والمروءة :**

فقد كان نديمه فى الجاهلية - حرب بن أمية بن عبد
شمس بن عبد مناف - والد أبى سفيان . وكان فى جوار
عبدالمطلب يهودى .. فأغلظ ذلك اليهودى القول لنديمه
حرب بن أمية فى سوق من أسواق تهامة .. فسلط حرب
على اليهودى بعض أتباعه فقتله .. فلما علم عبدالمطلب
بذلك .. لم يدع حربا .. حتى أخذ منه مائة ناقة .. دفعها
لابن عم اليهودى .. دية له .. وصونا لحق الجوار .. ثم
ترك مناداة حرب .. ونادم عبدالله بن جدعان التميمى .

**انتهت إليه الرئاسة .. بعد هاشم .. وكان دائما
بأمر أولاده بترك الظلم والبغى .. ويدفعهم إلى مكارم
الأخلاق .. وينهاهم عن الخطايا .. وذنبيات الأمور .
وقد رفض فى نهاية عمره .. عبادة الأصنام ..
ووحده الله بالفطرة .**

وهو الذى كشف عن بئر زمزم .. بئر إسماعيل ..
وأقام سقايتها للحجاج .. فكانت له فخرا وعزا ومجدا
على قريش .. وعلى سائر العرب .. إلى يومنا هذا .

وذكر - دغفل - النسابة . أن عبدالمطلب .. كان
أبيض .. مديد القامة .. حسن الوجه .. فى جبينه نور
النبوة .. وعز الملك .. يطيف به عشرة من بنيه .. كأنهم
أسد الغاب .. وكانت كنيته - أبو الحارث - لأن الأكبر من
أولاده الذكور .. كان اسمه - الحارث -

**ومات - عبدالمطلب - عن مائة وعشرين عاما .
وكان يعظم النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو
صغير .. ويقول دائما : «إن لابنى هذا لشأن عظيم» .**

**وذلك بالإلهام .. وما يسمع من الكهان والرهبان
.. قبل مولده .. وبعد مولده - عليه الصلاة والسلام -**

هذا شىء يسير .. عن أجداده - عليه الصلاة
والسلام .. أما أعمامه .. فهم تسعة ذكور : أبو طالب ..
واسمه - عبد مناف - والزيبر .. وهما شقيقا أبيه - عبدالله -
وأُمهم - فاطمة بنت عمرو المخزومية .

**العباسى - جد الخلفاء العباسيين - وضرار
- وأُمهما - نائلة العمرية .**

**حمزة - والمقوم - وأُمهما - هالة بنت وهب .
أبو لهب - واسمه عبدالمعزى .. وأمه - لبنى
الحزاعية .**

**الحارث - وأمه - صفية بنت عامر بن صعصعة .
الغيداق - واسمه حجل - وأمه - ممنة وعماته ست
وهن !
صفية - وأم حكيم - وعاتكة - وأميمة - وأروى -
وبرة .**

**وقد أسلم من أعمامه : الحمزة والعباسى .
ومن عماته: صفية - وهى أم الزبير بن العوام -
التي عاشت حتى ماتت سنة ٢٠هـ .
فى زمن - عمر بن الخطاب - عن ثلاث وسبعين
سنة .**

**ولعل من أبرز الصفات الجليلة فى - عبدالمطلب ..
صفة الوفاء بالنذر .. فقد هم بذبح ابنه الحبيب - عبدالله -
أحب أبنائه إليه .. وكان أصغرهم .. وفاء لنذر نذره ..
ولهذا النذر قصة جميلة .. لا بأس من أن نمر بها فى عجالة
سريعة .. قبل أن يغمرنا نور محمد وسناه .**

الذبيح عبدالله

نلمس فى هذا الحادث ظاهر القسوة مع
باطن الرحمة .. فلم تخرج السهام على أبى
طالب أو أبى لهب .. أو العباسى .. أو
الحارث .. وإنما خرجت على عبدالله ..
أحب أبنائه إليه .. ليكون الاختبار بالنسبة
لعبد المطلب فى أقوى درجاته .. وبالنسبة
لعبد الله فى أغلى ما يملك .. وهو حياته
وليكون محمد - صلى الله عليه وسلم - ابن
الذبيحين.

الذبيح عبد الله

وابنه الحارث .. وسفهاؤهم يهزأون بهما ..
ويسخرون متهما ويتهمونهما بالخبل والجنون.
لم يشره كل هذا .. وإنما الذى أثاره .. ما أحس به
من ضعف .. أمام قومه .. لقلّة ولده .. وليس له غير
الحارث.

فقد عارضه عدى بن نوفل بن عبد مناف .. فى
حفر زمزم .. وآذاه .. وقال له : يا عبد المطلب .. أتستطيل
علينا .. وأنت فذ لا ولد لك؟.

فقال له : أبالقلة تعيرنى؟ .. فوالله .. لئن أثنى الله
عشرة من الولد ذكورا .. لأنحرن أحدهم عند الكعبة . الله
تعالى . ألزم عبدالمطلب نفسه .. بهذا النذر .

وأكمل الله بنيه .. عشرة ذكور .. آخرهم - عبدالله -
ولد حوالى سنة ٥٤٥ م .. وكان أحبهم إليه .. للنور
المتلألئ فى جبينه .. ولأنه أصغرهم - والمعروف أن أحب
الأبناء ثلاثة : المريض .. والغائب .. والصغير.

وظل عبدالمطلب .. حريصا على الوفاء بنذره ..
فما أن بلغ عبدالله مبلغ الرجال .. حتى دعا أبناء العشرة
.. وأخبرهم بنذره .. وبما يعتمل فى صدره من الحرص ..
على الوفاء به . فامتثلوا جميعا لأمره وأطاعوه.

رأى عبدالمطلب فى منامه .. من يأمره بحفر
زمزم .. التى طمرتها الرمال .. بمرور القرون من بعد
إسماعيل - عليه السلام - وقام بتنفيذ هذا الأمر .. يساعده
فى الحفر .. ونقل الرمال والصخور ابنه الحارث .. ولم
يكن له من الأولاد فى هذا الحين غيره .

وتفجر الماء من البئر عذبا سلسيلا .. ففرح
عبدالمطلب وابنه أيما فرح .. فالماء الجارى فى هذا المكان
القفى .. لا تعد له قناطير الذهب والفضة.

ولكن قومه نازعوه .. فى امتلاك هذا البئر .. وأدى
الأمر إلى قتاله وأذاه هو وابنه الحارث .. والمعروف عن
عبدالمطلب .. أنه منكر لذاته .. فان فى المجتمع الذى
يعيش حوله .. بل وكان يعمل على جلب الماء .. من
خارج مكة .. ليسقى الحجيج .. ويطعمهم .. ويعتبرهم
ضيوفا مثل جده - قصى - فما الذى أثار عبدالمطلب ..
حتى نازع قومه وناضلهم فى امتلاك البئر .. حتى دفعهم
إلى قتاله وأذاه؟.

لا شك أنه على حق .. فى معارضته لهم ..
ورفضه أن يشاركوه فيه إلا بإذنه .. فهو الذى ألهمه الله
حفره .. وهو الذى تعب وشقى فى التنقيب عنه .. هو

فقال : فليأخذ كل واحد منكم قدحا (١) .. وليكتب اسمه عليه .. ففعلوا .. وأتوه بالقداح .. ثم دخل بهم وبأقداحهم على - هبل - فى جوف الكعبة.

فقال عبدالمطلب لصاحب القداح: اضرب على بنى هؤلاء بأقداحهم .. بعد أن أخبره بما نذر .. وأخذ صاحب القداح يضرب .. بينما قام عبدالمطلب يبتهل إلى الله .. ويشكو إليه ألمه الذى يعتصر قلبه .. وأشجانه التى تهدقواه .. فهو مقدم على ذبح فلذة من فلذات كبده بيده .. ويا لسخرية القدر . فقد خرج السهم على - عبدالله - أحبهم إلى قلبه .

وهنا تبرز عظمة عبدالمطلب .. وقوة يقينه .. ورسوخ إيمانه .. فقد كان ملتاعا فزعا من ذبح أى واحد من أبنائه التسعة الكبار .. ولم يكن يخطر بباله .. أن الله سيختار - عبدالله - بالذات .. وذلك لما له فى نفسه من حب وأمل . فإذا بالسهم يخرج على قدح عبدالله !!!

وتنتصر فى الرجل قوة الإيمان والوفاء .. على عاطفة الحب والأمل .. فيمد يده .. ويمسك بيد ابنه - عبدالله - ويتجه به إلى - أساف ونائلة - وهما الصنمان اللذان ينحر الناس عندهما.

وعلمت قریش بالخبر . فقام الناس من أنديتهم .. وذهبوا إلى عبدالمطلب .. وحالوا بينه وبين ما يريد .. وانضم إليهم أبنائهم التسعة .

قال له زعماء قریش : يا عبد المطلب .. ماذا تريد أن تصنع ؟ .. قال: أريد أن أذبح عبدالله .. وفاء لنذرى .. فقالوا جميعا: وحق الآلهة .. لا ندعك تذبحه أبدا .. إلا إذا اضطررت لذلك اضطرارا .. ولئن فعلت ذلك تكون سنة .. فيأتى الرجل بابنه حتى يذبحه فى الكعبة ..

وقال له المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم (٢) .. والله لن تذبحه حتى تعذر فيه .. فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه ..

وقالت قریش وبنوه : لا تفعل وانطلق إلى كاهنة بخيبر .. فسلها .. فإن أمرت بذبحة فاذبحه .. وإن دلتك على أمر فيه فرج له ولك فاقبله .. ورضى عبدالمطلب بهذا رأى .. فانطلقوا حتى أتوا الكاهنة بخيبر .. فقص

عليها عبد المطلب أمره . فطلبت منه .. أن يرجع اليوم .. ثم يعود بعد أن يأتيها تابعها فتسأله .. فرجعوا عنها .. ثم غدوا عليها .

فقالت : نعم قد جاءنى الخبر .. كم دية الرجل عندكم ؟ .. قالوا: عشرة من الإبل .. وكانت الدية فى هذا الحين عشرا .. قالت ارجعوا إلى بلادكم .. وقربوا عشرة من الإبل واضربوا القداح بينها وبين صاحبكم .. فإذا خرج السهم عليه .. فزيدوا فى الإبل عشرا فعشرا .. حتى يخرج على الإبل .. فانحروها .. فقد رضى ربكم .. ولجأ صاحبكم.

فعادوا إلى مكة .. ثم قربوا عبدالله وعشرا من الإبل .. فخرجت القداح على عبدالله .. فزادوا عشرا .. فخرجت على عبدالله .. فما برحوا يزيدون عشرا فعشرا .. حتى بلغت الإبل مائة .. ثم ضربت .. فخرجت القداح على الإبل.

فقال الحاضرون: لقد رضى ربك يا عبدالمطلب .. فقال: لا والله حتى أضرب ثلاث مرات .. فأكملوها ثلاثا .. وهى تخرج على الإبل ففرح الجميع .. ونحرت الإبل .. وتركت لا يصد عنها إنسان ولا سبع .

ولعلنا نلمس فى هذا الحدث أمورا وأمورا .. نلمس فيه حرص عبد المطلب الشديد .. على إرضاء ربه .. والوفاء بنذره .. فلم يكتف بخروج القداح على الإبل مرة واحدة .. ولو كان غيره لاكتفى بهذا .. واعتبره فرجا من ضيقه وألمه الذى يعانى .. فهو ابنه الحبيب العزيز .. قررة العين .. ولكنه أصر على أن تضرب القداح ثلاث مرات .. ليتأكد فى أعماقه من رضى الله .

ونلمس فيه استسلام الابن للموت .. طاعة لأبيه .. وتنفيذا لأمر الله .. ولاغرو فهو سليل إسماعيل .

ونلمس فيه - أيضا - ظاهرة القسوة فى القدر . مع باطن الرحمة المكنونة فيه .. فلم تخرج السهام على أبى طالب .. أو أبى لهب .. أو العباس .. أو الحارث .. أو غيرهم .. وإنما خرجت على عبدالله .. أحب أبناء عبدالمطلب إليه .. ليكون الاختبار بالنسبة لعبد المطلب فى أقوى درجاته .. وبالنسبة لعبد الله فى أغلى ما يملك .. وهو حياته .. وليكون محمد - صلى الله عليه وسلم - ابن الذبيحين.

وانصرف عبدالمطلب .. بعد نحر الإبل .. ومعه ابنه عبدالله .

(١) القداح : سهام لا نصل لها يقترعون بها.

(٢) ابن خالد عبد الله .

وفى الطريق .. مر عبدالله بمنزل امرأة .. من بنى أسد بن عبدالعزيز بن قصي .. منزلها قريب من الكعبة .. فأرسلت إليه إحدى جواربها .. فأنت به إليها .. فعرضت عليه نفسها .. على أن تعطيه مثل الإبل التي نحررت عنه .. فأبى .. وامتنع عليها .. وأخبرها أن أباه خطب له أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة.

وهب يومئذ .. هو سيد بنى زهرة سنا وشرفا .. وابنته **أفضل فتاة في قريش** نسبا ومكانة .. كما أخبرها بأنه لا يقبل الحرام .. ولا يرضى الزنى .. قال:

أما الحرام فالممات دونه
والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه
يحمي الكريم عرضيه ودينه

ويدو أن تلك المرأة الأسدية .. التي راودته عن نفسه .. قبل أن يذهب إلى أهله .. كانت عالمة بالإرهاصات والتنبؤات .. التي كثرت في هذا الحين .. تبشر بقرب بزوغ شمس الهداية .. وميلاد خاتم رسالات السماء إلى الأرض .. وكانت صادقة الفراسة .. عندما لمحت نور محمد - صلى الله عليه وسلم - في جبين عبدالله . فراودته عن نفسه .. لتكون وعاء لهذا النور .. بدليل أن عبدالله .. بعد أن حملت منه السيدة - أمنة - وانتقل نور محمد إليها .. عاد إلى تلك المرأة .. لأشياء إلا لالتفكه والتسلية البريئة .. كما يفعل الشباب الغض .. في مثل سن عبدالله .. فأنكرته .. ولم تقبل عليه ..

فقال لها: مالك لا تعرضين على اليوم .. ما كنت عرضت على بالأمس ؟

قالت : لم أعد أرى في وجهك النور .. الذي رأيته فيه بالأمس . فليس لي بك اليوم حاجة .

قيل إنها كانت تسمع من ورقة بن نوفل .. الذي اتبع النصرانية .. وقرأ في كتبها .. أن النبي الخاتم ..

قد آن أوانه .. وأظلمهم إبانته .. فهداها صدق فراستها إلى نوره .. في وجه عبد الله .

وكان اسم - عبدالله - قبل حادث الفداء - عبدالدار - فلما كان في سنة الفداء . قال عبدالمطلب : هذا عبدالله .. فسمى به من هذا اليوم .

ولم يمكث عبدالله بمكة طويلا .. بعد زواجه .. حتى رحل إلى الشام .. مع أقرانه بتجارة قريش .. في رحلة الصيف .. وبلغ يشرب .. في طريق عودته إلى مكة - وهو مريض - فنزل بها عند أخوال أبيه .. من بنى النجار .. فأقام عندهم شهرا في مرضه .. ثم توفي .. لشهرين من حمل السيدة أمنة .. بابنه محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو في الخامسة والعشرين من عمره .. ودفن في دار النابغة .. في الدار الصغرى .. على يسار الداخل إلى البيت .

والنابغة .. رجل من أخواله .. من بنى عدى بن النجار.

وقد رثته زوجته أمنة .. بهذه الأبيات . عفا جانب البطحاء من آل هاشم

وجاور لحدا خارجا في الغمام
دعته المنايا دعوة .. فأجابها

وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره

تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنون وريبها

فقد كان معطاء كثير التزاحم
لم يولد لأمنة وعبدالله . غير محمد - صلى الله عليه وسلم - ولم يتزوج عبدالله غير أمنة .. ولم تتزوج أمنة غير عبدالله .. فهما لم يأتيا الوجود إلا لإحجاب محمد .. هذا القبس الخالد .. الذي سيملا الدنيا بالنور والحق والخير والسلام .. ويكون رحمة للعالمين .. من إنس ومن جان.

حرب السماء فى عام الفيل

نلمح فى مسيرة أبرهة إلى البيت الحرام
عزة العرب وحبهم لبيت الله .. والفداء
بأرواحهم .. ذودا عنه .. ودفاعا عن حماه
.. فلم يمر أبرهة على قبيلة من العرب .. إلا
قاتلته وحاربته .. استعظاما لهذا الأمر الذى
يبتغيه .

حاربه - ذو نفر - من ملوك حمير
وحاربه - نفيل بن حبيب الخثعمى - .. ومن
اجتمع إليه من قبائل العرب .

- ٦ -

حرب السماء فى عام الفيل

وبنى أبرهة كنيسة بصنعاء .. إلى جنب غمدان ..
واسمها - القليس (١) - لم ير مثلها فى زمانها .. بناها من
المرمر والرخام الملون .. وجيد الخشب المذهب . وكتب
إلى النجاشى يخبره ببناؤها له .. وبأنه سيصرف جميع
العرب إليها .. بدلا من الكعبة .

وتحدث العرب بذلك .. فخرج رجل كنانى ..
اسمه : حذيفة من بنى فقيم بن عدى .. حتى أتى الكنيسة
وتغوط فيها ليلا .. استهزاء بها .. وغضبا من أجل الكعبة
ثم لحق بأرضه .

ولما علم أبرهة بذلك .. ذهب بنفسه .. ورأى
العذرة فيها .. فقال: من الذى اجتراً على ذلك ؟ .. فقيل
له : فعلها رجل من العرب .. من أهل ذلك البيت الذى
يحجونه .. سمع بالذى قلت للنجاشى .. فصنع هذا.
فحلف أبرهة عند ذلك .. ليسيرن إلى الكعبة
ويهدمها .

فخرج بجيش فيه الفيلة .. فسمى هذا العام بعام
الفيل .. وكان ذلك فى عام ٥٧٠ .

حكم النجاشى اليمن .. بعد حمير .. وآل ملك
اليمن إلى أبرهة الأشرم .. بعد أن قتل حاكمها أرباط ..
وأرباط وأبرهة حبشيان .. وغضب النجاشى على أبرهة ..
لما قتل تابعه - أرباط - وحلف لا يدع أبرهة .. حتى يجز
ناصيته .. ويطأ بلاده - وكتب إليه : إنك اعتديت على
أميرى فقتلته بغير أمرى .

وكان أبرهة خبيثا .. فلما بلغه قول النجاشى ..
حلق رأسه .. وملأ جرابا من تراب اليمن ..
وكتب إلى النجاشى :

أيها الملك .. إنما كان أرباط عبدك .. وأنا عبدك ..
اختلفنا فى أمرك .. وكنت أعلم بأمر الحبشة .. وأسوس
لها .. وكنت أردت أن يعزل .. فأبى .. فقتلته .. وقد
بلغنى ما حلف عليه الملك .. فحلقت رأسى وبعثت به
إليك .. وملأت جرابا من تراب أرضى .. وبعثته إليك ..
ليطأه الملك .. فيبر قسمه .

فرضى النجاشى عن أبرهة .. وأقره على عمله ..
وكتب إليه يثبته فى اليمن . بمن معه من الجنود .

(١) بوزن جميز .. من قلس الشيء : إذا ارتفع .. خربت هذه الكنيسة فى زمن السفاح .

ونلجح في مسيرة أبرهة إلى البيت - عزة العرب -
وحبهم للبيت الحرام . والفداء بأرواحهم - ذودا عنه ..
ودفاعا عن حماه .. فلم يمر أبرهة على قبيلة من العرب إلا
حالت له .. استعظاما لهذا الأمر الذي يتغيه .

خرج إليه ملك .. من ملوك حمير .. اسمه - ذو
نفر - وقاتله بمن أطاعه من قومه .. ولكن أبرهة هزمه ..
وأسره ولم يقتله .. فقد كان أبرهة حليما .
ولما دنا أبرهة من ديار - خثعم - خرج إليه نفيل بن
حبيب الخثعمي .. في قبيلتين ومن اجتمع إليه من القبائل
ولكن أبرهة هزمهم .. وأخذ نفيل أسيرا .

حتى إذا مر بالطائف .. خرج إليه مسعود بن
مغيث الثقفي .. في رجال من ثقيف .

وقال له : ليس عندنا هذا الذي تريد - يعني به
اللات - صنم ثقيف .. إنما أنت تريد البيت الذي بمكة ..
فتركهم .

ووصل أبرهة بجيشه إلى خارج مكة .. فأرسل
حبشيا اسمه - الأسود بن مقصور - على مقدمة خيله ..
فساق أموال أهل مكة إليه .. وكان من بينها مائتا بعير لعبد
المطلب .

ثم أرسل أبرهة حناطة الحميري .. إلى أهل مكة
ليسأل عن سيدهم .. فقليل له : سيدنا عبد المطلب فلقبه
وقال له : إن الملك أرسلني إليك لأخبرك أنه لم يأت لقتال
.. إلا أن تقاتلوه وإنما أتى لهدم هذا البيت .. ثم ينصرف
عنكم .

فقال عبدالمطلب : سنخلي بينه وبين ما جاء له ..
فإن هذا بيت الله الحرام .. وبيت خليله إبراهيم - عليه
السلام - فإن يمنعه فهو بيته وحرمة .. وإن يخل بينه وبين
ذلك .. فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة .

قال حناطة : فانطلق معي إليه .. فانطلق معه ..
رأى عبدالمطلب - ذانفر - الملك الحميري - الذي
هزمه أبرهة في الطريق وأسره .. وكان ذو نفر صديقا لعبد
المطلب . فقال له عبدالمطلب يا ذانفر . هل عندك من غناء
.. فيما نزل بنا؟ .. فقال : ما غناء رجل أسير؟ .. ولكني
سأرسل لك أنيس .. - سائس الفيل - فإنه صديق لي ..
فأسأله أن يقول عنك عند أبرهة ما استطاع

(١) كان هذا فيل النجاشي .. أرسل إلى أبرهة - ليهدم به الكعبة .

من الخير .. فأرسل إلى أنيس .. وانفق معه .

ودخل أنيس مع عبد المطلب على أبرهة .. وقال
له : أيها الملك .. هذا سيد قريش .. وصاحب مكة .. الذي
يطعم الناس في السهل والجبل .. والطير والوحش في
رءوس الجبال .. وقد جاء يستأذن عليك .. فأذن له ..
وكان عبد المطلب جسيما وسيما - فلما دخل عليه أجلسه
بجانبه .. ثم قال لترجمانه : سله عن حاجته .. فقال له عبد
المطلب : حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها لي ..
فقال أبرهة لترجمانه : قل له : كنت أعجبنتي حين رأيتك
.. ولقد زهدت فيك الآن .

فقال له عبد المطلب : ولم؟ .. قال : جئت إلى بيت
هو دينك .. ودين آبائك لأهدمه .. لم تكلمني فيه ..
وتكلمني في مائتي بعير أصبتها؟ .

فقال له عبد المطلب : قل له أنا رب الإبل .. ولهذا
البيت رب يحميه .. وسيمنعه منك قال : ما كان ليمنعه
منى .. فقال له : أنت وشأنك .. ثم أمر له بإبله .. فردت
عليه .

ورجع عبد المطلب إلى قريش .. فأخبرهم ..
وأمرهم أن يتفرقوا في الشعاب .. ويتحرزوا في رءوس
الجبال .. تخوفا عليهم .. ففعلوا ذلك .

ثم أتى عبد المطلب إلى الكعبة .. فأخذ حلقة
الباب وجعل يقول :

لاهم أن المرء يمنع رحله

فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب

وعابديه اليوم آلك

لايغلبن صليبهم

ومحالهم أبدا محالك

جروا جموع بلادهم

والفيل كى يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم

جهلا وما رقبوا جلالك

إن كنت تاركهم وكعبتنا .. فأمر ما بدا لك ثم إن
عبد المطلب ترك الحلقة .. وتوجه في بعض الوجوه مع
قومه .

وأصبح أبرهة .. وقد تهيأ لدخول مكة .. وهيا فيله
الأعظم (١) .. وهو مصمم على هدم الكعبة ..

وكانت الفيلة : ثلاثة عشر فيلًا .

يقول ابن إسحاق : تقدم نضيل بن حبيب الخثعمي
وهراسر مع أبرهة .. وأخذ بأذن الفيل الأعظم .. وقال:
أبرك .. أو ارجع راشدا من حيث أتيت .. فإنك في بلد الله
الحرام . فبرك الفيل .. فأوقفوه فأبى أن يقوم .. فضربوه
بالمعول في رأسه .. فأبى .. فوجهوه إلى اليمن .. فقام
يهزول .. ثم وجهوه إلى الشام فزهول .. فصرفوه إلى
الكعبة فبرك وأبى أن يقوم .. وتقدموا نحو الحرم ..
مصرين على هدمه .. برغم ما رأوا من آية الفيل .
وحصلت المعجزة .. وحسى الله بيته .. وأهلك
أعداءه .

فذت خرجت صفوف الطير .. قادمة من جهة البحر
يقول الرواة في وصفها :

إنها كاهل الخياطيف .. مع كل ثلاثة أحجار
صعرة جدا .. سجران في رجلية وحجر في منقاره .

وقال عنها ابن عباس - رضى الله عنه - كان لها
خرطوم كخرطوم الطيور .. وأكف كأكف الكلاب .

وقال عكرمة - رضى الله عنه - كان لها رءوس
كردءوس السباع .. لم تر قبل ذلك ولا بعده .

كما قال سعيد بن جبير - رضى الله عنه - هي طيور
خضرة .. لها منافر صفراء .

ونحن لا يهمنا من كل تلك الأوصاف .. إلا أن
الله - تعالى - أرسلها صفوفا .. ترميهم بذلك الحجارة ..
المصنوعة من سجيل .. والسجيل : قالت عنه معاجم
اللغة : هي حجارة من طين .. طبخت بنار جهنم .

وقد ادعى بعض مدعى العلم : أنها ميكروبات
مرض وبائي .. أصاب جيش أبرهة .. إلا أن هذا التفسير
.. لا يتمشى من قريب أو بعيد .. مع ظاهر النص .. في
قوله تعالى :

(ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل
كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم
بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) (١)

فقد ورد ذكر تلك الحجارة .. في إهلاك قوم لوط
في قوله تعالى :

(فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من
سجيل) (٢) .

وفي نجم آخر :
(وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك) (٣) .

فهى حجارة من جهنم .. كان الطائر يسقطها فوق
رأس الرجل .. فتخترق بيضته وحسمه .. فيحترق
اللحم .. داخل الثياب والدروع .. ويصبح رمادا .. ويبقى
الهيكل العظمى بما عليه .. من لباس وسلاح .. فهذا تشبيه
القرآن الكريم لهم .. بعد هلاكهم :

(فجعلهم كعصف مأكول) .. أى كزرع .. أكل
حبه .. وبقي تبته .

فهذه الوصف .. ينطبق على هلاك جيش أبرهة
بمرض وبائي^٤ .

إنه لو كان مرضا وبائيا .. لبقيت آلاف الجثث
حول البيت ربما وجيفا .

ونجا التليل من جيش أبرهة ففر هاربين ١٤ أو
.. يسألون عن نضيل بن حبيب .. لبدلهم على الطريق ..
ولما رأى نضيل ما أصاب القوم .. قال :

أين المفر .. والإله الطالب
والأشرم المغلوب ليس الغالب

ثم قال :

حمدت الله إذ عاينت طيرا
وخفت حجارة ترمى علينا

وكل القوم يسأل عن نضيل
كان على للجيشان ديننا

وأرسل الله على أبرهة داء في جسده .. فجعل
تنساقط أنامله .. الواحدة تلو الأخرى .. حتى وصل
صنعاء .. وهو مثل الفرخ المعوط .. فما مات حتى
انصدع صدره عن قلبه . ثم هلك .

ونزلت قريش على حذر .. في صبيحة اليوم التالى
.. من شعاب الجبال .. يتحسسون الأمر ..

ويتلصصون الأخبار .. فلم يسمعوا حسا .. ولم يجدوا
أحدا .. وإنما وجدوا أجسادا هشة ملقاة على الأرض ..
كانها لفافات تبغ .. نسيها شاربوها .. فى المظنأة .. حتى
احترقت وهى على حالتها .. فكان القريشى يمسك بجسد
الحبشى .. من رأسه وينفصه .. فيبقى فى يده الهيكل
العظمى بما عليه من لباس وسلاح وحلى وجواهر ..
فكانت غنمة سائغة لأهل مكة .

وكان لهذا الحادث أثر كبير .. فى الجزيرة العربية
كانها .. فقد عظمت العرب قريشا بعده .. وقالوا: هم أهل
الله .. وأن الله قاتل عنهم .. وكفاهم مؤنة عدوهم.
وما كان ذلك من الله .. إلا تكريما لبيته الحرام ..
وتهيدا لمولد خاتم الرسل وخير الأنام الذى ستشرق
شمسه قريبا .. فى رحاب هذا البيت.
فالإجماع على أنه - صلى الله عليه وسلم - قد ولد
فى عام النبل .
وقد أسبغ أبو بكر الجسوزقى .. قال:

حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت .. عن الزبير بن
موسى عن أبي الجوزاء .. قال: سمعت عبد الملك بن
عمران يقول لغيث بن أسيم الكنانى: أنت أكبر .. أم
رسول الله .. صلى الله عليه وسلم - فقال: إن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - أكبر منى .. وأنا ولدت قبله ..
فقد ولد رسول الله عام الفيل .. ووقفت بى أمى على
روث الفيل .

كما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت:

رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة .. أعميين مقعدين
يستطعمان الناس .

ولأهمية هذا الحادث .. أرخ العرب بعام الفيل ..
وكانوا قبله يؤرخون بموت قصى بن كلاب .. لعظيم منزلة
قصى .. فلما كان عام الفيل أرخوا به .
وبدأت الدنيا تستعد لاستقبال محمد - عليه
الصلاة والسلام - لتحقيق دعوة إبراهيم - عليه السلام .

أنا دعوة أبى إبراهيم

كانت القاعدة السادسة من قواعد البيت
المعنوية (ربنا وابعث فيهم) أى فى الأمة
التي ورد ذكرها فى القاعدة الثالثة (رسولا
منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة) والكتاب هو منطوق النص ..
والحكمة هى مفهوم النص (ويزكيهم) أى
يطهرهم من الأدران والأقذار .. من النفاق
والرياء .. من الكذب والخداع.

أنا دعوة أبى إبراهيم

أكمل بناء هندسى كما أوحى الله - سبحانه - إلى
الحل فى بناء بيوتها .. أن تكون سداسية .. حتى لا يكون
بينها أى فراغ .

ولقد كان محمد - صلى الله عليه وسلم - هو
الركن السادس والأخير .. فى بناء قواعد البيت .. فى
دعوة أبى إبراهيم - عليه السلام -

فالركن الأول : (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع
العليم) .

ماذا يتقبل ؟ .. هل يتقبل القوة والعمل ؟ لا ..
لأن القوة لله جميعا .. فهو - سبحانه - هو الذى بوأ المكان
.. وأمر برفع قواعد البنيان .. وبقوته وحده .. تحركت
السواعد .. طاعة لأمره .. وتنفيذا لمشيئته .. ولتكون تلك
الدعوات .. آيات بينات .. للعلاقة بين المعانى - باعتبارها
الناحية العليا - وبين المبانى - باعتبارها الناحية الدنيا -
فالمعنى دائما أعلى من المبنى .

وهذا ما يجب أن يلحظه الحجاج عند الطواف
والتلبية والابتهال .. ففى هذا المكان نطوف ونسعى .. وفيه
ندعو ونلبى .. ونحن نعلم أن الله - سبحانه - مطلق ..

يقول تعالى .. فى سورة البقرة :

(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) * ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا
وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) (١) .

وقبل أن ندخل فى تدبر تلك الآيات البينات ..
أذكر القارئ الكريم .. بما أشرنا إليه فى أول هذا الكتاب
.. من أن لكل شىء صورة .. هى مادته وجسمه .. ولكل
شىء حقيقة هى روحه وجوهره .. وقلنا إن الصورة إذا
فقدت حقيقتها .. فقدت قيمتها .. فالجسم بدون الروح
يصير أذى .

وعلى هذا الأساس .. نرى أن بيت الله بمكة صورة
.. من حيث البناء والأحجار والرمال والكسوة .. أما
حقيقته .. فهى تلك القواعد الروحية .. التى رفعها إبراهيم
وإسماعيل - عليهما السلام - مع البناء .. وهى تلك
الآيات .. التى افتتحنا بها هذا الموضوع جاءت على هيئة
ست مطالب .. والقواعد السداسية الأركان هى

حتى عن قيد الإطلاق .. لا يحده مكان ولا زمان .. وإنما نتوجه إليه - سبحانه - مشفقين مما لا نستطيع بلوغه .. من تمثل عظمته وجلاله .. فهو العلى الأعلى .. فما علينا إلا أن نسأله أن يتقبل ما فى قلوبنا .. مما عبرنا عنه بطوافنا وسعينا ورفع أيدينا وتلبيتنا .

وتلك هى أول القواعد الست .

والركن الثانى : (ربنا واجعلنا مسلمين لك).

وهنا وقفة أمام الإسلام .. الإسلام لله .. والإذعان لقضائه وقدره ومشيتته .. (فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى) (١) .. وليس الوجه هنا .. من الناحية المادية .. أو الشكلية .. أو الصورية .. وإنما هو التوجه بالنفس والذهن والإدراك .. من الناحية الروحية المعنوية: (ربنا واجعلنا مسلمين لك) .. حل بيننا وبين ما يزيغ قلوبنا عن الثقة بك .. والاستمسك بعروة الأدب بين يديك .. وامنعنا بالهامك الذى أوحيت به إلى النحل .. وما تأتى به رحيق .. امنحنا منحة من فضلك تجعلنا مسلمين لك .. وعلامة التثنية هنا .. لإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -

والركن الثالث : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) .. أى

اجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك .. لم يكتف إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - بحصر الدعاء فى نفسيهما .. بل تجاوزا بمظهر البصيرة .. الذى تغلغل إلى نهاية الإنسانية .. وطلبا من ربهما .. أن يجعلهما أصلا لأمة مسلمة لله .

(ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا) (٢).

والآية تقول صراحة: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا) (٣) .

أى فى هذا القرآن .. فى هذا الموحى به .. كآخـر رسالة .. تتفضل بها عظمة العرش الأعلى على البشرية والجنية معا .. وعلى الملائكة .. قبل ذلك . وبين ذلك .

والركن الرابع : (وأرنا مناسكنا) .. فنحن نحبك

يا ربنا .. ولكن لا ندرى كيف نعبدك .. نظهر لك خضوعنا وطاعتنا .. ونسكب بين يديك دموعنا .. لتكون غسولا طيبا لذنوبنا .. نطفئ بها حرائق الآثام التى نشعلها فى نفوسنا فأرنا مناسكنا .. والمنسك : هو منهج العبادة .. ومحل التقدير :

(ولكل أمة جعلنا منسكا ليدذكروا اسم الله على ما رزقهم) (٤).

وهذا كله مرتبط بالقسم الأعلى - وهو المعنويات الروحية .. وليس الحجر والرمل .. حتى الهدى .. الذى نقدمه عند البيت .. ما هو إلا رمز معنوى:

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) هذا هو القسم المادى الأدنى.

(ولكن يناله التقوى منكم) (٥) وهذا هو القسم المعنوى الأعلى.

والركن الخامس : (وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم).

فإن التوبة (إذا لم تأت من الله فلا توبة .. والهدى إن لم يكن منه فلا هدى .. (من يهد الله فهو المهتدى) (٦).

فإذا طلب العبد التوبة من الله .. كان ذلك دليلا على علمه بأنه مجبول على الخطأ .. وما دام يخشى الله .. فى العجز والخطأ .. فإن عروة صلته بمولاه .. لا تنفصم أبدا .. لأن الله سميع عليم .. رءوف رحيم .. غفور كريم

تب علينا من أن نظن أن الأعمال التى نأتيها .. صادرة منا .. فالمؤمن الموحد .. يعلم أن الحركة التى يتحركها .. إنما هى باستخدام القوة .. التى هى من الله .. فإن أحسن استعمال الحركة فله وإن أساء استعمالها فعليه: (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) (٧) .. فقد ترفعوا عن النظر إلى النفس .. وأحس كل منهم أنه مخلوق ضئيل جدا .. بدأ خطواته الأولى فى الوجود .. من النطفة .. إلى العلقة .. إلى المضغة .. وجعل يتقلب بتقدير مولاه فى ظلمات ثلاث .. حتى أنشأ خلقا آخر .. فأقر فى أعماقه !

(فتبارك الله أحسن الخالقين) (٨).

(٢) ١٢٣ - النحل .

(٤) ٣٤ - الحج .

(٦) ١٧٨ - الأعراف .

(٨) ١٤ - المؤمنون .

(١) ٢٠ - آل عمران .

(٣) ٧٨ - الحج .

(٥) ٣٧ - الحج .

(٧) ٣٨ - المائدة .

هذه هي مشاعر المؤمن .. وهي في الحقيقة شعائر
إلهية .. هي المقصودة في قوله تعالى: (ومن معظم شعائر
الله فإنها من تقوى القلوب)(١).

فيشعر العبد بفضل من جعل له عينين .. ولسانا
وشفتين .. وهاداه التجدين . فقال له : هذا طريق الخير
فاسلكه .. وذلك طريق الشر فاتركه .

فهل تظن يا أخى .. أنك لو كان أمرك بيدك .
أكنت تصنع شيئا .. لا .. (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك
أنت التواب الرحيم) .. أنت وحدك .. بيدك ملكوت
السموات والأرض وكل شيء .. وأنت وحدك بيدك
حسن الإلهام .. وكمال التوفيق .. وتعليم خالص التوكل
.. فقد أنكرنا ذواتنا في نور ذاتك . وجنتك طائفتين
ساعين .. مليون .. داعين .

والركن السادس : والأخير . (ربنا وابعث نسهم
رسولا منهم) وهذا ما يعنيه .. عليه الصلاة والسلام ..
بقوله : «أنا دعوة أبى إبراهيم».

أى ابعث في تلك الأمة المسلمة من ذريتنا التي
أشرنا إليها في الركن الثالث من تلك القواعد الست لا
تدعها ربنا .. بعد تولى آلاف السنين . من غير قيادة
حكيمه عليا .. مرسله من عندك .. فأنت وحدك المنزه عن
الهوى .. وعن الخطأ والضلال .. والتورط والارتحال .
فأنت القائل :

(إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٢).

ابعث في هذه الأمة .. التي غشيناها في المطلب
الثالث (رسولا من أنفسهم) و (من أنفسهم) قلبا كاملا
تاما نزيها .. كصفحة بيضاء .. جرى فيها قلم القدرة
الإلهية .. فكتب في هذا القلب اللائق المستعد . المستقبل
المستقبل المستمد .. ماشاء الله .. سبحانه .. مفتحا .. باسم الله
الرحمن الرحيم .. ليكون هذا الرسول .. رحمة للعالمين ..
(يتلو عليهم آياتك) وأثر التلاوة على نفس المؤمن بكبه
حتى النصارى .. الذين وفدوا من الحبشة . على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن طلبوا أن

يسمعوها بعض ما أنزل عليه فكان - عليه الصلاة
والسلام - يتلوهم وهم يبتكون . ولما انتهى خروا ساجدين
قالوا :

(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين) (٣).

هذا هو موقف النصارى عند سماع الآيات تنلى
فما نالتا والقرآن تنلى عليهما فأسلم سمع أو كان
وقرأ في اداننا ٤

الآن نخشع لكلام من خلقنا ورزقنا وأمرنا بعبده
وفلونا نبض نمرته وفيضه ولو شاء لسحق القلب وهمد
الحسد ووفى نعمة أمام الواحد الأحد لا نلك
لأنفسنا نعمة ولا ممر ولا موما ولا حياة ولا شورا ٥
أجلو عليهم انانك وعلهم الحيات والحقمة ٦

وشاب من عم حكمة .. سمع من عمر روح
سبحها أم المؤمنين عائشة هارمة .. ساءها رجل يقول
ما أم المؤمنين .. سرأت القرآن من نلانه أمام .. فقال لا
ناس .. فقال فإذا قرأته في يوم .. قالت نخور هدرمة

وذلك لعدم القدرة على تدبر المعاني وهذا معنى
- الحكمة - والقرآن ذاته يقول (لتدبروا آياته) (١)
والجن أيضا تقول هذا ألقنا حصروه قالوا
أبصروا (٥١)

والأمر صريح (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأصغوا) (٦) أى استمعوا وتدبروا ما تسمعون له
لنبيه القلب إلى ما في المعاني من بشرى أو رحمة أو نهي
أو أمر أو إرشاد أو تحذير

وكذلك (ويذكركم) ومارال الدعاء من إبراهيم
لمحمد - صلى الله عليه وسلم - والترتبة تسمى الرادة
ورثت النفس أى ظهرت فهو يظهرهم من الأدران
والأفئدة من المساق والرباء من النمل والمداغة
والخدد والحداع

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما ركن منكم من
أحد أبدا) (٧)

١٩/٢١ الفه
٢٩/٤٤ من
٢٠٤١٦٦ الأعراف

(١) ٣٢ الحج .
(٣) ٥٣ آل عمران .
(٥) ٢٩ الأحقاف
(٧) ٢١ النور

هنا ملة إبراهيم .. ست قواعد لبيت .. المادى
متعلق بالبناء .. لكن رفع القواعد المقترن بهذا الدعاء ..
معنوى بحث .. فيكون هنا (آيات بينات) .. ويكون هنا
معنى - مقام إبراهيم - من دخله .. على أساس هذه
القواعد .. كان آمنا .. يحق له أن يفيض من عرفات .. بعد
تلبية صادقة «لبيك» أى يارب .. لقد استجبت لأذان
خليلك .. فعلت ما أمرت به .. واجتنبت ما نهيت عنه ..

وتجردت من ثيابى وذنوبى .. وها أنذا يارب فى ثوب أشبه
بالكفن .. لا يعلو واحد على واحد .. لا بالصورة ولا
بالثياب .. فليبك .. ونرفض كل من سواك.
وهكذا نرى أننا على أبواب مولد النور .. ليتحقق
الركن السادس من قواعد البيت .. وتتم دعوة إبراهيم -
عليه السلام .

مولد النور

قالت السيدة آمنة - رضى الله عنها - لعبد
المطلب : إنها ولدت طفلا عجيبا .. ففزع
عبدالمطلب .. وقال لها : أليس بشرا سويا؟
.. قالت : بلى .. إنه أشد ضياء من القمر
ليلة البدر .. ولكنه نزل ساجدا .. ثم رفع
رأسه وأصبعه إلى السماء .
فطاف به عبدالمطلب حول البيت .. وهو
يقول :

أعيذه بالواحد
من شر كل حاسد

- ٨ -

مولد النور

النام - فقال لى يا آمنة.. إنك حملت بخير العالمين.. فإذا ولدته فسميه - محمدا - واكتمى شأنك.
قالت : ثم لما أخذنى ما يأخذ النساء .. ولم يعلم بى أحد .. وعبد المطلب فى طوافه .. فسمعت وجبة عظيمة .. وأمرنا عظيما هالنى .. ثم رأيت كأن جناح طير أبيض .. قد مسح على فؤادى .. فذهب عنى الرعب .. وكل وجع أجده .

ولد - عليه الصلاة والسلام - فى فجر يوم الاثنين .. الثانى عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ من أغسطس ٥٧٠م .. فى عام الفيل .. فى المكان المعروف بسوق الليل .. فى الدار التى يسمونها دار محمد بن يوسف الثقفى .. وكان هذا المكان لعقيل بن أبى طالب ضمه محمد بن يوسف الثقفى إلى داره .. حتى فصلته الخيزران أم الهادى والرشيد. فجعلته مسجدا يصلى فيه .. وفيه الآن مكتبة مكة.

ويقول أصحاب السيرة .. إن قابله كانت أم أيمن الحبشية .. كما توجد روايات كثيرة تقول: نزل - صلى الله عليه وسلم - على يد الشفاء .. أم عبد الرحمن بن عوف .. فهى قابله وقد نزل نظيفا .. ما به قدر.

حدث حادث الفيل .. قبل مولده - عليه الصلاة والسلام - بخمسين يوما .. فى أغلب الآراء وأصدقها .. وقد روى فى حديث ابن إسحاق : أن السيدة آمنة .. كانت تحدث أنها:

أتيت حين حملت به - عليه الصلاة والسلام - فقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة .

وقالت : ما شعرت بأنى حملت به .. ولا وجدت له ثقلا ولا وحما .. كما تجد النساء .. إلا أنى أنكرت رفع حيضتى .. وأتانى آت .. وأنا بين النائمة واليقظانة .. فقال: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام؟ .. ثم أمهلنى .. حتى إذا دنت ولادتى.

أتانى .. فقال .. قولى :

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سمي - محمدا -

ولما تم لها من حملها شهران توفى عبدالله فى المدينة عند أخواله بنى النجار.

كما ذكرنا من قبل.

وهن ابن عباس : كانت السيدة آمنة .. تحدث وتقول: أتانى آت .. حيث مر على حملى ستة أشهر - فى

وقد روى الطبراني : أنه لما وقع على الأرض ..
وقع مقبوضة أصابعه .. مشيراً بالسبابة .. كالمسيح بها.
ولد - عليه الصلاة والسلام - مختوناً مسروراً (١).

وعن أنس - رضى الله عنه - أن النبی - صلى الله عليه وسلم - قال:
«من كرامتى على ربى أنى ولدت مختوناً .. ولم ير سوائى أحد».
ولد يوم الاثنين .. وبعث يوم الاثنين .. ومات يوم الاثنين.

فعن ابن عباس - رضى الله عنه - قال:

«ولد - صلى الله عليه وسلم - يوم الاثنين .. ورفع الحجر يوم الاثنين .. واستنبنى يوم الاثنين . وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين .. ودخل المدينة يوم الاثنين .. وكان فتح مكة يوم الاثنين».

ولما ولدته أمه .. أرسلت إلى جده عبدالمطلب ..
وكان يطوف بالبيت .. فى تلك الليلة .. ولما جاءها ..
أخبرته أنها ولدت طفلاً عجيباً .. ففزع عبدالمطلب .. وقال لها:
أليس بشراً سوياً؟.

قالت بلى .. إنه أشد ضياء من القمر ليلة البدر .. ولكنه نزل ساجدا .. ثم رفع رأسه وأصبعه إلى السماء.
فحمله عبد المطلب .. وطاف به حول البيت ..
وعوده .. ثم أعاده إليها .. وقلبه معلق به .. ثم سماه - محمداً -

وقد قيل لعبد المطلب : كيف سميت بهذا الاسم يا عبدالمطلب .. وهو ليس لأحد من آبائك؟.
فقال: إني لأرجو أن يحمدہ أهل الأرض كلهم.
كما قيل : إن الهاتف .. الذى أتى أمه بهذا الاسم .. أتى عبدالمطلب به أيضاً.

وفى اليوم السابع من مولده - صلى الله عليه وسلم -
عق عنه جده بكبش .. أى ذبح عنه كبشاً .
وقد أجمع أصحاب السيرة .. على أن العام الذى حمل فيه برسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمي عام الفتح والابتهاج .. فى مكة .. لأنه علاوة على معجزة الفيل .. كانت قريش قبله فى جذب شديد .. وضيق عظيم .. فلما جاء هذا العام .. اخضرت الأرض .. وأثمرت الأشجار .. وأتاهم الرغد والخير .. وفتحت عليهم بركات من السماء والأرض .. وكثرت الآيات والبشريات.

[١] [] []

آيات وبشريات

حدثت عند ولادته - عليه الصلاة
والسلام - ظواهر كونية .. لم يستطع
إنكارها المستشرقون ولكنهم عللوها
بحصول زلزال تسبب في حدوثها : فارتج
إيوان كسرى .. وغاضت بحيرة طبرية ..
وخمدت نار فارس .. التي لم تخمد من
ألف عام.

وأحس بمولده الكهان واليهود.
أما حديث سيف بن ذي يزن الحميري ..
ملك اليمن مع عبدالمطلب .. فهو حديث
ممتع.

آيات وبشريات

ويقول الشقراطيسي في هذا شعرا:
ضاءت لمولده الآفاق واتصلت
بشرى الهواتف فى الإشراق والطفل (١)
وصرح كسرى تداعى من قواعده
وانقض منكر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد .. وما خمدت
منذ ألف عام .. ونهر القوم لم يسيل
خرت لمولده الأوثان وانبعث
ثواقب الشهب ترمى الجن بالشهب
ويروى أن هارون الرشيد .. أراد هدم إيوان
كسرى .. فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكى : يا أمير
المؤمنين .. لا تهدم بناء هو آية من آيات الإسلام .. كما
قال البوصيرى .. حول هذا الموضوع .. فى همزته:
وتداعى إيوان كسرى .. ولولا
آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار .. وفيه
كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت .. فهل
كان لنيرانهم بها إطفاء ؟

□ □ □

من العجيب أنه حصلت عند ولادته - عليه الصلاة
والسلام - ظواهر كونية .. أجمع عليها كل أصحاب السير
.. حتى العلمانيون منهم .. ولكنهم عللوها بحصول
زلازل تسبب فى حدوثها .. وتلك مغالطة مكشوفة منهم
.. ما كان لهم أن يتردوا فيها.

منها ارتجاج إيوان كسرى .. وسقوط أربع عشرة
شرفة من شرفاته .. وكانت تلك إشارة إلى أنه لم يبق من
ملوكهم .. الذين استبدوا بالملك .. غير أربعة عشر ملكا .
هلك منهم عشرة فى أربع سنين .. وهلك أربعة إلى زمن
عثمان بن عفان .. رضى الله عنه .

وغاض ماء بحيرة طبرية بفلسطين .. إشارة إلى أنه
سيحدث لأصحابها بأس شديد.

وخمدت نار فارس .. ويروى البيهقى ..
والخرائطى . وابن عساكر .. أن تلك النار كانت متقدة من
ألف عام ولم تخمد.

كما أحس الكهان .. الذين كان لهم قرناء من
الجن .. يأتونهم بأخبار السماء .. أن السماء زادت
حراستها بالشهب .. ومنع الشياطين من استراق السمع.

(١) الطفل : المطر .

وقد أحس اليهود بمولده .. بما هو مكتوب عندهم
فى التوراة .

فعن حسان بن ثابت .. قال : إني لغلام ابن سبع
سنين أو ثمان .. أعقل ما رأيت وسمعت .. إذا يهودى
بصرخ ذات غداة : يامعشر يهود . فاجتمعوا إليه .. وأنا
أسمع .. قالوا : ويلك .. مالك؟ .. قال: طلع نجم أحمد
.. الذى ولد به فى هذه الليلة .

كما جاء فى كتاب - الأنوار المحمدية - للشيخ
يوسف بن إسماعيل .. حديثا رواه يعقوب بن سفيان ..
بإسناد حسن - كما فى فتح البارى - عن عائشة - أم
المؤمنين - رضى الله عنها قالت: كان يهودى قد سكن بمكة
.. فلما كانت الليلة .. التى ولد فيها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قال: يا معشر قريش .. هل ولد فيكم الليلة
مولود؟ .. قالوا: لا نعلم .. قال: انظروا فإنه ولد فى هذه
الليلة مولود .. سيكون نبى هذه الأمة .. بين كتفيه علامة
.. فانصرفوا .. فسألوا .. فقليل لهم: قد ولد لعبد الله بن
عبدالمطلب غلام .. فذهب اليهودى معهم إلى أمه .. فلما
رأى اليهودى العلامة .. صرخ وقال: ذهبت النبوة من بنى
إسرائيل .. يا معشر قريش .. أما والله ليسطون بكم سطوة
.. يخرج خبرها من المشرق والمغرب .

❏ ❏ ❏

كما روى عن عبدالله بن عمرو بن العاص .. أنه
قال :

كان يمر الظهران راهب .. يسمى - عيص - من
أهل الشام .. وكان يقول:

يوشك أن يولد فيكم .. يا أهل مكة مولود .. تدين
له العرب .. ويملك العجم .. هذا زمانه .. فكان لا يولد
بمكة مولود .. إلا ويسأل عنه .. فلما كان صبيحة اليوم
الذى ولد فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج
عبدالمطلب .. حتى أتى - عيصا - فناداه .. فأشرف عليه ..
فقال له عيص : كن أباه .. فقد ولد تلك الليلة المولود ..
الذى كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين .. وبعث يوم الاثنين
.. ويموت يوم الاثنين .

فقال عبدالمطلب : ولد لى الليلة مع الصبح مولود
.. قال: فما سميته؟ .. قال: سميته محمدا .

قال : والله لقد كنت أشتى أن يكون هذا المولود
فيكم أهل هذا البيت بثلاث خصال:

إنه طلع نجمه البارحة .. وإنه ولد يوم الاثنين .. وإن اسمه
محمد .

❏ ❏ ❏

ولنا الآن رحلة جميلة .. مع عبدالمطلب .. إلى
سيف بن ذى يزن الحميرى .. لنرى فيها البشرى الناطقة
.. والآيات الصادقة .. التى لازمت مولده - عليه الصلاة
والسلام - وقد ذكرها أصحاب السيرة .. ورجال التاريخ
فى كتبهم .. منهم ابن عساكر فى الجزء الأول .. وابن
عبدربه فى العقد الفريد .. فى الجزء الأول .

فالتظاهر أن حادث الفيل .. كان هزيمة ساحقة
للأحباش فى اليمن .. فقد حاربهم بعد عام الفيل .. سيف
ابن ذى يزن الحميرى اليمنى .. وانتصر عليهم .. واستقل
بحكم اليمن عن الحبشة .

وكان ذلك بعد مولد النبى - صلى الله عليه وسلم -
وبعد موت أمه .

وذهبت وفود العرب وأشرافها .. لتهنئة سيف بن
ذى يزن .. بانتصاره وتحرير اليمن من حكم الحبشة .

وكان من جملة المهتين وفد قريش .. على رأسهم
سيدهم عبدالمطلب - جد النبى - وأمىة بن عبد شمس .
وأسد بن عبد العزى .. وعبد الله بن جدعان .. فقدموا
على سيف بن ذى يزن .. وهو فى قصر عمدان .. فطلبوا
الإذن عليه .. فأذن لهم .. وتكلم عبدالمطلب مهتئا .. فلما
فرغ عبدالمطلب من كلمته .. أدناه إليه وقربه .. ثم
استنهضوا إلى دار الضيافة .. وأقاموا بها شهرا .. لا
يصلون إليه .. ولا يؤذن لهم فى الانصراف .

ثم دعا بعبدالمطلب من بينهم .. فخلا به .. وأدنى
مجلسه .. وقال:

يا عبدالمطلب .. إني مفوض إليك من علمى
أمر .. لوغيرك كان لم أبح له به . ولكنى رأيتك معدنه ..
فأطلعتك عليه .. فليكن مصونا .. حتى يأذن الله فيه .. فإن
الله بالغ أمره . إني أجد فى العلم المخزون .. والكتاب
المكتون .. الذى ادخرناه لأنفسنا .. واحتجبتناه دون غيرنا
.. خيرا عظيما .. وخطرا جسيما .. فيه شرف الحياة ..
وفضيلة الوفاء للناس كافة .. ولرهطك عامة .. ولنفسك
خاصة .

قال عبدالمطلب : مشك أيها الملك بر ..
وسر .. وبشر .. ما هو .. فذاك أهل

الوبر (١) .. زمرا بعد زمر ؟.

قال ابن ذى يزن :

إذا ولد مولود بتهامة (٢) .. بين كنفه شامة ..

كانت له الإمامة .. إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب :

أبيت اللعن .. لقد أبت بخير ما آب به أحد ..
فلولا إجلال الملك . لسألته عما ساره إلى ما ازداد به
سرورا .

فقال ابن ذى يزن :

هذا حينه الذى يولد فيه .. أو قد ولد .. يموت أبوه
وأمه .. ويكفله جده وعمه .. وقد وجدناه مرارا .. والله
باعثه جهارا .. وجاعل له أنصارا .. يعز بهم أوليائه ..
ويذل بهم أعداءه .. ويفتنح كرائم الأرض .. ويضرب
بهم الناس عن عرض .. يخمد الأديان .. ويكسر الأوثان
.. ويعبد الرحمن .. قوله حكم فصل .. وأمره حزم وعدل
.. يأمر بالمعروف ويفعله .. وينهى عن المنكر ويطله .

فقال عبدالمطلب :

طال صمرك .. ودام ملكك . وعلا جدك .. وعز
فخرك .. فهل الملك يسرنى .. بأن يوضح فيه بعض
الإيضاح ؟.

فقال ابن ذى يزن :

والبيت ذى الطنب (٣) .. والعلامات والنصب ..
إنك يا عبدالمطلب لجده من غير كذب . فخر عبدالمطلب
ساجدا .. وقال ابن ذى يزن :

ارفع رأسك . ثلج صدرك .. وعلا أمرك . فهل
أحسست شيئا مما ذكرت لك ؟

فقال عبدالمطلب :

أيها الملك . كان لى ابن كنت له محبا .. وعليه
حدا مشفقا .. فزوجته كريمة من كرائم قومه .. يقال لها :
أمته بنت وهب بن عبد مناف .. فجاءت بغلام بين كنفه
شامة .. فيه كل ما ذكرت من علامة .. مات أبوه وأمه ..
وكفلته أنا وعمه .

فقال ابن ذى يزن :

إن الذى قلت لك كما قلت .. فاحفظ
ابنك .. واحذر عليه اليهود . فإنهم له أعداء ..

ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا .. أطو ما ذكرت لك دون
هؤلاء الرهط الذين معك .. فإنى لست آمن أن تدخلهم
النفاسة .. على أن تكون لكم الرياسة .. فيبغون لك
الغوائل .. وينصبون لك الحبائل .. وهم فاعلون وأبناؤهم
.. ولولا أنى أعلم أن الموت مجتاحى قبل مبعثه .. لسرت
بخيلى ورجلى .. حتى أصير بيثرب - دار مهجرة - فإنى
أجد فى الكتاب الناطق .. والعلم السابق .. أن يثرب دار
هجرته .. وبيت نصرته .. ولولا أنى أقيه الآفات . وأحذر
عليه العاهات . لأعلنت على حداثة سنه .. وأوطأت أقدام
العرب عقبه .. ولكنى صارف إليك ذلك عن تقصير منى
بمن معك .

ثم أمر لكل رجل منها بعشرة أعبد .. وعشر إماء
سود .. وخمسة أوطال فضة .. وحلتين من حلل اليمن ..
وكرش مملوءة عنبرا .. وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف
ذلك .. وقال : إذا حال الحول .. فأثبني بما يكون من أمره .
فما حال الحول .. حتى مات ابن ذى يزن . فكان
عبدالمطلب يقول :

يا معشر قريش .. لا يغبطنى رجل منكم .. بجزيل
عطاء الملك . فإنه إلى نفاق .. ولكن يغبطنى بما يبقى لى
ذكره وفخره لعقبى .

فيقولون له : وماذا ؟ .. فيقول سيظهر بعد حين .
ومن أجل هذا كان عبدالمطلب .. يحترم النبى وهو
صغير .. ويقول لأولاده .. إذا نحو رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - عن مجلسه لصغره :

«دعوا ابنى هذا .. فوالله إن له لشأنا» .

وقد اعترض بعض المستشرقين على هذه القصة ..
قصة عبد المطلب مع سيف بن ذى يزن .. منهم الأستاذ
- فيل - والأستاذ - موير - . وقالوا إن القصة تشمل
مبالغات . فيما يتعلق بالأخبار عن النبى المنتظر .. مما
يجعلهم يشكون فى النبوءات التى وردت على لسان
سيف بن ذى يزن .

مع أنهم لم يستطيعوا إنكار هذه الرحلة من
الوجهة التاريخية .. فلم يستطع - موير - مثلا .. أن ينكر
ذهاب وفود العرب .. لتتهنئة ابن ذى يزن .. ومعهم

(١) البدو .

(٢) تهامة : يحدها البحر الأحمر غربا .. والحجاز شمالا . واليمن جنوبا .

(٣) الطنب بضم تين : جبل الخيباء

عبد المطلب الذى كان وقتئذ حاكم مكة .. وأدى الأمر بالأستاذ فيل .. إلى إنكار تلك القصة تاريخيا.

ونحن إذا عدنا إلى التاريخ: نجد أن اليمن كانت تابعة للحبشة .. وازداد كره اليمنيين لحكم الأحباش .. ونهض من بينهم سيف بن ذى يزن .. لاسترداد عرض آبائه .. فسعى لدى الإمبراطورية الرومانية لشد أزره .. ومساعدته ضد الحبشة .. ولكنه لم يفلح فى إقناع الرومان بذلك .. فلجأ إلى الفرس .. واستطاع الحصول على موافقتهم .. وأمدوه بالعتاد والجيش .. وحارب الحبشة وانتصر عليها .. وقتل واليها .. الذى كان يسمى - مسروقا - وذلك حوالى سنة ٥٧٥ ميلادية .. وهو العام الذى توفيت فيه السيدة أمنة بنت وهب - أم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا مجال للاعتراض من الوجهة التاريخية .. على حصوله هذا الحدث.

كما أنه لا مجال للاعتراض على ذهاب الوفود العربية .. لتهنئة سيف بن ذى يزن .. على تلك الانتصارات .. وخاصة لما هو معروف عن العرب .. من الحمية والقبلية .. وحسن الجوار .. واشتراك مصالحهم التجارية مع اليمنيين .. فى رحلة الشتاء كل عام .. كما كانوا يرحلون إلى الشام صيفا .. من أيام فھر بن غالب - وهو قريش - الجلد العاشر للنبي - عليه الصلاة والسلام - مما يحتم على زعمائهم ورؤسائهم القيام بهذا الواجب .. واجب تهنئة سيف بن ذى يزن .. بانتصاره على الحبشة.

هذا من جهة صحة الرحلة تاريخيا فى سنة ٥٧٥ م .. أى فى سنة وفاة أمه - عليه الصلاة والسلام - كما هو ثابت فى التاريخ.

وأما من جهة التنبؤات .. فإن ما أخبر به سيف بن ذى يزن عبد المطلب .. لم يزد على ما قاله بحيرا الراهب لأبى طالب .. بعد ذلك .. وما عرفه سلمان الفارسي - رضى الله عنه - وخرج من بلاده - فارس - للبحث عنه .. وسنذكرها فى حينها .. إن شاء الله - تعالى .

كما لم يخرج عما أذاعه أحبار اليهود قبل وبعد مولده - صلى الله عليه وسلم - فلماذا تكذبونها - أيها المستشرقون - وتدعون أنها مبالغات .. مع أننا سلمنا معكم بتلك التنبؤات التى ذكرها المجوس الثلاثة .. عندما أتوا من بلادهم الشرقية .. إلى أورشليم .. بحثا وراء نجم عيسى - عليه السلام - الذى ظهر فى السماء . حتى وجدوه قد ولد فى بيت لحم بفلسطين ؟

لماذا سلمتم عقليا بهذه .. وكذبتم بذلك ؟

ليس هذا منكم إلا تعصبا أعمى .. وميلا مع الهوى .. وجدالا بالباطل وإلا فكيف يحيط العقل بحكمة الحكيم .. وعلم العليم ؟

وهيا بنا .. لنصحب الوليد الكريم . فى رحلته إلى فيافى الصحراء .. ورحيب البيداء .. إلى بنى سعد .. مع السيدة حليلة السعدية - مرضعة الرسول - صلى الله عليه وسلم .

إلى بادية بنى سعد

مر جماعة من أحبار اليهود بالسيدة
حليمة السعدية - رضى الله عنها - فقالت
لهم : ألا تحدثونى عن ابنى هذا .. حملته
كذا .. ووضعت كذا .. ورأيت عند ولادته
كذا .. وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه
.. وكل ما رأته هى بعد أن أخذته .. مدعية
أنها أمه .

فقالوا لها : أويتم هو؟ .. فقالت لا ..
هذا أبوه .. وأنا أمه .

فقالوا : لو كان يتيما لقتلناه .
لأن ما قالت من علامات نبوته فى
التوراة.

إلى بادية بنى سعد

- ١٠ -

كانت دايته .. قال هذا ابن الجوزية .. ويجوز أن أم
أيمن كانت مع الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف فى ولادته
- صلى الله عليه وسلم - كما ذكرنا من قبل.

وقد أسلمت أم أيمن - رضى الله عنها - فى أول
ظهور الإسلام .. وهاجرت إلى الحبشة .. وإلى المدينة ..
وكان - عليه الصلاة والسلام - يقول: «أم أيمن أُمى بعد
أُمى».

وزوجها من حبه لها زيد بن حارثة .. فولدت له
أسامة بن زيد .

دخل عليها أبو بكر وعمر - رضى الله عنهما - بعد
موت النبى - صلى الله عليه وسلم - وهى تبكى .. فقالا
لها: يا أم أيمن ما يبكيك؟ .. فما عند الله خير لرسوله ..
قالت: إني لأعلم أن ما عند الله خير لرسوله .. وإنما أبكى
لانقطاع خبر السماء .. فهيجتهما على البكاء فبكيا .

وقد توفيت بعد ما توفى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بخمسة أشهر (٢) .

ولكن المرضعة الرئيسية له .. السيدة حليلة بنت
ذؤيب السعدية .. وتكنى أم كبشة - أرضعته بلبن ابنها

رضع - عليه الصلاة والسلام - بعد رضعاته الأولى
من أمه - من ثوية الأسلمية .. جارية عمه أبى لهب .. التى
أعتقها حين بشرته بولادته .. رضع منها أياما .. قبل قدوم
السيدة حليلة إلى مكة .

ويقول ابن قيم الجوزية .. فى كتابه - زاد المعاد - إن
ثوية .. أرضعت معه - عليه السلام - أبا سلمة عبدالله بن
عبد الأسد المخزومي .. بلبن ابنها مسروح .. وأرضعت
معهما عمه حمزة بن عبدالمطلب (١) .

كما يقول الشيخ يوسف بن إسماعيل فى كتابه
الأنوار المحمدية - إن أبا لهب .. رأى فى المنام بعد موته ..
فقال له ما حالك؟ .. قال: فى النار .. إلا أنه يخفف عني
فى كل ليلة اثنين .. وأمس من بين أصبعي هاتين ماء ..
وأشار برأس أصبعيه .. وأن ذلك بإعتاقى لثوية .. عندما
بشرتنى بولادة - محمد - وبإرضاعها له .

ومن مرضعاته أيضا خولة بنت المذر .. ومن
حاضناته .. الفاضلة الجليلة أم أيمن - بركة الحبشة - وكان -
عليه الصلاة والسلام - قد ورثها عن أبيه .. وقيل أيضا أنها

(١) ابن قيم الجوزية ص ٣٣ ج ١ .

(٢) صحيح مسلم - باب «رد المهاجرين إلى الأنصار مناتهم» .

عبد الله أخى أنيسة وجذامة - الشيماء - أولاد الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى.

فالشيماء أخته من الرضاعة .. وكانت تحتضنه مع أمها .. وهى التى قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع وفد هوازن .. فبسط لها رداءه .. وأجلسها عليه .. تكريما لها .. ورعاية لحقها .

كما أن حليلة أرضعت معه أبا سفيان بن الحارث ابن عبدالمطلب .. وكان شديد العداءة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم أسلم عام الفتح .. وحسن إسلامه . كما كان عمه حمزة بن عبدالمطلب .. مسترضعا فى بنى سعد بن بكر .. فأرضعت أمه يوما - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو عند أمه حليلة .. فكان حمزة رضيع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وجهين : من جهة ثوية .. ومن جهة السعدية .

وكان للذهاب الرضيع محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى ديار بنى سعد .. قصة عجيبة .. تدل على أنه كان محفوفا بعناية خاصة من السماء .. اختص بها دون سواه .. أجمعت عليها كل المراجع الشرقية والغربية على السواء.

وذلك أن سادة قریش .. كانوا يرسلون أبناءهم .. عقب ولادتهم مباشرة .. إلى قبيلة من القبائل التى تعيش فى البادية .. فيلتهمسون لهم المراضع فيها .. ويغدقون لهم العطايا والهدايا .. لينشأ الابن على شظف الصحراء .. وخشونة البيداء .. وليرضع فيها كيان الرجولة والقوة والعزم .. وليكون حاد البصر .. بعيد النظر .. حيث الفضاء مترامى الأطراف .. والأفق ممتد الأكثاف .. فلا جدران تحدد الأنظار .. ولا أشجار تحجب الأبصار .. وإنما هناك انطلاقة الكون بفطرته وطبيعته وخشونته وقسوته بغير حدود.

وجاء نسوة من بنى سعد إلى مكة .. يلتهمسن الرضعاء .. فى سنة شديدة القحط .. قاسية الجذب .. علهن ينلن الخير والعطايا من سادة قریش .. آباء الأطفال الرضع .. ومن بينهن السيدة حليلة السعدية .

وأستمع القارىء الكريم .. فى أن نستمع معا .. إلى وصف ما حدث .. من السيدة حليلة نفسها ، فهو أصدق الأحاديث وأوثقها وأبلغها .. عن تلك الرحلة الميمونة .. رحلة الرضيع الكريم - محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى ديار بنى سعد .. حيث نقضى معه فترة الطفولة .. وبواكير الصبا .

فبعد أن قالت حليلة: إنها خرجت من بلدها .. مع زوجها الحارث بن عبد العزى وابن لها صغير ترضعه .. تقصد ابنها - عبد الله - فى نسوة من بنى سعد بن بكر .. يلتهمسن الرضعاء .

قالت: كانت سنة شهباء (١) .. لم تبق لنا شيئا .. فخرجت على أتان لى قمراء (٢) .. معنا مشارف (٣) لنا .. والله ما تبض (٤) بقطرة .. وما ننام من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع .. ما فى ثدى ما يغنيه .. وما فى مشارفنا ما يغذيه .. ولكننا كنا نرجو الغيث والفرج .. فخرجت على أتانى تلك .. فلقد أدمت (٥) بالركب .. حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا (٦) حتى قدمنا مكة .. نلتهمس الرضعاء .. فما منا امرأة .. إلا وقد عرض عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم .. وما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ .. فكنا نكرهه لذلك .. فما بقى امرأة قدمت معى .. إلا أخذت رضيعا .. فقلت لزوجى .. والله لأذهبن إلى ذلك الرضيع اليتيم .. فلاأخذنه .. فقال : لا بأس عليك أن تفعلين .. عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

فذهبت إليه فأخذته .. وما حملنى على أخذه .. إلا أنى لم أجد غيره .. فلما أخذه رجعت به إلى رحلى .. فلما وضعته فى حجرى .. أقبل على ثدى بما شاء من لبن .. فشرب حتى روى .. وشرب معه أخوه حتى روى .. ثم ناما .. وما كنا ننام منه قبل ذلك .. وقام زوجى إلى شارفنا .. فإذا أنها لحافل (٧) .. فحلب منها ما شرب .. وشربت معه .. حتى انتهينا ريا .. فبتنا بخير ليلة .

وقال صاحبى - تقصد زوجها - حين أصبحنا : تعلمى والله يا حليلة .. لقد أخذت نسمة مباركة .. فقلت : والله إنى لأرجو ذلك .

(٢) أنثى الحمار فى لونها بياض .

(٤) لا تحلب .

(٦) العجف - بفتح العين والجيم - الهزال .

(١) جذباء .. لأن الأرض تكون فيها بيضاء .

(٣) المشارف - بضم الميم - الناقة الحسنة .

(٥) أطلت عليها المسافة - لتمهلهم عليها .

(٧) ممتلئة الضرع من اللبن .

ثم خرجنا .. وركبت أتانى .. وحملت عليه معى .. فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حميرهم .. حتى أن صواحبى ليقطن لى: يابنة أبى ذؤيب .. ويحك أربعى علينا (١) .. أليست هذه أتانك . التى كنت خرجت عليها ؟ .. فأقول لهن: بلى والله إنها لهى .. فيقطن والله إن لها لشأنا.

ثم قدمنا منازلنا فى بلاد بنى سعد .. وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها .. فكانت غنماتى تروح - على حين قدمنا به معنا .. شباعا لبنا .. فنحلب ونشرب .. وما يحلب إنسان قطرة لبن .. ولا يجدها فى ضرع .. حتى كان الحاضرون من قومنا .. يقولون لرعيانهم: ويلكم .. اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب .. فتروح أغنامهم جياعا .. وما تبض بقطرة لبن .. وتروح غنمى شباعا لبنا .. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير .. حتى مضت سنتاه وفصلته .. وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان .. فلم يبلغ سنتيه .. حتى كان غلاما جفرا (٢) .

فقدمنا به على أمه .. ونحن أحرص شيء على مكثه فىنا .. لما كنا نرى من بركته .. فكلمنا أمه .. وقلنا: لوتركتيه عندنا حتى يغلظ .. فإننا نخشى عليه وباء مكة .. ولم نزل بها .. حتى ردهته معنا .

ثم تقول السيدة حليلة : فرجعنا به .. فوالله إنه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه .. لفى بهم (٣) لنا خلف بيوتنا .. إذا أتاننا أخوه يشتد .. فقال لى ولأبيه: ذاك أخى القرشى .. قد أخذ رجلا .. عليهما ثياب بيض .. فأضجعه .. وشقا بطنه .. فهما يسوطانه (٤) .

قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه .. فوجدناه قائما .. ممتقع الوجه .. فالتزمته والتزمه أبوه .. فقلنا له: مالك يا بنى ؟ فقال .. جاءنى رجلان .. عليهما ثياب بيض .. فأضجعانى .. وشقا بطنى .. فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو !! .. قالت : فرجعنا إلى خبائنا .. وقال لى أبوه: يا حليلة .. لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب .. فالحقيه بأهله .. قبل أن يظهر ذلك به .. فاحتملناه .. وقدمنا به على أمه .. فقالت: ما أقدمك به يا ظئر (٥) ..

وقد كنت حريصة عليه .. وعلى مكثه عندك؟ .. فقلت: قد بلغ الله با بنى .. وقضيت الذى على .. وتخوفت الأحداث عليه .. فأديته إليك كما تحبين.

قالت: ما هذا شأنك .. فأصدقينى خبرك .. قالت: فلم تدعنى حتى أخبرتها.

فقلت: أفتخوفت عليه الشيطان؟ .. قلت: نعم .. قالت: كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل .. وإن لابنى لشأنا .. أفلا أخبرك خبره ؟ .. قلت: بلى.

قالت: رأيت حين حملت به .. أنه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام .. ثم حملت به .. فوالله ما رأيت من حمل قط .. كان أخف ولا أيسر منه .. ووقع حين ولدته .. وإنه لو وضع يديه بالأرض .. رافع رأسه إلى السماء .. دعيه عنك .. وانطلقى راشدة.

ويكفينا من مؤرخى الغرب .. أنهم لم ينكروا حادث شق صدره الشريف .. وهو صغير فى ديار بنى سعد .. ومنهم الأستاذ (موير) .. فى كتابه - حياة محمد - والأستاذ (نيكولسون) فى كتابه - تاريخ أدب العرب - .

ولكنهم عللوا - تمشيا مع مكابرتهم بالباطل .. وإنكارهم لرسائله - عليه الصلاة والسلام - بأنها نوبة من نوبات الصرع .. ولاشك أن هذا الكلام لا يستحق شرف المناقشة .. لأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم تظهر عليه أى علامة من علامات الصرع طوال حياته .. وحياته كلها معروفة للجميع .. صغيرها وكبيرها.

فمعروف عنه كيف يأكل ويشرب وينام ويمشى .. كل حركة فى حياته معروفة للجميع .. ولم تذكر عنه أى علامة من علامات الصرع مطلقا .. وإنما هو التعصب الأعمى .. كما قدمنا.

ولكن لنا وقفة قصيرة .. أمام حادث شق صدره الشريف.

فقد وردت روايات تقول: إن الملكين شقا صدره الشريف .. وأخرجوا منه علة الشيطان .. وهؤلاء الرواة - من حيث لا يدرون يجرؤونه - عليه الصلاة والسلام - من شرف الصراع النفسى مع الشيطان .. ونزغاته مع

(٢) الغلام الجفر: الغليظ الشديد.

(٤) يحركان بطنه ببعضها .

(١) أى اعطى علينا بالرفق وعدم السير السريع

(٣) صغار الغنم.

(٥) المرأة ترضع ولد غيرها .

مع الإنسان .. فهل ينال البشر درجة السمو على الملائكة ..
إلا بشرف هذا الصراع .. وذلك النضال؟.

إذا كان الملكان .. قد أخرجنا من صدره الشريف
علقة الشيطان .. فمعنى هذا أنه قد صار ملاكا .. ليس فى
حاجة إلى مقاومة إغراء .. أو مصارعة هوى فى النفس ..
أو ميل مع الشيطان .. مع أنه إمام المجاهدين .. وقائد
المقاومين والمصارعين لميل النفس ونزغات الشياطين ..
ليكون جديرا بما أعده الله له من الوسيلة والفضيلة ..
والشرف والدرجة الرفيعة.

ودليلنا على ذلك .. ما قاله هو - عليه الصلاة
والسلام - عن بعض مواقفه مع الشيطان.

فعن محمد بن بشار .. عن محمد بن جعفر .. عن
شعبة .. عن محمد بن زياد .. عن أبى هريرة .. عن النبى
- صلى الله عليه وسلم - :
«إن عفريتاً من الجن .. تغلت البارحة .. ليقطع على
صلاتى .. فأمكننى الله منه .. فأخذه .. فأردت أن أربطه
على سارية من سواري المسجد .. حتى تنظروا إليه كلكم ..
فذكرت دعوة أختى سليمان (رب هب لى ملكا لا ينبغي
لأحد من بعدى) فرددته خاسئا» جاء فى صحيح
البخارى (١).

إنه - عليه الصلاة والسلام - قمة .. فوق الإنسية
والجنية والملائكية معا .. وما كان شق صدره الشريف .. إلا
إعدادا لهذا الصدر .. ليكون أرضا طيبة خصبة .. لتغرس
فيها يد القدرة .. ما شاء الله من آيات بينات ... وصواعق
محكمات .. تنبت رياض الحكمة .. التى تكون رحمة
للعالمين .. من إنس وجن .. وملائكة مقربين .

ويقول صاحب الهمزية - إشارة إلى إرضاعه صلى
الله عليه وسلم :-

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأنته من آل سعد فتاة
قد أبته لفقرها الرضعا
أرضعته لبانها فسقتها
وبنها ألبانهن الشاء

أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
إذ غدا للنبي منها غداء
يالها منة لقد ضوعف الأجر
عليها من جنسها والجزاء
وإذا سخر الإله أناسا

لسعيد فإنهم سعداء

وتروى السيدة حليلة - رضى الله عنها - إنه مر بها
جماعة من اليهود .

فقالت لهم : ألا تحدثوننى عن ابنى هذا .. حملته
كذا .. ووضعت كذا .. ورأيت عند ولادته كذا .. وذكر
لهم كل ما سمعته من أمه .. وكل ما رأته هى .. بعد أن
أخذته .. وأسندت كل هذا إلى نفسها .. كأنها هى التى
حملته ووضعت .

فقال اليهود بعضهم لبعض : اقتلوه .. فقالوا لها :
أويتم هو ؟ .. فقالت : لا .. هذا أبوه .. وأنا أمه .. فقالوا :
لو كان يتيما لقتلناه .. لأن ذلك عندهم من علامات نبوته .

وعن السيدة حليلة أيضا :

إنها نزلت به بسوق عكاظ .. وهو سوق فى
الجاهلية .. بين الطائف ونخلة .
وكانت العرب تقيم بها شهر شوال .. عندما
يقصدون الحج .. ويتفاحرون .. ويتناسبون .. ويتبادلون
الشعر .. ويبيعون ويشتررون .

فلما وصلت به السيدة حليلة سوق عكاظ .. رآه
كاهن يهودى .. وحادثه .. فقال : يا أهل عكاظ .. اقتلوا
هذا الصبى .. واقتلوني معه .. فإن له ملكا سيدلكم به .
فمالت به السيدة حليلة .. وحادثت عن الطريق ..
فأنجاه الله - تعالى - ويعود محمد - صلى الله عليه وسلم -
إلى مكة .. حيث يبقى بها نصف قرن من الزمان .. ملء
بأحداث وأحداث .

(١) صحيح البخارى - الجزء الرابع - ص ١٩٧ - طبعة الشعب .

بلاء الأنبياء

مات أبوه - عليه الصلاة والسلام - وهو
فى بطن أمه جنين .. وماتت أمه .. وهو لم
يبلغ من العمر ست سنين .. واختاره ربه
أميا .. لا يقرأ ولا يكتب .. حتى لا يكون
لأحد عليه فضل مطلقا غير ربه .. فلا أب .
ولا أم .. ولا معلم .

ثم جرد الله - تعالى - حبيبه محمدا .. من
هذا الجسد الرءوف .. والقلب العطوف ..
فمات عبدالمطلب .. وهو مازال صبيا .

بلاء الأنبياء

وسلم - «زار قبر أمه بالأبواء.. فى ألف مقنع.. فبكى وأبكى» أى كان معه ألف فارس مغطى بالسلاح.
وبوفاة أمه .. صار - عليه الصلاة والسلام - يتيم الأبوين.. فحضنته أم أيمن.. وحملته إلى جده عبدالمطلب.
وقد أشار القرآن الكريم إلى يتمه.. بقوله تعالى
«ألم يجدك يتيما فآوى» (١).

ولنا وقفة قصيرة.. أمام هذا اليتيم المبكر.. مات أبوه - عليه الصلاة والسلام - وهو فى بطن أمه جنينا.. ومات أمه .. ولم يبلغ عمره ست سنين.. قضى أغلبها بعيدا عنها.. فى ديار بنى سعد.

فقد قرأت قولاً.. للأستاذ عباس العقاد.. حول قول الله - تعالى - عنه «النبى الأمى» وفسرها على أنه - النبى الأمى - أى أنه أرسل إلى جميع الأمم.. وهذا معنى جميل .. لولا أن التكلف ظاهر فيه.. فإن الله - سبحانه - قال «النبى الأمى» ولم يقل النبى الأمى.. ويبدو

لما قارب عليه الصلاة والسلام - من عمره خمس أو ست سنين.. خرجت به أمه إلى أخواله.. بنى عدى بن النجار فى المدينة.. تزورهم.. ومعها أم أيمن بركة الحبشية.. التى ورثها عن أبيه وذلك فى سنة ٥٧٥ - ٥٧٦ م.. فنزلت به فى دار النابغة.. فأقامت به عندهم شهرا.
وكان - عليه الصلاة والسلام - يذكر أمورا كانت فى مقامه ذلك.

نظر إلى الدار.. بعد هجرته.. وقال: ها هنا نزلت بى أمى.. وأحسن العوم فى بئر بنى عدى بن النجار.. وكان قوم من اليهود يختلفون.. ينظرون إلى.

قالت أم أيمن: فسمعت أحدهم يقول: هو نبى هذه الأمة.. وهذه دار هجرته.. فوعيت ذلك كله من كلامهم.
ثم رجعت به أمه.. تريد مكة.. فلما كانت بالأبواء.. بين مكة والمدينة.. مرضت وتوفيت.. ودفنت بالأبواء.. وكان عمرها ثلاثين سنة.

وفى الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه

(١) آية ٦ سورة الضحى.

أن الأستاذ العقاد.. استعظم معنى الأمية.. وأراد
نفيتها عنه.. تكريماً له.. عليه الصلاة والسلام..

**ولكن الأمية فى القراءة والكتابة.. من دواعى
الفخر بالنسبة له.**

فلو أنه تعلم القراءة والكتابة.. لكان له معلم..
علمه الألف والباء.. والواو والياء.. والأثر الحكيم يقول:
من علمنى حرفاً.. صرت له عبداً.. فمن الذى يستحق أن
يكون محمد عبداً؟ غير الله - سبحانه وتعالى - ؟

**ليس لأحد عليه فضل مطلقاً غير ربه.. لا أب..
ولا أم.. ولا معلم.**

هكذا أراد الله له.. ليكون خالصاً له.. من جميع
زوايا التأديب والتعليم والتربية.. لأفضل لأحد عليه.. فهو
كما قلنا قمة البشرية والجنية والملائكية.

وقد يظن البعض.. أن جبريل - عليه السلام - كان
معلماً له.. حال تنزله عليه - بالقرآن الكريم.. يقرأ عليه
الآيات.. فيعلمه إياها.. وهذا ظن خاطيء.. فما كان
موقف جبريل منه إلا كموقف ساعى البريد.. يحمل
الخطاب المسجل إلى صاحبه.. وهو لا يدري ما فيه.

**لقد كان تنزل جبريل - عليه السلام - عن طريق
القلب.. لا عن طريق السمع.. فقد قال تعالى (نزل به
الروح الأمين على قلبك) (١)..
ولم يقل على سمعك..
فكان الروح الأمين - جبريل - ينزل على القلب الأمين -
قلب محمد - بالآيات التى يريد الله تعالى إبرازها..
فيحصل التفاعل.. فى صدره الشريف.. فتنبت الآيات
مشهودة بصدوره.. قبل أن تخرج إلى الأسماع آيات تتلى..
وكان - عليه الصلاة والسلام - يحاول أن ينطق بها خشية
أن تزول تلك المشاهد.. فيقول الله - تعالى - له:**

**(ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك
وحيه) (٢).**

وفى نجم آخر.. يقول له:

(لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه

**وقرآنه) آى علينا نحن قراءته.. فلا شأن لك بتحريك
لسانك.. أو إبراز الحروف.. فالله - جل وعلا - هو الذى
يتكلم عن طريق هذا اللسان.. لسانه - عليه الصلاة
والسلام - لأنه كلام الله عن طريق جبريل.. وليس كلام
محمد.. ولا كلام جبريل..**

**ولتأكيد هذا الأمر.. قال فى الآية التالية (فإذا قرأناه
فأتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه) (٣).**

فإذا سأل سائل: إن حديث حراء.. الذى يرويه -
عليه الصلاة والسلام - يقول: عن ظهور جبريل - عليه
السلام له.. وهو يتعب فى غار حراء.. ونصه كما جاء فى
صحيح البخارى.. عن عائشة - رضى الله عنها:

«فجاءه الملك.. فقال له: اقرأ.. فقال ما أنا
بقارىء.. قال: فأخذنى فغطنى.. حتى بلغ منى الجهد.. ثم
أرسلنى.. فقال: اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارىء.. فأخذنى
فغطنى الثانية.. حتى بلغ منى الجهد.. ثم أرسلنى.. فقال:
اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارىء.. فأخذنى فغطنى الثالثة.. ثم
أرسلنى.. فقال.

(اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من
علق * اقرأ وربك الأكرم) (٤).

فتبادل الحديث هنا.. بين محمد وجبريل - عليه
السلام - بقال وقلت.. مما يوحى إلى الفكر أن القول كان
عن طريق السمع؟

**وهذا سؤال وجيه.. من غير شك والإجابة عليه
تدعونا إلى معرفة معنى القول.. فى القرآن الكريم.. وهو
المصدر الرئيسى للغة العرب.. فنجد عيسى - عليه السلام -
لحظة ميلاده يقول لأمه (فإما ترين من البشر أحداً فقولى
إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) (٥)**

فأمامنا فى هذه الآية معنى غريب.. يقول لها
عيسى: قولى ولا تتكلمى.

وكان قولها بالإشارة.. عندما واجهها
قومها بما واجهوها به الاتهام (فأشارت

(٢) ١١٤ - طه.

(٤) أول سورة العلق.

(١) ١٩٢ - الشعراء.

(٣) ١٨ - ١٩ القيامة

(٥) ٢٦ - مريم.

(إليه) (١) . فالقول هنا - كما ترى - كان بالإشارة .
 وإذا تأملنا .. فى قوله تعالى: (وأسروا قولكم أو اجهروا به) (٢) .. وقوله أيضا فى نجم آخر: (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) (٣) .. نجد أن القول فى الآيتين .. قد يكون سرا فى النفس . أو جهرا باللفظ .. ومعنى هذا أن القول تقرير فى أعماق النفس .. يلفظه اللفظ إلى الخارج عن طريق اللسان .. ولهذا سمى اللفظ لفظا .. من لفظ الشيء .. أى أخرجه . وتكون العبارة أيضا .. من العبور .. أى السباحة من جانب إلى جانب .. لأن العبارة تعبر بالقول من نفس القائل .. إلى أذن السامع.

ولعلنا استطعنا الآن أن نفهم .. أن جبريل - عليه السلام - لم يكن معلما لمحمد - عليه الصلاة والسلام - وأن محمدا ليس لأحد عليه فضل مطلقا .. غير الله - سبحانه - ولهذا يقول مفتخرا: «أدبنى ربى فأحسن تأديبى»

ومن أجل هذا مات أبوه وهو فى بطن أمه جنيئا .. ثم ماتت أمه .. وهو لم يبلغ ست سنين .. وحضنته أم أيمن .. وحملته إلى جده عبدالمطلب .. وفى السنة التى ماتت فيها أمه - رمد - عليه الصلاة والسلام - رمدا شديدا .

* * *

وكان عبدالمطلب يرعاه رعاية خاصة .. ويؤثره على بنيه .. لما كان يلمح فيه من أمارات العظمة .. ودلائل النبوة .. التى بشره بها سيف بن ذى يزن .. وبما كان لمحمد - صلى الله عليه وسلم - من جاذبية خاصة .. تدفع من يراه إلى حبه .. وكانت هذه العظمة والجاذبية .. تزداد وضوحا كلما شب وترعرع .. وقد ثبت مما رواه الصحابة .. أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت له جاذبية غريبة .. فكانوا يحبونه حبا لا يستطيعون مقاومته .. ولا يعصون له أمرا..

وقد روى .. أن قريشا تتابعت عليها سنو جذب .. فى حياة عبدالمطلب .. فارتقى هو ومن حضره من قريش جبل أبى قبيس .. ومعه - محمد - فقام عبدالمطلب .. واعتضده - عليه الصلاة والسلام - فرفعه على عاتقه .. وهو يومئذ غلام صغير .. فقال:
 أيفع .. أو قرب .. ثم دعا .. فسقوا فى الحال .
 وأيفع : أى ارتفع .

وكان الاستسقاء فى الجاهلية بطريقة أخرى .. فكانوا إذا تتابعت عليهم الأممات واشتد الجذب .. واحتاجوا إلى المطر .. يجمعون بقرا .. ويعلقون فى أذناها وعراقيبها السلع والعشر (٤) .. ويصعدون بها إلى جبل وعر .. ويشعلون فيها النار .. ويفرقون بينها وبين أولادها . ويسوقون البقر إلى ناحية العرب . وتسمى هذه النار - نار الاستمطار .

وقالوا: إنما يضرمون النار فى أذنان البقر .. فتأقلا للبرق بالنار .

ويضعجون بالدعاء والتضرع .. وكانوا يرون ذلك من الأسباب الموصلة إلى نزول الغيث .

* * *

وكان يوضع لعبد المطلب فراش وثير .. فى ظل الكعبة .. ويجلس أولاده حول هذا الفراش .. لا يجروا أحدهم على الجلوس عليه .. هبة منه .. وإجلالا له .. حتى يخرج عبدالمطلب فيجلس عليه .. فكان عليه الصلاة والسلام يأتى وهو صبي صغير .. فيجلس عليه .. فيأخذه أعمامه وينحونه عن الفراش .. فيقول لهم عبد المطلب .. عندما يرى ذلك منهم . دعوا ابنى هذا فوالله إن له لشأنا .

وشاء الله - سبحانه - أن يجرد حبيب محمد من هذا الجد الرءوف .. والقلب العطوف - فتوفى عبد المطلب بمكة سنة ٥٧٨ م .. بعد عام الفيل بثمانية أعوام .. وله مائة وعشرون سنة . وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبكى خلف سريره .. وهو لم يبلغ الثامنة من عمره .

وقد دفن عبدالمطلب بالحجون - جبل بأعلى مكة - عند قبر جده قصي .

ولما حضرته الوفاة .. أوصى بمحمد إلى عمه - أبى طالب - شقيق أبيه عبدالله .

وفى هذه السنة مات حاتم الطائي .. وكسرى أنوشروان .

وأبو طالب اسمه - عبد مناف - و - عبد الكعبة - وكان كريما .. لكنه كان فقيرا . كثير العيال . فرأى فى النبى - صلى الله عليه وسلم - خيرا وبركة .. فكان يحبه حبا شديدا .. لا ينام إلا إذا لصق جلده بجلده فى فراش واحد .. يلزمه فى حله وترحاله .. يخرج به إذا خرج .. ويعود به إذا عاد .

كما أوصى عبدالمطلب إلى ابنه أبى طالب أيضا بسقاية زمزم .. وإلى ابنه الزبير بالحكومة والولاية وأمر الكعبة .

(٢) ١٣ - الملك .

(٤) نوعان من الشجر .

(١) ٢٩ - مريم .

(٣) ١٠ - الرعد .

بين أبى طالب وبحيرا الراهب

قال بحيرا لأبى طالب: ما هذا الغلام منك؟ قال أبو طالب: إنه ابنى .. فقال بحيرا: ما هوايتك .. وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

فقال أبو طالب:

إنه ابن أخى .. قال بحيرا: فما حال أبيه؟ قال: مات وأمه حبلى فيه.

قال بحيرا: صدقت .. فارجع بابن أخيك إلى بلدك .. فوالله لو عرف اليهود منه ما عرفت .. لبيغته سرا .. فإن له شأنا عظيما.

بين أبي طالب وبحيرا الراهب

كان عبدالله أبو رسول الله وأبو طالب من أم واحدة
- كما ذكرنا -

وروى أن أبا طالب قال لأخيه العباس : ألا أخبرك
عن محمد بما رأيته منه ؟ .. فقال : بلى .. فقال : إني
ضممته إليّ .. فكنت لا أفارقه ساعة من ليل .. ولا نهار
.. ولا أأمن عليه أحدا .

إني كنت أنومه في فراشي .. فأمرته ليلة أن يخلع
ثيابه وينام معي .. فرأيت الكراهة في وجهه .. ولكنه كره
أن يخالفني .. وقال : يا عماء .. اصرف وجهك عني ..
حتى أخلع ثيابي .. إذ لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى جسدي
.. فتعجبت من قوله .. وصرفت بصري .. حتى دخل
الفراش .. فلما دخلت معه الفراش .. إذا بيني وبينه ثوب
.. والله ما أدخلته الفراش .. فإذا هو في غاية اللين
.. وطيب الرائحة .. كأنه غمس في المسك . فجهدت
لأنظر إلى جسده .. فما كنت أرى شيئا .

وكثيرا ما كنت أتقده من فراشي .. فإذا قمت
لطلبه ناداني .. ها أنا يا عم فارجع .. ولقد كنت كثيرا ما
أسمع منه كلاما يعجبني .. وذلك عند مضي بعض الليل .

وكنا لا نسمى على الطعام والشراب .. ولا نحمد
بعده .. وكان يقول في أول الطعام : باسم الله الأحد ..
فإذا فرغ من طعامه .. قال : الحمد لله .. فتعجبت منه .. ثم
لم أر منه كذبة .. ولا ضحكا .. ولا جاهلية .. ولا وقف
مع صبيان يلعبون (١) .

أخرج ابن عساكر .. عن جلهمة بن عرفة .. قال :
قدمت مكة .. وهم في قحط شديد .. فقالت
قريش : يا أبا طالب .. أقحط الوادي وأجدب .. فهل
فاستسق لنا .. فخرج أبو طالب .. ومعه غلام كأنه شمس
ضحى تجلت منها سحابة قتماء .. وحوله أغيلمة - جمع
غلام صغير - فأخذه أبو طالب .. فالصق ظهره بالكعبة ..
ولاذ الغلام بأصبعه - أي أشار بأصبعه إلى السماء تضرعا
- وما في السماء قرعة - أي قطعة من السحاب - فأقبل
السحاب من ههنا وههنا .. وأغدق وأغدوق .. وانفجر
الوادي .. وأخضب النادي .

وبهذا يكون أبو طالب .. قد رأى آية الاستسقاء
من رسول الله وهو غلام صغير مرتين : مرة في حياة أبيه

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ج ٦ ص ٥٦٨ وما بعدها - طبعة ١٢٧٨ هجرية .

عبد المطلب .. وتلك المرة .. مما أطلق لسانه بقصيدة
تزيد على ثمانين بيتا من الشعر .. فى مدح الرسول - صلى
الله عليه وسلم .. ذكرها ابن إسحاق كاملة .. ومنها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال (١) اليتامى .. عصمة للأرامل (٢)
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده فى نعمة وفواضل
* * *

وفى عام ٥٨٢ هـ - وقد بلغ رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - اثنتى عشرة سنة .. خرج مع عمه أبى طالب
إلى الشام .. فى رحلة الصيف للتجارة .

ونزل الراكب بصرى من أرض الشام .. التابعة فى
هذا الحين لحكم الرومان .. وكان ببصرى راهب يقال له :
بحيرا .. انقطع لعبادة الله .. فى صومعة له .. وهو راهب
مسيحى .. ذكرت كتب الأدب البيزنطى أنه نستورى ..
على مذهب - آريوس ونسطور - وكان ينكر ألوهية عيسى
.. ويقول: إن تسميته بإله غير جائز .. بل يدعى - كلمة
الله - كما تدعى أمه مريم - والدة الناسوت - الذى هو
المظهر السامى للكلمة .. لا والدة الله .. وقد كان بحيرا
عالما منجما فلكيا .. كان اسمه - سرجيوس - ويغلب أن
بحيرا لقب له .. ومعناه فى - دائرة المعارف الإسلامية -
المنتخب -

وورد فى دائرة المعارف العربية - للبستاني - أن
اسم بحيرا - فى اللغة السريانية معناه العالم المتبحر .

اتخذ بحيرا صومعته بقرب الطريق الموصل إلى
الشام .. وأقام فى هذا المكان مدة من الزمن تمر عليه قوافل
العرب .. فكان يأمرهم بعبادة الله الواحد الأحد ..
وينهاهم عن عبادة الأصنام .. وقد تتلمذ على يديه سلمان
الفارسي قبل إسلامه .

وقال بعض تلاميذه : إن بحيرا مات مقتولا على
يد بعض اليهود الأشرار . وكان بصيرا بعلوم النصرانية ..
عليما ببواطن الأمور .. التى يتوارثونها راهبا عن راهب .

رأى بحيرا ركب قريش القادم إلى الشام مقبلا من
بعيد .. وهو فى صومعته .. فكان مرتفع من الأرض ..
فلفت نظره غمامة تسير فوق القوم .. وتظل واحدا منهم
.. وتعلق نظره بهذا الركب .. حتى نزل فى ظل شجرة
قريبة منه .. فرأى الشجرة وقد تهضرت (٣) أغصانها على
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل بها .

فزل بحيرا من صومعته .. بعد أن أمر بإعداد طعام
للقوم .. ثم أرسل إليهم يدعوهم إلى طعامه . وناداهم :
لقد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش .. وأرجو أن
تحضروا جميعكم .. كبيركم وصغيركم . الحر منكم
والعبد .

فقال له أحدهم : ما رأينا منك هذا من قبل ما
بحيرا ؟ .. واللوات كم مررنا بك . فلم نر منك مثل هذا
الكرم .. لا بد أن لك اليوم شأنا معنا ؟
فقال له : صدقت .. إنما أردت أن أكرم سائلكم
.. وأقدم لكم طعاما تأكلون منه جميعا فاجتمعوا
تاركين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند رحالهم
تحت الشجرة .

وتفحص بحيرا القوم واحدا واحدا وهم
جلوس .. فلم ير فيهم طلبته .
فقال : يا معشر قريش .. لا يتخلف منكم أحد عن
طعامى .. قالوا : لم يتخلف منا أحد يا بحيرا اللهم إلا
غلام صغير .. تركناه عند رحالنا .. فقال لا تفعلوا
ادعوه ليحضر معكم .. وليأكل من زادنا وقام إليه رجل
منهم فأحضره .. وأجلسه بجوار عمه أبى طالب

وتفحصه بحيرا طويلا . وعرف فيه كثيرا من
العلامات التى يجدها مدونة عنده .. فى التوراة والإنجيل
.. والكتب المتوارثة بينهم .. فبعد أن أكل القوم واسمضوا
.. قام إليه بحيرا قائلا : يا غلام .. أسألك بحق اللات
والعزى .. إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فأبى رسول
الله أن يستحلفه بها .. فقال له : فبأنه إلا ما أخبرتنى عما
أسألك عنه .. قال : نعم .. سل ما بدا لك .. فجعل يسأله
عن أشياء من حاله .. ومن نومه .. وهيبته . فحمل رسول
الله يخبره خبره .. فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ..

(٢) مانفهم منه الحاجة والضياع .

(١) الشمال - بكسر التاء - الغيات والمجأ .

(٣) مالت .

ثم استأذنه ليكشف عن ظهره.. فرأى الخاتم المميز بين كتفيه.. وكان مثل أثر المحجمة - التي تفيض على اللحم حتى يكون ناتئا - فلما تأكدت له كل الصفات .. أقبل على عمه أبى طالب.. فقال له: ما هذا الغلام منك؟ .. قال: ابني .. قال له بحيرا: ما هو ابنك .. وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ..

قال: فإنه ابن أخى .. قال: فما حال أبيه؟ .. قال .. مات وأمه حبلى فيه .. قال: صدقت فارجع بابن أخيك إتي بلدك .. واحذر عليه من اليهود .. فوالله لئن رأوه .. وعرفوا منه ما عرفت .. لبيغنه شرا .. فإن له شأنا عظيما .. فأسرع به إلى بلده (١).

وقد اختلف المؤرخون .. فى عودته بعد لقاء بحيرا .. فقال ابن قيم الجوزية .. فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة .. وجاء فى كتاب الترمذى وغيره .. أنه بعث معه بلالا .. وكذب ابن الجوزية هذا رأى لعدم وجود بلال فى هذا الحين .. والأصح ما ذكره ابن هشام وطبقات ابن سعد .. من أن عمه عاد معه إلى مكة .. بعد أن أسرع فى تصريف تجارته بالشام .. لأن أبا طالب كان لا يأمن عليه أحدا.

وليس هذا هو المهم .. وإنما المهم ما قاله بعض المستشرقين فى هذا الموضوع .. مدفوعين بطيش التعصب .. والافتراء بوحى الهوى والغرض ..

فمثلا زعم الدكتور - أشبرنجر - أن أبا طالب .. رد محمدا مع بحيرا إلى مكة .. وطبعاً يقصد - أشبرنجر - من هذا الزعم .. أن يوعز بأن بحيرا هو الذى علم محمدا بسير الغابرين.

ولعل هذا هو المقصود من قوله تعالى :

(لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) (٢) .

وهذا الزعم من - أشبرنجر - لا يستحق شرف المناقشة .. لأن ذهاب بحيرا إلى مكة مع محمد .. لم يرد فى أى مرجع - عربى أو غريب - إلا فى زعمه هو .

أما ما ذكره مستر وليام موير .. فى كتابه - حياة محمد - حول تلك الرحلة .. يقول: «إن جميع الذين دونوا سيرة الرسول .. ذكروا تفاصيل كثيرة مضحكة ..

عن هذه الرحلة .. تدل على عظمة نبوته المنتظرة» .. وذكر قصة الرحلة .. كما ذكرها المؤرخون . ولست أدري .. ماذا أضحك - موير - فى تفاصيل هذه الرحلة ؟ هل أضحكه تظليل الغمامة له .. والتواء الغصن عليه ؟ .

ليس فى هذه الرحلة .. غير هذه الحالة .. التى أثارت ضحك - موير - لأنه أقر بما تنبأ به بحيرا عنه . **فإذا كان - موير - مسيحيا - وهو يتحدث فى كتابه عن نبي - فكيف لم يضحكه :**

نطق عيسى فى المهدي .. وإحياء الموتى .. وخلق خفاش حى من الطين .. ونزول مائدة السماء على عيسى .. وعلى أمه من قبل .. وغير ذلك من معجزات - عيسى - عليه السلام - ؟ وإن كان يهوديا .. فكيف لم يضحكه انقلاب عصى موسى إلى حية .. وضرب ماء البحر بها فيتجمد الماء .. ويفتح الطريق فيه لبنى إسرائيل ؟ .. ولم يضحكه تظليل الغمام لبنى إسرائيل فى صحراء سيناء .. ونزول المن والسلوى عليهم حيناً من الدهر ؟

إن - موير - مؤمن بهذا وبغيره من معجزات أنبياء بنى إسرائيل .. سواء كان مسيحيا أو يهوديا .. ونحن مؤمنون معه بها جميعا .. فلماذا لم يضحكه كل هذا .. وإنما أضحكه سحابة تظل محمدا .. وغصن يميل عليه ؟

ونحن نأسف لمناقشة هذا الموضوع .. لأنه ظاهر فيه طيش التعصب .. وافتراء الهوى .. ومكابرة الشيطان .

ويكفى أن نقول لهؤلاء المكابرين .. الذين يحاولون إنكار النبوءات .. التى بشرت بمحمد خاتم الأنبياء قبل ظهوره : إن تلك النبوءات .. مازالت آية صدق .. وشهادة حق .. فى الكتاب المقدس .. فى أسفار التوراة .. وفى صلب الأناجيل الأربعة الرسمية .. وقد أفردنا لها فصولا .. فى كتابينا «مريم البتول» و «من نبأ عيسى» لمن شاء الاستزادة فى هذا المقام .. وسأضرب لك أمثلة خفيفة منها .. مما ذكر فى الكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد .

فمن حيث التنبؤ بمكان ظهوره - عليه الصلاة والسلام -

نجد فى سفر التثنية .. فى الإصحاح الثالث والثلاثين .. بالنص :

(١) راجع إن شئت طبقات ابن سعد .. وتاريخ الطبرى .. وسيرة ابن هشام .
(٢) ١٠٣ النحل .

«جاء الرب من سيناء .. وأشرق من ساعير ..
وتلألأ من جبال فاران» (١) .

فقلوه : جاء الرب من سيناء .. يقصد رسالة
موسى .. من طور سيناء .

وقوله : وأشرق من ساعير .. يقصد إشراقة عيسى
.. من جبل ساعير - جبال فلسطين - .

وقوله : وتلألأ من جبال فاران .. يقصد محمدا ..
فالمعروف أن جبال فاران .. هى جبال مكة .. سميت فاران

.. نسبة إلى فاران بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ..
الذى نزل بمكة .

وإليك دليل آخر من سفر أشعيا .. فى الإصحاح
الرابع والخمسين :

١ - ترنمى أيتها العاقر .. التى لم تلد .. أشيدى
بالترنم أيتها التى لم تمخص .. لأن بنى المستوحشة أكثر من
بنى ذات البعل .. قال الرب .. إلى أن قال : لأنك تمتدين
إلى اليمين وإلى اليسار .. ويرث نسلك أمتا .. وتعمر مدنا
خرية (٢) .. وواضح أن المقصود بالعاقر التى لم تلد أنبياء
من قبل .. هى مكة .. فليس منها إلا محمد .

**كما جاء فى سفر - حبقوق - فى الإصحاح
الثالث :**

٣ - الله جاء من تيمان .. والقدوس من جبل فاران (٣) .
وغيرها كثير وكثير .. من حيث بيان الموقع الذى
سيخرج منه النبى الخاتم .

**أما من حيث التنبؤ - بأنه من نسل إسماعيل أخى
إسحاق .. وأنه آخر الأنبياء ..**

فاقرأ فى سفر التثنية .. فى الإصحاح الثامن عشر
.. يخاطب موسى :

١٥ - يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك .. من
إخوتك .. مثلى له تسمعون . إلى ١٨ - أقيم لهم آخر
الزمان نبيا مثلك .. من بنى إخوتهم مثلك .. وأجعل
كلامى فى فمه .. فيتكلم بكل ما أوصيه (٤) - هـ -

هذا فى التوراة التى نزلت على موسى - عليه
السلام - ونلاحظ أن كل نبى بعث به - موسى كان من
نسل إسحاق .. وآخرهم - عيسى عليه السلام - فلم يكن
من بنى إخوتهم .. إلا محمد -

(١) سفر التثنية: ص ٣٣ - فقرة ٢ .

(٣) حبقوق: ص ٣ فقرة ٣ .

(٥) كتابنا - من أنباء الرسل - من «نبأ عيسى» فصل ١٢ .

(٦) ١٥٧ - الأعراف .

- صلى الله عليه وسلم - من ولد إسماعيل أخى
إسحاق .

وأما من حيث التنبؤ باسمه :
**فاقرأ فى الإنجيل - يوحنا - أحد الأناجيل الأربعة
الرسمية .. فى الإصحاح السادس عشر
يقول المسيح :**

٥ - وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى .. وليس
أحد منكم يسألنى أين أمضى .

٦ - ولكن لأنى قلت لكم هذا .. قد ملأ الحزن
قلوبكم .

٧ - ولكن أقول لكم الحق .. أنه خير لكم أن
انطلق .. لأنه إن لم أنطلق .. لا يأتىكم - البار قليط .. ولكن
إذا ذهبت أرسل لكم .

٨ - ومتى جاء ذلك يبكى العالم على خطيئة ..
وعلى بر .. وعلى دينونة .. الخ .

وقد ثبت أن الترجمة الصحيحة لعبارة - بار قليط
أو بار كليث - إلى اللغة العربية هى - كثير الحمد ..
يعنى أفعلى تفضيل من - حمد .. فتكون - أحمد أو
محمد .

**كما ورد التبشير - بإيلياء .. فى جميع الأناجيل ..
وأسفار التوراة .. وقد أثبتنا بالدليل الملموس أن - إيلياء ..
هو - أحمد (٥) -**

تلك أمثلة خفيفة .. مما وردت فى التوراة والإنجيل
.. نقدمها لمستر وليم موير .. ليضحك قليلا .. فسيبكي
كثيرا . وليعلم هو وأمثاله الضالين .. أن كتبهم تنبأت به قبل
مولده بمئات بل آلاف السنين .. وصدق الله العظيم .. عندما
قال :

(الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه
مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) (٦) .

**وهكذا عرفت بحيرا من النبوءات الواردة فى
التوراة والإنجيل .. أوصاف نبى هذه الأمة .. من كتبهم
القديمة .. وقد كثرت إلهامات بقرب بزوغ نجمه ..
وكان يعرفها الكثير من اليهود .. ومنهم هؤلاء اليهود الذين
روت عنهم السيدة حليلة أنهم كانوا يريدون قتله ..
وكانت تهرب به من طريقهم .. وأنجاه الله .. تعالى .. من
شرهم . فعخاف عليه بحيرا من اليهود .. ونصح عمه بالعودة
إلى مكة .**

وعاد أبو طالب إلى مكة .. حيث يرعى بها الغنم ..
ليصلح فيما بعد لقيادة الأمم .

(٢) أشعيا ص ٥٤ - من أول الإصحاح .

(٤) التثنية ص ١٨ فقرات ١٥ - ١٨ .

راعى الغنم .. بين حرب الفجار .. وحلف الفضول

سئل عليه الصلاة والسلام - عن حرب
الفجار.. فقال : «حضرتها مع عمومتى..
ورميت فيها بأسهم .. وما أحب أنى لم
أكن أفعل».

وسئل عن حلف الفضول.. بعد حرب
الفجار.. فقال:

«ما أحب أن لى بحلف حضرتة.. فى دار
ابن جدعان حمر النعم».

فما هى حرب الفجار؟.. وما هو حلف
الفضول؟ وقد حضرهما - عليه الصلاة
والسلام - وهو ابن خمس عشرة سنة.

راعى الغنم بين حرب الفجار وحلف الفضول

«قد حضرتها مع عمومى.. ورميت فيها بأسهم .. وما أحب أنى لم أكن أفعل» .
وقال عنها أيضا: «كنت أنبل على أعنمى، أى أناولهم النبل» .
وذكر رجال السيرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوم الفجار ابن خمس عشرة سنة .. فما هو يوم الفجار هذا؟
قامت بين العرب أربعة حروب .. سميت كلها - بالفجار - لأن القتال كان فيها فى الشهر الحرام .. ففجروا فيه .. بمعنى المفاجرة .. كالقتال والمقاتلة .. وكانت كلها من عام ٥٨٠ - ٥٩٠ م .
فالفجار الأول: كان بين كنانة وهوازن . والثانى : كان بين قريش وكنانة .
والثالث : كان بين كنانة وبنى نضر بن معاوية .. ولم يحصل فيها قتال كبير .
أما الفجار الأخير : فقد كان قبل مبعث النبى - صلى الله عليه وسلم - بخمس وعشرين سنة .. وكان بين قريش وكنانة من جانب .. وبين هوازن من الجانب الآخر . وموضوعه أن النعمان بن المنذر - أمير الحيرة - بعث بلطيمة (٢) له إلى سوق عكاظ للتجارة .. وكانت سوق عكاظ تنصب سنويا

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم» .
فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ .. قال «وأنا رعيته لأهل مكة بالقراريط» والقراريط: أجزاء صغيرة من الدراهم والدنانير .. وقيل القراريط: اسم مكان .
وعن جابر بن عبد الله .. قال: كنا مع النبى - صلى الله عليه وسلم - لنجنى الكباش (١) - بفتح الكاف - فقال: «عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه .. فإنى كنت أجنيه إذ كنت أرى الغنم» .
قلنا: أو كنت ترى الغنم يا رسول الله؟ .. قال: «نعم وما من نبى إلا قد رعاها» .
والحكمة من ذلك .. أن رعى الغنم .. التى هى أضعف الأنعام .. توجد فى القلب رقة وعطفا .. ورأفة ولطفًا .. فإذا انتقل بعد ذلك إلى رعاية الناس .. كان مهذبا صالحا .. رءوفا عطوفا .

ويبدو أنه - عليه الصلاة والسلام - قد حضر حرب الفجار .. وحلف الفضول فى الفترة التى رعى فيها الغنم .. وهو فى فترة الصبا وبواكير الشباب .
فقد ذكر حرب الفجار - يكسر الفاء - فقال:

(١) ثمر الأراك .

(٢) الإبل التى تحمل التجارة .

فى شهر شوال .. يؤمها العرب جميعا .. فى طريقهم إلى الحج .. حيث ينتقلون منها إلى سوق - ذى المجاز - فيقيمون فيها إلى أيام الحج .. وتلك كانت أسواق العرب .. وأكبرها عكاظ .

فكان والى النعمان بن المنذر على تجارتها .. رجل من هوازن اسمه - عروة الرجال - فوئ ، شخص اسمه - البراجن - وهو خليع من بنى كنانة على عروة فقتله وهرب . ولما علم زعماء قريش - كنانة بهذا الأمر .. تركوا سوق عكاظ .. وعادوا إلى الحرم .

فقال - أبو براء - رئيس هوازن .. عندما علم بما حصل : ما كنا من قريش إلا فى خدعة فخرجوا فى آثارهم .. فأدركوهم وقد دخلوا الحرم .. فناداهم رجال من هوازن : إن معاد ما بيننا وبينكم .. هذه الليالى من قابل .. أى العام القابل - ولم تقم سوق عكاظ .. تلك السنة .

فمكثت قريش وغيرها .. من كنانة .. وأسديين خزيمة .. ومن لحق بهم من الأحابيش سنة يتأهبون لهذه الحرب .. وتأهب هوازن .. ثم حضروا من قابل .

وكان على قريش : عبدالله بن جدعان .. وهشام ابن المغيرة .. وحرب بن أمية .. وسعيد بن العاص .. وعتبة بن ربيعة .. والعاص بن وائل .. ومعمرب بن حبيب الجمحى .. وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار .. وكان أمرهم جميعا .. إلى عبدالله بن جدعان . أما هوازن : فكان أمرهم إلى أبى براء عامر بن جعفر .. ومعه سبيع .. وربيعه بن معاوية النضرى .. ودريد بن الصمة .. ومسعود بن معتب .. وأبو عروة بن مسعود .. وعوف بن أبى حارثة المرى .. وعباس بن رعل السلمى .

والتقى الجيشان .. فى الشهر الحرام .. وقتل من الفريقين .. فى هذا اليوم .. عدد كبير .. حتى نادى عتبة ابن ربيعة إلى الصلح .. وهو شاب لم يكتمل الثلاثين بعد فاصطلحوا على أن يقدوا القتلى .. ودفعت قريش لهوازن دية قتلاهم .. ووضعت الحرب أوزارها .. ولنصرف الفريقان كل إلى غايته .

وهذا هو يوم الفجار الأخير .. الذى اشترك فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال عنه : «قد حضرته مع عمومى .. ورميت فيه بأسهم .. وما أحب أنى لم أكن فعلت» .

وقد حضر - عليه الصلاة والسلام - «حلف الفضول» لما فيه من فضل كبير .. ومبادئ رفيعة .. ومثل عالية .. وكان أشرف حلف .. وأنبأ معاهدة .

أول من دعا إليه الزبير بن عبدالمطلب .. وهو عم شقيق لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتميم .. فى دار عبدالله بن جدعان .. فصنع لهم طعاما كثيرا .. فتعاقدوا وتعاهدوا بالله .. لنكونن مع المظلوم .. حتى يؤدى له حقه .. ما بل بحر صوفة .. وترابطوا على التآسى فى المعاش .

فسمت قريش هذا الحلف - حلف الفضول - .

وفيه يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

«ما أحب أن لى بحلف حضرته .. فى دار ابن جدعان .. حمر النعم .. وأنى أعذر به هاشم وزهرة وتيم .. تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم .. ما بل بحر صوفة .. ولو دعيت به لأجبت .. وهو حلف الفضول» .

وهكذا نرى محمدا من بواكير حياته - عليه الصلاة والسلام - يحرص أشد الحرص على المبادئ العليا .. والمثل الرفيعة .

فجميع الأحلاف والمعاهدات .. التى كانت فى الجاهلية .. على أساس من الفتن والغارات والقتال .. يرفضها محمد .. وينهى عنها .. أما تلك التى كانت فى الجاهلية على أساس نصرة المظلوم .. وصلة الأرحام .. والتكافل الاجتماعى .. فتلك التى فرح بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال عنها :

«ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم» من الخير الكثير .. والمال الوفير .. وكرائم الإبل .

كما قال - عليه الصلاة والسلام - عن أحلاف الجاهلية :

«وأما حلف كان فى الجاهلية .. لم يزد الإسلام إلا شدة» .

يريد التحالف على الخير .. والعدل .. ونصرة
الحق .. وتلك هى مبادئ الإسلام فى الحروب.
ولقد كان هذا التطلع .. من بعض العرب .. وعلى
رأسهم الزبير بن عبدالمطلب .. استشرافا لحياة أرقى ..
وإعدادا لظهور الإسلام ..

وتربية اجتماعية وسياسية ودينية .. لإنبات رجال
يحملون رسالة .. يجاهدون فى نشرها .. فى الجزيرة
العربية .. ويفدون بها بالأموال والدماء والأرواح.
وقد كان ذلك .. كما سنرى فى ركب الزمن ..
برفقة خاتم الرسل - محمد - عليه الصلاة والسلام ..

* * *

رحلة .. وزواج ..

لما رجع - عليه الصلاة والسلام - من الشام
بثمن تجارة السيدة خديجة - رضى الله عنها -
وكانت تدعى فى الجاهلية - بالطاهرة -
أرسلت إليه مولاتها - نفيسة - ترغبه فى
الزواج .. قد بلغ الخامسة والعشرين ..
فقال لها : « ما بيدى مال أتزوج به » ..
فقال له نفيسة : فإن كفيتك ذلك ..
ودعوتك إلى المال والجمال والشرف .. أما
تجيب ؟ .. قال : « فمن هى ؟ » قالت :
خديجة .. قال : « فأنا أفعل ».

رحلة وزواج

كما أجمعوا على أنه لم يكشف عورته قط .. ولم يلعب الميسر .. ولم يذق الخمر .. وقد كان شربها أمرا عاديا .. منتشرا بين الشيوخ والشباب .. إلا أن تحريم الخمر لم يكن من خصائصه وحده في هذا الحين .. فقد حرمها على نفسه كثير في الجاهلية .. بسبب آفاتنا وسيئاتها .. ودفعها الإنسان إلى الشرور والآثام .. أسوة بجده عبدالمطلب .. وجد جده قصي .. أول من حرمها على نفسه .. ونهى أبنائه عن شربها لما حضرته الوفاة . ولكن الإسلام حرمها بعد ذلك تحريما عاما .. وسن عقوبة لشاربيها .

أجمع الكل على أنه - عليه الصلاة والسلام -
كان مثالا يحتذى في شبابه: خلقا .. وصدقا .. وأمانة .. ورجولة .. وكرما .. ونبلا .. وشجاعة .. وبعدا عن النقائص كلها .. ونفورا من معاييب الجاهلية ومثالبها .. ولهذا كان

لقد ظهرت في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل دلائل الرجولة والفضل والكمال .. وهو في سن يطيش فيه الشباب .. وتزل فيه أقدام ذوى الالباب .. وخاصة في الجاهلية وشركها وفجورها وانحلالها وخمرها وميسرها .. فلم يصبه من هذا كله شيء .

فقد أجمع المؤرخون - العرب منهم والإفرنج -
على أنه كان يأبى أن يحضر مع قومه العيد .. الذى كانت تقيمهم مكة لصنم يقال له - بوانة - حتى غضب عليه عمه أبو طالب وعماته .. وعلى أنه لم يذق لحما ذبح على الأصنام .. حتى أكرمه الله برسالته .. وعلى أنه اعتزل الأوثان .. ولم يدخل في يهودية ولا نصرانية .. ولم يشترك في لهو الجاهلية ومساخرها .

وقد سمع وهو غلام أصوات الدفوف .. ونقرات الراقصات .. وغناء الشاديات .. في دار من دور مكة في حفل زواج .. فنام مكانه .. ولم يوقظه إلا حر الشمس .

يحترمه الكبير .. ويبجله الصغير .. حتى أطلقوا عليه اسم - الصادق الأمين - لتلك الصفات التي لم تجتمع لسواه .

وقد وردت هذه العبارة - الصادق الأمين - فى كتاب «رؤيا يوحنا الإنجيلي» المعتمد من الكنيسة .. والموجود فى الكتاب المقدس .. وهى صريحة فى التنبؤ بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فى الإصحاح التاسع عشر من كتاب - يوحنا الإنجيلي بالنص (١) :

١١- ثم رأيت السماء مفتوحة .. وإذا فرس أبيض .. والجالس عليه يدعى «أمينا صادقا وبالعدل يحكم ويحارب».

١٢- وعيناه كلهيب نار .. وعلى رأسه تيجان كثيرة .. وله اسم مكتوب .. ليس أحد يعرفه إلا هو .. أهـ ..

ومن الغريب أن المسيحيين يدعون أن المسيح - عليه السلام - هو المقصود فى رؤيا لا تنطبق على عيسى - لأنه لم يحارب .. كما لا ينكرون أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان يدعى قبل بعثته - الصادق الأمين - وهذا معروف ومشهور .

ولعل عبارة «وعيناه كلهيب نار» كانت من العلامات التى يعرفه بها اليهود .. وعرفه بها بحيرا .. فمن أوصافه - صلى الله عليه وسلم - أنه أدعج العينين .. أى فى بياضهما حمرة.

وبلغ - عليه الصلاة والسلام - الخامسة والعشرين من عمره فى سنة ٥٩٥ م.

قال له عمه أبو طالب: يا محمد .. أنا رجل لا مال لى .. وقد اشتد الزمان علينا .. وهذه غير قومك (٢) .. وقد حضر خروجها إلى الشام .. وخديجة بنت خويلد .. تبعث رجالا من قومك فى غيرها وتجارتهما .. فلو جئتها وعرضت نفسك عليها لتعمل فى تجارتها لأسرعت إليك . وبلغ السيدة خديجة ما كان من قول عمه له .. فأرسلت إليه تدعوه إلى السفر بتجارتهما تلك إلى الشام .. وقالت له: أنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا سواك .. وكانت تعلم أمانته وصدقه وكماله.

وجاء فى كتاب «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣):

(١) رؤيا يوحنا - ص ١٩ - فقرنا ١٢، ١١ .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ٥٧ .

(٥) القلوص : شباب النوق .

أجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه من خديجة .. فى سفره بمالها إلى الشام .. وإن كان العقد بينه وبينها مضاربة .. فالمضارب أمين ووكيل وأجير وشريك : فهو أمين إذا قبض المال .. ووكيل إذا تصرف فيه .. وأجير فيما يباشره بنفسه من العمل .. وشريك فى الربح وأخرج الحاكم فى صحيحه .. من حديث الربيع ابن بدر .. عن أبي الزبير .. عن جابر .. قال:

«أجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفسه من خديجة بنت خويلد سفرتين إلى جرش (٤) .. كل سفرة بقلوص (٥)» .

وقد أخطأ بعض الرواة .. لما ظن أن رسول الله قد سافر إلى اليمن .. فقد قرأوا كلمة جرش - المفتوحة الجيم - وهى مكان بالشام .. قرأوها جرش - بضم الجيم .. وهى مكان باليمن.

لأنه لم يثبت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد سافر إلى اليمن أو الحبشة أو مصر أو فارس .

والمهم عندنا الآن - ونحن بصدد تلك الرحلة .. أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد خرج بتجارة خديجة بنت خويلد إلى الشام .. ومعه غلامها - ميسرة - وجعل عمومته يوصون به أهل العير .. حتى قدم بصرى من الشام .. على طريق دمشق .. ونزل فى ظل شجرة - هناك - ورآه - نسطور - الراهب - عن بعد .. فقال فى نفسه .. ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى .. ثم سأل ميسرة : أفى عينيه حمرة ؟ .. قال : نعم لا تفارقه .. قال نسطور : هو نبى .. وهو آخر الأنبياء .

كما لحظ - ميسرة - أن ملكين فى السماء .. يظلان رسول الله من الشمس .. أينما سار .. فأسر كل ذلك فى نفسه .. حتى باعوا تجارتهم .. وربحوا ضعف ما كانوا يربحون فى كل مرة .. فلما رجعوا من رحلتهم .. أخبر - ميسرة - سيده خديجة بما سمع من الراهب - نسطور - عن محمد .. وبما رأى من تظليل الملكين له .

(٢) العير : الإبل التى تحمل التجارة .

(٤) جرش بفتح الجيم : مكان بالشام .

وجاء فى كتاب - الأنوار المحمدية :

ولما رجعوا إلى مكة .. فى وقت الظهيرة ..
وخديجة فى - عليّة لها - فرأت رسول الله .. وهو على
بعيره .. وملكان يظلان عليه .

ومن الإنصاف .. أن نذكر ما قاله مستر - موير -
فى كتاب - حياة محمد - تعليقا على تلك الرحلة .. قال :
«إن محمدا لم يكن فى وقت من الأوقات ..
طامعا فى الغنى .. إنما كان سعيه لغيره .. ولو ترك الأمر
لنفسه .. لآثر أن يعيش فى هدوء وسلام .. قانعا بحالته ..
ولما فكر فى رحل - كهذه .. ولكن لما عرض عليه عمه
السفر .. شعرت نفسه الكريمة .. بضرورة تفريج كربة عمه
.. فأجاب طلبه مسرورا» .

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى
بن قصى .. من أنبل قريش نسبا .. وأعظمهم شرفا ..
سيدة شريفة .. جلدة حازمة .. غنية جميلة .. وكانت
تدعى فى الجاهلية .. بالطاهرة .. عرض عليها الكثير من
زعماء القوم الزواج فلم تقبل .

وكانت قد تزوجت عتيق بن عائد المخزومى ..
وولدت له هند بنت عتيق . وهلك .. ثم تزوجت بعده من
أبى هالة بن زارة التميمى .. وولدت له هنداً وهالة ..
يقول النبهانى : إنهما ذكران .. ولكن الصحيح أن هنداً بنت
.. وهالة ذكر .

ثم عزمت بعدها على عدم الزواج .. فرفضت كل
من تقدم لها من عليّة القوم .. وهى لا تدرى أن فى مقبل
حياتها أمرا خطيرا .. وزوجا كريما .

وقد ذكر بعض الرواة روايات غريبة .. عن
زواجها برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول
الواقدي : يقولون إن خديجة أرسلت إلى النبی - صلى الله
عليه وسلم - تدعوه إلى الزواج منها .. وكانت امرأة ذات
شرف .. وكان كل قريشى حريصا على زواجها .. قد
بدلوا الأموال لو فازوا بذلك .. ولكنها أبت .. فدعت
أباها .. فسقته خمرا حتى ثمل .. ونحرت بقرة .. وخلقته
بخلوق (١) .. وألبسته حلة حبرة .. ثم أرسلت إلى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فى عمومته .. فدخلوا عليه
فزوجوه .. فلما صبحا قال : ما هذا العقير .. وما هذا العبير
.. وما هذا الحبير ؟ .. قالت : زوجتني محمدا بن عبد الله -
قال : ما فعلت

.. أنى أفعل هذا .. وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل ؟ .
وقد ثبت خطأ هذه الرواية .. لأمر بسيط .. وهو
أن أباها خويلد بن أسد قد مات قبل يوم الفجار (٢) .

* * *

والصحيح فى زواجه - عليه الصلاة والسلام - أنه
لما رجع من الشام .. بثمن تجارة السيدة خديجة .. أرسلت
إليه من يرغبه فى الزواج .. والغالب على أنها أرسلت إليه
نفسية مولاتها .. فقال لها : ما بيدى ما أتزوج به ..
فقلت : فإن كفيئتك ذلك .. ودعوتك إلى المال والجمال
والشرف .. ألا تحيب ؟ .. قال : فمن هى ؟ .. قالت له :
خديجة .. قال : فأنا أفعل .

فذهبت فأخبرت خديجة . فأرسلت إليه .. أن ائت
الساعة كذا .. وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها
.. فحضر .. ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى
عمرو .. وحضر عليّة القوم .. وزعماء مضر .. كما
حضر أبو بكر - رضى الله عنه - ذلك العقد .. فقال أبو
طالب :

«الحمد لله الذى جعلنا من ذرية إبراهيم .. وزرع
إسماعيل .. وضئضىء (٣) معد .. وعنصر مضر ..
وجعلنا حضنة بيته .. وسواس حرمه .. وجعل لنا بيتا
محجوجا .. وحرما آمنا .. وجعلنا الحكام على الناس .

ثم إن ابن أخى هذا محمد بن عبدالله .. لا يوزن
برجل إلا رجح به شرفا ونبلا .. وفضلا وعقلا . فإن كان
فى المال قل .. فإن المال ظل زائل .. وأمر حائل .. ومحمد
من عرفتم قرابته .. وقد خطب خديجة بنت خويلد ..
وبذل لها ما آجله وعاجله كذا .. وهو والله بعد هذا له نبأ
عظيم .. وخطر جليل جسيم» .

فلما أتم أبو طالب الخطبة .. تكلم ورقة بن نوفل
ابن عم خديجة .. قال :

«الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت .. وفضلنا على
ما عدت .. فنحن سادة العرب وقادتها .. وأنتم أهل ذلك
كله .. لا تنكر العشيرة فضلكم .. ولا يرد أحد من الناس
فخركم وشرفكم .. زوجت خديجة بنت خويلد من
محمد بن عبدالله على كذا .. ثم سكت .

(٣) ضئضىء : معدن .

(١) الخلق : الطيب .

(٢) طبقات ابن سعد ج ١ . ط ليدن ص ٨٥ .. والسيرة الحلبية .

فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشاركك عملها ..
فقال عمها عمرو بن أسد: «اشهدوا على يا معشر قريش
أنى قد أنكحت محمداً بن عبد الله .. خديجة بنت خويلد»
ثم قال: «إن هذا البضع لا يقرع أنه (١)»
وقيل النى الزواج .. وشهد على ذلك ربيعة
قريش

تزوجها .. عليه الصلاة والسلام .. بعد موته من
رحله بحاربها إلى الشام بشهرين .. وكان صداقها اثنتي
عشرة أوقية ونصفاً من الذهب .. والأوقية كانت أربعين
درهماً .. كما قيل إن صداقها كان عشرين مائة من الإبل
والقمة واحدة في الخالين

وكانت سنة حين ذاك خمسين وعشرين من سنة
وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .. وقد أولم عليها
فحرم حرمين وأطعم الناس .. وهي أول ولادة أولها
رسول الله

وأتممت ليلة النحر .. فقص عليها جوارين خديجة
.. وصبرين الدفوف .. وصرح أبو طالب أعظم الصرح في
ملك الليلة .. وقال الحسد به الذي أذهب عما الخد
ودفع عما العبد

والسيدة خديجة .. هي أول امرأة يتزوجها .. وأول
امرأة ماتت من نسائه .. ولم ينكح غيرها في حياتها.
إن السيدة خديجة بحق .. تصديق عليها المتلى
القائل: «كل عظيم خلفه امرأة» فهي التي أروته على السوء
وجاهدت معه .. وواسته بنسبها وماله .. وهي أول من
أمن به في العالمين .. وكناها ذلك فحراً .. وأرسل الله إليها
السلام مع جبريل عليه السلام .. وتلك حادثة لم
نعرف لأحد سواها

وقال رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. في حقها:
«أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد»

وفاطمة بنت محمد .. ومريم بنت عمران .. واسية بنت
مراحم .. امرأة فرعون ..
وبناء سمى .. عليه الصلاة والسلام .. العام الذي
مات فيه .. عام الحزن ..

وكان دائم الثناء عليها .. أمام عائشة .. صلى الله
عليها .. حتى أدرشها العمة .. فقالت له: هل كانت إلا
محمداً .. فقد أدركك الله خيراً منها .. فعصت رسول الله
حتى أهدم بدم شعرة من العصب

ثم قال: «لا والله .. ما أبدلتني الله خيراً منها ..
أمنت بي إذ كفر الناس .. وصدقتني وكذبني الناس ..
ورأسني من مالها إذ حرمني الناس .. ورزقني الله منها
أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»

قالت عائشة: «لقلت في نفسي لا أذكرها بسينة
أبداً»

إن رسول الله .. صلى الله عليه وسلم .. بعد زواجه
خديجة .. لم يسافر في رحلة للتجارة أبداً .. وأقام بمكة
إلى أن هاجر إلى المدينة بعد موته .. رضي الله عنها ..

وقد ولد له جميع أولاده إلا إبراهيم .. فإنه من
مارية القبطية

لأول أولاده القاسم .. وكان يحيى به .. ثم الطيب
وهو الظاهر .. ثم ربيعة .. ثم ربيعة .. ثم أم كلثوم .. ثم
فاطمة الزهراء .. زوجة علي بن أبي طالب .. وأم سيدي
شباب أهل الجنة .. الحسن والحسين .. رضي الله عنهم
أجمعين ..



(١) أى لا يصح أن يكون كرمها

صاحب الخلق العظيم

الفضل ما شهدت به الأعداء :
قال المسيو - سيديو - فى كتابه - تاريخ
الغرب - بالنص :
«ولما بلغ محمد من العمر خمسا وعشرين
سنة .. استحق بحسن سيرته .. واستقامة
سلوكه مع الناس .. أن يلقب بالأمين» .
كما قال مستر - وليم موير - فى كتابه -
حياة محمد - بالنص :
«إنه لقب بالأمين .. بإجماع أهل بلده ..
لشرف أخلاقه» .
حقا (وإنك لعلى خلق عظيم).

صاحب الخلق العظيم

بخطئها .. فقالت : وإن كان العرب لا يجعلون
علاقة بين الابن وأمه فى التسمية .

يريدون بهذا - تعصبا وحفدا - أن تسميته الأمين ..
لم تكن لأمانته .. بل لأن اسم أمه - آمنة - وما هذا الادعاء
منهم .. فى حق محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا كقطرة
من بولة عصفور سقطت فى البحر المحيط .. لا تبلغ من
طهارته شيئا .

فقد تواترت الأنباء والأخبار .. عن ثمسه
بالفضائل .. واجتنابه للردائل .. من بواكير طفولته .. حتى
الصغائر التى لا يدركها الأطفال ولا يحسونها .. فقد ورد
أنه فى صغره كان يلعب ذات مرة مع غلمان قريش ..
وكانوا يحملون الحجارة فى آزرهم (٣) .. فتبدو عوراتهم
.. فخالفهم .. وصار يحملها على كاهله .. حتى لا ترى
عورته .

لقد عصمه الله تعالى - من كل قبيح .. وحببه فى
كل جميل .. لأن الله هو الذى رباه واصطفاه واجتباه ..
فصرف عنه السوء والضرر .. وصانه من أدران الجاهلية
وأفذارها .. ومن شرها وشرورها .. فنشأ نقيا تقيا .. برا
وفيا .. أمينا زكيا .. طاهرا مطهرا .

(٢) حياة محمد - ص ٢٠ ط ١٩١٢ .

أما عن خلقه - عليه الصلاة والسلام - فهو جبل
أشم .. لا يستطيع بلوغه أفصح البلغاء .. وهو بحر خضم
لا يسبر أغواره فطاحل الأدباء :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
ويكفينى أن أورد عنه فى هذا المقام بعض ما قاله
مؤرخو الغرب فيه .. فالفضل ما شهدت به الأعداء .

قال المسير - سيدىو - فى كتابه - تاريخ العرب -
بالنص (١) :

«ولما بلغ محمد من العمر خمسا وعشرين سنة ..
استحق بحسن سيرته .. واستقامة سلوكه مع الناس .. أن
يلقب بالأمين» .

كما قال مستر - ولیم مویر - فى كتابه - حياة
محمد - بالنص (٢) :

«إنه لقب بالأمين بإجماع أهل بلده .. لشرف
أخلاقه» .

هذا برغم أنف دائرة المعارف البريطانية .. التى زعمت
- إفكا وإفتراء - دون سند أو دليل - أن تسميته بالأمين .
مأخوذة من اسم أمه - آمنة - ثم اعترفت دائرة المعارف

(١) تاريخ العرب ج ١ ص ٥٨ ط ثانية .

(٣) أحجار ملابسهم .

يقول على - رضى الله عنه - : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية .. حتى أكرمنى الله بالنبوة .. إلا مرتين من الدهر .. كلتاهما عصمنى الله - عز وجل - من فعلهما :

قلت لفتى معى من قریش بأعلى مكة .. فى غم لأهله يرعاه : أبصر لى غمى . حتى أسمر هذه الليلة بمكة .. كما يسمر الفتیان .. قال : نعم .. فلما جئت أدنى دار من مكة .. سمعت غناء .. وصوت دفوف ومزامير .. فقلت : ما هذا ؟ .. قالوا : فلان تزوج فلانة .. فلهوت بذلك الصوت .. حتى غلبنى النوم .. فتمت .. فما أيقظنى إلا مس الشمس .. فرجعت إلى صاحبنى .. فقال : ما فعلت ؟ .. فأخبرته .. ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك .. صرفه الله - تعالى - عن كل شر .. وصرف عنه كل شر .. فى وقت بلغ فيه الشر ذروته .. وعلا القبح والشرك إلى قمته .

تقول أم أيمن - رضى الله عنها :

كانوا فى الجاهلية .. يجعلون لهم عيداً عند - بوانة - وهو صنم من أصنام مكة .. تعبد به قریش وتعظمه .. وتنسك له - أى تذبج عنده - وتحلف به .. وتعكف عليه يوماً إلى الليل .. فى كل سنة .. فكان أبو طالب يحضره مع قومه .. ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه .. فيأبى ذلك .

قالت : حتى رأيت أبا طالب غضب عليه .. ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب .. وجعلن يقلن : إنا نخاف عليك مما تصنع .. فى اجتناب آلهتنا .. وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً .. ولا تكثر لهم جمعا .. فلم يزالوا به حتى ذهب معهم .. ثم رجع فزعاً مرعوباً .. فقلن : ماذا ؟ .

فقال : أخشى أن يكون بى لم - مس الشيطان - فقلن : ما كان الله ليستليك بالشيطان .. وفيك من خصال الخير ما فيك .. فما الذى رأيت : فقال : إنى كلما دنوت من صنم .. تمثل لى رجل أبيض طويل .. يصيح بى

«وراءك يا محمد لا تمسه» .

قالت : فما عاد إلى أصنامهم .. حتى تنبأ .

وقد سئل - عليه الصلاة والسلام - هل عبت

وثناً ؟ .. أو شربت خمرأ ؟ .. قال :

«مازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر .. وما كنت

أدرى ما الكتاب ولا الإيمان» .

كما قال أيضا :

«لما نشأت بغضت لى الأصنام والشعر» .

فهو من ناحية الخلق .. وصفه الله تعالى بقوله :

(وإنك لعلى خلق عظيم) (١) .

وإذا وصف الله - تعالى - شيئاً بالعظمة .. وقف

أمامه القلم .. وسكت اللسان .. وسجد العقل .. فكيف

يحيط العقل بشيء وصفه الله - تعالى - بالعظمة .. والله

وحده هو الذى بكل شيء محيط ؟ .

أسمى ما يصل إليه البيان فى وصفه :

أنه ماسة فريدة .. متعددة الزوايا والأضلاع ..

يعطى كل ضلع منها شعاعاً من أشعة الطيف .. فإذا

نظرت إليها جميعاً .. بهرتك ألوان الطيف بسناها الأخاذ

.. فلا تدري من أيها تأخذ .

وأما عن عقله الراجح .. وذكائه اللامع .. وفطنته

النفاذة .. وحكمته البالغة .. فحدث عنها بما شئت .. من

حكيم تصرفه فى الأمور .. وجميل تدبيره فى الملمات ..

وعميق نظره فى حل المشكلات .. وإليك واحدة من هذه

المشاكل .. التى كادت الحرب تنشب ضروساً بين القبائل

بسببها .. لنرى كيف استعمل فيها بصيرته .. وأعمل

خياله حسن تدبيره .. وابتكر لحلها فكرة لم تخطر ببال ..

ولم يسبق خياله إليها خيال .

حول بناء الكعبة

اعتلى أبو أمية - حذيفة بن المغيرة - كومة
من الأنقاض - وكان أكبر قریش سناً ..
وقد اشتد النزاع بين القبائل .. والتفوا
بالسيوف .. أيهم يضع الحجر الأسود في
مكانه وقال:

«يا معشر قریش .. كلکم فی السؤدد سواء
.. والغالب اليوم منکم مغلوب .. توبوا
إلى أنفسکم ودعوا الفصل فیما اختلفتم فیہ
لأول قرشی یدخل علینا الآن من باب
الصفاء .. فإما رفعه هو بیدیه .. أو قضی لنا
بمن یرفعه ولا تعقيب لحکمہ» .
وقبل الجميع هذا الرأي .. حققنا للدعاء .

حول بناء الكعبة

وإنما الحقيقة أن إبراهيم - عليه السلام - قالها ..
بعد أن ترك زوجته هاجر وولدها في هذا المكان القفر ..
كما هو واضح .. في حديث ابن عباس .. الذي أخرجه
البخارى (٤) .

وكان لديه علم من الله .. بأن هنا مكان بيت الله
الحرام .. من عهد أبيه آدم .. ولكنه مطمور .. تحت الرمال
.. بتراكم السنين .. وتتابع الأجيال .. وقد ذكرنا في كتابنا
من - أنباء الرسل - في نبأ نوح - أن سفينة طافت بركابها
حول البيت سبع مرات بفعل «الدوامة» التي كانت فوقه ..
حيث لم يغرقه الطوفان .. وكان ذلك قبل إبراهيم - عليه
السلام - .

وفي أيام إبراهيم - عليه السلام - أمر الله سبحانه -
الرياح السافيات .. فانتزعت الرمال التي قرت على مكان
البيت الأول .. الذي عبده فيه لأول مرة .. واحدا أحدا
.. فردا صمدا لا شريك له .. وانكشفت قواعده لإبراهيم
.. ليقيمها ويرفعها هو وابنه إسماعيل .. يقول

يقول الله - تعالى - : (إن أول بيت وضع للناس
للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) (١) .

ومعنى هذا أنه موجود من أيام آدم - عليه السلام -
ويتبادر إلى كثير من الأذهان - خطأ - أن إبراهيم - عليه
السلام - هو أول من بنى البيت .. وأنساهم الشيطان تلك
الآية .. التي افتتحنا بها هذا الموضوع .

ولعل هذا اللبس .. هو الذي جعل الأستاذ
عبد الوهاب النجار .. يقول في كتابه :

«قصص الأنبياء» تعليقا على قوله على لسان
إبراهيم .. عندما ترك ابنه الوحيد مع أمه هاجر .. في مكان
البيت : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند
بيتك المحرم) (٢) .

فيقول بالنص : «ويظهر لى أن إبراهيم دعا بهذا
الدعاء بعد بناء البيت (٣)» .

(٢) ٣٧ - إبراهيم

(١) ٩٦ آل عمران .

(٣) قصص الأنبياء للنجار ص ١٠٣ ط ٣ .

(٤) ذكرنا الحديث كاملا في كتابنا - من أنباء الرسل - من نبأ إسماعيل .

الحق - تبارك وتعالى :-

«وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود» (١).
وفي موقع آخر .. يقول - سبحانه وتعالى - «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل» (٢).
ومعنى هذا .. أن إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - كانت مهنتهما رفع قواعد البيت .. وليس تأسيسها .. كما فهم البعض.

وقد جاء فى كتاب - زاد المعاد - لابن قيم الجوزية
.. حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى جاء فى الصحيحين .. عن أبى ذر .. قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أول مسجود وضع فى الأرض .. قال: «المسجد الحرام» قلت : ثم أى ؟ .. قال: «المسجد الأقصى» .. قلت : كم بينهما ؟ .. قال: «أربعون عاما».

ثم علق على هذا الحديث بقوله : وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به .. فقال: معلوم أن سليمان بن داود .. هو الذى بنى المسجد الأقصى .. وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام .. وهذا من جهل القائل - وما زال الكلام هنا لابن الجوزية - فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه .. والذى أسسسه هو يعقوب بن إسحاق .. بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار.

وإلى هنا انتهى تعليق ابن قيم الجوزية (٣) .

ونحن نقول .. تعليقا على هذا التعليق .. إن إبراهيم - عليه السلام - لم يؤسس المسجد الحرام .. كما ذكرنا - وإنما رفع قواعده فقط ولم يؤسسه .. لقوله تبارك وتعالى :

«إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مبارك» .. ومادام هو أول بيت .. لزم أن يكون موجودا .. من أيام آدم .. وكان يعبد الله فيه .. وكما قال أيضا :

«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل»
فكونهما يرفعان قواعده .. لا تدل على أنهما أسسا تلك القواعد .

وأمام هذا الواقع .. كيف نفهم حديث أبى ذر - رضى الله عنه - الذى قال فيه : إن رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - عندما سأله : كم بين بناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى قال أربعون عاما ؟ ..
وسواء كان مؤسس المسجد الأقصى سليمان أو يعقوب .. فبين يعقوب بن إسحاق وبين آدم آلاف السنين ؟

والحقيقة .. التى أجمع عليها أئمتنا المفسرون .. أن
سليمان هو الذى بنى المسجد الأقصى .. وبعضهم يقول أسسه داود .. وبناه سليمان .. والإجماع حجة .
ولو فرضنا صحة رأى ابن قيم الجوزية .. فى أن الذى بناه يعقوب .. وقد تحقق لنا أن المسجد الحرام موجود من أيام آدم .. لأن الله - تعالى - هو الذى يقول ذلك .. وقول الله لا يقبل الاحتمال أو الشك .. فكيف نفهم أن المدة بين المسجدين أربعون عاما ؟

كل هذه الخطاطر .. جالت بنفسى .. وجعلتنى أشك فى صحة نص الحديث .. فرجعت إليه فى صحيح البخارى .. فوجدت نصه عند ابن الجوزية يزيد كلمة عن النص الأصلى فى صحيح البخارى .. وتلك الكلمة التى زيدت .. هى التى أوجدت هذا اللبس .

حيث كان رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبى ذر .. عندما سأله : كم بينهما ؟

قال : «أربعون» (٤) .. ولم يقل أربعون يوما .. ولا أسبوعا .. ولا شهرا .. ولا عاما .. ولا قرنا .

ونحن نرجح أن المقصود هنا - أربعون قرنا - وهى
المدة الفعلية .. بين آدم وسليمان - وصدق رسول الله .

وأريد أن أقدم للقارئ صورة موجزة عن الكعبة
.. التى رفع إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - قواعدها .

فعلى ما رواه الأزرقى .. فى تاريخه .. عن ابن إسحاق .. أن الخليل جعل ارتفاعها تسعة أذرع .. وطولها من الشرق اثنتان وثلاثون ذراعا .. ومن الغرب إحدى وثلاثون ذراعا .. أما عرضها فى الشمال فكان اثنتان وعشرون ذراعا .. ومن الجنوب عشرون ذراعا .

(٢) ١٢٧ - البقرة .

(٤) صحيح البخارى ج ٤ ص ١٩٧ ط الشعب .

(١) ٢٦ - الحج .

(٣) زاد المعاد ج ١ ص ٢١ ط الحلبي سنة ١٩٧١ .

وجعل الباب لاصقا بالأرض .. غير مرتفع عنها ..
ولا محبوب .. حتى جعل لها تبع الحميرى بابا .
ومقام إبراهيم - عليه السلام - بإزاء وسط البيت
الذى فيه الباب .

وبعد أن رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت ..
استقبل إبراهيم اليمن والمشرق والمغرب والشام .. فدعا
إلى الحج .. فقيل : ليكن اللهم ليكن .. وذلك قوله تعالى :

«وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل
ضامر يأتين من كل فج عميق» (١) .
وروى أنه لما قال الله - تعالى - له «وأذن فى الناس
بالحج» قال : يارب . وما مدى صوتى ؟ .
فقال الله - تعالى - له : «يا إبراهيم عليك الأذان
وعلىنا البلاغ» .

وكل أمة فى الأرض تحترم هذا البيت وتقده ..
حتى اليهود والنصارى والصابئة والمجوس .

وبقيت الكعبة .. إلى أن بلغ - صلى الله عليه
وسلم - خمسا وثلاثين عاما .. قبل بعثته بخمس سنين ..
فهدمها أهل مكة .. يريدون تجديد بنائها .

يقول رجال التاريخ .. وأصحاب السيرة :

إن الكعبة كانت رضما (٢) فوق القامة ..
تصدعت بعض جدرانها .. بسبب سيل دخلها فخاف
العرب أن تهدم .. وعزموا على بناء هذا البيت المقدس ..
بيت أبيهم إبراهيم وأمههم هاجر أم إسماعيل .. الذى
يطوفون به .. ويؤمه جميع القبائل العربية .. من جميع
أرجاء الجزيرة .. المترامية الأطراف .. والذى جعلت لهم
سدانته وسقاية حجيجهم ورفادة أهله شأنا عظيما بين العالم
.. ولهذا أجمعوا على بنائه على أحدث أساليب البناء وأن
يسقفوا الكعبة .. حتى لا تظل كما كانت عارية معرضة
للأعاصير .

ولم يكن فى مكة بناء يحسن البناء بالحجر .. ولم
يكن فيها من الأخشاب ما يصلح لما يبتغون .. وقد فكروا
فى إرسال وفد منهم إلى مصر .. لشراء الأخشاب ..
وليحضروا معهم من يحسن البناء .

وشاء الله - تعالى - أن يوفر عليهم هذا الجهد ..
فدفعت الرياح سفينة محملة بالخشب ومعدات البناء ..
كانت فى طريقها إلى الحبشة .. لبناء كنيسة هناك .. فدفعها
الرياح إلى ميناء جدة .. فاصطدمت بالصخور صدمة
شديدة أثقلت السفينة .. ولم تعد صالحة للسير بحملها ..
وتكاثف أهل جدة على نقل حمولتها إلى الشاطئ .. فى
قوارب صغيرة .. حتى يصلحوا ما أصاب السفينة من
التلف .

وتسامع أهل مكة بخبرها .. فجاء وفد منهم لشراء
ما يلزم الكعبة من هذا الخشب .. سواء رضى صاحبها أو
لم يرض .. وقد أجاب صاحب السفينة طلبهم .. فور
علمه بأنه للكعبة .. - بيت الله -

وكان من بين ركاب السفينة رجل رومى يدعى
- باخوم - وكان رجلا وديعا .. طيب الخلق .. يدين
بالمسيحية .. بدأ حياته بناء فى القسطنطينية .. ثم هاجر إلى
مصر واشتغل بها ببناء وتجارا فى عمائرها الضخمة ..
ويبدو أنه كان فى السفينة .. فى طريقه إلى الحبشة .. لبناء
الكنيسة بها .. وهو لا يدري أنه قادم لأمر آخر .. وهو بناء
بيت الله بمكة .. وقد شرح الله صدره لهذا الأمر .

وعندما بدأ البناء .. أهدوا ونحروا .. ودعوا
وصلوا .. ورتبوا للخدمة فيها .. أبناء قريش الأكرمين ..
فهم أحق بهذا الشرف من سائر قبائل العرب .

فكنت ترى بينهم : أبا طالب .. والعباس ..
وحمزة .. ومحمدا .. من بنى هاشم .. وهم أصحاب
السقاية .

وترى أبا سفيان بن حرب .. وأولاده .. من بنى
أمية .. وهم أصحاب الراية .

وترى الحارث بن عامر .. وأهل بيته .. من بنى
نوفل .. وهم أصحاب الرفادة (٢) .

وترى عثمان بن طلحة - وعشيرته .. من بنى
عبدالدار .. وهم أصحاب السدانة والحجابة ودار
الندوة (٤) .

وترى يزيد بن زمعة بن الأسود .. من بنى أسد ..
أصحاب الشورى .

(٢) الرضم : حجارة فوق بعضها - من غير ملاط - مزنة .

(٤) خدمة الكعبة .

(١) ٢٧ - الحج .

(٣) الرفادة بكسر الراء - خرقة يرقد بها الجرح

وترى أبا بكر.. وعبد الله بن جدعان.. من بنى
تيمم.. أصحاب الديات والمغارم.

وترى الوليد بن ربيعة.. وإنه خالد.. وعمرو بن
هشام - أبا جهل - من بنى مخزوم.. أصحاب القبة
والأعنة.

وترى الخطاب.. وابنه عمر.. وسعيد بن زيد بن
نفيل.. من بنى عدى.. أصحاب السفافة (١).

كما ترى صفوان وإخوته.. من جمع.. أصحاب
الأزلام والأقداح.

وترى الحارث بن قيس.. وعشيرته.. من بنى سهم
.. ولالة الأموال المحجرة لآلهة قريش (٢).

وبلغ البناء قدر قامة الرجل.. وأرادوا وضع الحجر
الأسود فى مكانه بالركن الشرقى.. واختلفوا فيمن يكون
له شرف رفعه ووضع يده فى البناء؟.

. فادعى كل فريق منهم أنه أحق بهذا الشرف من
سواه.. واحتدم الجدل.. واشتد الخلاف.. وتنافرت
القلوب.. ووجد الشيطان ثغرة ينفذ منها بينهم.. ليشعل
فيهم نيران الفتنة.

وظل هذا الخلاف خمس ليال.. بيتت فيها كل
قبيلة أمرا لنيل ذلك الفضل.. وقرب بنو عبد الدار جفنة
مملوءة دما.. ثم تعاهدوا وتعاهدوا مع بنى عدى.. وأدخلوا
أيديهم فى هذا الدم.. ثم التقى الجميع فى رحاب المسجد
الحرام.. للفصل فى هذا الأمر بالسيف.

ولكن الله بالغ أمره.. ففوجئ الجميع بأبى أمية
- حذيفة بن الغيرة - وكان أكبر قريش سنا.. يعتلى كومة
من الأنقاض.. وينادى فى القوم:

«يا معشر قريش.. كلكم فى السؤدد (٣) سواء..
والغالب منكم فى هذا اللجاج مغلوب.. ثوبوا إلى
أنفسكم.. ودعوا الفصل فيما اختلفتم فيه لأول قرشى
يدخل علينا من باب الصفا.. فإما رفعه هو بيديه.. أو
قضى لنا بمن يرفعه.. ولا تعقيب لحكمه».

وقبل الجميع هذا رأى.. حقنا للدماء.. وعقبوا
على قوله بالرضى.. واتجهت الأنظار كلها نحو باب
الصفا.. ليروا أول قادم منه.

وأشرق نور من ناحية باب الصفا.. يسبق
صاحبه.. كما يسبق القمر نوره قبل بزوغه.. ووجدوا
الداخل منه - محمد بن عبد الله - فما وقعت أنظارهم
عليه.. حتى بدت ملامح البشر على وجوههم.. وعلت
الابتسامات فوق شفاههم.. ونطقت أفواههم فى صوت
واحد: الأمين.. الأمين.. إذ هكذا كان يدعى فى ريش..
ثم أخبروه بما اتفقوا عليه.

وهنا يبرز نظره الثاقب.. وحكمته البالغة.. فطلب
منهم ثوبا.. فرشه فى وسطهم.. وأخذ الحجر.. فوضعه
فى وسط الثوب.. ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب.. ثم ارفعوه جميعا».

ففعلوا.. ولما بلغوا به موضعه.. وضعه بيده فى
مكانه.. وبنى عليه.. بين تهليل الناس وفرحهم.. مع
الثناء على حسن تصرف محمد وحكمته.

وكانهم بأصوات تتجاوب من حول المطاف.. من
جبهاته الأربع.. بعضها تلو بعض.. الله أكبر.. الله أكبر..
يا معشر قريش.. ويا أبناء إبراهيم.. ليكن هذا اليوم
فاصلا بين أمسكم وغدكم.. طهروا هذا البيت.. مما طهره
منه إبراهيم.. واعبدوا الله وحده.. لا تشرکوا به أحدا..
وكسروا هذه الأصنام الصماء.. التى تعدون هذا البيت
ليحملها.. فقد كسرهما قبلكم أبوكم إبراهيم.

فمن هم أصحاب تلك الأصوات.. التى تجاوبت
حول الأركان الأربعة؟.

أجمعت كتب السيرة.. على أنهم الأربعة
الباحثون عن دين إبراهيم.. قبل مبعث الرسول - عليه
الصلاة والسلام - وهم:

١- زيد بن عمرو بن نفيل: وهو عم عمر بن
الخطاب.. الذى ورد عنه فى الأثر: أنه يبعث يوم القيامة
أمة وحده.. فقد وقف ولم يدخل يهودية ولا نصرانية..
وفارق دين قومه.. فاعتزل الأوثان.

٢- ورقة بن نوفل: وهو ابن عم السيدة خديجة..
صار حكيما فى النصرانية.. واتبع الكتب فى أهلها.. حتى
علم علما من أهل الكتاب.

(١) السفود - بوزن التنوير - الحديد التى يشوى بها اللحم.

(٢) الوقف.

(٣) الشرف.

٣- عبيد الله بن جحش: وكان أحد أقرباء السيدة خديجة .. فأقام على ما هو عليه من الالتباس .. حتى أسلم .. ثم هاجر إلى الحبشة مع المسلمين .. ومعه امرأته - أم حبيبة - بنت أبي سفيان مسلمة .. ثم تنصر وفارق الإسلام .. حتى هلك بالحبشة نصرانيا .. وتزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعده امرأته - أم حبيبة - رضى الله عنها.

٤- عثمان بن الحويرث: قدم على قيصر الروم .. لتنصر .. وحسنت منزلته عنده.

وكان لهم دعوة .. هي دعوة الخنفاء .. خاطبوا بها قريشا في هذا الموقف:

«يا معشر قريش .. لقد أظلكم زمان يظهر فيه نبى من أنفسكم .. ورد ذكره فى التوراة والإنجيل .. له علامات ومخاتل .. ولقد قضينا ما قضينا .. نتفحص الناس .. ونستهدى الأخبار والرهبان .. حتى عينوه باسمه وأرومته .. فعرفناه .. واطمأنت نفوسنا إليه .. وقد جئنا نشهدكم علينا قبل مبعثه .. إننا به مؤمنون .. وبدعوته مقرون .. فلا ندرى .. أنحيا حتى نلقاه .. ونشد أزره .. أم يقبضنا الله إليه فى الصديقين؟»

يا معشر قريش .. ستكون لكم به الدنيا فارقبوه .. وستكون لكم الآخرة فاتبعوه».

وتلفت الناس .. يتعرفون القائلين .. فإذا هم شيوخ .. أولو وقار وكرامة فى قريش .. وهم معروفون بينهم أنهم يدينون بدين أبيهم إبراهيم .. خالصا من عبادة الأوثان .. ويحرمون على أنفسهم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام .. ويفتدون الموءودة .. ويدعون إلى عبادة الواحد الأحد القهار.

ولكن القوم كانوا لاهين بما هم فيه .. مصرين على وضع آلهتهم فى مكانها من الكعبة .. متمسكين بعبادة أصنامهم .. كما كان يعبدونها آباؤهم .. فصموا عن هذا الدعاء .. وسخروا من أصحاب النداء .. وانبرى بعضهم بزعامة الخطاب - أبى عمر الفاروق - يسبون الشيوخ الأجلاء .. ويرمونهم بالحجارة .. ومازالوا يطاردونهم .. ويرجمونهم .. جزاء سبهم آلهتهم .. حتى أخرجوهم إلى ما وراء مكة .. فى طريق غار حراء.

وأصاب الإعياء كبيرهم - زيد بن عمرو بن نفيل .. وبرحت به جراح الرجم .. وآلم الأذى .. حتى انتقل إلى جوار الله .. عقب هذا الحادث مباشرة. وقد تحدثت كتب الأوروبيين .. عن هؤلاء الأربعة.

ولنا عودة إليهم .. فى الفصل القادم - إن شاء الله - لنزداد تعرفا على زيد بن نفيل .. الرجل الأمة.

وأتى باخوم بناء الكعبة .. على أحدث نظم البناء .. وكان باخوم فى نفس الوقت نجارا بارعا .. بما علم من فنون العمائر فى القسطنطينية ومصر .. فعهد إليه الوليد بن المغيرة .. فى تسقيف الكعبة .. وصنع بابها .. فأقام السقف على أحسن وضع .. وطلاه بالشمع المذاب .. وصنع بابها على نحو ما كان يصنع فى مصر .. وفى بلاد الروم .. وفرحت قريش بصنعه .. وأجزلت له العطاء.

وظلت الكعبة بغير كسوة.

وقيل إن أول من كسى الكعبة بالحرير - نائلة أم العباس - ضاع منها العباس وهو صغير .. فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة بالحرير .. فوجدته ووفت بنذرهما.

الرجل الأمة

روى زيد بن حارثة قال:
قال زيد بن عمرو بن نفيل.. لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته:
خرجت من مكة .. أبحث عن دين الحنيفية
- دين التوحيد - فقدمت على شيخ في
الحيرة .. فلما رآنى قال: ممن أنت؟ .. قلت:
أنا من أهل بيت الله الحرام .. من أهل
الشوك والقرظ .. قال: إن الذى تطلب قد
ظهر ببلاك .. قد بعث نبي طلع لجمه.
ثم قال زيد بن حارثة: ومات زيد بن
عمرو.. ثم بعث النبي - صلى الله عليه
وسلم - .
فقال النبي في زيد بن عمرو:
«إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده».

الرجل الأمة

ثم انتقل - كانون سل - إلى عثمان بن الحويرث ..
فقال:

«لم ينجح عثمان بن الحويرث .. فى تأسيس سلطة
مركزية .. لاعتماده على دولة أجنبية هى الإمبراطورية
الرومانية».

ثم تمادى - كانون سل - فى خبثه .. ليغلب الهدف
السياسى لدى محمد .. فقال:

«ومع ذلك كانت الحاجة تدعوه إلى وجود سلطة
مركزية .. والاعتراف بالكعبة .. وجعلها قوة دينية للعرب
جميعا .. فكيف الوصول إلى ذلك ؟ .. وكيف يمكن
إبطال عبادة الأصنام؟».

وأخيرا قال : «وهنا سنحت الفرصة لظهور نبي ..
وقد كان الاستعداد لظهوره قريبا .. ولما لبث أن ظهر نبي
قوى الشخصية .. ذو فطنة سياسية فائقة .. برسالة
محدودة للأمة العربية » - أه -

ولا شك أن القارىء الكريم .. قد لمس فى كلام
مستتر - كانون سل - كثيرا من المغالطات .. التى لا تحتاج
إلى كثير من العناية فى دحضها وتكذيبها .

فهو يزعم أن زيدا وأصحابه .. الباحثين
عن دين إبراهيم هم الذين أثروا على محمد

قبل أن نتحدث عن - زيد بن عمرو بن نفيل - أريد
أن أناقش بعض ما قاله بعض الأوروبيين المستشرقين ..
عن الأربعة الباحثين عن دين إبراهيم.

فقد قال مستر - كانون سل - فى كتابه - حياة
محمد - كثيرا من العبارات .. فيها تكلف ظاهر .. وافتراء
لا يخفى على أحد .. فمثلا قال:

«قال زيد وأصحابه .. إنهم رغبوا فى اتباع دين
إبراهيم » ويقول: «إنه يظن أن محمدا أخذ منهم هذه
الفكرة» ثم يقول «بقى زيد حنيفا .. وعاب على أهل مكة
عبادة الأصنام .. فأنار ذلك غضبهم .. وأرغموه على ترك
مكة .. والإقامة فى جبل حراء .. وبعد أن أمضى هناك زمنا
يفكر .. توفى ودفن بأسفل الجبل .. وقد كان له تأثير
عظيم فى محمد .. الذى كان يبجل شأنه .. ويقدره قدره
.. ولا ريب أن هؤلاء الرجال وأمثالهم ذوى الخبرة
.. والعقول الراجحة .. كانوا كثيرا ما يتشاورون ويتحدثون
فيما وصلت إليه حالة العرب الاجتماعية من الانحطاط ..
ويأسفون لانتشار الوثنية وضعف مركزهم السياسى».

- صلى الله عليه وسلم - فحذا حذوهم .. ونهج نهجهم .. وهذا ادعاء باطل لا يقوم على أساس .. فلم يثبت مطلقا .. أن محمدا كان يتصل بزيد وصحبه .. مع أن حياته فصلت تفصيلا دقيقا .. حتى في أقل الأمور وأبسطها .. ولم يثبت أن رسول الله التقى بزيد إلا مرة واحدة .. سيأتي ذكرها .. عندما نعود للقاء زيد في نهاية هذا الموضوع .

لم نسمع أنه كانت له اجتماعات أو مناقشات .. لا في الأمور الدينية ولا السياسية .. بل كان دائما يحب العزلة والبعد عن الناس - «وسل» نفسه لم ينكر أن زيدا كان مضطهدا مبعدا عن مكة .. ولو كان لمحمد اتصالات به لحدثنا عنها الكتب .. فهي لم تترك من حياته صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها وأشبعتها بحثا وتفصيلا .

ان ما جاء به محمد - عليه الصلاة والسلام - ليس فكرة .. تأثر بها من زيد .. أو من بحيرا .. أو غيرهما .. فقد كان محمد أميا .. لا يعلم شيئا من القراءة والكتابة .. وجاء للبشرية بكتاب معجز .. فيه تفصيل كل شيء .. ولن يقبل أضعف العقول أن يكون هذا الكتاب نتيجة جلسات مع زيد .. أو مناقشات مع عمرو .. إنه كتاب جامع للخوارق .. فصاحة وبلاغة .. وحكما بالغة .. وأمثالا محكمة .. وتاريخا صادقا دقيقا .

حول الأنبياء والامم .. وأنبياء عن المستقبل .. وبيانا لجميع الروابط .. التي تربط الإنسان بربه وبنفسه وبالمجتمع الذي فيه .. هل يظن عقل مهما كان مريضا .. أنه نتيجة جلسات مناقشات؟

كما نريد أن نصحيح مفهوم - سل - في أن محمدا جاء برسالة محدودة للأمة العربية .. فقد جاء محمد للناس كافة .. في كل زمان وفي كل مكان .. وقد آمن به رسوله عيسى إن كان مسيحيا .. ورسوله موسى إن كان يهوديا .

ولا أريد أن أطيل النقاش مع - سل - لتتعرف على زيد بن عمرو بن نفيل .. ذلك الرجل الأمة .. كما قال رسولنا - صلى الله عليه وسلم - عنه .

فهو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبدالمعز بن رباح ابن عبدالله بن قرظ بن رزاح بن عدي

ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك القرشي .. والد سعيد بن زيد - أحد العشرة المبشرين بالجنة - وابن عم عمر بن الخطاب .. يجتمع هو وعمر في - نفيل -

سئل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يبعث أمة وحده يوم القيامة».

وكان يتمسك في الجاهلية .. ويطلب دين إبراهيم - الخليل - عليه السلام - ويوحده الله تعالى - ويقول: إلهي إله إبراهيم .. ودينى دين إبراهيم .. وكان يعيب على قريش ذبائحهم .. ويقول: الشاة خلقتها الله .. وأنزل لها من السماء ماء .. وأثبت لها من الأرض كلالا .. ثم تذبحنها على غير اسم الله - تعالى - ٢٠٠ .. إنكارا لذلك .. وإعظاما له .

وكان لا يأكل مما ذبح على النصب الأوثان - واجتمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزيد ابن عمرو مرة بأسفل - بلدح (١) - قبل أن يوحى إليه .

فعن زيد بن حارثة .. قال: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما حارا من أيام مكة - وهو مردف - فلقينا زيد بن عمرو بن نفيل - فحيا كل واحد منا صاحبه .. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «يا زيد مالي أرى قومك قد شنفوا (٢) لك؟» .

قال: والله يا محمد .. إن ذلك لغير نائلة ترة (٣) لى فيهم .. ولكن خرجت أبتغى هذا الدين الذى أبتغى .. فخرجت .. فقال لى شيخ منهم ؟ إنك لتسأل عن دين ما نعلم أحدا يعبد الله به إلا شيخا بالحيرة .. قال: فخرجت حتى أقدم عليه .. فلما رأى قال: بمن أنت؟ قلت : أنا من أهل بيت الله .. من أهل الشوك والقرظ (٤) .. قال: إن الذى تطلب قد ظهر ببلاذك .. قد بعث نبي قد طلع لجمه .. وجميع من رأيتهم فى ضلال .. قال: فلم أحسن بشيء .. ثم قال زيد بن حارثة : ومات زيد بن عمرو .. وأنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال النبي فى زيد: «إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده» .

(٢) أى أبغضوك .

(١) بلدح : واد قبل مكة من جهة الغرب .

(٣) نأر .

(٤) القرظ - بفتح الراء - ورق السلم «يدبغ به كالشوك» .

وقال أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يذكر اجتماعه بزيد بن عمرو :

«كنت جالسا بفناء الكعبة .. وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدا .. فمر به أمية بن أبى الصلت .. فقال: كيف أصبحت يا باغى الخير ؟ .. قال: بخير.. قال: هل وجدت؟ قال: لا .. ولم آل من طلب .. ثم قال: كل دين يوم القيامة إلا

ما قضى الله والخليفة بور
أما أن هذا النبى الذى ينتظر منا .. أو منكم .. أو من أهل فلسطين .

يقول أبو بكر - رضى الله عنه - ولم أكن سمعت من قبل ذلك نبى ينتظر أو يبعث .. فخرجت أريد ورقة ابن نوفل .. وكان كثير النظر فى السماء .. كثير همهمة الصدر .. فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث .. فقال: نعم يا ابن أخى .. أبى أهل الكتاب والعلماء إلا أن هذا النبى الذى ينتظر .. من أوسط العرب نسبا .. ولى علم بالنسب .. وقومك أوسط العرب نسبا .. قلت: يا عم .. وما يقول النبى ؟ .. قال: يقول ما يقال له - أى يوحى إليه - إلا أنه لا ظلم ولا تظالم.

فلما بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - آمنت وصدقت .

وعن أسماء بنت أبى بكر .. قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل .. مسندا ظهره إلى الكعبة .. يقول: يا معشر قريش .. والذى نفس زيد بيده .. ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيرى .

وكان يقول: اللهم لو أنى أعلم أحب الوجوه إليك .. عبدتك به .. ولكنى لا أعلمه .. ثم يسجد على راحته .
وقال ابن إسحاق : حدثنى بعض آل زيد .. كان إذا دخل الكعبة قال: «ليكن حقا حقا..

تعبدا ورقا .. عذت بما عاذ به إبراهيم» . ويقول وهو قائم: «أنفى لك عان راغم .. مهما تجشمنى فإنى جاشم

.. البر أبغى لا الملل .. وهل مهجر (١) كمن قال» (٢) ؟
وكان الخطاب بن نفيل .. قد أذى زيد بن عمرو ابن نفيل .. حتى خرج إلى أعلى مكة .. فنزل حراء مقابل مكة .. ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش .. وسفهاء من سفهائهم .. فلا يتركونه حين يدخل مكة .. وكان لا يدخلها إلا سرا منهم .. فإذا علموا به أذنوا الخطاب . فأخرجوه وأذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم .. وأن يتابعه أحد منهم على فراقهم.

وتوفى زيد - رضى الله عنه - قبل مبعث النبى - صلى الله عليه وسلم - كما قدمنا - وجاء فى تاريخ القرون الوسطى .. لجامعة - كمبردج - أن زيدا مات فى صبا النبى - صلى الله عليه وسلم -.

ولما مات زيد .. رثاه ورقة بن نوفل .. قال:

رشدت وأنعمت بن عمرو وإنما
تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا .. ليس رب كمثله
وترك أوثان الطواغى كما هيا
وقد يدرك الإنسان رحمة ربه

ولو كان تحت الأرض ستين واديا
وكان زيد يقول:

«يا معشر قريش إياكم والرياء .. فإنه يورث الفقر» .

رضى الله عن زيد بن عمرو - فإنه حقا كان أمة وحده .

على مشارف النبوة

قال سلمة بن سلامة بن وقش :
كنت غلاما .. وجاءنا يهودى وقف على
القوم وقال : نبي مبعوث من نحو هذه
البلاد .. وأشار بيده إلى مكة واليمن ..
قالوا: ومتى نراه؟ .. فنظر إلى وقال: إن
يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه.
فوالله ما ذهب الليل والنهار .. حتى بعث
الله رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم -
فآمنا به .. وكفر به اليهودى .. وكان مازال
بين أظهرنا .. فقلنا له: ألسنت أنت الذى
قلت لنا فيه قريبا ما قلت ؟ ..
قال : بلى .. ولكن ليس هو ذاك.

على مشارف النبوة

حدثني عاصم بن عمر بن قتادة .. عن رجال من قومه .. قالوا :

إن مما دعانا إلى الإسلام .. مع رحمة الله وهداه لنا .. ما كنا نسمع من رجال يهود .. وكنا أهل شرك وأصحاب وثنية .. وكانوا أهل كتاب .. عندهم علم ليس لنا .. وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور .. فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون .. قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن .. نقتلكم معه قتل عاد وإرم .. فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم .. فلما بعث الله رسوله أجبناه حين دعانا إلى الله .. وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم (٣) إليه .. فأمنّا به .. وكفروا به .

كما يقول ابن إسحاق: حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف .. عن سلمة بن سلامة بن وقش .. وكان سلمة من أصحاب بدر .. قال :

كان لنا جار من اليهود .. فنى بنى عبد الأشهل .. قال : فخرج علينا يوما من بيته .. حتى وقف على باب بنى عبد الأشهل .. قال سلمة :

يقول الله - تعالى - توبىخا لأهل الكتاب .. على كفرهم برسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وإنكارهم لبعثه .. بعد أن رواه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل .. وبعد أن تحدثوا عن قرب ظهوره .. ولهجوا بذكره .. فى كل مكان حول مكة .. وفى كثير من أنحاء الجزيرة العربية :

«يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون» (١) .. أى تشهدون آيات ظهوره .. وعلامات بعثه .. على ما هو مكتوب .. فى كتبكم المقدسة ؟
كما يقول سبحانه : «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» (٢) .

ويستفتحون : أى يستنصرون أو يتحاكمون .. بمعنى أن اليهود كانوا يتوعدون العرب .. عندما يظهر النبى المنتظر .. فينصر اليهود عليهم .. لأنهم أهل كتاب .. وأنهم يؤمنون بالله .

يقول ابن إسحاق :

(١) ٧٠ - آل عمران .

(٢) سبئناهم .

وأنا يومئذ من أحدث من فيه سنا .. على بردة لى
مضطجع فيها بفناء أهلى .. فذكر القيامة والبعث ..
والحساب والميزان .. والجنة والنار .

قال: فقال ذلك لأهل شرك .. أصحاب أوثان ..
لا يرون أن بعثا كائننا بعد الموت .. فقالوا له : ويحك :
أترى هذا كائننا .. أن الناس يبعثون بعد موتهم .. إلى دار
فيها جنة ونار .. ويجزون فيها بأعمالهم ؟ .. قال: نعم ..
والذى يحلف به .. ولو دان له بحظه من تلك النار أعظم
تنور فى الدنيا يحمونه .. ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه ..
بأن ينجو من تلك النار غدا .

فقالوا له : ويحك يا فلان .. فما آية ذلك ؟ قال: نبى
مبعوث من نحو هذه البلاد .. وأشار بيده إلى مكة واليمن
.. قالوا: ومتى نراه ؟ .. قال: فظفر إلى .. وأنا أحدثهم سنا
.. فقال: أن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار .. حتى
بعث الله رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وهو بين
أظهرنا .. فأما به .. وكفر به بغيا وحسدا .. قال: فقلنا له :
ويحك يا فلان .. ألسنت بالذى قلت لنا فيه قريبا ما
قلت ؟ .. قال : بلى .. ولكن ليس به .

ويستطرد ابن إسحاق .. فيقول: حدثنى عاصم بن
عمر بن قتادة .. عن شيخ من بنى قريظة قال: قال لى: هل
تدرى عم كان إسلام ثعلبة بن سعية .. وأسد بن عبيدة ؟
.. نفر من هذل أخوة بنى قريظة .. كانوا معهم فى
جاهليتهم .. ثم كانوا سادتهم فى الإسلام .
قال: قلت : لا والله ..

قال: فلان رجلا من يهود .. من أهل الشام .
يقال له: ابن الهيبان .. قدم علينا قبل الإسلام
بستين .. فحل بين أظهرنا .. لا والله ما رأينا رجلا قط
بصلى أفضل منه .. فأقام عندنا .. فكنا إذا قحط عنا
المطر .. قلنا له: اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا .. فيقول:
لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة .. فنقول له
كم ؟ .. فيقول: صاعا من تمر .. أو مدين من شعير .. قال:
فنخرجها .. ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا .. فيستسقى الله
لنا .. فوالله ما يبرح مجلسه .. حتى يمر السحاب ونسقى ..
قد فعل ذلك غير مرة . ولا مرتين . ولا ثلاثا .. ثم حضرته
الوفاة عندنا .. فلما عرف أنه ميت .. قال: يا معشر
اليهود .. ما ترونه أخرجنى من أرض الخمر والخمير .. إلى
أرض البسوس والجسوع ؟ .. قلنا : أنت

أعلم .. قال: فإننى قدمت هذه البلدة .. أتوكف خروج نبى
.. قد أظل زمانه .. وهذه البلدة مهاجرة .. فكنت أرجو أن
يبعث فأتبعه .. وقد أظلكم زمانه .. فلا تسبقن إليه .. يا
معشر اليهود .. إنه يبعث بسفك الدماء .. وسبى الذراري
والنساء ممن خالفه .. فلا يمنعكم ذلك عن اتباعه .

فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وحاصر بنى قريظة .. قال هؤلاء الفتية .. يقصد ثعلبة بن
سعية .. وأسد بن عبيد .. وكانوا شبابا أحرارا .. يا بنى
قريظة .. والله إنه للنبى الذى كان عهد إليكم فيه ابن
الهيبان .. قالوا: ليس هو .. قالوا: والله إنه هو بمينه .
فنزّلوا فأسلموا .. فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهلهم .

ولعل العرب من كثرة ما سمعوا عن قرب ظهور
النبي .. على لسان الكهان والرهبان .. وكان بعض هؤلاء
يذكره باسمه محمدا - وهو اسم جديد بين العرب
لم يسموا به من قبل .. دفع هذا بعض العرب إلى أن
يسمى ابنه محمدا . أملا فى أن يكون هو هذا النبى المنتظر
.. فسمى به قبل مبعث النبى .. على ما ورد فى طبقات ابن
سعد:

محمد بن خزاعي بن حزاب .. من بنى ذكوان .
من بنى سليم .. طمعا فى النبوة .. فأتى إبرة فى اليمن ..
واعتنق دينه .. وعنه يقول أخوه قيس بن خزاعي :
فذلكم ذو التاج منكم محمد
ورأيت فى حومة الحرب تخنق
وسمى به أيضا فى بنى سؤاعة محمد الجشمى ..
وكذلك محمد الفقى .. محمد الأسيدى .

كلهم سمى بهذا الاسم طمعا فى النبوة .. ولم
يكن هذا الاسم معروفا بين العرب قبل هذا الحين .. مما
يدل دلالة ملموسة .. على صدق نبوته عليه الصلاة
والسلام .

وفى إسلام سلمان الفارسى - رضى الله عنه -
الكثير من الأدلة الناطقة .. والبراهين الصادقة على صدق
رسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - .

فقد كان أبوه مجوسيا معروفا فى بلاد فارس ..
وسلمان لم يعرف النبى .. إلا بالعلامات التى أخبره بها
من لقيهم من الرهبان .. الذين خدمهم واحدا بعد واحد ..
إلى أن لقي النبى - صلى الله عليه وسلم -

بعد أن هرب من أبيه باحثاً عن الحقيقة .. وتلك قصة جميلة .. ورحلة عجيبة .. لا بأس أن نعيش فيها لحظات .. مع الرجل الذى قال عنه رسولنا - صلى الله عليه وسلم - «سلمان منا أهل البيت» . وفيه أيضاً قال:

«لو كان الإيمان بالثريا لنال رجال من فارس» وأشار - عليه الصلاة والسلام - إلى سلمان رضى الله عنه . ولنستمع إلى قصته .. منه هو:

عن ابن عباس - رضى الله عنه - قال: حدثني سلمان الفارسي . وأنا أسمع من فيه .. قال: كنت رجلاً من أهل فارس .. من أصبهان - من جى - من رجل من دهاقينها (١) .. وكنت أحب خلق الله إليه - فأجلسني في البيت كالجوارى .. فاجتهدت في الفارسية .. أو قال في المجوسية .. وكان أبى صاحب ضيعة .. وكان له بناء يعالجه .. فقال لى يوماً: يا بنى قد شغلنى ما ترى .. فانطلق إلى الضيعة .. ولا تحتبس (٢) فتشغلنى عن كل ضيعة بهمى بك . فخرجت لذلك .

فمررت بكنيسة النصارى وهم يصلون .. فملت إليهم .. وأعجبني أمرهم .. وقلت هذا والله خير من ديننا .. فأقمت عندهم حتى غابت الشمس .. لا أنا أتيت الضيعة ولا رجعت إليه .. فاستبطنى وبعث رسلاً فى طلبى.

وقد قلت للنصارى حين أعجبني أمرهم .. أين أصل هذا الدين؟ .. قالوا بالشام .. فرجعت إلى والدى .. فقال: يا بنى قد بعثت إليك رسلاً .. فقلت: مررت بقوم يصلون فى كنيسة .. فأعجبني أمرهم .. وعلمت أن دينهم خير من ديننا .. فقال: يا بنى دينك ودين آبائك خير من دينهم .. فقلت: كلا والله .. فخافنى وقيدنى .. فبعثت إلى النصارى وأعلمتهم ما وافقنى من أمرهم .. وسألتهم إعلامى بمن يريد الشام .. ففعلوا .. فألقيت الحديد من رجلى .. وخرجت معهم .. حتى أتيت الشام . فسألتهم عن عالمهم .. فقالوا: الأسقف .. فأتيته فأخبرته .. وقلت: أكون معك أخدمك وأصلى معك .. قال: أقم .. فمكثت مع رجل سوء .. كان يأمرهم بالصدقة .. فإذا أعطوه

شيئاً أمسكه لنفسه .. حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً (٣).

فتوفى فأخبرتهم بخبره .. فزجرونى .. فدللتهم على ماله .. فصلبوه ولم يغيبوه (٤) ورجموه .. وأجلسوا مكانه رجلاً فاضلاً فى دينه زهداً ورغبة فى الآخرة وصلاًحاً .. فألقى الله حبه فى قلبى .. حتى حضرته الوفاة .. فقلت: أوصنى .. فذكر رجلاً بالموصل .. وكنا على أمر واحد .. حتى هلك.

فأتيت الموصل .. فلقيت الرجل .. فأخبرته بخبرى .. وأن فلاناً أمرنى بإتيانك .. فقال: أقيم .. فوجدته على سبيله وأمره .. حتى حضرته الوفاة .. فقلت له: أوصنى .. فقال: ما أعرف أحداً على ما نحن عليه .. إلا رجلاً بعمورية (٥).

فأتيته بعمورية .. فأخبرته خبرى .. فأمرنى بالمقام .. وثاب لى شيئاً .. واتخذت غنمات وبقرات . وحضرته الوفاة .. فقلت: إلى من توصى بى؟ .. قال: لا أعلم اليوم أحداً على مثل ما كنا فيه .. ولكن أظنك نبي .. يبعث بدين إبراهيم - الخنيفية - مهاجرة بأرض ذات نخل .. وبه آيات وعلامات لا تخفى .. بين منكبيه خاتم النبوة .. يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة .. فإن استطعت فتخلص إليه .. ثم توفى.

فمر ركب من العرب - من بنى كلاب - فقلت أصحابكم وأعطيتكم بقراتى وغنمى هذه .. وتحملونى إلى بلادكم .. لحملونى إلى - وادى القرى - فباعونى من رجل من اليهود .. فرأيت النخل .. فعلمت أنه البلد الذى وصف لى .. فأقمت عند الذى اشتراى.

وقدم عليه رجل من بنى قريظة .. فاشترانى منه .. وقدم بى المدينة فعرفتها بصفتها .. فأقمت معه أعمل فى نخله .. وبعث الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - وغفلت ذلك حتى قدم المدينة .. فنزل فى بنى عمرو بن عوف.

فأتى لى رأس نخلة .. إذ أقبل ابن عم لصاحبى (٦) .. فقال: أى فلان .. قاتل الله بنى قيلة (٧) .. مررت بهم آنفاً .. وهم مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة .. يزعم أنه نبي.

(٢) تتأخر.

(٤) يذفونه.

(١) الدهقان فى فارس: هو شيخ القرية.

(٣) فضة.

(٥) يفتح العين وتشديد الميم: بلد من بلاد الروم - فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هـ.

(٦) كان ذلك يوم ٢ يوليو ٦٢٢ م. الجمعة ١٦ ربيع الأول رابع يوم لوصول النبی إلى المدينة.

(٧) أهل المدينة - العرب.

فوالله ما هو إلا أن سمعتها.. فأخذنى القر (١) .. فرجفت بى النخلة .. حتى كدت أسقط .. ونزلت سريعا .. فأقبلت على عملى حتى أمسيت .. فجمعت شيئا .. فأتيته به .. وهو بقاء عند أصحابه .. فقلت: اجتمع عندى شيء أردت أن أتصدق به .. فبلغنى أنك رجل صالح .. ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة .. فرأيتهم أحق به .. فوضعت بين يديه .. فكف يده .. وقال لأصحابه: كلوا فأكلوا .. فقلت: هذه واحدة.

ورجعت .. وتحول إلى المدينة .. فجمعت شيئا .. فأتيته به .. فقلت: أحبيت كرامتك .. فأهديت إليك هدية .. وليست بصدقة .. فما يده فأكل وأكل أصحابه .. فقلت: هاتان اثنتان. ورجعت - فأتيته وقد تبع جنازة .. فى بقيع الغردق (٢) .. وحوله أصحابه .. فسلمت وتحولت أنظر إلى الخاتم فى ظهره .. فعلم ما أردت .. فألقى رداءه .. فرأيت الخاتم .. فقبلته وبكيت .. فأجلسنى بين يديه .. فحدثته بشأني كله .. كما حدثتك يا ابن عباس .. فأعجبه ذلك .. وأحب أن يسمعه أصحابه.

فقاتنى معه بدر وأنا فى الرق .. فقال لى: كاتب ياسلمان عن نفسك (٣) .. فلم أزل بصاحبى حتى كاتبته .. على أن أغرس له ثلاثمائة ودية (٤) .. وعلى أربعين أوقية من الذهب .. فقال النبى لأصحابه: أعينوا أحاكم بالنخل .. فأعانوني بالخمس والعشر .. حتى اجتمع لى .. فقال: أنقر لها .. ولا تضع منها شيئا حتى أضعه بيدي .. ففعلت .. فأعاننى أصحابى حتى فرغت .. فأتيته .. فكنت آتية بالنخلة فيضعها ويسوى عليها ترابا .. فأنصرف .. والذي بعثه بالحق فما مانت منها واحدة .. وبقي الذهب.

فبينما هو قاعد .. إذا أتاه رجل من أصحابه .. بمثل البيضة من ذهب .. أصابه من بعض المعادن .. فقال: ادع سلمان المسكين الفارسى المكاتب .. فقال: أد هذه (٥).

تلك قصة إسلام - سلمان الفارسى - رضى الله عنه - ولعل القارىء يلمس فيها الصدق وعدم المبالغة فهو

رجل نشأ من صباه على التدخين .. يبدو هذا من ميله إلى صلاة النصارى فى كنيستهم .. وخروجه من الرفاهية ورغد العيش فى ضيعة أبيه وماله ومركزه الاجتماعى فى بلده .. وشرذ نفسه فى أرض الله .. يخدم هذا وذاك .. بحثا وراء الحقيقة .. التى انشغل بها قلبه .. وملكت عليه جوانحه .. كما يبدو صدقه وتقواه .. وبقطة ضميره وزهده .. فى إبلاغه عن تلك القلال السبع .. المملوءة بالذهب والفضة .. التى اغتصبها أسقف الشام من مال الصدقات .. ولم يعلم بها سواه .. وكان فى استطاعته أخذها لتساعده على إكمال رحلته .. التى خرج فى سبيلها.

وهذا ظاهر أيضا فى تنازله عن غنماته وبقراته لركب بنى كلاب .. نظير صحبتهم ليحملوه إلى بلاد العرب.

لقد كان سلمان - رضى الله عنه - من أقرب الناس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحابيا جليلا فاضلا زاهدا قويا .. وهو الذى أشار على الرسول بحفر الخندق يوم الأحزاب .. وأخذ الرسول برأيه .. وكانت فكرته هذه سببا فى حماية المسلمين من أذى الكفار.

قالت أم المؤمنين عائشة :

«كان لسلمان مجلس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالليل .. حتى كان يغلبنا على رسول الله .. وسئل على - رضى الله عنه - عن سلمان .. فقال: «علم العلم الأول والعلم الآخر .. وهو بحر لا ينزف .. وهو منا أهل البيت»

توفى سنة ٣٥هـ .. فى نهاية خلافة عثمان .. وتبل إنه عاش ٣٥٠ سنة ..

أما كونه عاش ٢٥٠ سنة .. فلا يشكون فيه .. فهو من معمرى المسلمين.

(٢) مقبرة بالمدينة.

(٤) صغار النخل .

(١) الرعشة من البرد .

(٣) أى - اشتر نفسك من صاحبك.

(٥) أسد الغابة لابن الأثير.

إلى غار حراء

قال - عليه الصلاة والسلام - لزوجته خديجة .. وهو يرتعش .. «أخشى يا خديجة أن يكون ما أصابني رثيا من الجن» .. وكان - عليه الصلاة والسلام .. مازال يرى جبريل .. الذى هبط عليه فى تلك الليلة بأول ما هبط به من الوحي .
ولكن السيدة خديجة - رضى الله عنها - عرفت أنه ملاك وليس شيطانا .. فقالت: والله يا محمد .. لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم .. وتصدق الحديث .. وتحمل الكل .. وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق .
فكيف عرفت السيدة خديجة أنه ملاك؟

إلى غار حراء

وتقديسهم لبيت جدهم إبراهيم وأبيهم إسماعيل .. أنه لم يهاجر منهم أحد من مكة .. إلا أخذ معه حجرا من أحجار الحرم .. تعظيما للبيت .. وحبا فيه .. وتقديسا له .. وتيمنا به .. فكان يطوف بالحجر طوافه بالكعبة

ثم تطور الحال إلى عبادة ما أحبوا .. ونسوا ما كانوا عليه .. واستبدلوا بدين إبراهيم .. عبادة الأصنام والأوثان.

وكان أول من غيّر دين إبراهيم

وإسماعيل.. فنصب الأوثان حول الكعبة.. وسبب السائبة.. ووصل الوصيلة.. وبحر البحيرة.. وحمى الحمامية (٢).. هو عمرو بن

نشأ - عليه الصلاة والسلام - في مكة .. فوجد قومه يعبدون الأصنام والأوثان .. ولا فرق بين الصنم والوثن . غير أن الصنم هو الصورة من غير جثة .. أما الوثن فهو كل ماله جثة مصنوعة من معادن الأرض .. كالنحاس والفضة . أو من الخشب والحجارة كصورة آدمي .. تصنع وتنصب وتعبد (١).

وكان السبب في ترك العرب لدين أبيهم إبراهيم .. ولجؤهم إلى الأوثان والأصنام وعبادتها من دون الله . أن حروبا قامت بين نسل إسماعيل .. بعد أن كثروا .. وضاعت بهم مكة .. فخرج الكثير منهم إلى الصحراء وشعاب الجبال .. ودفع هؤلاء حبيهم

(١) أسد الغابة .. لابن الأثير.

(٢) السائبة المنذورة في البرء من المرض - أو العودة من السفر .. يكون الوفاء بتركها سائبة لا تركب ولا تذبح ولا تمنع عن ماء أو مرعى . الوصيلة : السابغ من بطون الشاة إذا كانت أنثى .. تترك بدون نفع .. ولا تمنع عن ماء أو مرعى .. فيقولون : وصلت أخاها .. لأن البطن السابغ إذا كان ذكرا أكلوه.

البحيرة : الناقة إذا ولدت خمسة أبطن .. خامسها ذكر .. يحرروا أذنفا «شقوقها» .. وترك كالسائبة والوصيلة .. بدون ركوب أو ذبح أو منع عن ماء أو مرعى . الحام : هو الفحل من الإبل .. إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن .. قالوا : خمس ظهره . فلا يركب .. ويترك بدون ذبح أو منع عن ماء أو مرعى . وقد منع الإسلام كل هذا .. بقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .. ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) (١٠٣ - المائدة).

لحى بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي .. وهو أبو خزاعة .. حارب جرهما بيني إسماعيل .. وانتصر عليهم .. وأجلاهم عن الكعبة .. ونفاهم من مكة .. وتولى حجابة البيت بعدهم.

ثم مرض مرضا شديدا .. فقليل له : إن بالبلقاء من الشام - رحمة - أي ماء حار .. إن أتيتها برأت .. فأناها فاستحم بمائها فبرأ .. ووجد أهلها يعبدون الأصنام .. فسأل عنها .. فقالوا نستسقى بها المطر .. ونستنصر بها على العدو .. فطلب بعضها فأعطوه .. فقدم بها مكة .. ونصبتها حول الكعبة .. كما قيل أنهم أعطوه - هبل - فقدم به مكة .. فوضعه عند الكعبة .. فكان أول صنم وضع بمكة.

حدثني الكلبي .. عن أبي صالح عن ابن عباس .. قال:

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « رفعت لى النار .. فرأيت عمرا - أي عمرو بن لحي - رجلا قصيرا أزرق يجزر قصبه في النار . قلت : من هذا ؟ .. قيل هذا عمرو بن لحي .. أول من بحر البحيرة .. ووصل الوصيلة .. وسبب السائبة .. وحمل الحامية .. وغير دين إبراهيم .. ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ».

شبه - عليه الصلاة والسلام - فوجد بجانب - «هبل» - في مكة - «أساف ونائلة» - تعبدتهما خزاعة وقريش .. ومن يحج البيت من العرب .. ينحرون عندهما .. ووجد - «مناة» - منصوبا على ساحل البحر الأحمر .. بين مكة والمدينة .. ووجد - «اللات» - بالطائف - و«العزى» - بوادي نخلة الشامية .. وكثرت الأصنام حول الكعبة .. وكانوا يسمونها - الأنصاب .

وقد بلغ عددها يوم فتح مكة - ثلاثمائة وستون صنما - أخرجت من المسجد وأحرقت بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وكان في كل بيت من بيوت مكة صنم لأهله .. يتبركون به في غدوهم ورواحهم .. فأخر شيء يعمله الرجل عند سفره .. هو التمسح به .. والتضرع إليه .. ليحفظه ويرعاه .. ويوفقه في سفره .. وأول ما يصنع عند عودته .. هو الركوع له وشكره .

هكذا رأى محمد - صلى الله عليه وسلم - قومه .. وقد هاموا في أصنام لا تسمع ولا تبصر .. وأوثان لا تنفع ولا تضر .. وأحجار لا تدرك مما يدور حولها شيئا .

كما كان بين العرب .. من يعتقد التناسخ .. وانتقال الأرواح في الأجساد .. ومنهم من ينسب الأمراض إلى الجان .. فعبدها .. وبهذا تعددت آلهتهم وتشعبت عباداتهم .

فقر - عليه الصلاة والسلام - من كل تلك العبادات .. وحببت إليه الخلوة والوحدة .. يأنس إلى زوجه الرؤوم الحنون - خديجة - وقد أحبتة .. وفنيت فيه .. حبا وفناء ملك عليها كل شيء .

فإذا جاء شهر رمضان من كل عام .. تركها وخرج ليلا هائما على وجهه ناحية حراء .. فتسرع الخطو خلفه على البعد .. فتراه يتسلق الصخور .. صاعدا إلى أعلى الجبل .. وترى على البعد ومضات فسفورية .. تومض في ظلمة الليل .. نتيجة احتكاك قدميه بالصخر .. فتنبع هذا الأثر .. حتى تراه وقد وصل إلى الغار .. وجلس شاخصا بصره في السماء .. منطلقا إلى أبعاد الفضاء .

فتعود إلى بيتها .. حيث تعد له شيئا من الطعام والماء .. وتحمله بنفسها إلى الغار .. وتضع ما معها بجانبه .. وهو هائم فيما هو فيه من نظر وتطلع .. لا يدري بها .. ولا يحس بوجودها .. ثم تعود إليه في نفس الموعد من الليلة القابلة .. ومعها طعام جديد .. وماء جديد .. فتجد ما وضعته بالأمس لم يمس .. فتأخذ القديم وتضع الجديد . وهكذا حتى ينقضى شهر رمضان .. ثم يعود إليها أشد صفاء .. وأنقى قلبا .. وأكثر شفافية .. زوجها مخلصا وفيها .. ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقول:

« كنت أنقطع إلى ربي فيطمعني ويسقيني » . وظل حاله مع زوجته .. ومع نفسه .. ومع ربه .. هكذا .. حتى أتم الأربعين من عمره .

وعلى رأس هذا العام الجديد - ثمان الأربعين - في شهر ربيع الأول .. الذي ولد فيه .. وهو رأس الكمال - أحس - عليه الصلاة والسلام - في نفسه أمرا غريبا .. فكان يرى في نومه ما سيحدث في غده .. كانت الرؤيا تأتي كفلق الصبح .. ولهذا كانت الرؤيا جزءا من ستة وأربعين جزءا من الوحي .. بمعنى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتلقى الوحي بالرؤيا ستة أشهر .. ومدة

رسالته ثلاث وعشرون سنة .. فكانت هذه هي النسبة بين الرؤيا والوحي.

فقد روى عوف بن مالك .. عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

«الرؤيا ثلاث : منها أهاويل الشيطان ليحزن ابن آدم .. ومنها ما يهتم به في يقطته .. فيراه في منامه .. ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة».

كما قيل للإمام مالك: أيعبر الرؤيا كل أحد ؟ .. فقال: أيلعب بالنبوة؟ .. لا يعبر الرؤيا إلا من يحسنها .. فإن رأى خيرا أخبر به .. وإن رأى مكروها .. فليقل خيرا أو ليصمت .. فقل له : أيعبرها على الخير .. وهي عنده على المكروه .. لقول من قال: إنها على ما تأولت عليه ؟ .. فقال : لا .. الرؤيا جزء من النبوة .. فلا يتلاعب بالنبوة .. ومعنى هذا .. أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد تلقى الوحي بالرؤيا .. وهو في تمام الأربعين قمريا .. بغير زيادة ولا نقص .. وهذا السن هو سن الكمال.

وحل رمضان هذا العام .. فخرج إلى الغار .. كما يخرج كل عام .. غير أنه لم يكمل الشهر .. كما كان يفعل في كل مرة .

فبينما السيدة - خديجة - جالسة في دارها .. وقد فر منها النوم .. في تلك الليلة .. فرار الغزالة من أسد يطاردها .. وقد عاشت بأحاسيسها ووجدانها .. مع زوجها - محمد - .

ويفجأها دخوله عليها .. يرجف جسمه .. وترتعش أوصاله . وهو يقول لها : زميني . زميني . فقامت لاهفة عليه .. تلفه وتزمله .. وهي تقول: مالك يا محمد؟ .. فقال لها : أخشى يا خديجة أن يكون ما أصابني رثيا من الجن - أي شيطانا عارضا - أما تريه يا خديجة ؟ .. وكان - عليه الصلاة والسلام - مازال يرى جبريل .. الذي هبط عليه في تلك الليلة .. بأول ما هبط من الوحي.

وهنا يبرز ذكاء السيدة خديجة ونطتها .. ويظهر إرهاف حسها .. وسرعة بديعتها .. فقالت له : هل تراه الآن يا محمد؟ .. قال: نعم.

فأرادت أن تعمل اختبارا .. لهذا الذي يراه محمد الآن .. لتعلم هل هو شيطان أملاك . فأجلسته - عليه الصلاة والسلام - على فخذه اليمنى .. وسألته : أمازلت تراه؟ .. قال : نعم .. فنقلته على فخذه اليسرى وسألته نفس السؤال .. فقال: مازلت أراه .. فنقلته على حجرها .. واحتضنته من الخلف .

فقال - عليه الصلاة والسلام - لقد اختفى . فقالت: والله إنه لملاك .. ولو كان شيطانا لما استحي .. ثم قالت قولتها المشهورة.

والله يا محمد .. لا يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم .. وتحمل الكل .. وتكسب المعدوم .. وتقري الضيف .. وتعين على نوائب الحق.

فماذا رأى - عليه الصلاة والسلام - في غار حراء .. في تلك الليلة؟.

سماء العزة فى قلب محمد

ما الهدف من غط الرسول - عليه الصلاة
والسلام - ثلاث مرات .. فى أول ليلة هبط
عليه الوحي فيها .. يؤمر في كل مرة
بالقراءة .. فيقول: ما أنا بقارىء .. وفى
المرة الثالثة .. قال له جبريل: (اقرأ باسم
ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق*)
اقرأ وربك الأكرم)

كانت الأولى : للتكوين
وكانت الثانية : للتدوين.
وكانت الثالثة : للتبيين

سماء العزة فى قلب محمد

فى غار حراء .. فجاءه الملك (٦) .. فقال له : اقرأ .. فقال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطنى (٧) حتى بلغ منى الجهد .. ثم أرسلنى فقال : اقرأ .. فقلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد .. ثم أرسلنى فقال : اقرأ .. فقلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثالثة .. ثم أرسلنى فقال : «اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم».

فرجع بها (٨) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرجف فؤاده .. فدخل على خديجة بنت خويلد - رضى الله عنها - فقال : زملونى زملونى (٩) .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع .. فقال لخديجة .. وأخبرها الخبر .. لقد خشيت على نفسى .. فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا .. إنك لتصل الرحم .. وتحمل الكل (١٠) .. وتكسب المعدوم .. وتقري الضيف .. وتعين على نوائب الحق.

يقول أغلب المؤرخين : إن بدء الوحي .. كان فى يوم الاثنين لسيح عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من مولده .. فكانت سنة فى تلك الليلة .. أربعين سنة قمرية وستة أشهر .. وأيام .. وهو يوافق ٦ أغسطس ٦١٠ م .. وهو بغار حراء.

ولنستمع إلى أم المؤمنين - عائشة - تروى لنا ما حدث فى تلك الليلة .

فى صحيح البخارى (١) .. من عائشة - رضى

الله عنها - قالت :

«أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم .. فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .. ثم حُبب إليه الخلاء .. وكان يخلو بغار حراء (٢) .. فيتحنث (٣) فيه الليالى ذوات العدد .. قبل أن ينزع (٤) إلى أهله .. ويتزود لذلك .. ثم يرجع إلى خديجة .. فيتزود لمثلها .. جاءه الحق (٥) .. وهو

(١) صحيح البخارى ج ١ ص ٣ ط الشعب

(٢) حراء جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال .. على يسار الداهب إلى منى.

(٣) يتعمد.

(٤) الوحي.

(٥) ضمنى وعصرنى.

(٦) غطونى من الرعدة .

(٧) تكبرم.

(٨) يرجع.

(٩) جبريل.

(١٠) أى بالآيات.

(١١) المتعب.

فانطلقت به خديجة .. حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبدالمزى ابن عم خديجة .. وكان امرأ نصرانياً .. قد تنصر في الجاهلية .. وكان يكتب الكتاب العبراني .. فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب .. وكان شيخاً كبيراً .. قد عمى . فقالت له خديجة: يا بن عمي .. اسمع من ابن أخيك .. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى .. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى .. ياليتني فيها جذعاً (١) .. ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أو مخرجي هم؟ قال: نعم .. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي .. وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (٢) .. ثم لم ينشب ورقة أن توفي .. وفتر الوحي (٣) « - أهـ .

ونريد الآن أن نناقش هنا معا .. الهدف من غط الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثلاث مرات .. يؤمر في كل مرة منها بقول جبريل له: اقرأ .. فيقول: ما أنا بقارئ .. أو ماذا أقرأ؟ كما ورد في بعض الروايات الأخرى.

لا بد أن يكون لهذا التكرار حكمة .. تقتضي منا التدبر والتفكير .. والله - سبحانه - أمرنا بتدبر الآيات « أفلم يدبروا القول » (٤) و « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته » (٥).

فنرى السهيلي يقول: إن الغط ثلاثاً . إشارة إلى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يحصل له شذائد ثلاث: **كانت الأولى:** إدخال قريش له في الشعب .. والتضييق عليه .

والثانية: اتفاقهم على قتله .
والثالثة: خروجه من أحب البلاد إليه .
ولكن هل الشذائد في حياة الرسول .. يمكن حصرها .. في تلك الشذائد الثلاث فقط ؟
إن حياته - عليه الصلاة والسلام - كلها شذائد .. لأنه قمة البشرية كلها - فلزم أن يكون بلاؤه قمة البلاء .. وصبره قمة الصبر .

ويدعوننا هذا الأمر .. إلى تحليل عبارة ذكرتها في تقديم هذا الكتاب .. حول هذا الموقف بالذات .. وهي : كانت اقرأ الأولى للتكوين .. وقرأ الثانية للتدوين .. وقرأ الثالثة للتبيين.

وأسأل الله - تعالى - أن يعيننا على توضيح هذا الأمر .. فهو خطير .. وأن يعصمنا من الزلل ويحفظ أفكارنا من نزغات الشياطين.

فقد مسست هذا الموضوع مساً خفيفاً في التقديم .. لأثبت أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد في حياته . ليس لأحد عليه فضل مطلقاً .. مات أبوه .. ثم أمه .. حتى لا يكون لأب ولا لأم عليه فضل التربية .. واختاره ربه أمياً .. لا يعرف القراءة والكتابة .. حتى لا يكون لمعلم عليه فضل التعليم .. وليقول صادقاً: « أدبني ربي فأحسن تأديبي » .. وليقول الله - تعالى له -: « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » (٦).

وقد تعرضنا لموضوع أميته - عليه الصلاة والسلام - في الموضوع الحادي عشر .. عند وفاة أمه وجده .. وافترضنا أن سائلاً قد يسأل: ألم يكن جبريل معلماً له؟

وإثبتنا بما لا يقبل الشك .. أن جبريل - عليه السلام - لم يكن تنزله عليه بالقرآن عن طريق السمع .. بمعنى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسمع الآيات من فم جبريل فيحفظها .. ثم يملئها على كتبه الوحي - كما يفهم الكثير من الناس - كلا .. وإنما كان تنزل جبريل عن طريق القلب وجبريل لا يعلم عن الآيات شيئاً - كحامل الخطاب لا يدري ما فيه - فأنه - تعالى يقول : « نزل به الروح الأمين على قلبك » (٧) ولم يقل على سمعك .

لقد كان تنزل الروح الأمين - جبريل - على القلب الأمين - قلب محمد - بالآيات التي يريد الله - تعالى - تبينها للناس .. وجبريل في تلك اللحظة .. لا يعلم عنها شيئاً .. لأنه لم يتم إخراجها بعد . فيحصل التفاعل في بؤرة قلب الرسول . هذا القلب الذي يشهد القرآن الكريم .. أنه أقوى من الجبال .. حيث يقول - جل شأنه -: « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً » (٨).

(٢) نصرًا شديدًا.

(٤) ٦٨ - المؤمنون .

(٦) ١١٣ - النساء .

(٨) ٢١ - الحشر .

(١) شاباً .

(٣) احتبس مدة .

(٥) ٢٩ - ص .

(٧) ١٩٤ - الشعراء

ولكن قلب محمد .. قال الله عنه: (نزل به الروح الأمين على قلبك) .. وتحمله .. وإن كان جسمه كان يهتز .. كريحته في مهب الريح .. ويتفصد جبينه الشريف بالعرق يتساقط كحبات اللؤلؤ المنضود .. فالله - سبحانه - هو الذي يخرج الآيات .. عبر لسان محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فقد كان صدره الشريف .. يرى الآيات مشهودات .. قبل أن تبرز إلى الأسماع ألفاظا وعبارات .. فالقرآن بالنسبة إليه شهادة ورؤية .

بل المفروض أن يكون بالنسبة للمؤمن شهادة ورؤية أيضا .. لقوله تعالى:

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)(١)

فلم يكتف هنا بالسماع فقط .. بل لابد من الشهادة البصرية الروحية .

ولعله - عليه الصلاة والسلام - كان في بعض الأحيان .. يريد إخراج تلك المشهودات .. حرصا منه عليها .. فيقول الله - تعالى - له: (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه)(٢).

ويقول له أيضا في نجم آخر: (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)(٣).

أى علينا قراءته .. فلا شأن لك بتحريك لسانك .. (وإظهار الحروف والكلمات .. فهذا من عملنا نحن .. لأن القرآن الكريم - كلام الله - جل وعلا. ويزداد الأمر وضوحا .. في الآية التالية :

(فإذا قرأناه) نحن يا محمد (فاتبع قرآنه) أنت ومن اتبعك من المؤمنين (٤).

فإذا فهمنا هذا .. استطعنا أن نبرز الحكمة من تكرار كلمة - اقرأ - بعد الضم والاعتصار .. في حديث حراء .. ثلاث مرات .. فكانت «اقرأ الأولى» لتكوين هذا الصدر الكريم .. وإعداد .. حتى يكون أرضا خصبة صالحة للإنبات .. وليكون ذلك القلب لائقا مستعدا .. مستقبلا مستمدا .. ويصير صفحة بيضاء نقية .. تمهيدا لكلمة «اقرأ الثانية» حيث يجرى في تلك الصفحة قلم القدرة الإلهية .. لتدوين ما شاء - سبحانه - من آيات محكمات .. وبصائر بينات .. ويكون قلبه - عليه الصلاة

والسلام - هو بيت العزة .. الذي نزل فيه القرآن جملة بمعانيه الكلية .. وليس بيت العزة هو السماء الدنيا كما يفهم البعض .. فلا شك أن قلب محمد أعز من السماوات كلها .. فمن نوره خلقت السماوات والأرض والكائنات .. كما جاء في الصحاح .. والآية صريحة في قوله تعالى:

(نزل به الروح الأمين على قلبك) نزل به كله أولا .. جملة واحدة .. على هذا القلب الكبير .

وننتقل إلى الغاية المطلوبة .. والغرض المنشود .. في كلمة «اقرأ الثالثة» لتبيين تلك الآيات .. بحسب مواقعها ومواضعها .. على مدى ثلاث وعشرين سنة .. مفتتحا باسم الله الرحمن الرحيم .. ليكون محمد رحمة للعالمين .. ولتكون أيضا (اقرأ باسم ربك الذي خلق) هي أول ثمرة تنبت تلك الأرض الخصبة .. التي هي صدر محمد - عليه الصلاة والسلام - من فيض المزن الهتون .. الهاطل من سماء العزة .. التي هي قلبه القوى الكبير .

ولهذا قلنا :

اقرأ الأولى : للتكوين .. والثانية : للتدوين .. والثالثة : للتبيين .

كان أول أمر من أمور التبيين : (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق) فقد مر الإنسان بالآطار التكوينية للكيان الإنساني .. حيث بدأ الخلق من علق .. ثم انتهى إلى هدف التكوين .. عندما قال: (علم الإنسان ما لم يعلم) .. وكان هذا كرمًا منه - سبحانه - (اقرأ وربك الأكرم) .. وهل يوجد أكرم من فيض قدسي .. ثقیل الوزن .. ينصب على قلب .. ليفعمه بالمعرفة .. ويملاؤه بالعلم .. ليعلم ما لم يكن يعلم .. ويشهد ما لم يكن يشهد .. في جميع الشئون .. وفي (ليلة مباركة إنا كنا منذرين .. فيها يفرق كل أمر حكيم) (٥) .. نعم كل أمر .. والكلية واضحة هنا .. فقد تلتقى فيها المعاني الكلية للكتاب المكنون .. المعاني وليست الألفاظ .. فالنص يقول: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أنزلناه كله .. على قلب

(٢) ١١٤ - طه

(٤) راجع الموضوع الحادى عشر من هذا الكتاب بعنوان «بلاء الأنبياء».

(١) ٣٧ - ق

(٣) ١٦ - القيامة .

(٥) أول الدخان .

أقوى من الجبال .. ولا نريد هنا دليلاً (إننا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً) (١) .

إنه قول ثقيل .. لأنه تركيز تام للمعاني الكلية ..
التي سيتلقاها منصوبة منجمة .. مفصلة على الوقائع والأحداث .. فى مدى ثلاث وعشرين سنة .

ولعلنا ندرك الآن معنى تنزل جبريل - عليه السلام - بالوحي من ربه .. على قلب نبيه .. لتبيين الآيات التي يريد الله - تعالى - إنبائها وتبيينها وإظهارها .. ليهدى بها من يشاء من عباده .

ونفهم أيضاً ما ورد من أن جبريل - عليه السلام -
كان أول ما يسمع الآية من فم رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

ونفهم كذلك أن «اقرأ الأولى» كانت للتكوين ..
«والثانية» للتدوين .. «والثالثة» لتبيين .. حيث يملئها على كتبة الوحي .

وكتبة الوحي هم :

أبو بكر .. وعمر .. وعثمان .. وعلى .. والزبير ..
وأبى بن كعب بن قيس .. وزيد بن ثابت .. ومعاوية بن أبى سفيان .. ومحمد بن سلمه .. والأرقم بن أبى الأرقم .. وأبان بن سعيد بن العاص .. وأخوه خالد بن سعيد وثابت بن قيس .. وحظلة بن الربيع .. وخالد بن الوليد .. وعبدالله بن رواحة .. وعبدالله بن زيد بن عبدربه .. والعلاء بن عتبة .. والمغيرة بن شعبة (٢) .

وقد ذكرهم بعض رجال السيرة .. بهذا النص :
ولم يذكر بينهم : محمد بن سلمه .. والأرقم بن أبى الأرقم .. وأبان بن سعيد .. وعبدالله بن زيد .. والعلاء بن عتبة .. وزادوا : عامر بن فهيرة .. وعمرو بن العاص .. رضى الله عنهم جميعاً (٣) .

ونعود إلى نهاية حديث حراء .. الذى روته أم
المؤمنين عائشة .. حيث كانت نهايته :

«وفتر الوحي» أى احتبس مدة .

فقد جاء فى صحيح البخارى بعد حديث السيدة عائشة - رضى الله عنها - : قال :

وقال ابن شهاب وأخبرنى ابن سلمة بن عبد الرحمن .. أن جابر بن عبدالله الأنصارى قال وهو

يحدث عن فترة الوحي (٤) .. فقال فى حديثه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

«بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء .. فرفعت بصرى .. فإذا الملك الذى جاءنى بحراء .. جالس على كرسى بين السماء والأرض .. فرعبت منه .. فرجعت فقلت زملونى .. فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر . قم فأنذر .. وربك فكبر .. وثيابك فطهر .. والرجز فاهجر) (٥) .. فحمى الوحي وتتابع» ولم يذكر لنا الحديث شيئاً عن المدة التى فتر فيها الوحي عن رسول الله .. بعد النبوة الأولى .. التى هى :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق .. الخ)

وإن كان يفهم من بين سطور الحديث أنها كانت مدة طويلة .

وجاء فى كتاب - الأنوار المحمدية - للنبهانى .. أن الإمام البخارى .. روى فى - التعبير - نفس حديث أم المؤمنين - عائشة - بالنص .. ولكن زاد عليه .. بعد أن قال : «ولم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي» قال : «وفتر الوحي فترة .. حتى حزن النبى - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كى يتردى من رءوس شواهد الجبال .. فكلما أوفى بذروة جبل يلتقى نفسه منه .. تسدى له جبريل .. فقال : يا محمد .. إنك رسول الله حقاً .. فيسكن لذلك جأشه .. وتقر نفسه .. فيرجع .. فإذا طالت عليه فترة الوحي .. غداً مثل ذلك .. فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال مثل ذلك (٦)» أهـ .

ولكن القلب لا يرتاح لهذه التكملة الأخيرة ..

التي رواها البخارى فى - التعبير - ولم ترد فى الصحيح .. لأنها كما ترى .. تتناقض مع حديث جابر الأنصارى .. الذى ذكرناه .. ويحدث فيه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «رفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض فرعبت منه» مما يدل على أنه لم يره .. إلا فى تلك المرة التى بدأ الوحي يتتابع بعدها .. وذلك بعد انقطاعه عنه مدة طويلة .

(٢) تاريخ دمشق للحافظ أبو القاسم .

(٤) فتوره واحتباسه .

(٦) محمد : لمحمد رضا ص ٦٧ والنهاني ص ٣٩ .

(١) - المزمّل .

(٣) زاد المعاد .. لابن قيم الجوزية .

(٥) المدثر .

فكان من أوائل السور التي نزلت بعد تلك الفترة .. سورة
«الضحى» عرفه الله فيها .. أنه ما هجره هجر مودع وما
أبغضه .. وقال له فيها : (وللآخرة خير لك من الأولى).

ولا شك في أنه - عليه السلام - حزن لانقطاع
الوحي عنه مدة .. وراودته الظنون .. وتناوشته الأوهام
والشكوك .. ولم يستطع إخفاء هذا الأمر في نفسه .. حتى
قال المشركون إن محمدا ودعه ربه وفلاه - أي هجره -

* * *

نبوة .. رسالة .. وصديق

نبوة .. رسالة . وصديق
تنقسم مراتب دعوته - عليه الصلاة
والسلام - إلى أربع مراتب:
المرتبة الأولى : النبوة .. وكانت الدعوة
فيها سرا .. بين الصفوة السابقين.
المرتبة الثانية : إنذار عشيرته الأقربين
وهي بدء رسالته .
المرتبة الثالثة : إنذار العرب قاطبة .
المرتبة الرابعة : إنذار جميع من بلغته
الدعوة .. من الإنس والجن إلى آخر الدهر.

نبوة .. ورسالة .. وصديق

وأول صبي آمن به : على بن أبي طالب .. وسنه
عشر سنين.

وأول من آمن من الموالي : زيد بن حارثة .. ومن
العبيد : بلال بن رباح.
ثم أسلم : عثمان بن عفان .. والزبير بن العوام .
وعبدالرحمن بن عوف .. وسعد بن أبي وقاص ..
وطلحة بن عبيد الله .

دعاهم أبو بكر إلى الإسلام .. فجاء بهم إلى
رسول الله حين استجابوا له .. فأسلموا.

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ..
وأبو سلمة .. ويقال إن إسلام أبي سلمة كان بعد تسعة
أنفس .. كما أسلم الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ..
وعثمان بن مظعون الجهمي .. وأخوه : قدامة وعبد الله ..
وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب .. وسعيد بن زيد
وامراته فاطمة .

كما يروى أن أول امرأة أسلمت بعد خديجة هي
أم أيمن .. وأم الفضل زوج العباس .. وأسماء بنت أبي
بكر.

ودخل في الإسلام غير هؤلاء عدد قليل من
الرجال والنساء.

من الممكن تقسيم مراتب دعوته - عليه الصلاة
والسلام - إلى أربع مراتب:

الأولى النبوة .. والثانية : إنذار عشيرته الأقربين.
والثالثة: إنذار قوم ما آتاهم من نذير من قبله.. وهم العرب
قاطبة. والرابعة: إنذار جميع من بلغته دعوته من الإنس
والجن إلى آخر الدهر. فأما مرتبة النبوة: فقد تبين من جملة
ما قاله .. أن نبوته سبقت رسالته .. فكان في نزول - اقرأ -
نبوته .. وبنزول - المدثر - بدء رسالته .. فكانت النبوة قبل
الرسالة.

فأول من آمن به : صديقة النساء خديجة - رضى
الله عنها - آمنت به .. وصدقت به .. من اللحظات الأولى
من نبوته .. قال لها : خشيت على نفسي .. فقالت له:
أبشر .. فوالله لا يخزيك الله أبدا .. مستدلة على ذلك
بجميل صفاته .. وجليل أخلاقه .. وكريم خلاله ..
وشجعته بأن لفتت نظره إلى أن من فيه تلك الشيم . لا
يخزيه الله أبدا.

وأول رجل آمن به وصدقه بعد خديجة : أبو بكر
الصديق - رضى الله عنه .

وظلت الدعوة سرا بين هؤلاء الصفوة السابقين ..
لمدة ثلاث سنين .. هي فترة النبوة .. يلتقون فيها برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت الأرقم بن أبي الأرقم سرا .. في جندج الليل .. ويفترقون قبل أن يظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر .

ودار الأرقم بن أبي الأرقم . في أصل جبل الصفا .
وكان المسلمون يؤدون صلاتهم .. في الشعاب ..
كانت الصلاة ركعتين - ولم تكن مفروضة .. فرأى بعض المشركين سعد بن أبي وقاص يصلي مع نفر من المسلمين في بعض الشعاب .. فعابوا عليهم ما يصنعون .. وقاتلوهم .. فضرب سعد رجلا منهم فشججه .. وهو أول دم أهرق في الإسلام .

فعند ذلك دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو وأصحابه دار الأرقم .. مستخفين بصلاتهم وعبادتهم ثلاث سنين .. إلى أن أمره الله - تعالى - بإظهار دعوته .

* * *

وبدأت المرحلة الثانية : من مراتب الدعوة .. لينذر عشيرته الأقربين .. بأن أمر الله رسوله بأن يصدع بما جاء به .. ويواجه المشركين بأمر الله .. حيث يبدأ إنذار أهل مكة .
لقد أخفى دعوته من قبل .. وقصرها على هذا العدد القليل الذي اتبعه .. لا خوفا من الناس .. ولا خشية من بطشهم .. ولكن انتظارا لأمر الله بإظهار دعوته .. وإعلان دينه .. وتبليغ رسالته .. فما أن نزل قوله تعالى :
(يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر) (١) .. ثم تنابح الوحي فنزلت :

(فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) (٢) ..
أى لا تهتم بموقفهم من دعوتك .. ثم نزلت :
(وأنذر عشيرتک الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) (٣) .. حتى نادى قومه بالإسلام ودعاهم إلى الإيمان .

فصعد - عليه الصلاة والسلام - على الصفا .. وهو مكان مرتفع في أسفل جبل أبي قبيس .. يواجه الكعبة من

الشرق .. فقال : يا معشر قريش .. فقالت قريش : محمد على الصفا يهتف .. فأقبلوا واجتمعوا .. فقالوا : مالك يا محمد ؟

قال : «أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل .. أكتنم تصدقوني؟»

قالوا : نعم .. أنت عندنا غير منهم .. وما جربنا عليك كذبا قط

قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .. يا بني عبدالمطلب .. يا بني عبد مناف .. يا بني زهرة» حتى عدد الأفيخاذ من قريش «إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين .. وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة .. ولا من الآخرة نصيبا .. إلا أن تقولوا لا إله إلا الله» .

فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم .. الهذا جمعتنا؟

* * *

في أول تلك المرحلة .. لم يسعد عنه قومه .. ولم يردوا عليه .. وتركوه يعرض ما يدعوههم إليه .. في رحاب الكعبة .. وعلى رءوس الطرقات .. حتى ذكر ألهمتهم وعابها .. فأجمعوا على عداوته ومخالفته والتصدى له ولن اتبعه من المستضعفين .. الا من شرح الله صدره منهم للإسلام . فحذب عليه عمه أبو طالب ومنعه منهم .. وقام دونه .. وحفظ الله تعالى رسوله من شرهم .. بعمه أبي طالب .. وبني هاشم .. والمطلب .. لإعامة أبي لهب .

وقد روى عن طارق المحاربي . أنه قال : رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السوق - يقول : «أيها الناس .. قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ورجل خلفه يرميه بالحجارة .. وقد دمی عقبه .. ويقول لا تطيعوه فإنه كذاب .. فقلت : من هذا؟ .. قالوا : محمد وعمه أبو لهب .. فأنزل الله تعالى : (تبت يدا أبي لهب وتب) .. فلما سمعها أبو لهب قال : إن كان ما يقول محمد حقا . افتديت منه بما لى وولدى .. فنزل : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) (٤) .

(٢) ٩٤ - الحجر .

(٤) سورة المسد .

(١) المدثر .

(٣) ٢١٤ - ٢١٥ - الشعراء .

أما امرأته فهي أم جميل بنت حرب بن أمية ..
أخت أبي سفيان بن حرب .. عمة معاوية .. كانت من ألد أعداء الرسول .. ترمى بالشوك والروث في طريقه .

وقد أفضيت هذه السورة أبا لهب .. فناصر الرسول العداء .. وكان إذا سأله وفد من وفود العرب عن محمد .. قال: انه ساحر ومجنون .. لينصرفوا عنه قبل لقائه .. ولكن لظهور عداوته وبغضه .. لم يكن يسمع العرب كلامه عن محمد .. فخاب سعيه .. ولم يفلح في صد الناس عن رسول الله .

وبدأت الدعوة تنتقل إلى المرحلة الثالثة .. إبلاغ قبائل العرب قاطبة .. في جميع أنحاء الجزيرة .. وبدأت الوفود تند على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتسمع وترى .. والرسول يغشى الناس في الأسواق .. ويحضر المواسم .. ليسمع الناس كلام رب الناس .

واشتد الأمر .. وتضارب القوم .. وأظهر بعضهم لبعض العداوة .. وتكاثفت قريش على تعذيب من أسلم من الضعفاء .. يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .. وآذوا الرسول ورموه بالسحر والشعر وبالكهانة والجنون .. ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه الشريف .. ويجعل الروث والدم على بابه .

نعم لقد آذوه كثيرا .. فالروايات لا تحصى .. في أنواع الأذى .. وعظيم البلاء الذي قابلوه به وتحمل كل هذا في صبر ورضى .

ولكنني أرى عقبة بن معيط .. يأخذ بمنكب الرسول .. ويلف ثوبه حول عنقه الشريف ويخنقه .. حتى كادت عيناه تبرزان .. فيقوم دونه أبو بكر .. يمنعهم عنه وهو يقول: أقتلون رجلا أن يقول ربي الله ؟ ودفع عنه عقبة .. فقاموا إلى أبي بكر .. وجذبوا رأسه ولحيته .. حتى سقط أكثر شعره .

وفي رواية - البخاري - كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي عند الكعبة .. وجمع من قريش في مجالسهم .. إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي .. أيكم يقوم إلى جزور آل فلان .. فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها (١) فيجئ به .. ثم يمهله حتى إذا سجد .. وضعه بين كتفيه .. فانبعث أشقاها .. فلما سجد - عليه الصلاة

والسلام - وضعه بين كتفيه .. وثبت النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجدا .. فضحكوا .. حتى مال بعضهم على بعض من الضحك .. فانطلق منطلق إلى فاطمة - وهي جويرة (٢) - فأقبلت تسعى .. ثبت النبي ساجدا .. حتى ألقته عنه .. وأقبلت عليهم تسبهم .. فلما قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الصلاة .. قال: «اللهم عليك بقريش» .. ثم سمي .. فقال: «اللهم عليك بعمرو بن هشام .. وعتبة بن ربيعة .. وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة .. وأمية بن خلف .. وعقبة بن معيط .. وعمارة بن الوليد».

قال عبدالله بن مسعود: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر .. ثم سحجوا في القلب .. قليب بدر .. ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «واتبع أصحاب القلب لعنة».

ورأى ابن مسعود هذا محمول على أكثرهم: لأن أمية بن خلف .. لم يطرح في القلب .. وعمارة بن الوليد هلك في أرض الحبشة .. وعقبة بن معيط لم يصرع في بدر .. وإنما قتل وهو أسير مع المسلمين .. بعد أن رحلوا من بدر مرحلة .. فقد جاء في - زاد المعاد - لابن قيم الجوزية:

بعد غزوة بدر بثلاثة أيام .. ارتحل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عائدا إلى المدينة .. ومعه الأسرى والغنائم .. فلما كان بالصفراء قسم الغنائم .. وضرب عنق النضر ابن الحارث بن كلفة .. ثم لما نزل بعرق الظبية .. ضرب عنق عقبة بن أبي معيط (٣) .

وعن أبي ذر - رضى الله عنه :-

«كان أول من أظهر الإسلام سبعة : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر - وعمار - وأمه سمية .. وصهيب .. وبلال .. والمقداد - رضى الله عنهم -»

فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب .. وأما أبو بكر .. فمنعه الله بقومه .. وأما سائرهم .. فأخذهم المشركون يعذبونهم .. فالبسوهم أدرع الحديد .. وصهروهم في الشمس .. وأن بلالا هانت عليه نفسه في الله - عز وجل - وهان على قومه .. فأخذوه فأعطوه الولدان .. فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة .. وهو يقول: أحد .. أحد .. حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه .

(٢) جارية صغيرة.

(١) الفرت : الروث في الكرش .. والسلا : السمن .

(٣) زاد المعاد ص ١٠٠ ج ٢ ط الشعب .

وقد كان لأبي بكر - رضى الله عنه - دور كبير فى تلك المرحلة .. يدعو الناس إلى الإسلام .. وإذا مر بأحد من العبيد يعذب .. اشتراه وأعتقه .. فأعتق سبعة .. منهم : بلال بن رباح الحبشى .. وعامر بن فهيرة .. وجارية لبنى عدى .. كان عمر يعذبها قبل إسلامه .. فاشتراها وأعتقها. وروت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت : إن أبا بكر دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له : «أنت عتيق من النار» فيومئذ سمى عتيقا. وقالت رضى الله عنها :

«لما أسرى بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المسجد الأقصى .. أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان قد آمن وصدق .. وفتنوا به .. فقال أبو بكر : إني لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك .. أصدقته بخبر السماء غدوة أو روحة .. فلذلك سمى أبو بكر الصديق».
قال فيه أبو محجن الثقفى :

وسميت صديقا .. وكل مهاجر

سواك يسمى باسمه غير منك

سبقت إلى الإسلام والله شاهد

وكنت جليسا فى العرش المشهر

كان رضى الله عنه - صديقا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعث .. وهو أصغر منه فى السن ثلاث سنوات .. أزر رسول الله فى نصرته دين الله - تعالى - بنفسه وماله .. وكان له لما أسلم مائة ألف درهم .. أنفقها كلها فى سبيل الله .. مع ما ربح من التجارة بعدها .

وأجمع المفسرون .. أن قول الله - تعالى - : «وسيجنبها الأتقى» الذى يؤتى ماله يتزكى * وما لأحد عنده من نعمة تجزى* إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى* ولسوف يرضى» (١) نزلت فى حق أبى بكر - رضى الله عنه - .

وإن كان بعض المفسرين يقول : إنها نزلت فى حق على - رضى الله عنه - ولكن هذا غير صحيح .. لقوله تعالى : «وما لأحد عنده من نعمة تجزى» فهذا الوصف لا ينطبق على على بن أبى طالب .. لأنه كان فى تربية النبى

- صلى الله عليه وسلم - أخذه من أبيه .. يطعمه ويسقيه .. ويكسوه ويربيه .. فكان الرسول منعما عليه بنعمة تستوجب الجزاء .

أما أبو بكر .. فلم يكن للنبي عليه نعمة دنيوية .. بل كان أبو بكر ينفق على الرسول وإن كان للرسول عليه نعمة الهداية والإرشاد إلى الدين .. غير أن هذا لا يجزى لقوله تعالى : «ما أسألكم عليه من أجر».

والمذكور فى الآية التى تناقشها ليس مطلق النعمة .. بل نعمة تجزى .. فلا تصلح الآية لعلى - رضى الله عنه

كان أبو بكر من رءوس قريش فى الجاهلية .. وكانت له الديات فيها .. فلما جاء الإسلام سبق إليه .. وأسلم على يده بسبب حبهم له وثقتهم فيه خمسة من المبشرين بالجنة .. هم :

عثمان بن عفان .. والزبير بن العوام .. وعبد الرحمن بن عوف .. وسعد بن أبى وقاص .. وطلحة بن عبيد الله .. وهو - رضى الله عنه - سادسهم .

أما الأربعة الباقون من العشرة .. فهم : عمر بن الخطاب .. وعلى بن أبى طالب .. وأبو عبيدة بن الجراح .. وسعيد بن زيد.

قال ابن إسحاق :

بلغنى أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : «ما دعوت أحدا إلى الإسلام .. إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد .. إلا ما كان من أبى بكر - رضى الله عنه - ما عتم عنه حين ذكرته له» أى أنه بادر به .

ونزل فيه .. وفى عمر : «وشاورهم فى الأمر» (٢) فهو بمنزلة الوزير الأول من رسول الله .. يشاوره فى أموره كلها .. لم يهاجر إلى الحبشة .. وبقي مع الرسول يتحمل الأذى .. حتى هاجر معه إلى المدينة .. تاركا عياله وأولاده .. وأقام معه فى الغار ثلاثة أيام :

«ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» (٣).

كان شديد التواضع لله والخوف منه .. يتهم نفسه دائما بالتقصير فى جنب الله .. فكان إذا سمع أحدا يمدحه

قال: « اللهم إني أعلم بنفسي منهم .. وأنت أعلم بها مني .. اللهم اجعلني خيرا مما يظنون .. واغفر لي ما لا يعلمون .. ولا تؤاخذني بما يقولون ».

قال عمر - رضي الله عنه - أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نتصدق .. ووافق ذلك ما عندي .. فقلت : أسبق أبا بكر إن سبقته .. فحشئت بنصف مالي . فقال رسول الله : « ما أبقيت لأهلك » ؟ .. قلت : مثله .. وجاء أبو بكر بكل ما عنده .. فقال : « يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك » ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله .. فقلت : لا أسبقه إلى شيء أبدا .

كان أبو بكر رجلا أبيض نحيفا .. خفيف العارضين .. أحنى .. معروق الوجه .. غائر العينين .. فاتيء الجبهة .. عارى الأشجاع - المناكب - يخضب بالحناء والكتم (١) .

شهد مع الرسول بدرًا وأحسداً والخندق وبيعة الرضوان بالحديبية وخيبر وفتح مكة وحنينا والطائف وتبوك وحجة الوداع .

عاش بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سنتين وأشهر . خليفة على المسلمين بالمدينة . فكان فيها مثالا للحزم والتواضع معا .

ومن تواضعه فيها .. أنه كان يحلب للحى أغنامهم .. فلما بويغ بالخلافة .. قالت جارية من الحى : الآن لا يحلب لنا . فسمعها أبو بكر .. فقال : لعمري لأحلبها لكم .. وإنى لأرجو ألا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه .

فكان يحلب لهم .. فربما قال للجارية : التحبين أن أرغى لك .. أو أن أصرح ؟ .. فأى ذلك قالت .. فعل .

دخلوا عليه في مرضه .. فقالوا : يا خليفة رسول الله .. ألا ندعو لك طبيبا ينظر إليك .. قال : قد نظر إلى .. قالوا : فماذا قال ؟ .. فقال لهم : قال : إني فعال لما أريد .

قال المفسرون وأصحاب السير : توفى أبو بكر - رضي الله عنه - يوم الجمعة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة .. سنة ثلاث عشر للهجرة .. وهو يوافق ٢٣ أغسطس ٦٣٤ م .. وهو ابن ثلاث وستين سنة - وصلى عليه عمر .

تلك المأحة خفيفة عن أبي بكر الصديق .. أردت عرضها عرضا سريعا خاطفا .. فحياته

(١) الكتم بفتحين : نبت يخلط بالأصباغ .

- رضي الله عنه - يقصر عن ضمها أضخم الكتب .. وأعظم الأسفار .. ولكن ليس في هذا الكتاب موضعها .. ويكفى أن نعلم أنه في سنتين فقط .. بعد انتقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى .. هي مدة خلافته .. قضى على المرتدين قضاء تاما .. وأخضع بنى غسان وبنى تغلب . وهزم الفرس .. ودخلت جيوشه عاصمتهم .. وتغلب على العراق .. وجهز جيشا بلغ عدده ثلاثين ألف لمحاربة الروم في الشام .. كل ذلك في سنتين . **ويجدر بنا قبل أن نعود إلى المرتبة الثالثة من مراتب الدعوة .. التي كنا بسبيل استعراضها .. قبل أن يجذبنا نور أبي بكر وسناه .. أن نقرأ شيئا من مآثورات أبي بكر .. وكلها حكم عالية .. وعظات غالية .. منها :**

« أكيس الكياسة التقوى .. وأحمق الحمق الفجور .. وأصدق الصدق الأمانة .. وأكذب الكذب الخيانة » .

ومنها :

« لا خير في خير بعده نار .. ولا شر في شر بعده

جنة » .

وقال :

« وجدنا الكرم في التقوى .. والغناء في اليقين ..

والشرف في التواضع » .

وقال :

« إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقتته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة » .. « ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل » .

وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : « هذا الذي أوردنى الموارد » .

وقال : « لا خير في قول لا يراد به وجه الله .. ولا في مال لا ينفق في سبيل الله .. ولا فيمن يغلّب جهله حلمه » .

وقال : **« من مقت نفسه في ذات الله .. آمنه الله من مقتته » .**

« فاز بالمروءة من امتطى التغافل .. وهان على القريبى من عرف باللجاج » .

« إياكم والفخر .. وما فخر من خلق من تراب ثم إليه يعود .. ثم يأكله الدود » !

العرب أمام معجزة القرآن

قال عتبة بن ربيعة لقومه .. بعد أن استمع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

«إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط .. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .. يا معشر قريش .. أطيعوني .. واخلوا بين هذا الرجل .. وبين ما هو فيه .. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأً.

ثم قال: لقد أجابني بشيء .. والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة ..

قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم * تنزيل من الرحمن الرحيم) حتى بلغ (فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت فمه .. وناشدته الرحم أن يكف .. وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب.

العرب أمام معجزة القرآن

وأذكر أنني قرأت فيما قرأت:

أن فقيها غير عربى كان بحفظ طفلة عربية سورة «المسد» .. فبدأ معها من أول السورة «تبت يدا» فقالت الطفلة: تبت يدان .. فضربها لتقول «تبت يدا» ولكنها كانت تقول: تبت يداه .. تبت يداى .. تبت يداك .. وهو فى كل مرة يضربها لتقول «تبت يدا» فلا تستطيع الطفلة نطقها .. وصادف مرور أبيها .. فشكا إليه الفقيه عجز ابنته عن نطق «تبت يدا» فقال لها أبوها قولى:

«تبت يدا أبى لهب» فنطقتها سليمة .

لم تستطع الفتاة العربية الصغيرة .. أن تنطق «يدا» بحذف النون .. إلا عندما أضيف إليها المضاف إليه «أبا لهب» فالنون لا تحذف من المضاف .. إلا إذا ذكر المضاف إليه .

من هاتين الواقعتين .. مع تلكما الطفلتين العربيتين .. نستطيع أن نفهم فصاحة العرب الفطرية .. فهم بالفطرة أهل البلاغة .. وأرباب الفصاحة .. وأئمة البيان.

حكى الأصمعى : أنه رأى جارية صغيرة السن - لا تزيد على ست سنوات - وهى تقول: أستغفر الله من ذنوبى كلها .. فقلت لها : مم تستغفرين .. وأنت صغيرة السن .. لم يجر عليك القلم ؟ .. فقالت :

أستغفر الله لذنبى كله

قتلت إنسانا بغير حله

مثل غزال ناعم فى دله

انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها: قاتلك الله ما أفصحك !! ..

فقالت: أتمد هذا فصاحة بعد قوله تعالى :

«وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين» (١).

فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .. فالأمران : أن أرضعيه وألقيه . والنهيان: ولا تخافى ولا تحزنى . والخبران: وأوحينا وإذا خفت .. والبشارتان: إنا رادوه وجاعلوه .

أنهم محمد - عليه الصلاة والسلام - بكتاب من جنس تخصصهم .. وتحدهم بأن يأتوا بسورة أو آية واحدة من مثله .. وعجزوا .. بل وتنبا بعجزهم قبل أن يعجزوا .. لتكون الحجة أقوى .. والدليل أحكم .. فقد قطع فيما أخبر عن ربه - تعالى - بأنهم لن يأتوا بمثله : «أتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين»* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا» (١) .

نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة .. وبالقصور عن بلوغ تحديه في المناقضة .. صارخا بهم على رؤوس الأشهاد بهذا التحدى .. ولم يستطع أحدهم قبول التحدى .. مع وفرة دواعي البلاغة في ألسنتهم .. وكثرة وسائل الفصاحة في لغتهم .

وتلك مناسبة لأن أعرض على القارئ الكريم شيئا من المحاولات ، التي قام بها بعض العرب .. الذين خيلت لهم شياطينهم أنهم على هذا التحدى قادرون .. لنضحك معا لحظة .. ونحن في هذا المقام الكريم .. لأنها - كما ستري - محاولات تثير الضحك في النفس . وتبعث على السخرية أيضا ممن حاولوا هذا .. وعلى رأسهم - مسيلمة الكذاب - وهو عربى .. صميم العروبة .. قال : يا ضفدع كم تنقن .. أعلاك في الماء وأسفلك في الطين .. لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين .

وقال أيضا يريد تقليد سورة «النازعات» .. فقال :
والزارعات زرعاً .. والخاصدات حصدا ..
والذاريات قمحا .. والطاحنات طحنا .. والحافرات حفرا ..
والثارذات ثردا .. واللاقمات لقما .. لقد فضلت على أهل الوبر .. وما سبقكم أهل المدر . الخ .
ومن كلامه أيضا :

ألم تريف فعل ربك بالحلبى .. أخرج من بطنها نسمة تسعى .. من بين شراسيف وأحشا .
كما قال بعضهم : الفيل .. وما أدراك ما الفيل ..
له ذنب وثيل .. وشفر طويل .. وإن ذلك من خلق ربنا لقليل .

كلام لا طعم له .. ولا ذوق فيه .. خال من المعنى .. يثير في النفس الضحك والسخرية معا .

وقد اعترف ابن المقفع بإعجاز القرآن الكريم .. عندما حاول بعض تلك المحاولات .

إن عبارة واحدة من كلام الله - تعالى - كانت كافية لهداية قلب إلى الإيمان .. وانشراح صدر للإسلام .. فمثلا .. كان ضماد بن ثعلبة رجلا يتطيب .. ويرقى .. ويطلب العلم .. فسمع سفهاء مكة يقولون : إن محمدا مجنون .. وكانت تربطه برسول الله - صلى الله عليه وسلم - صداقة في الجاهلية .. ولم يكن ضماد قد أسلم .. فلما سمع هذا القول من السفهاء .. جاءه وقال له : يا محمد إنى راق كما تعلم .. فهل بك من شيء فأريك ؟ .. فأجابه - صلى الله عليه وسلم - بقوله :

«الحمد لله نحمده ونستعينه .. من يهد الله فلا مضل له .. ومن يضل فلا هادى له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. وأن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد ..»

فقال له ضماد : أعد على كلماتك هؤلاء .. فأعادهن النبى - صلى الله عليه وسلم - واستعاده ضماد ثلاثا .. ثم قال : والله لقد سمعت قول الكهنة .. وسمعت قول السحرة .. وسمعت قول الشعراء .. فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات .. لقد بلغت قاموس البحر .. فمد يدك أبايعك على الإسلام .

فمد النبى يده .. فبايعه وأسلم .
أحسن فحول العرب وفصحائهم هذا الإعجاز ..
عندما سمعوا القرآن وتذوقوه .. وأقرت بذلك مشاعرهم واختلجت به أحاسيسهم .. وتيقنته قلوبهم .. ولكنه الكبر قد غشى أبصارهم .. ووفر فى أذانهم .. وجعل بين قلوبهم وبين النور حجابا سميكاً .

روى محمد بن كعب قال :
حدثت أن عتبة بن ربيعة قال ذات يوم : وهو جالس فى نادى قریش - ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحده فى المسجد : يا معشر قریش .. ألا أقوم إلى هذا فأعرض عليه أمورا .. لعله أن يقبل منى بعضها ويكف عنا .. قالوا : بلى يا أبا الوليد .

فقام عتبة .. فجلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث من بين ما قاله

عتبة للرسول : عرض عليه من المال وغيره .. فلما فرغ .. قال رسول الله : «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال : نعم .

قال : «أنتسمع مني؟» .. قال : أفعل .. فقال - صلى الله عليه وسلم - :

بسم الله الرحمن الرحيم .. «حم» تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته .

فمضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأها عليه .. فلما سمعها عتبة .. أنصت لها .. وألقى بيديه خلف ظهره .. معتمدا عليها .. يستمع منه .. حتى انتهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى السجدة .. فسجد فيها .. يقصد قوله - تعالى - : «فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون» (١) .. ثم قال : «أسمعت يا أبا الوليد؟» .. قال : سمعت .. فأنت وذاك .

فقسام عتبة إلى أصحابه .. فقال بعضهم لبعض : نحلف لقد جاءكم عتبة بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس إليهم .. قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ .. قال :

إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط .. والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة .. يا معشر قريش .. أطيعوني .. واخلوا .. هذا الرجل .. وبين ما هو فيه .. فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ .. ثم قال : لقد أجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة .. قرأ : «بسم الله الرحمن الرحيم * تنزيل من الرحمن الرحيم *» حتى بلغ «فقل أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود» (٢) .. فأمسكت فمه .. وناشدته الرحم أن يكف .. وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب .. فخفت أن ينزل بكم العذاب (٣) - أه- .

كما قال عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة . الذي عناه الله - تعالى - في قوله :

«ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر» (٤) .

قال عكرمة : كان الوليد بن المغيرة .. زعيم قريش في الفصاحة .. قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - : اقرأ علي .. فقرأ عليه : «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» (٥) .

قال : أعد علي .. فأعاد .. - صلى الله عليه وسلم - فقال : والله إن له لحلاوة .. وإن عليه لطلاوة .. وإن أعلاه لمثمر .. وإن أسفله لمغدق .. وما يقول هذا بشر .. ثم قال لقومه :

والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني .. ولا أعلم برجزه .. ولا بأشعار الجن .. والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا .. والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة .. وإن عليه لطلاوة .. وإنه لمثمر أعلاه .. مغدق أسفله .. وإنه ليعلو ولا يعلو .

واللوليد بن المغيرة .. خبر آخر .. رواه ابن إسحاق والبيهقي :

فقد جمع قريشا عند حضور الموسم .. وكان من أكبرهم سنا .. وقال : إن وفود العرب ترد .. فأجمعوا فيه (٦) رأينا .. لا يكذب بعضكم بعضا .. فقالوا : نقول كاهن؟ قال : والله ما هو بكاهن .. ما هو بزمزمته (٧) وسجعه قالوا : نقول مجنون؟ .. قال ما هو بمجنون .. ولا بخنقه (٨) ولا بوسوسته .

قالوا : فنقول شاعر؟ .. قال : ما هو بشاعر .. قد عرفنا الشعر كله .. رجزه وهجزه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه (٩) .

قالوا : فنقول ساحر؟ .. قال : لقد رأينا السحار وسحرهم .. فما هو بتفثه ولا عقده (١٠) .

قالوا : فما نقول يا أبا عبدشمس؟ .. قال : والله إن لقوله لحلاوة .. وإن أصله لعذق (١١) .. وإن فرعہ لجناه (١٢) .. وما أنتم بقائلين من هذا

(٢) ١٣ - فصلت .

(٤) ٢٢ - ٢٦ / المدثر .

(٦) يقصد محمدا .

(٩) كلها من أنواع الشعر .

(١١) العذق : كثير التشعب في الأرض .

(١) ٣٨ - فصلت .

(٣) رواه البيهقي وغيره .

(٥) ٩٠ - النحل .

(٧) الزمزمة : الكلام المبهم .. والسجع الكلام المنثور الموزون .

(٨) اختناق المجنون في حركاته .

(١٠) يقصد نفث السحرة في عقد الخيوط .

(١٢) أى فيه ثمر يجنى .

شيئا .. إلا عرف أنه باطل .. وإن أقرب القول أن تقولوا ساحرا .. جاء بقول هو سحر .. يفرق بين المرء وأبيه .. وبين المرء وأخيه .. وبين المرء وزوجته .. وبين المرء وعشيرته .. فتفرقوا عنه بذلك .

فجعلوا يجلسون بسبل الناس .. حين قدموا الموسم .. لا يمر أحد إلا حذروه إياه .. ولكن النتيجة جاءت عكس ذلك .. فقد انتشر ذكره .. صلى الله عليه وسلم - في بلاد العرب .

أسلم كثير من شباب العرب .. فلما أسلم فتیان بنی سلمة .. قال والد عمرو بن الجموح له : أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل .. فقرأ عليه : « الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * » اهدنا الصراط المستقيم .

فقال عمرو: ما أحسن هذا وأجمله .. أو كل كلامه مثل هذا ؟ .. قال: يا أبت وأحسن من هذا. وقد قرأت عن بعض العرب .. قال:

إن هذا القرآن .. لو وجد مكتوبا في مصحف .. في فلاة من الأرض . ولم يعلم من وضعه هناك .. لشهدت العقول السليمة أنه منزل من عند الله .. وإن البشر لا قدرة لهم على تأليف مثل ذلك .. فكيف وقد جاء على يد أصدق الخلق وأتقاهم .. وقال إنه كلام الله .. وتحدى الإنس والجن أن يأتوا بسورة من مثله فمعجزوا .. فكيف يبقى بعد هذا شك:

« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لآ يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١)

فيه من نظم الأسلوب .. وعدوبة المنطق .. وصحة المعاني وسلامتها .. وفيه ما فيه من الأمثال الناطقة . والدلائل الصادقة .. التي دلت على البعث .. والإنباء بما كان ويكون .. والأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. وصلة الأرحام .. وغير ذلك من المكارم والمحامد .. مما أعجز العرب .. وهم الفصحاء والخطباء .. والبلغاء والشعراء .

لقد عرفوه - عليه الصلاة والسلام - قبل نبوته أربعين سنة .. لا ينظم كتابا .. ولا يعقد

حسابا .. ولا ينشد شعرا .. ولا يحفظ خبرا .. ولا يروى أثرا .. حتى أكرمه الله بالوحي المنزل .. والكتاب المفصل .. فدعاهم إليه .. وحاجهم به:

« قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » (٢)

شهد الله له بذلك في كتابه .. فقال - جل شأنه: « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب الميطلون » (٣) .

فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى .. في الوجود كله من غير شك .. فهو أقوى في الإعجاز والإقناع من سائر المعجزات .. التي أخرجها الله - تعالى - على أيدي رسله الكرام .. فكلها مؤقتة في زمانها .. أما القرآن فهو معجزة خالدة .. لجميع العصور على مر الدهر .

إنه أقوى وأبلغ وأثبت من خروج ناقة صالح من الصخرة .. ومن انقلاب عصا موسى إلى حية .

وأعجب من إحياء عيسى للموتى . وإبراء الأكمه والأبرص .. فالقرآن حجة قاطعة باقية .. وبرهان واضح خالد .

ويكفي أن أذكر للقاريء الكريم شهادة عالم إنجليزي .. مع أنه مسيحي . ولكنه أديب .. أبى عليه ضميره الأدبي .. إلا أن يذكر الحقيقة عن رسول الله .. وعن القرآن كتاب الله .

وهو - مستر بورسورث سميث - في كتابه - محمد والإسلام - قال فيه :

« إن المعجزة الخالدة التي ادعاهها .. هي القرآن . والحقيقة إنها كذلك .. وإذا قدرنا ظروف العصر الذي عاش فيه .. واحترام أتباعه له احتراماً واحداً له .. ووازناه بأبأ الكنييسة أو بقديسي القرون الوسطى .. لتبين لنا أن أعظم ما هو معجز في - محمد رسول الله - أنه لم يدع القدرة على الإتيان بالمعجزات .. وما قال شيئا إلا فعله وشاهده منه أتباعه في الحال .. ولم ينسب إليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر صدورها منه .. فأى برهان على إخلاصه أقطع من ذلك ؟ »

وإنى أعتقد أن الفلسفة العالية .. والمسيحية الصادقة . ستعرف له بذلك يوما من الأيام» - أه- .

ومع هذا فلنرسل رسول - عليه الصلاة والسلام - معجزات كثيرة .. من تلك الخوارق المادية .. التي كانت لغيره من الرسل الكرام .. أجمع عليها المؤرخون وأصحاب السيرة .. وأيدتها الظواهر الطبيعية التي خلدها آثار غير المسلمين .

فمثلا معجزة انشقاق القمر له - عليه الصلاة والسلام - قبل الهجرة بخمس سنين .

فقد ثبت أنه كان في حجر إسماعيل بالكعبة ليلا .. والقمر في منزلة البدر .. في كبد السماء . وكان - عليه الصلاة والسلام - على عادته .. عميق النظر في آيات الله .. فتقدم إليه الوليد بن المغيرة .. وأبو جهل بن هشام .. والعاص بن وائل .. والأسود بن المطلب .. والنضر بن الحارث .. ثم قال له أبو جهل بن هشام ساخرا مستهزئا .. وقد وجد نظره مشدودا إلى القمر .. وكأنه يناجيه :

هل يستطيع ربك يا محمد أن يشق هذا القمر نصفين ؟

ويخيل إلى أن عوامل كثيرة .. قد اعتملت في قلبه - عليه الصلاة والسلام - عندما وجه إليه أبو جهل هذا السؤال - فقال له : وهل تؤمن يا أبا جهل إذا شق ربي هذا القمر ؟

ولم يكونوا يتوقعون منه هذا الرد . استعظاما لهذا الأمر . فقالوا في نفس واحد :

نعم نؤمن .. فأشار - عليه الصلاة والسلام - إلى القمر .. منفعلًا بهذا الأمل .. فشق القمر نصفين .

يقول أنس بن مالك - رضى الله عنه - في الصحيحين :

«فأراهم انشقاق القمر شقتين . حتى رأوا حراء بينهما» .

ولكنهم بدلا من أن يؤمنوا .. قالوا في نفس واحد أيضا : سحر .

ولما كان العرب علماء في أصول السحر ولنونه .. ويعلمون أن السحر في مثل هذا الأمر يكون في أعين الرائيين فقط .. وليس في جرم الشيء

المسحور .. كما قال تعالى عن سحرة فرعون :

«فلما ألقوا سحروا أعين الناس» (١) .. بمعنى أن

عصيتهم وحبالهم لم تتحرك ولم تسع .. وإنما سحروا أعين الجميع .. فخيّل لهم أن العصي والحبال تتحرك وتسعى .. وسرى سحرهم هذا .. حتى في عين موسى - عليه السلام - «فإذا حبالهم وعصيتهم يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى» فأوجس في نفسه خيفة موسى (٢) .

ومن أجل هذا .. قال أحد الموجودين - ممن رأوا انشقاق القمر - لما قالوا سحرا : قال : يا قوم إن كان محمد قد سحر عيوننا .. فرأينا القمر مشقوقا .. فلننتظر .. حتى يصل أول قادم من البادية .. ونسأله عن تلك الظاهرة .. فانتظروا ساعتين .. وجاء قادم من الصحراء .. فسألوه : أين كنت من ساعتين ؟

قال : كنت في مكان كذا .

قالوا : ألم تر ظاهرة حصلت في السماء ؟

قال : لقد رأيت أمرا عجبا .. رأيت القمر .. وقد شق نصفين .. نصف ذهب إلى الشرق .. ونصف ذهب إلى الغرب .. ثم عاد والتأم النصفان .

فقالوا : سحر مستمر .. إنه كبر الكفر .. وكفر الكبر .

ولهذا يقول تعالى :

«اقتربت الساعة وانشق القمر» وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (٣) .

فتلك معجزة متفق عليها بعشرات الأحاديث الصحيحة .. وقد جاء في شرح مختصر ابن الحاجب .. لابن السبكي :

والصحيح عند الجميع أن انشقاق القمر متواتر .. منصوص عليه في القرآن الكريم .. مروى في الصحيحين وغيرهما .. من طرق شتى .. بحيث لا يمتري في تواتره .

وإن كان بعض المفسرين قال : إن المراد في تعبير القرآن الكريم «وانشق القمر» .. بمعنى أنه سينشق في المستقبل . وهذا معنى مرفوض قطعاً .. فقد انشق القمر فعلا .. وأما دليل أثرى مادي ملموس :

فقد ذكرت الصحف الأجنبية مقالاً .. عربته
جريدة - الإنسان - العربية . التي كانت تطبع في الأستانة
بتركيا .. جاء فيه:

«إنه عثر في الصين على بناء قديم .. مكتوب
عليه: أنه بنى عام كذا .. الذي وقع فيه حادث سماوي
عظيم .. وهو انشقاق القمر نصفين» .
هذا ما وجدوه مكتوباً على ذلك الأثر الصيني
فحرر الحساب الفلكي فوافق سنة انشقاقه للرسول - عليه
الصلاة والسلام - (١).

وللرسول - عليه الصلاة والسلام - معجزات
أخرى .. منها:

نبح الماء من بين أصابعه - يوم الحديبية - وفي غزوة
- بواط - أمام عدد كبير .. ولم ينكر ذلك أحد من
الصحابة.

ففي صحيح البخاري .. عن أنس - رضى الله عنه -
قال:

«أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بإناء وهو
بالزوراء .. فوضع يده في الإناء .. فجعل الماء ينبع من بين
أصابعه .. فتوضأ القوم» .

قال قتادة : قلت لأنس .. كم كنتم ؟ .. قال:
ثلاثمائة .. أو زهاء ثلاثمائة .

وعن أنس أيضاً .. قال:

«رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد
حانت صلاة العصر .. فالتمس الوضوء فلم يجدوه ..
فأتى رسول الله بإناء .. فوضع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يده في ذلك الإناء .. فأمر الناس أن يتوضأوا منه
.. فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه .. فتوضأ الناس ..
حتى توضأوا عن آخرهم» .

ومن معجزاته .. تكثير الطعام وبركته
بدعائه أكثر من مرة .. ومنها حنين الجذع . وحديث
الجذع معروف ومشهور .. رواه من الصحابة بضعة
عشر .. منهم جابر بن عبد الله .. وأنس بن مالك ..

(١) كتاب - باكورة الكلام - الشيخ حمزة فتح الله .

وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس .. وأبى بن
كعب .. وأبو سعيد الخدري .. وغيرهم ..

ورواه البخاري عن جابر بن عبد الله :

وذلك أن مسجد النبي .. كان مسقوفاً على جذوع
النخل .. فكان رسول الله إذا خطب يقوم على جذع منها .
فلما صنع له المنبر .. سمع لذلك الجذع صوت كصوت
العشار .. سمعه أهل المسجد حتى أرتج المسجد .. وبكى
الناس لذلك .. وما زال هذا الجذع يحن .. حتى تصدع
وانشق .. فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فالتزمه
وحضنه فسكن .

وفيها أيضاً : رد عين رفاعه بن رافع .. بعد أن
فقتت :

وذلك أن رفاعه فقتت عينه بسهم يوم بدر ..
فوضع يده عليها .. وأسرع إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قائلاً :

يا رسول الله .. لى زوجة جميلة .. أخشى أن
تعيرنى بعيني .. فقال له - عليه الصلاة والسلام - : أصبر
ولك الجنة .. فقال له رفاعه : يا رسول الله .. أريد عيني
وأريد الجنة .. فضحك - عليه الصلاة والسلام - حتى بدت
نواجذه .. يقول رفاعه : فتفل فيها رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ودعا لى .. فما آذاني منها شيء .

كما روى عن أنس - رضى الله عنه - قال:

صعد النبي - صلى الله عليه وسلم -

وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً . فرجف بهم ..
فضربه النبي برجله وقال : «أثبت أحد .. فلإنما عليك نبي
وصديق وشهيدان» .

رواه البخاري وغيره .

وصدق رسول الله .. فقد استشهد عمر وعثمان .

حديث الغيب

روى أبو داود عن حذيفة قال:

قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مقاما .. فما ترك شيئا في مقامه ذلك إلى قيام
الساعة إلا حدث به .. حفظه من حفظه .. ونسيه
من نسيه .. وإنه ليكون الشيء قد نسيته .. فأراه
فأذكره .. كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب
عنه .. ثم رآه فعرفه .. ثم قال حذيفة :
والله ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا . إلا قد سماه
لنا باسمه .. واسم أبيه .. وقبيلته .

حديث الغيب

.. ويخبر عن نتائجها .. قبل حدوثها .. بل ويحدد بالضبط زمن حدوثها :

فنرى ما حدث بعد قوله تعالى :

«الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين» (١) .
فقد كان سبب نزول تلك الآية : أن حربا نشبت بين كسرى فارس وقيصر الروم .. وانتصر فيها كسرى على قيصر .. فساء المسلمين ذلك .. وفاء منهم للروم .
لأن الرومان نصارى أهل كتاب .. ولأن قيصر عظم كتاب الرسول .. الذى أرسله إليه .. يدعو فيه إلى الإسلام .. أما كسرى فقد مزق الكتاب .. وفرح المشركون بمكة بانتصار فارس على الروم .

فأخبر الله - تعالى - بأن الروم بعد أن غلبوا - بضم الفين - سيغلبون - بفتح الياء - وحدد الزمن فى «بضع سنين» والبضع لغة : ما بين الثلاثة إلى التسعة .. وتحققت نبوءة القرآن .. فانتصر الروم على الفرس .. ووافق ذلك يوم الحديبية .. وأخرجوهم من بلادهم .. وذلك بعد سبع سنين .

لم يكن فى حسابى .. عندما أردت أن أتحدث عن معجزة القرآن الكريم .. أن أطيل فى هذا المقام .. لكثرة ما قيل فيه .. ولكن عندما بدأت هذا البحث .. تفتحت أمامى آفاق وآفاق من الأنباء التى تحدث عنها القرآن الكريم .. على أنها ستحدث مستقبلا .. وحدثت فعلا .. فرأيت من الأمانة العلمية أن ألقت النظر إليها .. فقد لا يتيسر للبعض قراءتها .. كما يسرها الله لى فبخلاف ما ذكرنا من أنه تحدى العرب .. بقوله لهم :

«وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله» إلى قوله «فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا» فقلوه «ولن تفعلوا فيه إخبار عن غيب لم يكن يظن أحد من العرب تحققه .. لأنهم أهل البلاغة .. وأئمة البيان .. وأرباب الفصاحة .. وتحقق عدم قدرتهم على الإتيان بآية واحدة منه .

نرى القرآن الكريم ينبئ عن أحداث معينة

ونفس الأمر حدث قبل يوم - بدر - حيث قال الله تعالى - : «سيهزم الجمع ويولون الدبر» (١)

بينما كانت الظواهر تنبئ بغير هذا .. فقد كان جيش المشركين ألفا .. معهم الخيل والمال والسلاح .. وجيش المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا .. وهزم المشركون .. وأمكن الله المسلمين .. وهم قلة مستضعفون من قتل أبطالهم .. واغتنام أموالهم .

ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش قبل أحد:

«سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا» (٢) .

يريد ما كذف الله في قلوبهم من الخوف يوم أحد .. حيث تركوا القتال ورجعوا من غير سبب .

كما تحدث - سبحانه - عما يعتمل في ضمائر المسلمين بقوله :

«وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم» (٣) .

والطائفتان : هما العير والنفير .

وذلك أن عير قريش .. أقبلت من الشام .. فيها تجارة عظيمة .. ومعها أربعون راكبا .. على رأسهم أبو سفيان .. وعلم بها رسول الله . فأخبر المسلمين .. وفرحوا بقاء العير .. لكثرة الخيرات فيها .. وقلة المدافعين عنها .

فلما خرجوا علمت قريش بذلك .. فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة .. بعتادهم وسلاحهم .. وهذا هو النفير .. ومنه المثل السائر «لا في العير ولا في النفير» .

وقيل لأبي جهل : إن العير أخذت طريق الساحل ونجت .. فأبى وسار بمن معه إلى بدر .. وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم .. يوما في السنة .

ونزل جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين : إما العير بساحل البحر .. بخيراتها .. وإما قريشا ببدر بجيشها ونفيرها .

فاستشار النبي أصحابه وقال: العير أحب إليكم أو النفير ؟

قالوا : بل العير أحب لنا من لقاء العدو .. وتغير وجه رسول الله ..

فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير .. ودع العدو .. فقام أبو بكر وعمر .. فأحسنوا القول .

ثم قام سعد بن عباد :

فقال : انظر أمرك .. فامض يا رسول الله .. وكذلك قال المقداد بن عمرو : امض لما أمرك الله .. فإننا معك حيث أحببت .. وقال سعد بن معاذ: امض يا رسول الله لما أردت .. فوالذي بعثك بالحق .. لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك .. ما تخلف منا رجل واحد .. فسر بنا على بركة الله .

ففرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونشطه قول سعد .. ثم قال: سيروا على بركة الله .. أبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين .. والله لكأنني أنظر مصارع القوم .. وكانت الكراهة من بعضهم .. لقوله تعالى :

«وإن فريقا من المؤمنين لكارهون» (٤) .

وتحقق وعد الله لهم بالنصر . وكان الوعد قطعاً قبل اللقاء .

ومن ذلك قوله تعالى عن اليهود:

«فتمنوا الموت إن كنتم صادقين» ولن يتمنوه أبداً» (٥) .

فأخبر أنهم لا يتمنون الموت .. لا بالقلب .. ولا بالنطق باللسان .. مع قدرتهم عليه .. وكانوا يستطيعون تكذيبه بالتمنى .. ولو بالسنتهم .. ولكنهم خافوا .. فلم يفعلوا .

وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:

«لو تموتوا الموت لغص كل إنسان بريقه .. فمات مكانه . وما بقى يهودى على وجه الأرض» .

وهذا وعد من الله تحقق :

«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» (٦) .

وصدق الله وعده .. بأن جعل أمته خلفاء الأرض .. فلم يمض - عليه الصلاة والسلام - حتى فتح الله عليه بمكة وخيبر والبحرين وسائر

(٢) ١٥١ - آل عمران .

(٤) ٥ - الأنفال .

(٦) ٥٥ - النور .

(١) ٤٥ - القمر .

(٣) ٧ - الأنفال .

(٥) ٩٤ - البقرة .

جزيرة السرب .. وأرض اليمن بكاملها .. وأخذ الجزيرة من مجوس هجر .. ومن بعض أطراف الشام . وهاداه هرقل - ملك الروم - والمقوقس - صاحب مصر والإسكندرية - وملك عمان .. والنجاشي - ملك الحبشة . ومن بعده أبو بكر .. غزت جيوشه بلاد فارس .. وفتحوا طرفا منها .. وغزت أرض الشام .. وفتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ونواحيهما .. من بلاد - حوران - وما والاها . ثم جاء الفاروق - عمر بن الخطاب - فتم في أيامه فتح بلاد الشام بكاملها .. وديار مصر إلى آخرها .. وأكثر إقليم فارس .

وفي أيام عثمان . امتدت الممالك الإسلامية .. إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها .. وجرى بالخراج من المشارق والمغارب .. وزادت الفتوحات الإسلامية واتسعت .. وها نحن نريد أن يتحقق لنا إن شاء الله ما وعدنا الله ورسوله .. وصدق الله ورسوله . ومن أنباء القرآن الكريم عن اليهود : «وضربت عليهم الذلة والمسكنة» (١) .

فتحن نرى من يوم أن نزلت تلك الآية ذل اليهود ومسكنتهم وتشتتهم بين دول العالم .. حتى عصرنا القريب .. لما هيا الله لهم دولة .. لأمر يعلمه .. وقد لا ندريه .

وللقرآن الكريم أحاديث كثيرة أيضا .. عن المكتشفات العلمية .. التي أصبحت حقائق ثابتة .. ليس هذا مكان مناقشتها .. وقد صدق الله - سبحانه - عندما قال :

«سريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (٢) .

هذا من ناحية حديث الغيب .. في القرآن الكريم .. أما حديث الغيب .. في كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - مما لم يذكره الله - تعالى - في القرآن فهي كثيرة . فالغيب يختص به تعالى .. وما وقع منه على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - فمن الله . إما بوحي .. أو إلهام لإثبات نبوته .

وفي الحديث . أنه - صلى الله عليه وسلم - قال : «والله إنني لا أعلم إلا ما علمني ربي» .

وهي كثيرة جدا .. مما تواتر واشتهر .. حتى كان بعضهم يقول لصاحبه : اسكت .. فوالله لو لم يكن معنا من يخبره .. لأخبرته حجارة البطحاء .

يقول عنه عبدالله بن رواحة - رضي الله عنه :-

وفينا رسول الله يتلو كتابه

إذا انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى .. فقلوبنا

به موقنات أن ما قال واقع

ويقول عنه حسان بن ثابت - رضي الله عنه :-

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

ويتلو كتاب الله في كل مشهد *

فإن قال في يوم مقالة غائب

فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد

وروى الشيخان عن أبي هريرة .. أن النبي - صلى

الله عليه وسلم - نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات

فيه .. وخرج بهم إلى المصلى .. فصصف بهم .. وصلى عليه

.. وكبر أربع تكبيرات .

وقد رأيناه - عليه الصلاة والسلام - فوق جبل أحد

.. ومعه أبو بكر وعمر وعثمان .. فرجف الجبل بهم ..

فضربه برجله .. وقال له : «اثبت أحد فإنا عليك نبي

وصديق وشهيدان» وقد حصل .. ومات عمر وعثمان

شهيدين .

وقد روى هذا الحديث : أحمد والبخاري .. من

حديث أنس .

كما روى الشيخان .. عن أبي هريرة .. أنه - صلى

الله عليه وسلم - قال :

«إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده .. وإذا هلك

قيصر فلا قيصر بعده .. والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما

في سبيل الله» .

قال النووي عن الشافعي وسائر العلماء : لا يكون

كسرى بالعراق .. ولا قيصر بالشام .. كما كان في زمنه -

عليه الصلاة والسلام .

فأعلمنا بانقطاع ملكهما عن هذين الإقليمين ..

وكان كما قال .

ولعل أبرز من هذا قوله - عليه الصلاة والسلام - لسراقة :

«كيف بك إذا لبست سوارى كسرى» فلما أتى بهما عمر .. ألبسهما إياه .. وقال :

الحمد لله الذى سلبهما كسرى .. وألبسهما سراقة .. وكان سراقة أعرابيا بدويا من بنى مدلج .

لقد من الله - سبحانه - على حبيبه محمد .. وكشف له حجب الغيب .. فهو - سبحانه - «عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول» (١) .. وقد ارتضى الله محمدا رسولا .. فرأى الدنيا بأحوالها وأحوالها وأحداثها .. وما هو كائن وما يكون فيها .. كما رآها جده آدم - عليه السلام - عندما علمه الله الأسماء كلها .. عقب النفخ فيه .

فقد أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفى هذه» .

وروى أبو داود عن حذيفة .. قال :

قام فينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مقاما .. فما ترك شيئا فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به . حفظه من حفظه .. ونسيه من نسيه .. قد علمه أصحابى هؤلاء وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأعرفه فأذكره . كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه .. ثم رآه فعرفه .

ثم قال حذيفة :

ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه .. والله ما ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا .. يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا .. إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته .

وتلك قرينة تاريخية .. لا يمكن إنكارها .. فقد ثبت أن المشركين .. لما رجعوا عن المدينة يوم الأحزاب .. قال النبى - صلى الله عليه وسلم .

«الآن نغزوهم ولا يغزوننا» وتحقق فلم تغز المدينة بعدها .

وإذا تبعنا الأحداث . وسيرها فى غزوة مؤتة .. نرى العجب .. :

فقد بعث - صلى الله عليه وسلم - جيشا إلى مؤتة .. وأقر عليهم زيد بن حارثة .. ثم قال :

«فإن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب .. فإن أصيب فعبد الله بن رواحة» .

فلما التقى المسلمون يوم مؤتة فى المدينة .. جلس النبى على المنبر .. فكشف له .. حتى نظر إلى معتركهم .. فقال : «أخذ الراية زيد بن حارثة .. حتى استشهد» .. فصلى عليه .. ثم قال «استغفروا له» .. «تم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب حتى استشهد» فصلى عليه .. ثم قال «استغفروا لأخيكم جعفر» «ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد» فصلى عليه .. ثم قال «استغفروا لأخيكم» .. فأخبر أصحابه بقتلهم فى الساعة التى قتلوا فيها .

ومؤتة دون دمشق .. بأرض البلقاء بالشام .. تقول أسماء بنت عميس :

دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صبيحة اليوم الذى قتل فيه جعفر وأصحابه . فقال :

«يا أسماء أين بنو جعفر، دفنت بهم .. فضمهم وشمهم .. ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى .. فقلت : يارسول الله .. أبلغك عن جعفر شىء؟ .. قال : «نعم .. قتل اليوم» . رواه البغوى .

ولو تركنا العنان للقلم .. لخرج بنا عن النبأ .. الذى خصصنا له هذا الكتاب .. إلى نبأ آخر يحتاج إلى مجلدات وكتب .. ولكن سنعرض لها على امتداد رحلتنا معه - عليه الصلاة والسلام .

فقد أعلم قريشا بأكل الأرض ما فى صحيفتهم التى تعاهدوا فيها ضد بنى هاشم .. وقطعوا بها أرحامهم .. وأنها لم تبق فيها إلاكل اسم الله .. فوجدوها كما قال - عليه الصلاة والسلام .

ولهذه الصحيفة قصة جميلة .. سنعرضها بعد أن نحضر مفاوضات قريش مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حول هذا الأمر الخطير .. الذى جاءهم به .

مفاوضات

ذهب المشركون إلى أبي طالب .. بعمارة بن الوليد .. وقالو: يا أبا طالب . هذا عمارة بن الوليد.. فتى قريش وأشعرهم وأجملهم .. فخذة فلك عقله ونضرته .. فاتخذة ولدا .. وأسلم لنا ابن أخيك هذا الذى سفه أحلامنا .. وخالف دينك ودين آبائك .. وفرق جماعة قومك .. نقتله .. فإنما رجل برجل .

فقال: والله لبئس ما تساوموننى .. أتعطونى ابنكم أغدوه لكم .. وأعطيكم ابنى تقتلوه !!

هذا والله غير معقول ولا جائز .

مفاوضات

رسول الله وهم يعذبون .. فقال: «صبرا آل ياسر ..
إن موعدكم الجنة».

وقد أغلظت سمية - رضى الله عنها - القول لأبى
جهل .. وهى تحت العذاب .. قطعنها برمحه فى مكان
عفتها فماتت .. فكانت أول شهيد فى الإسلام .. فقال له
ياسر زوجها: قتلتها يا عدو الله؟ فضربه فى قلبه بعقب
حذائه .. حتى لحق بها.

أما عمار .. فقد ظلوا يعذبونه فى الحر .. فوق
الرمال الساخنة تارة .. وبالنار تارة .. حتى سب محمدا
- صلى الله عليه وسلم - ومدح اللات والعزى .. فتركوه ..
فأتى النبى يبكى .. وهو يقول: هلكت يا رسول الله ..
فقال له: ماذا يا عمار؟ .. قال شر يا رسول الله .. عذبونى
حتى سببتك ومدحت آلهتهم .. فقال: فكيف تجد قلبك؟
.. قال: أجدته مطمئنا بالإيمان .. فقال: يا عمار إن عادوا
فعد .. فأنزل الله تعالى:

(إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (١).

ومنهم خباب بن الارت .. عذبه عذابا شديدا ..
بالحجارة المحماة بالنار .. وهو عار .. فلم يجبههم إلى شيء
مما أرادوا.

دخل الناس فى الإسلام .. واحدا بعد واحد .. فى
محاولات التستر والكتمان .. وكلما أحست قريش بهذا
.. اشتد غضبهم وغيظهم .. واشتعلت نيران الحقد فى
قلوبهم .. وغلّت مراحل الغل فى صدورهم .. فتفننوا فى
تعذيب المستضعفين منهم.

وقابل هؤلاء المعذبون هذا العذاب بصبر تخشع له
رواسخ الجبال .. وتتحطم أمامه قوى صناديد الأبطال.

فهذا بلال بن رباح الحبشى .. يعذبه سيده أمية بن
خلف الجمحى .. ورآه أبو بكر يعذب .. فقال لأمية: ألا
تتقى الله فى هذا المسكين؟

فقال أمية لأبى بكر - رضى الله عنه - أنت أفسدته
فأنقذه .. فاشتراه وأعتقه .

وقد قتل بلال أمية بن خلف فى غزوة بدر.

وهذا عمار بن ياسر العنسى .. أسلم هو وأبوه
وأمه سمية قديما .. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى
دار الأرقم .. بعد بضعة وثلاثين رجلا .. وكان ياسر حليفا
لبنى مخزوم .. فكانوا يخرجونهم إلى الصحراء إذا حميت
الرمضاء .. يعذبونهم ويضربونهم .. ومر بهم

وقد هاجر خباب .. وحضر الغزوات كلها
مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومات
بالكوفة سنة سبع وثلاثين للهجرة .

قال عنه على بن ابي طالب - رضى الله عنه :
رحم الله خبابا .. اسلم راغباً .. وهاجر
طائعا .. وعاش مجاهداً .. وابتلّى في جسمه ..
ولكن لا يضيع الله اجر من احسن عملاً .

ومن المعذبين في تلك الفترة .. صهيب
ابن سنان الرومى .. وقد كناه رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - ابا يحيى - قبل ان يولد
له .. وقد تحمل جميع افانين العذاب ..
ومنعته قريش من الهجرة .. فافتدى نفسه
منهم بكل ماله وما يملك .

ولما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب .. امر
صهيبا يصلى بالناس .. الى ان يختار اهل
الشورى خليفة بعده .

ومنهم عامر بن فهيرة - مولى الطفيل
ابن عبد الله .. وكان من المستضعفين المعذبين ..
فلم يرجع عن دينه .. حتى اشتراه ابو بكر
واعتقه .. وكان يروح ويغدو .. بغنم ابي بكر
.. على رسول الله وصاحبه في الغار .. وهاجر
معهما الى المدينة يخدمهما .. وشهد بدرًا واحداً
.. وقتل يوم بدر معونة سنة اربع من الهجرة ..
وعمره اربعون سنة .

وغير هؤلاء كثير .. عذبوا .. وصبروا ..
ومع هذا كان عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ..
برغم الاذى الذي كان ينال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الصلاة والسلام - من ائمة الشرك والكفر ..
في حله وترحاله .

وبدأت قريش تتجه اتجاهاً آخر .. مع
رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

فذهب اليه عتبة بن ربيعة .. وقال له :
يا ابن اخي .. انك منا حيث قد علمت من
السطه (١) في العشرة .. والمكان في النسب ..
وانك قد اتيت قومك بامر عظيم . فرقت به بين

جماعتهم .. وسفّهت به احلامهم .. وعبت به
آلهتهم ودينهم .. وكفرت به من مضى من
آبائهم .

فاسمع مني .. اعرض عليك امورا تنظر
فيها .. لعلك تقبل منا بعضها .
فقال له : عليه الصلاة والسلام - قل
يا ابا الوليد اسمع .

قال : يا ابن اخي .. ان كنت تريد بما جئت
به من هذا الامر مالا .. جمعنا لك من اموالنا
حتى تكون اكثرنا مالا .. وان كنت تريد شرفاً ..
سودناك علينا حتى لا نقطع امرنا دونك .. وان
كنت تريد ملكاً .. ملكناك علينا .. وان كان هذا
الذي ياتيك رثياً من الجن تراه .. لا تستطيع
رده عن نفسك .. طلبنا لك الطب .. وبذلنا
فيه اموالنا حتى نبترك منه .. فانه غلب التابع
على الرجل حتى يداوى منه .

فلما فرغ عتبة .. ورسول الله يستمع منه
.. قال : اقد فرغت يا ابا الوليد ؟ .. قال :
نعم . قال : فاسمع مني .. قال : افعل ..
فقرا - عليه الصلاة والسلام - من اول
« فصلت » .. كما اشرنا من قبل .

فلجأوا الى عمه ابي طالب .. وهو الذي
يمنعه ويحميه منهم .

ذهب اليه عتبة وشيبة ابنا ربيعة ..
وابو البختري بن هشام .. والاسود بن المطلب
.. والوليد بن المغيرة .. وابو جهل بن هشام ..
والعاص بن وائل السهمي وغيرهم .

فقالوا : يا ابا طالب .. ان ابن اخيك قد
سب آلهتنا .. وعاب ديننا .. وسفه احلامنا ..
وضلل اباؤنا .. فاما ان تكفه عنا .. واما ان
تخلي بيننا وبينه .. فانك على مثل ما نحن عليه
من خلافة ؟ فقال لهم ابو طالب قولاً جميلاً ..
وردهم رد رقيقاً .. فانصرفوا عنه .

وظل رسول الله على ما هو عليه .. فعادوا
الى ابي طالب .. حيث لم تنمر مفاوضتهم الاولى

آبائك .. و فرق جماعة قومك تقتله .. فانه رجل برجل .

فقال : والله لبئس ما تسارموننى .. اتعطونى ابنكم أشدوه لكم .. واعطيكم ابنى تقتلوه ؟ هذا والله غير معقول ولا جائز .

فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف .. لقد أنصفك قومك .. وما تريد ان تقبل منهم شيئا .

فقال : والله ما أنصفونى .. ولكنك قد أجمعت خذلانى .. ومظاهرة القوم على .. فاصنع ما بدالك .

وظاهر — قطعاً — انه عرض فى غاية السخف .. ومجافاة المنطق .

فلما يسوا من اجابة طلبهم .. اشتد أذاهم للمسلمين .. ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين .. يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم .

وقام ابو طالب فى بنى هاشم .. فدعاهم الى منع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأجابوه الى ذلك .

ولما رأت قريش ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد رفض ما عرضوه عليه .. دعوه الى لقاء .. وقالوا له : ان كنت غير قابل لشيء مما عرضناه عليك .. فانت تعلم ضيق بلدنا .. وقلة مائنا .. وشدة عيشنا .. فسل ربك هذا الذى بعثك .. فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا .. وليبسط لنا بلادنا .. وليشق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق .. ويبعث لنا من مضى من آبائنا .. ومنهم قصي بن كلاب .. فانه شيخ صدق .. فنسألهم عما تقول .. فان صدقوك .. وصنعت ما سألناك .. صدقناك .. وعرفنا فضلك .. وآمنا بك .

فقال : « ما بهذا بعثت اليكم .. انما جئتم من الله بما بعثنى به .. وقد بلغتكم بما أرسلت به .. فان قبلوه .. فهو حظكم فى الدنيا والآخرة .. وان تردوه على اصبر لأمر الله .. حتى يحكم بينى وبينكم » .

معه .. فقالوا : يا ابا طالب .. ان لك فينا سنا وشرفا ومنزلة .. وقد أتيناك لتنهى ابن أخيك .. فلم تفعل .. ونحن لا نصبر على سب آلهتنا .. ونسفيه أحلامنا .. حتى تكفه عنا .. أو نقاتلك معه .. وكان فى قولهم هذا تهديد لأبى طالب .. وانذار بإعلان العداء .. فعظم عليه فراق قومه .. وعداوتهم له .. ولم تطب نفسه بترك ابن أخيه وخذلانه .. فبعث الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعلمه ما قالت قريش .. وقال له : ابق على نفسك وعلى .. ولا تحملنى من الأمر ما لا اطيع .. وقد عرضوا عليك ما تشاء من شرف وملك ومال .

وظن رسول الله — عليه الصلاة والسلام — أن عمه قد تخلى عنه .. فقال له قولته المشهورة :

« والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى .. والقمر فى يسارى .. على أن أترك هذا الأمر .. ما تركته .. حتى يظهره الله أو أهلك دونه » .

ثم بكى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقام .. فلما ولى .. ناداه ابو طالب .. فأقبل عليه .. وقال : اذهب يا ابن أخى .. فقل ما شئت .. فوالله لا أسلمك لشيء أبدا .

وساعرض عليك ايها القارىء الكريم .. مفاوضة غريبة .. فافوضوا فيها ابا طالب .. نستشف منها سوء تفكيرهم .. وافك تقديرهم .

فلما رأوا اصرار أبى طالب على الدفاع عن ابن أخيه .. حبا فيه .. وقياما بالواجب عليه نحوه ..

وعملا بأسباب المروءة .. ولكنه مع ذلك لم يعتنق الاسلام .. وبقي على دينه .. ذهبوا اليه بعمارة بن الوليد .. وقالوا يا ابا طالب .. هذا عمارة بن الوليد .. فتى قريش وأشعرهم وإجملهم .. فخذ .. فلك عقله ونصرته .. فاتخذه ولدا .. وأسلم لنا ابن أخيك هذا .. الذى سلفه أحلامنا .. وخالف دينك ودين

قالوا : فإذا لم تفعل هذا .. فخذ لنفسك ..
وسل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ..
ويراجعنا عنك .. وسله فليجعل لك جناحا وقصورا ..
وكنوزا من ذهب وفضة .. يغنيك بها عما نراك تهتغي ..
فانك تقوم بالاسواق .. وتلمس الماشي كما تلمسه ..
حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك .. ان كنت رسولا كما تزعم .

فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ما انا بفعل .. وما انا بالذي يسأل ربه هذا .. وما بعثت اليكم بهذا .. ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا .. فان تقبلوا ما جئتكم به .. فهو حظكم في الدنيا والآخرة .. وان تردوه على أصبر حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

قالوا : فاسقط السماء علينا كسفا ..
كما زعمت ان ربك ان شاء فعل .. فانا لن نؤمن لك الا ان تفعل .

فقال : « ذلك الى الله .. ان شاء ان يفعله بكم فعل » .

قالوا : ألم يعلم ربك مجالسنا هذا منك .. فليعلمك ما تراجعنا به .. ويخبرك بما هو صانع بنا .. اذا لم تقبل منك ما جئتنا به .. لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا .

فلما قالوا ذلك .. قام عنهم رسول الله .. وقام معه عبد الله بن أمية بن المغيرة المخزومي .. وكان ابن عمته هاتكة بنت عبد المطلب .. فقال له : يا محمد .. عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم .. ثم سألوك لنفسك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل .. ثم سألوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل .. ثم قال : فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما .. ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها .. ثم تأتني معك بصك معه أربعة من الملائكة ..

يشهدون لك انك كما تقول .. وايم الله .. لو فعلت ذلك .. ما ظننت اني اصدقك (١) .

وانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسفا حزينا .

وهذه المطالب .. أوردها القرآن الكريم .. في سورة الاسراء .. قال :

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتينا بالله والملائكة قبيلا .. او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا (٢) » .. واقرأ غيرها من مطالبهم (٣) في سورتي هود والفرقان .

وتلك المطالب من قريش .. تدلنا على عنادهم وتعنتهم واصرارهم على الكفر .. وتبين لنا مدى ما كان يعانيه - عليه الصلاة والسلام - معهم من الاسى والاسف .

فقومه يطلبون منه المستحيلات .. ويكلفونه بخوارق العادات .. من تسيير الجبال .. وتفجير الأنهار .. واحياء الموتى .. يطلبونه بامتلاك الجنان والقصور والكنوز .. ويطلبه ابن عمته بالصعود الى السماء وهو يراه .. والعودة منها بكتاب .. ومعه الملائكة .

كل هذا يبين لنا كيف كانت نفسه تذهب عليهم حسرات .

واشتد ساعد أبي جهل .. ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما ان انصرف رسول الله عن مجلسهم .. حتى قام ابو جهل - عمرو بن هشام - فقال : ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا .. وشتم آبائنا .. وتسفيه آلهتنا .. فلاجلسن له بحجر ما اطيع

(٢) ٩٠ - ٩٢ / الاسراء .

(١) اسلم عبد الله - هذا - في فتح مكة .

(٣) ١٢ / هود و ٨ / الفرقان .

حمله .. فاذا سجد في صلاته .. رضخت به رأسه .

ولكنه عندما هم ليفعل .. رجف وارعد ..
وسقط الحجر من يده قبل أن يصل إلى محمد .
كان أبو جهل أشدهم عداوة لرسول الله - وقال
عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رآه
مقتولا يوم بدر : « قتل فرعون هذه الأمة » .

قتله عمرو بن الجموح وابن العفراء
الانصاريان .. وكانا يومها غلامين صغيرين ..
وحديثهما معروف في الصحيح .

وكان سىء الخلق .. فظا .. غليظ القلب ..
ظالما .. عرضه عداؤه لرسول الله - صلى الله
عليه وسلم - لكثير من سخرية القوم واستهزائهم
.. فعندما حمل الحجر .. ليرضخ به رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ساجد أمام
القوم .. أصابه خوف ورعب .. فسقط الحجر
من يده .. وكاد أن يكسر رجله .. فضحك
القوم .. وقالوا : جبن ابن هشام .

واشتري من شخص يقال له - الأراشي -
جمالا .. ولم يعطه ثمنها .. واستعان الرجل

برسول الله .. وذكر له انه غريب .. وان
عمرو بن هشام اغتصبه حقه .. وقام - عليه
الصلاة والسلام - إلى أبي جهل .. وطرق عليه
بأيه .. والمشركون ينتظرون ما سيفعله أبو جهل
بمحمد .. فقال أبو جهل .. لما سمع الطرق
على الباب : من الطارق ؟ .. فقال : انا محمد ..
فخرج إليه .. وقد امتنع وجهه .. ورجفت
أوصاله .. فقال له : أعط هذا الرجل حقه ..
فلم يتردد أن دفع للرجل حقه .

وضحك القوم وقالوا : جبن ابن هشام .

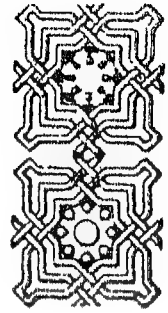
كما ظلم تاجرا قدم من البادية بثلاثة جمال
حسان .. وساومه أبو جهل عليها بثلاث ثمنها ..
وامتنع الناس عن رفع الثمن .. خوفا من
أبي جهل .. ولكن محمدا - صلى الله عليه
وسلم - زاد له في الثمن .. حتى أرضاه .. ثم
باع منها جملين .. وأبقى الثالث .. حتى باعه
.. وأعطى أرامل بنى المطلب ثمنه .

وكان أبو جهل وصيا على مال يتييم .. فأكله
وطرده .. فاستعان اليتيم بالنبي .. فمشى
معه .. ورد له ماله .



إسلام حمزة وعمر

كان حمزة - رضى الله عنه - متوشحا قوسه ..
راجعا من الصيد .. وكان من هوائيه .. وكان اذا
رجع من الصيد .. لم يرجع الى اهله .. حتى
يطوف بالكعبة فلا يمر على ناد من اندية قريش .. الا
وقفوا وسلموا عليه .. وتحدث معهم .. فقد كان اعز
قريش .. واشدهم شكيمة .. وكان يومئذ مشركا
على دين قومه .



— ٢٥ —

اسلام حمزة وعمر

قبل جدة فمنهم الراكب .. ومنهم الماشى ..
ورزقهم الله سفينة تجارية .. متجهة الى ارض
الحبشة .. ركبوها حتى دخلوا الحبشة سالمين
آمنين .. وقد حاولت قريش اللحاق بهم ..
فلم يدركوهم .

وهم :

عثمان بن عفان وزوجته رقية - بنت رسول
الله - ولهذا يقول - عليه الصلاة والسلام - :

« ان عثمان اول من هاجر مع امراته بعد
لوط » .

ومنهم ابو حذيفة بن عتبة ومعه امراته سهلة
بنت سهيل .. ومصعب بن عمير .. والزبير
ابن العوام .. وعبد الرحمن بن عوف ..
وابو سلمة بن عبد الأسد ومعه امراته ام سلمة ..
وعثمان بن مظعون .. وعبد الله بن مسعود ..
وعامر بن ربيعة ومعه امراته ليلى بنت ابي هبشة
.. وابو سبرة بن ابي رهم .. وحاطب بن عمرو
.. وسهيل بن وهب .

وقد اكرم النجاشي وفادتهم .. فامثوا عنده
على دينهم من الفتنة .. وعلى اجسادهم من
العذاب .

اشتد اذى المسلمين .. وعز على رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - ما يقاسيه اصحابه
من البلاء المصنى .. والهلاك المبين .. على يد
قساة القلوب .. غلاظ الاكباد .. من مشركي
مكة وجبابرتها .. مع ما هو فيه من السلامة ..
اماكنه من الله عز وجل .. ودفاع بنى هاشم
عنه .. بأمر عمه ابي طالب .. فقال للمسلمين :

« لو خرجتم الى ارض الحبشة .. فان
فيها ملكا .. لا يظلم عنده احد .. وقد اذن الله
لكم بتلك الهجرة .. حتى يجعل الله لكم فرجا
ومخرجاً مما أنتم فيه » .

ولفظ - النجاشي - اسم لكل ملك يلي
الحبشة .. كما ان فرعون اسم لكل ملك يلي
مصر .. وكان نجاشي الحبشة في هذا الحين
اسمه - اصحمة بن ابجر - ومعنى اصحمة
بالعربية - عطية - والاحباش مسيحيون
نسطوريون .

فخرج المهاجرون متسللين سرا .. في شهر
رجب سنة خمس من النبوة .. ويوافق عام
٦١٥ م . خرج من المسلمين اثنا عشر رجلاً واربع
نسوة .. حتى انتهوا الى الشعيبة على البحر .

وهم وإن كان عددهم قليلا .. إلا أنه في تلك الهجرة الكثير من معاني العظيمة في الثبات على المبادئ .. والقوة في العقائد .. ففي سبيلها يهون كل شيء .. يهون ترك المال والأهل .. وتهون الصعاب والمشقات .

وكانت الهجرة الأولى مقدمة للهجرة الثانية .. ثم الهجرة إلى المدينة .

وشاء الله - تعالى - أن يعترض أبو جهل محمداً في الطريق .. فأذاه وشتمه .. وعاب دينه وسببه .. واستنطال عليه وأهانته .. فلم يرد عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

وباطن الخير دائماً كامن في ظواهر الشر .. كما ينبت حنان الوردية من بين قسوة الأشواك . فقد كانت مولاة لعبد الله بن جدعان التيمي .. في مسكن لها فوق الصفا .. وسمعت ما قاله أبو جهل لرسول الله .. ورائه لم يرد عليه .. بل أعرض عنه في هدوء .. وانصرف إلى منزله .. بينما ذهب أبو جهل إلى نادى قريش .. عند الكعبة .. فجلس معهم .

وكان حمزة بن عبد المطلب - عم رسول الله - وأخوه من الرضاعة - كما قدمنا - أَرْضَعْتُهُمَا ثَوْبِيَّةً - مولاة أبي لهب - وكان أكبر سناً من رسول الله بأكثر من سنة .. وكنيته - أبو عمار - وكان قوى الجسم .. طويل القامة .. شجاعاً محارباً .

رائته مولاة عبد الله بن جدعان قادماً .. بعد تلك اللحظة التي رأت فيها ما رأت من أهانة أبي جهل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان حمزة متوشحاً قوسه .. راجعاً من قنص له .. وكان من هواة الصيد .. وكان حمزة إذا رجع من قنصه .. لم يرجع إلى أهله حتى يطوف بالكعبة .. فلا يمر على ناد من أندبة أقرش .. إلا وقفوا وسلموا عليه .. وتحدث معهم .. فقد كان أعز قريش .. وأشدهم شكيمه .. وكان يومئذ مشركاً على دين قومه .

فلما مر بالجارية قالت له : يا أبا عمار .. لو رأيت ما لقي محمداً ابن أخيك من أبي الحكم آنفاً .. وجده هناك فأذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره .. ثم انصرف عنه .. ولم يكلمه محمد .. فثارت في نفس حمزة ثورة الغضب .. وأسرع لا يقف على أحد .. كما كان يصنع .. يريد الطواف قبل أن يلقي أبا جهل .. فلما دخل

المسجد .. رأى أبا جهل جالساً بين القوم .. فاقبل نحوه .. حتى إذا قام على رأسه .. رفع القوس فضربه ضربة شجت رأسه شجة كبيرة .. فقام رجال من قريش من بنى مخزوم إلى حمزة لنصرة أبي جهل .. فقالوا : ما نراك يا حمزة إلا قد صبت .. أي خرجت عن ديننا .

فقال حمزة : وما يمنعني .. وقد استبان لي منه ذلك لا .. أنا أشهد أنه رسول الله .. وأن الذي يقوله الحق .. فوالله لا أنزع (١) .. فامنعوني أن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمار .. فاني قد سببت ابن أخيه سبا قبيحاً .. وذهب حمزة - رضى الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأعلن إسلامه .. وثبت عليه .

أسلم سنة ست من النبوة .

ولما أسلم .. عرفت قريش أن رسول الله قد عز وامتنع .. وأن حمزة سيكون عضداً قوياً له .. فقل تعرضهم لرسول الله بالأذى .

وحمزة سيد الشهداء .. أخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة .. ثم هاجر إلى المدينة وشهد بدرًا .. وأبلى فيها بلاء خارقاً مشهوراً .. وقاتل يومها بسيفين .. وشهد أحداً واستشهد بها في السبت .. النصف من شوال .. من السنة الثالثة للهجرة .. بعد أن قتل يومها من المشركين عدداً كبيراً .. فرماه وحشى الحبشى مولى جبير ابن مطعم بحربة فقتله .. ومثل بجسمه المشركون وبجميع قتلى المسلمين .. وجعل نساء المشركين : هند وصواحباتها .. يجدن أنوف المسلمين وأذانهم .. ويقرن بطونهم .. وقرت هند بطن حمزة - رضى الله عنه - فأخرجت كبده .. فجعلت تلوكها فلم تسفها فلفظتها .. فقال - عليه الصلاة والسلام - :

« لو دخل بطنها لم تمسها النار » . وبكى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رآه قتيلاً .. ودفن عند أحد في موضعه .. وكان عمره تسعاً وخمسين سنة .

وتظهر سماحة الإسلام .. في العفو عند المقدرة .. في عفو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هند .. يوم فتح مكة .. برغم ما عملت في جسد عمه حمزة .

(١) أي لا انتهى عما قلت لكم .

وشاء الله - تعالى - أن يزيد الاسلام قوة ..
بعد اسلام حمزة .. باسلام عمر .. وقد أصابته
دعوة الرسول .. قال : « اللهم أعز الاسلام بأحب
الرجلين إليك : عمر بن الخطاب .. أو عمرو
ابن هشام » يقصد أبا جهل .

وكان عمر .. من أشراف قريش .. اليه
السفارة في الجاهلية .. اذا وقعت حرب بينهم
وبين غيرهم .. أو بين بعضهم البعض .. كان
مفيرا .. واذا حصلت منافرة أو مفاخرة ..
اختاروه منافرا أو مفاخرا .. وكان قوى الجسم
.. طويل القامة .. يعمل بالتجارة .. مهابا بين
العرب .. فهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد
المزى .. واما حنتمه بنت هاشم .

ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين .. كان
مولده في عام ٥٨١ م .

وكان معروفا بالقسوة والعداوة لرسول الله
والمسلمين بعد بعثته - صلى الله عليه وسلم -
ومن قسوته عليهم .. انه كان يعذب جارية
بنى موثل لاسلامها .. وهى التى اشتراها أبو بكر
واعتقها .. كان عمر يضربها بلا رحمة ولا شفقة
.. ولا يتركها حتى يمل من ضربها .

ولندع عمر - رضى الله عنه - يحكى لنا
قصة اسلامه بنفسه .. قال :

كنت من أشد الناس على رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - فينا أنا في يوم شديد الحر
بالحاجرة .. في بعض طرق مكة .. اذ لقيني رجل
من قريش فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ..
انت تزعم انك هكذا .. وقد دخل عليك هذا
الامر في بيتك ؟ .. قلت : وماذا ؟ .. قال :
اختك قد صابت (١) .. فرجعت مغضبا .. وقد
كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجمع
الرجل والرجلين - اذا أسلما - عند الرجل به
قوة .. فيكونان معه .. ويصبيان من طعامه ..

وقد كان قد ضم الى زوج اختى رجلين ..
فجئت حتى قرعت الباب .. فقيل : من هذا ؟
قلت : ابن الخطاب .. وكان القوم جاوسا ..
يقراون في صحيفة معهم .. فلما سمعوا صوتى
.. نبادروا واختفوا .. وتركوا أو نسوا
الصحيفة من أيديهم .. فقامت المرأة ففتحت لى
.. ففات : يا عدوة نفسها .. فد بغنى انك
صابت .. قال : فأرفع شيئا في يدي فأضربها به
.. فسال الدم .. فلما رأت المرأة الدم بكت ..
ثم قالت : يا ابن الخطاب .. ما كنت فاعلا فافعل
.. فقد أسلمت .. فدخلت وأنا مغضب ..
فجلست على السرير .. فنظرت فاذا بكتاب في
ناحية البيت .. فقلت ما هذا الكتاب ؟ اعطنيه -
وكان عمر كاتباً - فقالت : لا اعطيك .. لست من
اهله .. انت لا تفتسل من الجنابه .. ولا تتطهر
.. وهذا لا يمسسه الا المطهرون .. قال : فلم ازل
بها حتى اعطنيته - بعد أن اغتسلت .. فاذا
فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم » فلما مررت
بالرحمن الرحيم .. ذعرت .. ورميت بالصحيفة
من يدي .. ثم رجعت الى نفسى .. فاذا فيها :
« سبح لله ما فى السماوات والأرض وهو
العزیز الحكيم » (٢) .

قال : فكلما مررت باسم من أسماء الله تعالى
ذعرت .. ورميت بالصحيفة من يدي .. ثم
ترجع الى نفسى .. حتى بلغت :

« آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه » .. الى « ان كنتم مؤمنين » (٣) .

قال : فقلت : أشهد ان لا اله الا الله وأشهد
ان محمدا رسول الله .. فخرج القوم يتبادرون
بالتكبير .. استبشارا بما سمعوه منى ..
وحمدوا الله - عز وجل - ثم قالوا : يا ابن الخطاب
أبشر .. فان رسول الله دعا يوم الاثنين فقال :

« اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين .. اما عمرو
ابن هشام .. واما عمر بن الخطاب » .
فأبشر .

(١) اخت عمر - فاطمة - زوجة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وزيد بن عمرو .. هو الرجل الامة .. الذى سبق
ان كتبنا عنه فصلا في هذا الكتاب .. فهو أحد الاربعة الباحثين من دين ابراهيم - قبل الاسلام - ومات دفاعا من
عقيدته .. ورفض عبادة الاصنام .

وقد اعتنق سعيد بن زيد الاسلام هو وزوجته - فاطمة - وكانوا من أوائل من أسلموا - سرا - .
(٢) الحديد .
(٣) ١ - ٨ / الحديد .

.. وانا نرجو ان تكون دعوة رسول الله لك ..
قال : فلما عرفوا منى الصدق .. قلت لهم :
اخبروني بمكان رسول الله .. فقالوا : هو في بيت
في اسفل الصفا .. وصفوه .. فخرجت حتى
قرعت الباب .. قيل : من هذا ؟ .. قلت :
ابن الخطاب .

قال : وقد عرفوا شدتي على رسول الله ..
ولم يعلموا باسلامي .. فما اجترا احد منهم ان
يفتح الباب .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« افتحوا له .. فانه ان يرد الله به خيرا يده » .
ففتحوا لي .. واخذ رجلان بعضدي .. حتى
دنوت من النبي .. فقال : ارسلوه .. فارسلوني
.. فجلست بين يديه .. فاخذ بمجمع قميصي ..
فجبلني اليه .. ثم قال : « اسلم يا ابن الخطاب
.. اللهم اهده » .. قال : قلت : اشهد ان لا اله
الا الله وانك رسول الله .

فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة .
اسلم عمر - رضى الله عنه - .. في السنة
السادسة من النبوة .. وكان في السادسة
والعشرين من عمره .. بعد اسلام حمزة بثلاثة
ايام .. وسماه رسول الله - الفاروق - لانه حين
اسلم قال :

قلت يا رسول الله .. السنا على الحق ان
متنا او حيينا ؟ .. قال : « بلى والذي نفسي
بيده انكم لعلى الحق ان متم او حييتم » .

قال : فقالت : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك
بالحق لتخرجن .. فاخرجناه في صفين .. حمزة
في احدهما .. وانا في الآخر .. حتى دخلنا
المسجد .. فنظرت الى قريش والى حمزة ..
فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثاها .. فسماني
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الفاروق »
لانه فرق بين الحق والباطل .

قال عمر : لما اسلمت تلك الليلة تذكرت اى
اهل مكة اشد عداوة لرسول الله .. حتى آتته
.. فاخبرته انى اسلمت .. قال .. قلت :
ابو جهل .. فاقبات حين اصبحت .. حتى

ضربت عليه الباب فخرج الى ابو جهل
فقال : مرحبا .. ما جاء بك ؟ .. قلت : لاخبرك
انى آمنت بالله وبرسوله محمد .. وصدقت بما
جاء به .. فضرب الباب في وجهي .. وقال :
قبحك الله وقبح ما جئت به .

فكان اسلام عمر - رضى الله عنه - اكبر
ضربة قضت على ابي جهل .. لان ابا جهل عم
عمر .

ان اسلام عمر وحده .. لدليل صادق على
قوة تأثير القرآن في القلوب .. وانه ليس من قول
بشر .. فنحن نرى ان عمر .. ورغم شدة
عدائه للمسلمين وللرسول .. ورغم قسوة قلبه
.. وقد رايناه يضرب جارية مسكينة اسلمت ..
ويظل يضربها حتى تكل يداه .. بدون رحمة
ولا شفقة .

ونراه يضرب أخته .. فيشج وجهها ..
ويسيل الدم منه .. ولم يلق قلبه لآى شيء من
هذا نرى هذا القاب قد خشع ولان .. واستسلم
واذعن .. لمجرد قراءة آيات من هذا الكتاب ..
فلم يملك نفسه .. وهو العربى الصميم .. ان
اعترف بأن هذا الكلام ليس من كلام البشر .

وعمر - رضى الله عنه - هو ثانى الخلفاء
الراشدين .. وقد ضرب به المثل في الزهد والعدل
.. قال على - رضى الله عنه - : ما علمت احدا
هاجر الا مختفيا .. الا عمر بن الخطاب .. فانه
لما هم بالهجرة .. تقلد سيفه .. وتنكب قوسه
.. وانتضى في يده اسهما .. واتى الكعبة
واشراف قريش بفنائها .. فطاف سبعا .. ثم
صلى ركعتين عند المقام .. ثم اتى حلقهم واحدة
.. واحدة .

وقال : شامت الوجوه .. من اراد ان تشكله
امه .. ويستم ولده .. وترسل زوجته ..
فليحقتى وراء هذا الوادى .. فما تبعه احد
منهم .

خلف ابا بكر على المسلمين عشر سنوات
ونصف سنة تقريبا .. كان فيها مثالا للعدل في

ودفن عمر - رضى الله عنه - في يوم الأحد
.. غرة المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ..
وله من العمر ثلاث وستون عاما .. دفن في
حجرة السيدة عائشة .. مع رسول الله
وأبى بكر .

وسرى اسلام حمزة وعمر .. مسرى الريح
.. في الجزيرة العربية .. بل وجاوزها الى
المسلمين المهاجرين بالحبشة .. ففرحوا وعاد
معظمهم الى مكة .. معتقدين ان الأمر قد استتب
بها .. وان الاسلام قد ظهر وانتشر .. لكنهم
وجدوا تعذيب المستضعفين قد ازداد .. وان
الحقد والنيل قد باضا وأفرخا في صدور ائمة
الكفر وزعماء الشرك .. فأمرهم رسول الله
بالهجرة ثانية الى الحبشة .. ليأمنوا على دينهم
.. وعلى انفسهم .

وقد حاولت قريش منعهم من الهجرة .. بعد
ان علموا ان النجاشي يكرم وفادتهم .. ويحسن
معاملتهم .. فخرج من خرج بمجهود أشد
من الهجرة الاولى .

وبلغ عدد المهاجرين في تلك المرة ثلاثة وثمانين
رجلا .. واحدى عشرة امرأة قرشية .. وسبع
نساء غير قرشيات .

وعاشوا عند النجاشي في خير جوار .. الى
ما بعد هجرة الرسول الى المدينة .

اقصى درجاته .. والخوف من الله في أسس
مراتبه .. روى انه كانت له زوجة يحبها ..
فلما ولى امر المسلمين طلقها .. مخافة ان تشفع
اليه في باطل .. فيدفعه حبها الى طاعتها ..
طلبها لرضاها .

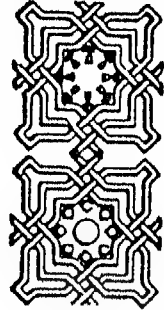
وله مواقف تشهد بالقوة والعظمة .. والمجد
والحكمة .. والسياسة وبعد النظر .. لا تحصى
المجلدات .. ولا تكفيها السجلات .. ويكفى ان
الله - تعالى - انزل الوحي على وفق رايه في آيات
كثيرة .. منها :

تحريم الخمر .. وتحويل القبلة .. وعدم
القيام على قبور المنافقين .. وامر النساء
بالحجاب .. وموقف أسرى بدر .

طعنه ابو لؤلؤة - فيروز - فلام المغيرة
ابن شعبة .. وهو قائم يصلى صبح يوم الاربعاء
.. السادس والعشرين من ذى الحجة .. سنة
ثلاث وعشرين من الهجرة .. بعد ان كبر تكبيرة
الاحرام .. طعنه عدة طعنات .. فقال عمر :

« الحمد لله الذى لم يجعل منيتى على يد
رجل يدعى الاسلام » .

وتقول بعض الروايات : ان ابا لؤلؤة كان
مجنونا .. لانه قتل سبعة رجال مع عمر .. ثم
قتل نفسه .



حصار.. وآية.. وحزن

● اجتمعت قريش على ان يكتبوا كتابا ..
يتعاقدون فيه ضد بنى هاشم وبنى المطلب .. الا
يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم .. ولا يتعاملوا معهم ببيع
ولا شراء .. ولا يخالطوهم .. ولا يقبلوا منهم صلحا
ابدا .. الا اذا سلموا محمدا ليقتلوه .. وعلقوا هذه
الصحيفة في سقف الكعبة .. وتم الحصار الرهيب .
فانحاز بنو هاشم .. وبنو المطلب .. الى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - في شعب ابي طالب .. الا ابا لهب
فقد انضم الى قريش ضد اهله وعشيرته .

دام الحصار ثلاث سنين .. ولكن الارضة اكلت
ما كان في الصحيفة من عهد ظالم .. ولم تترك الا
ما كان فيها من اسماء الله - تعالى - واخبرهم
رسول الله بهذا .. وفك الحصار .

حصار .. وآية .. وحرز

بنى هاشم وبنى المطلب .. واثار حميتهم ليمنعوا
محمدا من قريش .. فاستجابوا له جميعا ..
مسلمهم وكافرهم .. وادخلوا محمدا شعبهم ..
وقفوا دونه بدافع الحمية العربية .. والنخوة
الهاشمية .

واجتمعت قريش يدبرون أمرهم .. ويعملون
تفكيرهم .. ثم اتفقوا على ان يكتبوا كتابهم ..
يتعاقدون فيه ضد بنى هاشم وبنى المطلب ..
الا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم .. ولا يتعاملوا
معهم ببيع أو شراء .. ولا يخالطوهم .. ولا يقبلوا
منهم صاحبا ابدا .. الا اذا سلموا محمدا ليقتلوه .
وكتبوا بذلك التعاقد صحيفة .. علقوها في
سقف الكعبة .. وتم هذا الحصار .

وقد كتب تلك الصحيفة بغيض بن عامر ..
ودعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فشلت يده .

احتدم الصراع بين الخير والشر .. وقوى
النزاع بين التوحيد والشرك .. ونفث الشيطان
في قلوب المشركين .. ففلت مراحل الحقد في
صدورهم .. واشتعلت نيران العداوة متاججة
في حنايا ضلوعهم .. فها هو دين محمد ينتشر
رويدا رويدا بين قبائل العرب .. وتحية الاسلام
تفزو القلوب .. فتسرى في البادية مسرى النور
في الظلام .. فتلين لها القلوب .. وتخفق بسناها
الأنفذة .. لما لها من جرس شجي تطمئن اليه
النفوس .. ويرتاح به الوجدان .. وها قد اسلم
حمزة وعمر .. ولهما ثقلهما ووزنهما بين قبائل
العرب .. سواء في نجد أو في الحضر .

فطاش صوابهم .. واضطربت احلامهم ..
وقرروا فيما بينهم ان لا مناص من قتل محمد .
وعلم ابو طالب بما عزموا عليه .. فجمع

تلفعت بقدره الصحيفة في هلال محرم سنة
سبع من النبوة .. فاحاز بنو هاشم ..
وبنو المطلب الى رسول الله .. في شعب ابي طالب
.. الا ابا لهب .. فقد انضم الى قريش ضد
اهله وعشيرته .

وبدا الحصار شديدا فاسيا .. فقد منعوا
عنهم ضروريات الحياة .. من غداء ولساء ..
وبعوا محبوسين مخضورين .. مصيفا عليهم
اشد الضيق .. فلا ميرة ولا مادة ثلاث سنين ..
حتى بلغ بهم الجهد .. وسمع اصوات صبيانهم
يبتكون من الجوع من وراء الشعب .. فلم يكن
يصل اليهم شيء الا سرا .. مستخفيا به من يريد
صلتهم من قريش .

وقد بدل ابو جهل كل ما يستطيع من جهد
لاحكام هذا الحصار .

وقد ذكر ابن هشام في سيرته .. ان ابا جهل
لفى حكيم بن خزام بن خويلد بن اسد .. معه
غلاما يحمل قمحا يريد به عمته خديجة .. وهى
عند رسول الله في الشعب .. فتعلق به وقال :
اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ .. واللات لا تبرح
بطعامك .. حتى افضحك بمكة .. فجاءه
ابو البختري وقال : طعام كان لعمته عنده ..
بعثت اليه فيه .. اتمنعه ان ياتها بطعامها ؟ ..
خل سبيل الرجل .. فابى ابو جهل .. حتى
نال احدهما من صاحبه .

دام الحصار كل تلك المدة .. وانفق رسول
الله وخديجة وابو طالب كل اموالهم .. حتى
وصلوا الى حد الضر والفاقة .

وفي هذا الموقف قال ابو طالب قصيدته
اللامية المشهورة .. وقد ذكرتها بعض كتب
السيرة ومطلعها : جزى الله عنا عبد شمس
ونوفلا (١) .

وكانت قريش في ذلك بين راض وكاره ..
فسعى في نقض الصحيفة الكارهون لها .. قام
بذلك هشام بن عمرو بن الحارث بن حبيب
ابن نصير بن مالك .
مشى في ذلك الى المطعم بن عدى وجماعة من

قريش .. فتحدثوا بنقض الصحيفة .. لما فيها
من ظلم وعدوان وقطيعة للرحم .. وضربوا المثل
بما جرى لبغيض بن عامر الذي كتبها .

وبالسخرة القدر بهم .. فقد اكلت الارضة
ما كان في الصحيفة .. من عهد ظالم .. واتفاق
هاشم .. ونزل جبريل - عليه السلام - واخبر
النبي بان الصحيفة التى تضم هذه الاتفاقيات
الظالمة الغاشمة .. قد اكلتها الارضة .. اكلت
ما كان فيها من جور وظلم وقطيعة .. ولم تترك
الا ما كان فيها من اسماء الله - تعالى - .

فاخبر بذلك همه ابا طالب .. فخرج الى
قريش .. واخبرهم ان ابن اخيه قال كذا وكذا
عن الصحيفة .. فان كان كاذبا خلينا بينكم وبينه
.. وان كان صادقا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا
.. قالوا : قد انصفتنا .

وانزلوا الصحيفة .. ففتحوها .. فوجدوها
كما اخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فسقط في ايديهم .. ونكسوا رءوسهم .. ولكنهم
ازدادوا كفرا وكبرا .

فقال ابو طالب : علام نحبس ونحصر ..
وقد ظهرت الحقيقة واصحها جلية ؟ .. ثم دخل
هو واصحابه بين أستار الكعبة .. فقال : « اللهم
انصرنا على من ظلمنا .. وقطع رحمنا .. واستحل
حرماننا » .. ثم انصرفوا الى شعبهم .

وتلاوم رجال من قريش .. على ما صنعوا
ببنى هاشم .. وكان فيهم مطعم بن عدى ..
وعدى بن قيس .. وزمعة بن الأسود ..
وابو البختري بن هشام .. وزهير بن امية ..
فلبسوا السلاح .. ثم خرجوا الى بنى هاشم
وبنى المطلب .. وامروهم بالخروج من الشعب
الى مساكنهم ففعلوا .. وسقط في ايدي قريش
.. وغلبوا على امرهم ولم يستطعوا شيئا .

قال ابن عبد البر : كان ذلك في السنة العاشرة
من النبوة .

(١) بالتكامل في - زاد المعاد - ص ٥١ ج ٢ .

وبعد سنة أشهر من فك الحصار عن المسلمين
مرض أبو طالب مرض الوفاة.. وهذا الوقت
يوافق عام ٦٢٠ م .

لقد كان أبو طالب مدافعا قويا عن رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — .

وروى أن رسول الله قال : « مازالت قريش
كاعة (١) عني .. حتى مات عمي » .

وكان — عليه الصلاة والسلام — يحب أن
يسلم عنه .. فلما اشتد مرضه .. قال له :

« قلها يا عمي أستحل لك بها الشفاعة يوم
القيامة » يقصد : قل الشهادة .

فقال له أبو طالب : يا ابن أخي .. لولا مخافة
المسيبة .. وأن تظن قريش أننا قتلها جزعا من
الموت لقلتها .. فأنزل الله تعالى : « انك لا تهدى
من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » (٢) .

وجاء في أسد الغابة .. عن هشام بن السائب
الكلبي .. عن أبيه .. أنه قال :

لما حضرت أبا طالب الوفاة .. جمع اليه
وجوه قريش .. فأوصاهم .. فقال : يا معشر
قريش .. انتم صفوة الله في خلقه .. الى ان
قال : اني اوصيكم بمحمد خيرا .. فانه الامين
في قريش .. والصديق في العرب .. وهو الجامع
لكل ما اوصيكم به .. وقد جاء بأمر قبله الجنان
.. وانكره اللسان .. مخافة الشنآن .. وإيم
الله لكاني انظر الى صعاليك العرب وأهل الوبر
والاطراف والمستضعفين من الناس .. وقد أجابوا
دعوته .. وصدقوا كلمته .. وعظموا أمره ..
فخاض بهم غمرات الموت .. فصارت رؤساء
قريش وصناديدها اذناها .. ودورها خرابا ..
وضمعاؤها أربابا .. وإذا أعظمهم عليه أحوجهم
اليه .. وأبعدهم منه أحظاهم عنده .. قد
محضته العرب ودادها .. وأصغت له فؤادها ..
وأعطته قيادها .. يامعشر قريش كونوا له ولاة
.. ولحزبه حماة .. والله ٦ يسلك أحد مسلكه

الأرشد .. ولا يأخذ بهديه الا سعد .. ولو كان
لنفسى مدة .. ولاجلى تأخير .. لكفنت عنه
الوزاهر .. ولدفعت عنه الدواهي .

ثم مات عن سبع وثمانين سنة .. في السنة
العاشرة من الرسالة .

وحزن الرسول — صلى الله عليه وسلم —
لموته .. وقال :

« رحمك الله وغفر لك .. لا أزال استغفر لك
حتى ينهاني الله » .

فأخذ المسلمون يستغفرون للمشركين من
موتاهم .. حتى أنزل الله — تعالى — :

« ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين
لهم أنهم أصحاب الجحيم » (٣) .

والمشهور أن أبا طالب مات كافرا .. ولكن
الشيعة يقولون : مات مسلما .

ونحن نسأل الله — خلف رسول الله — له
المغفرة .. بما قدم للرسول من حب وود
وفداء .

وترك من الأولاد : جعفر .. وعلي .. وعقيل
.. وطالب .. وأم هانئ — واسمها فاختة —
وجمانة .

وكان الفراق الثاني .. بعد فراق أبي طالب
.. هو فراق زوجته — السيدة خديجة — فقد
توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام أو خمسة ..
في شهر رمضان .. من العام العاشر للنبوّة ..
قبل الهجرة بثلاث سنين ولها خمس وستون
سنة .. بعد أن عاشته ما يقرب من خمسة
وعشرين عاما .. ودفنها رسول الله بالحجون
.. وحزن عليها .. ونزل حفرتها .. فقد كانت
له مثال الزوجة الوفية .. فبدلت نفسها ومالها
لله ورسوله .

(١) الكاع : الجيان .. كانوا يجيئون من اذى النبي في حياة أبي طالب .

(٢) ١١٣ — التوبة .

(٣) ٥٦ — القصص .

وكان فراقها أشد على نفس رسول الله من
فراق عمه أبى طالب .

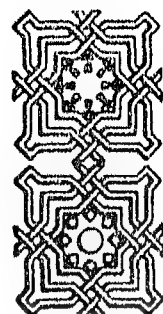
لقد كانت وفاتها صدمتين كبيرتين ..
بالنسبة له - عليه الصلاة والسلام .

كانا قلبين كبيرين .. يحيطانه بسياج من
الحب والفداء .. والود والولاء .. كانا له
سائرا عاصما من أذى السفهاء .. وبطش
الجهلاء .. فبعد فقدهما .. اشتد أذى قريش
له .. واصلوا عليه غلمانهم وسفهاءهم ينثرون
عليه التراب .. ويطرح بعضهم عليه روث
الشيء وسلاها .

ولهذا سمي هذا العام - عام الحزن - .
ثم تزوج سودة بنت زمعة - رضى الله
عنها - لتخدمه .. وهى أول زوجاته .. بعد
موت السيدة خديجة .

أسلمت السيدة سودة قديما .. وكانت
تحت ابن عمها السكران بن عمرو .. أسلم
معه .. وهاجرا الى الحبشة فى الهجرة الثانية
.. ومات زوجها .. فتزوجها رسول الله ..
وقد تنازلت عن يومها - فيما بعد - للسيدة
عائشة .. وتوفيت بالمدينة .





إلى الطائف

وضع عداس طبق العنب بين يدي رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وكان عداس يعمل في بستان
عنب وشيعة ابني ربيعة .. وكانا مشركين .. فمد
الرسول يده في العنب .. قائلا : بسم الله الرحمن
الرحيم - ثم أكل .. فنظر عداس إلى وجهه .. ثم قال :
ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - له : « من
أى البلاد أنت .. وما دينك ؟ »

قال : نصراني .. من نينوى .
فقال له : « من قرية الرجل الصالح .. يونس
بن متى ؟ »

قال عداس : وما يدريك ما يونس بن متى :
قال : « ذاك أخي .. وهو نبي مثلي »
فاكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها .

— ٢٧ — الى الطائف

« لقد لقيت من قومك .. وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة .. اذ عرضت نفسى
على ابن عبد ياليل بن كلاب » .. وذكر حديث
الطائف .

وذلك ان رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — بعد موت ابي طالب وخديجة .. اشتد
البلاء عليه من سفهاء مكة .. وتجرءوا عليه ..
فكاشفوه بالاذى .. فخرج الى الطائف .. واخذ
معه موله زيد بن حارثة .. على امل ان يؤووه
وينصروه على قومه .. ويمنعوه منهم .. كان
ذلك فى السابع والعشرين من شوال .. فى
السنة العاشرة من النبوة .

والطائف على مسافة خمسة وستين ميلا
.. فى الجنوب الشرقى من مكة .. وكانت
مصيف اغنياء مكة .. لجودة مناخها ..
وخصب أرضها .. وكثرة فاكهتها وعنبها ..
الذى يضرب المثل بطيبه وجودته .. وهى مقر
عبادة — اللات — .

لنتخيل معا مدى البلاء الذى يعانيه — عليه
الصلاة والسلام — فى تلك الفترة من الزمن ..
فأغلب المسلمين قد هاجر الى الحبشة ..
وفرق الموت بينه وبين ارحم قلبين : قلب عمه
ابى طالب .. وقلب زوجته خديجة .. واستغل
غلاظ الاكباد قساسة القلوب من قريش ما هو
فيه من قلة الاعوان .. وفقدان الخلائق ..
فأغروا به سفهاءهم .. يؤذونه فى كل مكان
يقصده .. او طريق ينشده .. فرأى ان يترك
مكة الى مكان آخر .. حتى يأتى وعد الله ..
واختار الطائف .

ويخيل الى .. ان هذا العام كان قمة
الابتلاء بالاذى بالنسبة له — عليه الصلاة
والسلام — وقد سألته ام المؤمنين عائشة —
رضى الله عنها — فى صحيح البخارى ومسلم ..
قالت :

قلت للنبي — صلى الله عليه وسلم — :
هل انى عليك يوم اشد من يوم احدى ؟ .. قال :

ذهب الى جماعة من اشرافهم .. ودعاهم الى عبادة الله وحده .. فقال احدهم :

اما وجد الله احدا يرسله غيرك ؟ .. وقال آخر : لا اكلمك .. لانك ان كنت رسولا من الله كما تقول .. فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام .. وان كنت كاذبا فما ينبغي لن ان اكلمك .

واغروا به سفاهم ومواليهم وغلماهم .. يسبونهم ويرمونهم بالحجارة .. حتى دميت قدماه .

اختضبت نعلاه بالدماء .. وكان اذا ازلقته الحجارة .. قعد الى الأرض .. فيأخذونه بعضديه فيقيمونه .. فاذا مشى رجموه وهم يضحكون .. وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج رأسه .. والجاه الناس الى حائط .

فلما اطمأن .. ورجع الناس عنه .. رفع يديه الى السماء وقال :

« اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس .. يا أرحم الراحمين .. انت رب المستضعفين وانت ربى .. الى من تكلنى ؟ .. الى بعيد يتجهمنى (١) .. أم الى عدو ملكته امرى (٢) ؟ .. ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى .. ولكن عافيتك أوسع لى .. اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات .. وصلح عليه امر الدنيا والآخرة .. من ان يحل بى غضبك .. أو ينزل على سخطك .. لك العتبى حتى ترضى .. ولا حول ولا قوة الا بك » .

يقول - عليه الصلاة والسلام - فى حديث عائشة .. الذى رواه البخارى ومسلم .. والذى اشرنا اليه من قريب : « فرفعت رأسى .. فاذا بسحابة قد اظلمتنى .. فنظرت فاذا فيها جبريل - عليه السلام - فنادانى .

فقال لى : ان الله قد سمع قول قومك .. وما ردوا به عليك .. وقد بعثت اليك ملك الجبال .. لتأمره بما شئت .. فنادانى ملك الجبال .. فسلم على .

ثم قال : يا محمد .. ان الله قد سمع قول قومك .. وما ردوا به عليك .. وانا ملك الجبال .. وقد بعثنى ربى اليك .. لتأمرنى بامرك .. ان شئت اطبق عليهم الاخشابين - وهما جبلان يحيطان بالقرية - .

فقال - صلى الله عليه وسلم - بل ارجو ان يخرج من اصلاهم من يعبد الله وحده .. ولا يشرك به شيئا » .

وخرج - عليه الصلاة والسلام - من الطائف منهك البدن .. مرهق الاعصاب .. وممر فى طريقه بعتبة وشيبة ابنى ربيعة .. فى بستان لهما .. جلس يستريح الى جانب حائطه .. فلما رآيا ما اصابه تحركت له رحمهما .. فبعثا له غلاما نصرانيا يعمل فى بستانهما .. ومعه قطف عنب موضوع فى طبق .. واسم الغلام - عداس - فوضعه عداس الطبق بين يدى رسول الله .. ومد الرسول يده فى العنب .. قائلا : « بسم الله الرحمن الرحيم » .. ثم اكل .

فنظر عداس الى وجهه .

ثم قال : ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذا البلد .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له :

« من أى البلاد انت وما دينك » ؟ .

قال : نصرانى من - نينوى - .

فقال له : « من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى » ؟ .

(٢) يقصد ايا جهل .

(١) يعنى لى وجهى - يقصد اهل الطائف .

فقال : وما يدريك ما يونس بن متى ؟

قال : « ذاك اخي .. وهو نبي مثلي » .

فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه

بقبلها .

فقال ابنا ربيعه .. احدهما لصاحبه : اما

غلامك فقد افسده عليك .. فلما جاء عداس ..

سألاه : مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه

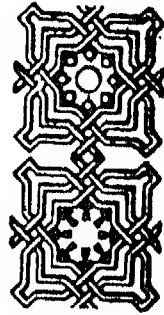
وقدميه ؟ ..

قال : يا سيدي لقد اخبرني بأمر لا يعلمه

الا نبي .. فقالا : ويحك يا عداس .. لا يصرفنك

عن دينك ودين أبائك .

* * *



مع رسل الجن

لم يحدثنا العلم عن أسماء رسل الجن .. الذين
ولوا الى قومهم مننرين وما علينا الا ان نتلمس المعاني
بعد النص القرآنى .. فهم مصروفون ومدفوعون من
الله .. ان اذهبوا الى محمد .. فاستمعوا الى ما اوحى
اليه .. ثم بلفسوه اقوامكم .. ((فلما حضروه قالوا
انصتوا)) وكانوا احسن من الانس الذين قالوا
((لا تسمعوا لهذا القرن والغوا فيه)) .

● عندما نزل قول الله تعالى فى سورة الرحمن
((فبأى آلاء ربكما تكذبان)) اتجه - عليه السلام - الى
الصحابه وقال : ((سبقتكم بها الجن)) .. قالوا :
ماذا يا رسول الله ؟ .. قال : ((عندما توجه السؤال من
الله - سبحانه - الى الثقلين : الانس والجن .. بقوله
((فبأى آلاء ربكما تكذبان)) ؟

قالت الجن : ((ما بشيء من آلائك تكذب يا ربنا))
فهل الجن احسن وعيا للقرآن .. ولما فيه من
اساليب البيان ..

— ٢٨ —

مع رسل الجن

كما يقول - سبحانه - :

« ولقد ذرانا لجنهم كثيرا من الجن والانس » (٣) . . وغيرها في القرآن الكريم كثير .

فاذا كانت اجسام الانس طينية . . فاجسام الجن نارية لطيفة . . تتكشف وتلطف . . وهم ليسوا من نطاق العالم المشهود . . فهم والملائكة من عالم الغيب . . الذى يلزم المسلم الايمان به غيبيا .

ولفظ - الجن - لغويا . . مشتق من الجيم والنون . . وكل مشتقات الجيم والنون تفيد معنى الستر .

فنحن نقول : جن عليه الليل : اى سستره الليل بظلمته . . ونقول عن المجنون مجنونا : اى مستور العقل . . ويقال للجنين جنينا : طالما كان مستورا فى بطن امه . . فاذا خرج من البطن لا يقال له جنين . . حتى الحدائق تسمى جنات . . لانها تستر من فيها لارتفاع اشجارها .

وانصرف - عليه الصلاة والسلام - عن الطائف عائدا الى مكة . . حتى اذا وصلا مكانا بين الطائف ومكة اسمه - نخلة - نزل به . . وقام يصلى فى الليل . . فصرف الله اليه نفرا من الجن . . قيل - سبعة - وقيل اكثر . . فاستمعوا قراءته وكان يقرأ سورة الجن . . ولم يشعر بهم رسول الله . . حتى انزل الله عليه :

« واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولو الى قومهم منذرين ﴿١﴾ قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » الى آخر الآيات (١) .

والبحث هنا يجبرنا على الوقوف لحظة مع عالم الجن . . وهم النقل الثانى المساوى للانس فى الطاعة والمعصية . . وفى الاكل والشرب . . والتناسل والموت . . والثواب والعقاب . . والله - سبحانه - يقول فى سورة الرحمن :
« سنفرغ لكم ايها الثقلان » (٢) النقل الانسى . . والثقل الجنى .

(٢) ٣١ - الرحمن .

(١) ٢٩ - ٣٠ / الاحقاف .

(٣) ١٧٩ - الامراف .

قال : عندما توجه السؤال من الله - سبحانه - الى الثقلين : الجن والانس .. بقوله . « فباي آلاء ربكما تكذبان » ؟ .

قالت الجن :

ولا بشيء من آلائك تكذب ياربنا .

ومعنى هذا أن الجن أحسن وعيا للقرآن .. ولما فيه من أساليب البيان .. بلغته العربية المبينة .. ومواقع الأسئلة الالهية فيه .. ولولا هذا الوعى الفنى لديهم .. لما قالوا : « قرأنا عجبا » ولما أدركوا أنه « يهدى الى الرشـد » .. وقالوا « فآمننا به » .

واستفادوا من حكمته فى التوحيد المطلق .. والتوحيد المجرد هو هدف الأهداف من هذا الكتاب كله .. فقالوا « ولن نشرك بربنا أحدا » .

اليس عجيبا أن يعرض عنه العرب .. وهم سدنة البيان .. وأعلام الفصاحة .. فى الوقت الذى تقبل عليه خلائق الجن ؟

ويبدو - فيما أعلم - أن أحدا من المفسرين .. لم يتعرض لشرح الطريقة .. التى كانت تعرب بها آيات القرآن الكريم للجن .. وهو بلسان عربى مبين .. ولا كيف كانوا يدركون المعانى العليا .. التى تحتويها تلك العبارات السامية .. على ما فيها من فنون البلاغة : من بديع وبيان .. ولا ندرى كيف تعلم الجن لغة العرب .. بفنونها هذه .

لم يخبرنا أحد من المفسرين .. كيف تسنى للجن أن يجدوا فى الكتاب الحكيم « قرأنا عجا يهدى الى الرشـد » .. مع أن كثيرا من الانس العرب .. لم يتيسر لهم ادراك هذه المفاهيم العليا .

والقرآن فيه ما فيه من آيات لأولى الالباب وذوى البصائر .. فهل للجن من القوى الادراكية والعقلية ما يجعلهم أحسن فطنة .. وادق تقديرا .. لأسرار هذه اللغة .. التى انزل الله بها كتابا فصلت آياته .. واتضحت بيناته ؟ .

مهما يكن من أمر .. فإن النصوص قاطعة الدلالة .. على أن الجن فهموه فهما أدى بهم الى الهداية والايمان .. على أن المتواتر بين العرب .. هو وجود شعراء من الجن .. فقد ورد كثير من الأنباء عن شعر الجان .. وأنه ما من شاعر من الانس .. الا كان له وحى من شاعر جنى .. كما قيل - لولا هبید ما كان لبید - .

ولم يحدثنا العلم الى اليوم عن أسماء الرسل الجنيين .. الذين ولوا الى قومهم منذرين .. وما علينا الا أن نلتبس من النص القرآنى الذى ذكرناه .. فهم مصروفون ومدفوعون من الله بقوة الالهام .. أو بهاتف السماء .. الذى امرهم أن اذهبوا الى محمد .. فاستمعوا الى ما أوحى اليه .. ثم بلغوه اقوامكم .. وحددوا موقفكم من القرآن .

بدليل قوله تعالى :

« قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا سمعنا قرأنا عجبا * يهدى الى الرشـد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا » .. وتلك الآية هى مطلع سورة الجن .. فلمن قالوا ؟ .

القرآن نفسه يرد على هذا السؤال .. فيقول :

« فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا » .

وكانوا أحسن من الانس .. الذين قال الله عنهم :

« وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه » (١) .. اما الجن « فلمما حضروه قالوا انصتوا » ولا تهرجوا ولا ترفعوا اصواتكم فوق كلام الله .. وبهذا كانوا صالحين للحال الذى ذهبوا بها .. حاملين من روح القرآن ونوره الى قومهم رسالة .. بوصف كونهم منذرين .. والنذير الذى يحمل دعوة الحق رسول .

والنص فى سورة الجن يقول بلسان الجن :

« وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك » ويقول ايضا :

« وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » (٢) .

ونفهم من هنا أن فى الجن مؤمنين .. وفيهم ايضا ضالون منحرفون .. ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اشار الى المؤمنين منهم .

عندما قال لأصحابه .. عند نزول قوله تعالى .. فى سورة الرحمن :

« فباي الآء ربكما تكذبان » ؟ فقال : « ما بشيء من آلائك تكذب ياربنا » ثم اتجه الى الصحابة وقال : سيقم بها الجن .

قالوا : ماذا يارسول الله ؟

ومما يجدر بنا الانتباه اليه .. ذلك الهاتف الجنى .. الذى صاح عشيا من اعلى جبل ابي قبيس .. ينادى اهل الندوة فى مكة .. بعد هجرة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وصاحبه من مكة .. وانباههم عن قيامه - عليه السلام - بمعجزة فى الطريق .. ووصوله بسلام .. حيث قال هذا الهاتف :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى ام معبد
هما نزلا بالبر .. وارتحلا به
وافلح من امسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعداها للمؤمنين بمرصد

فهذا الشعر تأليف جنى .. هتف به .. وهذا الشاعر دل على علمه بخط سير النبى - عليه الصلاة والسلام - هو وصاحبه .. ومرورها فى الطريق على امرأة فى بيت من الشعر .. تسمى - ام معبد - .

وسنعرض لاحديث ام معبد - فى رحلة الهجرة ان شاء الله .. فهو حديث ممتع .

وقد اجمع رجال السيرة .. على انها اصدق امرأة برعت فى وصف النبى - صلى الله عليه وسلم - من حيث صورته .

هذا ما اشار اليه الشاعر الجنى .. وهو يدل على ان الجن يوجدون فى كثير من الاماكن .. دون ان يراهم أحد .. لان الله يقول :

« انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (١)
.. وقبيله أى جنسه .

ومما ادى بوفد الجن ونقبائهم الى تأييد التجرد من ريفة الشك .. وهذه الشك .. اعلانهم انهم آمنوا ايمانا مترتباً على سماعهم لآيات الهدى .. حيث يقولون فى سورة الجن :

« وانا لما سمعنا الهدى آمنا به » والايمان اعلى مرتبة من الاسلام .. وليس بعد الايمان الا الاحسان .. والاحسان اعلى مراتب الدين .

وقد اعترفوا بانهم قبل بعثة النبى - صلى الله عليه وسلم - قد لمس بعضهم السماء لاستراق السمع .. ومحاولة معرفة ما يحدث لبني آدم من الأمور والأحداث .. وانهم وجدوها بعد مبعثه - عليه الصلاة والسلام - « قد ملئت حرساً شديداً وشهباً » لتدفع المردة منهم عن استراق السمع ومحاولة تخطي الغيب .. والآية صريحة :

« وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً » وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً .

وهذا يدل على ان لهم من القوى .. ما يجعلهم فى المستوى الذى لا تبلغ اليه قوى البشر الا بسلطان العلم .. فالانسان لم يستطع باوغل السماء الا بسفن حققها له العلم .

ولعل هذا هو السبب فى عبادة الجن عند بعض البشر .. ولا تزال هذه العبادة شائعة عند أولئك الذين يسمون الجن - بالآسياد - .. وهو جمع خاطيء - من حيث اللغة - يقصدون به السادة .

ومتى كان الجن سادة .. كانوا هم عبيدا لهم .

وقد يعجبك هذا الخطأ اللغوى من العوام فى مثل هذا المقام .. لان الآسياد - جمع سيد - بفتح الياء وتشديدها .. هو التيس بين العزنان .. وجمع سيد أيضاً على وزن عيد .. وهو الذئب .

فالجن الذين يتعرضون للبشر .. هم اشبه بالذئاب المنقضة .. التى لا تعمل الا فى الظلام .. وهؤلاء الآسياد لا سلطان لهم على مؤمنى الانس .. واولا هذا لاصابت البشرية ضربات خفية من مردة الجن .

وقد اشار - سبحانه - فى كتابه .. تنديداً بالذين يعبدون الملائكة :

« ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون » قالوا سبحانه انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون » (٢) .

فهؤلاء الذين يحاولون بالوسائل السوداء الاستعانة بافراد من الجن .. لتنفيذ مآربهم .. والحصول على مطالبهم .. قوم حكم القرآن بكفرهم .. لقوله تعالى :

ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضهم ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم (٣) .

وهؤلاء هم الذين يقول الله عنهم .. فى سورة - الجن - التى نستعرضها الآن :

(وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (١) .

ويمتاز المؤمن من الانس بمناعة .. تجعله
خارجا عن نطاق تفرير شياطين الجن واستهوائهم .. وتزيينهم الشر لأوليائهم من الانس .. لصريح قوله تعالى للشيطان الجن الأكبر :

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) (٢) .
وبإنتفاء هذا السلطان .. يستفيد المؤمن
فائدة كبرى .. اذا مسه شيطان الجن .. حيث يوظفه هذا المس .. ويحرك فيه قوة الدفاع الالهية .. حيث يقول تعالى :

(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) (٣) .

ويلزم المؤمن هنا ان يعلم ان السنة اكدت امكان اتصال شياطين الجن بالانسان « حيث سن - عليه الصلاة والسلام - للمؤمن ان يقول قبل مباشرة زوجته :

« اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا » .

والجن تفصل مكلف بالعبادات الانسانية ..
من صلاة وزكاة وصوم وحج .. وتحذر للحلال في ماكلهم ومشربهم ونسائهم .. وهذا يدل على اشتراك فعلى .. فى الافادة من طبيعة الحياة الارضية .. وبحسبك ان تستشعر الاشتراك العنصرى بين آدم وذريته .. وأبليس وجنسه .. حين قال الله تعالى : (اهبطوا منها جميعا)
.. والخطاب هنا بالجمع لآدم وحواء
وابليس :

(فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٤) . سواء كانوا من الانس أو الجن معا .

كما تظهر المشاركة صريحة .. فى قول الله تعالى لابليس :

وشاركهم فى الاموال والاولاد وعندهم وما يعدمهم الشيطان الا غورا) (٥) .

ولا وقاية منه الا بذكر اسم الله فى كل شىء .. فقد سأل ابليس ربه عن طعامه .. فقال له : طعامك مالم يذكر اسمى عليه .

ولكن هذا البحث متعلق بمدى معرفة الجن بلغة القرآن الكريم .

فاذا كان من المسلمات المام الجن بمفاهيم الكلمات العربية .. مع انهم كانوا يعيشون قبل آدم :

(والجان خلقناه من قبل من نار السموم) (٦) .

اى من قبل آدم .. فكيف تعلموا لغة الدريات من بنى آدم ؟ .. هل تلقوها تلقينا ؟ ومن هو الذى لقنهم ؟ .. هل درسوها بالمباشرة والمخالطة ؟ .. أو بواسطة اخرى ؟ .

كل هذه الأسئلة .. تدور فى نفس الانسان .. لا يكاد يطمع فى ان يتلقى جوابا على حيرته فيها - اللهم الا اذا فهمنا ان اللغة العربية .. هى لغة الكون الاصلية .. وما عداها من اللغات .. اقد تفرغ منها نتيجة اختلاف البيئات .. وتطور اللهجات .

والغالب ان للجن حياة فكرية .. وقوى عقلية .. بها كانت لهم من آيات القرآن هداية .. ومن نوره عناية .. جعلتهم اسبق من الانس فى الاجابة عن آيات الرحمن :

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) كما أشرنا من قبل .

ولعل الزمن يكفل لنا فى المستقبل الحصول على مزيد من العلم بهذا الأمر الكبير .

تلك خواطر جالت فى الفكر .. أوحى بها عبارة الجن :

(فلما حضروه قالوا انصتوا * فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين) .. والى القلم الا ان يكتبها .. نتركها الآن .. **قلل الحديث عن** الجن .. لم يبعد بنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنخلة .. وهو عائد الى مكة .. من رحلة الطائف القاسية المضنية .. فبعد ان صرف الله اليه رسل الجن .. فاستمعوا منه

(٢) ٦٥ - الاسراء .

(٤) ٣٨ - البقرة .

(٦) ٢٧ - الحجر .

(١) ٦ - الجن .

(٣) ٢٠١ - الامراف .

(٥) ٦٤ - الاسراء .

سورة الجن .. وعادوا الى قومهم منذرين ..
عاد هو ايضا الى طريق مكة .. بعد ان اقام
بنخلة اياما .. فقال له زيد بن حارثة :

يا رسول الله .. كيف تدخل عليهم وقد
أخرجوك ؟ .. يعنى قريشا .. فقال :

« يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا
.. وان الله ناصر دينه .. ومظهر نبيه » ثم
انتهى الى ظاهر مكة .

ومر به رجل من اهل مكة .. من خزاعة
.. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم :
« هل أنت مبلغ عنى رسالة أرسلك بها » ؟
قال : نعم .. قال :

« ائت الأخنس بن شريق . هو أبى
ابن شريق - فقل له : يقول لك محمد .. هل
انت مجيرى .. حتى ابلي رسالة ربى » ؟
فأتاه فقال له ذلك .

فقال الأخنس : ان الحليف لا يجير على
الصريح .. فأتى النبی فأخبره .. فقال له
النبي :

(هل تعود) ؟ .. قال : نعم .

قال : « ائت المطعم بن عدى فقل له : ان
محمدًا يقول لك .. هل انت مجيرى .. حتى ابلي
رسالة ربى » ؟ .

قال المطعم : نعم فليدخل .. قد أجرت
محمدًا .

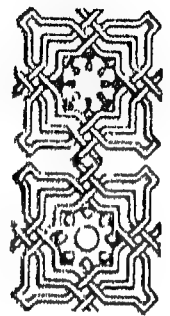
وأصبح المطعم بن عدى وقد لبس السلاح هو
وابنائه وأبناء أخيه وقومه .. فدخلوا المسجد
.. ووزعوا انفسهم عند اركان البيت .. وراه
ابو جهل .. فقال له : امجير أم متابع ؟ ..
قال : بل مجير .. قال : قد أجرنا من أجرت .

فدخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مكة .. ومعه زيد بن حارثة .. حتى انتهى الى
المسجد الحرام .. فقام مطعم بن عدى على
راحلته فنادى : يا معشر قريش .. اعلموا انى
قد أجرت محمدًا .. فلا يهجه احد منكم ..
فانتهى رسول الله الى الركن فاستلمه .. وصلى
ركعتين وانصرف الى بيته .. ومطعم بن عدى
وولده مخدقون به بالسلاح .. حتى دخل
بيته .

ودخل يوما المسجد الحرام .. والمشركون
عند الكعبة .. فلما رآه ابو جهل قال : هذا
نبيكم يا بنى عبد مناف .. فقال عتبة بن ربيعة :
وما تنكر ان يكون منا نبى او ملك ؟ .. وسمع
النبي هذا .. فاتاهم .. فقال : « اما انت
يا عتبة بن ربيعة .. فوالله ما حميت الله
ولرسوله .. ولكن حميت لانفسك .. واما انت
يا ابا جهل .. فوالله لا يأتى عليك غير كبير من
الدهر .. حتى تضحك قليلا .. وتبكي كثيرا ..
واما انتم يا معشر قريش .. فوالله لا يأتى عليكم
غير كبير من الدهر .. حتى تدخلوا فيما تنكرون
وانتم كارهون » .

نعم لقد تألم النبي كثيرا .. واوذى كثيرا
.. وابتلئ كثيرا .. وصبر على كل ذلك صبرا
جميلا . لجأ الى الطائف التماسا للنصرة ..
وطلبا لانتشار الدعوة .. ولكنه لقي فيها اشد
انواع البلاء .. وما لجأ الى ثقيف بالطائف ..
الا بعد موت أبى طالب والسيدة خديجة .. ولم
يستطع - عليه الصلاة والسلام - دخول مكة
.. الا فى جوار رجل كالمطعم بن عدى . ان تلك
الفترة عند رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
كلهما آلام متلاحقة .. وبلايا متلاصقة .. كما
راينا وشهدنا .

إلى المسجد الأقصى



الحكمة ظاهرة في لقائه - عليه الصلاة والسلام -
بجميع الأنبياء .. في المسجد الأقصى .. وصلاته بهم
أما .. لكى يتحقق الميثاق المأخوذ عليهم بالإيمان به
ونصره ..

فكان لقاءه معهم روحيا .. في عالم الأمن ..
وصلاته بهم في المسجد الأقصى .. في تلك الليلة .. ليكمل
الميثاق .. ويتم العهد .. وتحقيق الشهادة .

الى المسجد الأقصى

والسمااء فى مثل تلك الليالى المظلمة .. اذا
خلت من السحب « يكون لها جمال وجلال »
وربهة وعظمة .. تتلألا كواكبها .. وتومض
نجومها .. وتزهو أبعادها .. وتبدو أعماقها ..
وخاصة عند صفوة الأرواح .. وزبدة الأشباح
.. محمد - عليه الصلاة والسلام .

خطر بباله أمر لم يخطر بباله من قبل .. انه
الآن يرى الله فى الكسوكب اللألاء ..
وشاهق السماء .. يراه فى النجوم اللامعة ..
والأبعاد الشاسعة .. ولكن لروحه الشفافة
اشراقات .. ولنفسه العالية تطلعات « ولعله -
عليه السلام - قال فى نفسه : أريد أن ألقى الله فى
مكان لم يرقى اليه قبلى أنس ولا جن ولا ملائكة »
فقد بلغت الشفافية فى روحه درجة المنتهى ..
وبلغت نفسه العالية أسمى منازل الوجود كله ..
لتنتم له مرتبة القمة والرحمة للعالمين .. من انس
وجن وملائكة مقربين .

لما كان - صلى الله عليه وسلم - ثمرة شجرة
الكون .. ودرة صدفه الوجود .. وسر كلمة كن
.. لم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي
مشرها .. ورفعها الى حظيرة قدسه .. والطواف
به بين أرجاء الملأ الأعلى .. ليريه من آياته الكبرى
.. وليسرى عنه بعض ما أصابه من بلاء ..
وما عانى من شقاء .. فى فترته الأخيرة .. بعد
عامين مليئين بالألم .. مغممين بالعذاب .. عذاب
الجسم .. وعذاب النفس .. فقد كادت نفسه
تذهب على قومه حشرات .. وأوشك قلبه أن
ينقطع فى صدره من أجلهم أنات وزفراء .

فقبل الهجرة بعام وبعض عام .. وبالتحديد
فى ليلة الاثنين السابع والعشرين من شهر رجب
.. وكان ذلك فى عام ٦٢١ م .. كان - عليه
الصلاة والسلام - مضطجعا فى ظلمة الليل
بالحجر (١) - حجر اسماعيل - سابحا بروحه
قيما وراء الكون .

(١) مكان معروف .. ملاصق للكعبة .. بامتداد أربعة أمتار منها تقريبا .. وهو من المبيت - يدخل فى المطاف .
ويقال له « الحطيم » .. لأنه الذنوب تحطم وتزال فيه .

وكان تحقق هذا الامل اقرب اليه من خطور
تلك الخواطر في فكره .

ففى صحيح البخارى .. عن مالك بن
صعصعة - رضى الله عنه - أن نبى الله - صلى
الله عليه وسلم - حدثهم عن ليلة اسرى به ..
قال :

« بينما انا فى الحطيم .. وربما قال فى الحجر
.. مضطجعا .. اذ اتانى آت .. فقال ..
وسمعتة يقول .. فشق ما بين هذه الى هذه »
قال الراوى من ثفره الى عاتته ..
فاستخرج قلبى .. ثم اتيت بطسنت من ذهب
مملوء حكمة وايمانا .. ففسل قلبى .. ثم حشى
ثم أعيد .. ثم اتيت بداية .. دون البغل وفوق
الحمار أبيض » .. قال الراوى : وهو البراق
« يضع خطوه عند اقصى طرفه (١) .. فحملت
عليه .

وساق البخارى فى صحيحه .. الحديث
بطوله .. الى ان بلغ ما بلغ بعد سدره المنتهى .

لقد رأى - عليه الصلاة والسلام - فى اسرائه
الى المسجد الاقصى .. امثالا كثيرة :

فراى مثل المجاهدين : يقوم يزعمون
ويحصدون .. وكلما حصد الزرع نبت غيره ..
ورأى مثل المتكاسلين عن الصلاة المكتوبة
.. يقوم ترضخ رءوسهم بالصخر .. كلما
رضخت عادت .

ورأى الدين لا يؤدون زكاة اموالهم ..
يقوم عليهم ثياب مرقعة .. يسرحون كما تسرح
الانعام .. ياكلون الضريع والزقوم ورضف
جهنم .

ورأى الزناة .. يقوم يتركون اللحم النضيج
فى قدر طيب .. وياكلون لحما نيئا فى قدر
خبث .

ورأى آكل امانات الناس .. كرجل يحمل
حملا ثقيلا .. لا يستطيع حمله .. ويزيد عليه .

ورأى خطباء الفتنة .. يقوم نقرض السنثم
وشفاهم بمقاريض من حديد .. كلما قرضت
عادت .

ورأى الرجل يتكلم الكلمة العظيمة .. ثم
يندم عليها .. كثور عظيم .. يخرج من جحر
صغير .. ويريد العودة فلا يقدر (٢) .

كما أورد البيهقى وغيره : أن رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - نزل فى اسرائه .. قبل
المسجد الاقصى فى ثلاثة اماكن وصلى فيها .

أرض ذات نخل - هى يشرب - وأرض
بيضاء - هى مدين - وبیت لحم حيث ولد
ميسى .

ولكن ابن قيم الجوزية .. انكر تلك الروايات
لعدم ثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن مسعود .. عن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قال :

« ثم دخلت المسجد .. فعرفت النبيين
ما بين قائم وراكع وساجد .. ثم أذن مؤذن ..
فأقيمت الصلاة .. فقمنا صفوفا تنتظر من
يؤمنا .. فأخذ جبريل يبدى .. فقدمنى
فصليت بهم » ولكن المتفق عليه فى الغالب .. أن
الذى قدمه للصلاة أبوه ابراهيم - عليه السلام -
وهو ما نرجحه .

فعن أبى سعيد :

« ثم أتى بيت المقدس .. فربط فرسه فى
صخرة .. ثم دخل .. فصلى مع الملائكة .. فلما
قضيت الصلاة .. قالوا : يا جبريل من معك ؟
قال : هذا محمد رسول الله وخاتم النبيين ..
قالوا : وقد أرسل اليه ؟ قال : نعم .. قالوا :

(١) أى بسرمة الضوء .. فوضع الرجل عند آخر مدى النظر .. دليل على مشيه فوق الارض .
(٢) وردت هذه المعانى فى حديث أبى هريرة عند الطبرى والبزار وغيرهم .

حياء الله .. فنعم الأخ ونعم الخليفة .. ثم
لقوا أرواح الأنبياء (١) .. فائنوا على ربهم .

فقال إبراهيم : الحمد لله الذى اتخذنى خليلا
.. واعطانى ملكا عظيما .. وجعلنى أمة قانتا
يؤتم بى .. وأنقذنى من النار وجعلها على بردا
وسلاما .

وبعد ثناء موسى وداود وسليمان وعيسى
على ربهم .. قال عليه الصلاة والسلام - أخيرا :

« كلكم اتنى على ربه .. وأنا اتنى على ربه
.. الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ..
وكافة للناس بشيرا ونذيرا .. وأنزل على الفرقان
فيه تبيان كل شيء .. وجعل امتى خير أمة
أخرجت للناس .. وجعل امتى وسطا .. وجعل
امتى هى الأولون والآخرين » وشرح لى صدرى
ووضع عنى وزرى .. ورفع لى ذكرى .. وجعلنى
فانحا وخاتما » .

فقال إبراهيم - عليه السلام - بهذا فضلكم
محمد .. وقدمه للصلاة بهم .

وقال أمير الشعراء - أحمد شوقى - فى هذا
المقام .. من قصيدته - نهج البردة -

صلى وراءك منهم كل ذى خطر ومن يفسز
بحبيب الله يأتهم .

ولم يوفق فى كلمة - وراء - لأنها لا تؤدى
معنى الخلفية التى يقصدها .. فهى تؤدى معنى
الأمامية - فقد قال تعالى على لسان العبد
الصالح .. وهو يحدث موسى عن سبب خرقه
السفينة قال :

(أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى
البحر فأردت أن أغيبها وكان وراءهم ملك يأخذ

كل سفينة غصبا) (٢) . بمعنى أن امامهم .. فى
طريقهم ملك ظالم .

وكذلك قول زكريا فى دعائه (وانى خفت
الموالى من ورائى) (٣) . أى فى الزمن المقبل ..
والمقبل امام لا خلف .

وقوله أيضا (ان الدين ينادونك من وراء
الحجرات) (٤) . أى امام ابوابها .

وقوله (ويدرون وراءهم يوما ثقيلا) (٥) .
و (من ورائه جهنم) (٦) . و (ومن ورائهم
برزخ) (٧) . حتى فى كلامنا الدارج نقول : ورائى
سفر .. أو ورائى عمل .. بمعنى امامى ..
فاذا أردنا أن نجعل لفظ وراء بمعنى الخلفية ..
قلنا وراء الظهر .. كما قال تعالى (فنبدوه وراء
ظهورهم (٨) وكان الأولى بشوقى أن يقول : وقام
خلفك منهم كل ذى خطر لتؤدى معنى اقسام
الصلاة والخلفية معا .

والحكمة ظاهرة فى لقائه بجميع الأنبياء
بالمسجد الأقصى .. وصلاته بهم اماما .. وقد
ورد ان عدد الأنبياء كما جاء فى - زاد المعاد -
مائة وأربعة وعشرون ألف نبى .. لم يعرفهم
كلهم رسول الله لقول الله تعالى له (ورسلا قد
قبصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك) (٩) .

وقوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) (١٠) .
كيف يتحقق الميثاق المأخوذ عليهم ..
بالإيمان به ونصره .. الذى يشير إليه قوله
تعالى :

« وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم

- (٢) ٧٩ - الكهف .
(٤) ٤ - الحجرات .
(٦) ١٦ - إبراهيم .
(٨) ١٨٧ - آل عمران .
(١٠) ٧٨ - نافر .

- (١) كان ادريس وعيسى بجسميهما .
(٣) ٥ - مريم .
(٥) ٢٧ - الانسان .
(٧) ١٠٠ - المؤمنون .
(٩) ١٦٤ - النساء .

.. حتى ينهمسوه بالخبل والجنسـون .. بعد
اخبارهم بهذا الامر ؟ .

ان الاسراء والمعراج كان بالروح والجسد
معاً من غير شك .. ولعل هؤلاء الذين قالوا : ان
الاسراء والمعراج بالروح فقط .. يستندون الى
حديث السيدة عائشة .. الذى روى مثله عن
معاوية .. قالت فيه :

« ما فقد جسم رسول الله - صلى عليه
وسلم - ولكن عرج بروحه » .

ولو تدبروا هذا الحديث قبل استنادهم
اليه « لوجدوا ان السيدة عائشة - رضى الله
عنها - كانت مستمعة فقط مثلنا بالنسبة لهذا
الحادث » فقد كانت وقته فى سن الطفولة « ولم
تنزوج الرسول بعد » ولم يكن فى استطاعتها
استيعاب هذا الامر الجليل الخطير .

وقد دافع ابن الجوزية عن هذا الراى فى
كتابه - زاد المعاد - فجاء بتعليل عجيب - لانقره
عليه - قال (٢) :

ان عائشة ومعاوية لم يقولوا كاحد منا ..
وانما قالوا : اسرى بروحه ولم يفقد جسمه .

يريد ان يثبت ان العروج بالروح غير الرؤيا
.. فقال بالنص :

ان ما يراه النائم .. قد يكون امثالا مضروبة
للمعلوم فى الصور المحسوسة .. فيرى انه قد
عرج به الى السماء .. او ذهب الى مكة .. و
اقتار الارض .. وروحه لم تصعد ولم نذهب ..
وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال - ا هـ -

ثم قرر فضيلته ان روح رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - قد فارقت جسده .. دون ان
يموت هذا الجسد .. وذهبت الى ربها ثم
عادت .. وجعل هذا هو الفرق بين المنام
والمعراج .

لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على
ذلكم اصرى قالوا اقرنا قال فاشهدوا وانا
معكم من الشاهدين (١) .

والاصر : هو العهد .. فكيف يؤمنون به
وينصرونه .. وهم لم يروه ولم يعرفوه .. فكان
لقاؤه معهم روحيا فى عالم الامر .. وصلاته
بهم فى المسجد الأقصى .. فى تلك الليلة .. ليكمل
الميثاق .. ويتم العهد .. وتحقق الشهادة .

ثم عرج به - عليه الصلاة والسلام - الى
السماء .

وقبل ان نبدأ معه - عليه الصلاة والسلام -
رحلة السماء .. تلك الرحلة العلوية القدسية ..
اريد ان اناقش روايات .. رددتها قلة من الرواة
.. حول حادث الاسراء والمعراج .

فاكثر طوائف المسلمين متفقون على انه اسرى
به جسدا وروحا .. ولكن بعض الرواة قال
بروحه فقط .. ولو كان الامر كذلك .. فقيم
كان تكذيب قریش له ؟ .. اذا كان الاسراء بالروح
.. والجسد باق فى مكانه لم يفقده معاشروه ..
فتكون هذه رؤيا رآها .. وهل يعقل ان تقوم
قریش وتقع لان محمدا قال لهم : رايت فى
المنام انى ذهبت الى بيت المقدس ورجعت فى نفس
الليلة ؟ .

ولماذا قال له مطعم بن عدى : ان امرك
يا محمد كان قبل اليوم امرا يسيرا غير قولك
اليوم .. هو يشهد انك كاذب .. نحن نضرب
اكباد الابل الى بيت المقدس .. مصعدا شهرا ..
ومنحدرا شهرا .. اترعم انك اتيت فى ليلة
واحدة ؟ .. واللالت والعزى لا اصدقك ..
وما كان هذا الذى تقول قط . هل كان كلام
مطعم هذا لان الرسول قال لهم : انه ذهب بروحه
الى بيت المقدس .. ثم عاد ؟ ألم يجرب مطعم
وقريش الرؤيا أبدا ؟ .. ألم يكونوا يعلمون ان
الروح تنتقل فى المنام بغير حدود زمنية او مكانية

(٢) زاد المعاد ص ٥٤ ج ٢ .

(١) ٨١ - آل عمران .

وقد فات الشيخ - رحمه الله - قول الله
تبارك وتعالى - عن النوم والموت :

(الله يتوفى الأنفس حين موتها .. والتي لم
تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت
ويرسل الأخرى الى أجل مسمى) (١) .

ومعنى الآية صريح وواضح .. في أن الأرواح
يتوفاها الله عنده في الحالتين : موتا أو نوما ..
ففى الموت يمسكها ويبقيها في البرزخ .. وفي
النوم يرسلها الى صاحبها .. حتى يجيء أجله
المقدور .

كما فات الشيخ - رحمه الله - أن يذكر لنا
.. لماذا اذا كان تكذيب قريش له .. مادام
جسمه لم يفارقهم ؟ .. **لقد ترك ابن قيم الجوزية**
المشكلة كما هي .

لقد أسرى برسول الله - صلى الله عليه
وسلم - روحا وبدنا وهو يفظ .. اجمع على

ذلك الصحابة اللوامع ، والائمة الجوامع واقره
العقل والنقل .

وخير ما نخنتهم به هذا النقاش .. رأى ذكره
الفخر الرازى في تفسيره (٢) .. قال :

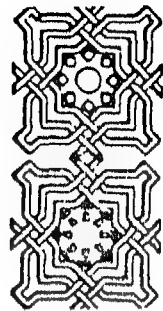
قال اهل التحقيق .. ان الذى يدل على انه
بعالى اسرى بروحه وجسده من مكة الى بيت
المقدس .. القرآن والخبر .. اما القرآن ..
فهذه الآية .. يقصد قوله تعالى :

(سبحان الذى اسرى بعبده) الى آخر
الآيات .

والدليل فيه ان لفظ - العبد - اسم
لمجموع الجسد والروح .. فوجب أن يكون
الاسراء حاصلًا لمجموع الجسد والروح .. وأما
الخبر .. فهو الحديث .. المروى في الصحيح
.. وهو مشهور .. يدل على الذهاب من مكة
الى بيت المقدس .. ثم منه الى السماوات .

ولنبدا نحن ايضا رحلتنا الى السماوات .
في ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

إلى الملاء الأعلى



ومبلغ العلم .. في درجة قربه - عليه الصلاة
والسلام - من ربه - عز وجل - في هذا المقام :

((ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى (١))) .

وكيف لا .. وهو - عليه الصلاة والسلام - هو
الوحيد في العوالم كلها الذي سمح له بافتحام النور ..
الذي يحرق الملائكة .. ووقف جبريل - عليه السلام -
خارج حدوده .. لأن الله - تعالى - ((حجاب النور ..
أو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل امتد إليه بصره
من خلقه)) وهذا حديث مشهور .

- ٣٠ -

الى الملا الأعلى

رحمه الله - مرة أخرى لما قال في نهج البردة :

جيت السماوات او ما فوقهن بهم
على منورة درية اللجم

يقصد بدرية اللجم هنا - البراق -
والمعروف ان مهمة - البراق - قد انتهت في
المرحلة الاولى المرحلة الادمية .. التى يلزمها
السبب .. فى وسيلة الانتقال .. اما المرحلة
الملائكية .. فليست فى حاجة الى تلك الوسائل

ونحن نلتهمس لشاعرنا الكبير العدر .. فهو
رجل شعر وادب .. وليس رجل دين .

والمرحلة الثالثة : فيما بعد سدرة المنتهى ..
فهى مرحلة فوق الملائكية .. بدليل وقوف
جبريل .. وعدم استطاعته ملازمته فيها .. مع
ان جبريل هو الملك الاول .

ونقول عن جسم الرسول .. فى تلك المرحلة
- الجسم الادمى - نقول انه لا شيء .

مر عليه الصلاة والسلام - فى رحلة الاسراء
والمعراج .. بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : هى المرحلة الادمية ..
مرحلة الاسراء فوق سطح الارض .. من المسجد
الحرام الى المسجد الأقصى .. بتلك الركوبة ..
التى تسير بسرعة البرق - البراق وسرعة
البرق هى سرعة الضوء .. ولهذا سمى البراق

والمرحلة الثانية : المرحلة الملائكية .. التى
كان محمد فيها « النجم الثاقب » من بيت
المقدس صعودا .. حتى اخترق اقطار السماوات
وما فوق السماوات .. الى سدرة المنتهى ..
حيث تنتهى درجة الملك الاول - جبريل عليه
السلام - فتلك نهاية المرحلة الملائكية .. وكان
جسمه - عليه الصلاة والسلام - فى تلك المرحلة
نورانيا .. او اقرب الى النورانية التى هى
اصل التكوين فى أجسام الملائكة .. منه الى
الطين الذى هو اصل التكوين فى أجسام البشر .

وقد جانب التوفيق - احمد شوقي -

قلت لنفسى : يكفى ان نتكلم الان عن المرحلة الثانية .. وهى المرحلة الملائكية .. الى سدرة المنتهى .. على امل أن يأخذ الله بيدنا فى هذا المحيط الرهيب .. المتلاطم بأمواج الانوار .. التى لن يستطيع العقل الطينى .. الذى نحيا به الآن .. ان يحيط بجزء من قطرة منه .

فقد ذكر لنا صحيح البخارى .. فى حديث مالك بن صعصعة .. الذى ذكرنا مقدمته فى الموضوع السابق « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انطلق الى السماوات سماء سماء .. ومعه جبريل .. واستقبله فى السماء الاولى آدم - عليه السلام - وفى السماء الثانية يحيى وعيسى .. وفى الثالثة يوسف .. وفى الرابعة ادريس .. وفى الخامسة هارون .. وفى السادسة موسى .. وفى السابعة ابراهيم - عليهم جميعا صلوات الله وسليمانه .. وكلهم يقول عند لقائه مرحبا به .. فنعم المجيء جاء » .

لقد انطلق - عليه الصلاة والسلام - نجما نافيا .. من المسجد الأقصى .. وحلفه عدد لا يحصى من الانبياء والملائكة .. غير أن لكل منهم درجته ومنزلته .. سواء كان نبيا أو ملكا .

فهؤلاء حدهم السماء الاولى .. وهؤلاء حدهم الثانية .. وهكذا .. فكل واحد منهم اذا بلغ درجته وبرؤخه .. وقف عندها .. وقيل ' كل نبي عند رتبته .

وقد رأى عليه الصلاة والسلام - ما رأى .. ولكن لم يلفت نظره شيء مما رأى .. ولو لفت نظره أى شيء وقف عنده .. لكانت منزلته الى هذا الحد الذى استوقفه .. ولكن ليس فى فكره غير لقاء الله - سبحانه - فى مكان لم يبلغه قبله انس ولا جن ولا ملائكة .. **كما ذكرنا من قبل .. فى أول تلك الرحلة القدسية .**

وظل - عليه الصلاة والسلام - يخترق الملاء الأعلى .. وكلما امتدت به المرحلة .. كلما تناقص عدد الركب الذى يرافقه .. حتى لم

يبقى معه غير جبريل - عليه السلام - الى ان لاحت له سدرة المنتهى ..

ويقول عنها حديث مالك الذى نستعرضه الان :

« ثم رفعت الى سدرة المنتهى .. فاذا نبقها مثل قلال هجر (١) .. واذا أوراقها مثل آذان الفيلة » تشبيه يقصد به انها شجرة ضخمة .

وفى الوقت الذى لاحت فيه سدرة المنتهى .. وقف جبريل - عليه السلام - وقال له يا محمد .. تلك سدرة المنتهى .. وتلك منزلة أحرق لو تخطيتها .

وعجب - عليه الصلاة والسلام - قائلا له : كيف تحرق يا جبريل .. وقد خلقت من نور ؟ فقال له : تلك طاقتى فى احتمال درجة القرب من ربى .. انا ان تقدمت احترقت .. وانت ان تقدمت احترقت « وما منا الا له مقام معلوم » .

ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام - سدرة المنتهى .. شجرة متلألئة الاضواء .. ساطعة الانوار .. وهى أول منظر لفت انتباهه من أول رحلته تلك .. فما ان وقع بصره عليها .. حتى انعكست عليها انوار اقوى .. واضواء اشد لم تتحملها الشجرة .. فماجت فى نفسها واضطربت :

(اذ يفشى السدرة ما يفشى - ما زاغ البصر وما طغى - لقد رأى من آيات ربه الكبرى) (٢) .

ودفع به - عليه الصلاة والسلام - حيث يقول ابن عباس عنه - صلى الله عليه وسلم .

« ثم زج بى فى النور زجا » فخرق بى سبعون ألف حجاب .. ليس فيها حجاب يشبه حجابا .. وانقطع عنى حس كل ملك وانس » .

والحجب هنا بالنسبة للمخلوق لا للمخلوق - سبحانه - لان الله تعالى منزله عما يحجبه .

وتلك هى المرحلة الثالثة من تلك المراحل القدسية .. مرحلة كما ترى فوق الملائكية ..

فكيف تحيط بها عقولنا .. وتتناولها أفكارنا ..
وتخطئها أقلامنا ؟ .

مرحلة لا يمكن لبشر مهما أوتى من القدرات
أن يعلو إلى أسوارها .. أو يسمو إلى حواشيتها
.. لأنها علت على قدرات جبريل .. وهو إلى
مقام القرب يصعد .. وكل ما يستطيع العقل
تدبره .. أن يستشف ما ورد حولها من آيات
وأحاديث صحيحة :

فنجده - عليه الصلاة والسلام - يقول :

**لما دنوت من بساط ربي .. همت أن
أخلع نعلي .. فنوديت : يا محمد .. لم نعليك
تخلع ؟ .. قلت : يارب خشيت مراة الطرد ..
وعقوبة الرد .. أن يقال لى مثل ما قيل لأخى
موسى من قبل أخلع نعليك .. فنوديت : يا محمد
إذا كان موسى محبا فانت المحبوب .. وإذا كان
طالبا فانت المطلوب » وعرف أنه وصل إلى نهاية
النهايات .. وغاية الغايات .. وأخذته رهبة
الحضرة المقدسة .. فجلس جلسة المصلى
للتشهد .. مقدما تحية القدوم بين يدي ربه ..
فقال :**

« التحيات لله والصلوات الطيبات لله » وأتاه
الرد على تحيته بأعظم هدية في الوجود كله ..
هدية السلام - حيث قال الله له « السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

**ولما كان السلام له بالتخصيص بلفظ
(السلام عليك) لم ترض نفسه الكريمة ..
وروحه الفانية في المجموع الكلى أن يحتفظ
بالسلام لنفسه دون غيره .. فقام - عليه الصلاة
والسلام - بتوزيعها توزيعا شاملا .. فقال :**
« السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

ومبارة عباد الله الصالحين - عمت الصالح
من الانس والجن .. بل والملائكة أيضا .. لأن
الملائكة كلهم - عباد مكرمون - واستحق بهذا
التوزيع .. في هذا المقام .. أن يكون رحمة
للعالمين .

**وهذا النصيب من السلام .. الذى وزعه
رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وهو
جالس على بساط ربه .. هو النور .. الذى**

يخرج به المصلى من صلاته .. فانت حين جلوسك
للتشهد فى صلاتك .. يجب أن تحس فى قلبك
اثر هذا السلام .. الذى نالك جزء منه
عندما تردد قوله - صلى الله عليه وسلم -
« السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » فانت
- على الأقل - فى تلك اللحظة التى تنطق
التشهد فيها تكون من عباد الله الصالحين .

**ولعل لفظ - التشهد - نفسه يوحى بانك فى
جلستك هذه .. تتخيل رسول الله وهو جالس
على بساط ربه .. فالاحسان أن تعبد الله كأنك
تراه .. فان لم تكن تراه فانه يراك .. وبهذا
تخرج من صلاتك مشحونا بنور السلام ..
منشرح الصدر .. مطمئن الفؤاد .. عالى الهمة
.. ومن أجل هذا فرضت الصلاة فى تلك الليلة
خمس صلوات فى اليوم واليلة .. لتجديد
شحن صدر المؤمن .. بصفة دائمة مستمرة ..
يقوم المؤمن بشحن فؤاده فى الصباح بركعتي
الصبح .. حتى اذا جاء الظهر .. فترت درجة
النور فيه .. فتجدد صلاة الظهر قوته وفاعليته
.. وكذلك فى العصر ثم فى المغرب والعشاء ..
فيظل المؤمن دائم الصلاة بالله ورسوله صدره
منشرح .. وفؤاده مطمئن .. وهمة عالية ..
وهذا هو استمرار السلام .. حتى يلقى السلام
.. فى دار السلام .**

**ومن أجل هذا .. وبعد أن وزع رسول الله
- هدية السلام - قرر فى نفسه .**

« أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ..
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .

وفى تلك اللحظة سمع الملائكة فى البيت
المعمور تقول :

**(اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد)**

**ومبلغ العلم فى درجة قربه - عليه الصلاة
والسلام - من ربه - عز وجل - فى هذا المقام :**

(ثم دنا فتدلى ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ (١) .

دنا بمعنى القرب .. والدل في اللغة : تؤدي معنى الثقة به .. كما تؤدي معنى السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل .. وفي الحديث : « كان أصحاب عبد الله يرحلون الى همر - رضى الله عنه - فينظرون الى سمته وهديه ودله .. فيتشبهون به » .

وبقى علينا أن نلتمس القرب من (قاب قوسين أو أدنى) .

فلكل قوس قاب .. والقاب هو الوتر الذي يشد بين طرفي القوس .. ويطلق السهم .. فلو تخيلنا قوسين لهما قاب واحد يربط بين القوسين .. يكون بينهما التحام تام .. ويكون معنى عبارة (أو أدنى) أن محمدا قد تلاشى كلية في نور الله - سبحانه وتعالى .

ومن الغريب أن العلماء اختلفوا في كون محمد رأى ربه في تلك الليلة .. أم لم يره ؟

فاعتقد أنه لا محل للخلاف .. فالرؤية في تصورنا .. على غير الواقع .. الذي رأى ربه به .. لقد رآه حقا .. بل وتلاشى في نوره .. كما رأينا في مثل القوسين .. الذي ضربه الله لنا - والله المثل الأعلى .

ولهذا كان - عليه الصلاة والسلام - يقول إذا سئل : هل رأيت ربك ؟ .. في حديث لأبي ذر .. أنه سأل : هل رأيت ربك ؟ قال : « نور أنى أراه » .. وقال في لفظ آخر « رأيت نورا » .

لقد رآه حقا .. وقرر هذا ابن عباس .. وأبو ذر .. وكعب وغيرهم .. وكان الحسن - رضى الله عنه - يحلف على ذلك .

وقال ابن عباس في هذا : اتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم .. والكلام لموسى .. والرؤية لمحمد .

وقد انكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنه رأى الله تعالى بعينى رأسه .. ولكن الامام

النووى قال في شرح صحيح مسلم : والامثل في الباب حديث ابن عباس .. حبر الامة .. والمرجوع اليه في العضلات .. وقد راجعه ابن عمر .. في هذه المسألة .. وراسله هل رأى محمد ربه ؟ .. فأخبره أنه رآه (٢) .

ورأينا أنه لا خلاف بين رأى ابن عباس ورأى عائشة - رضى الله عنهما - فأنها لم تخبر أنها سمعت النبى يقول :

لم أر ربه .. وإنما بنت رأيها على قول الله تعالى :

(وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا) (٣) ولقوله (لا تدركه الابصار) (٤) .

فلا يجوز أن نقول رآه بعينى رأسه « لأن عينى الرأس من الطين » والطين لا يعقل سريانه في النور .

وقد قرنا من قريب .. أن جسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك المرحلة الاخيرة .. بعد سدره المنتهى .. كان لا شيء .

وقد ذكر ابن غالب في كتاب - شفاء الصبور - عن رسول الله في هذا المقام قال :

« وغشى نور عرشه بصرى .. فلم أر شيئا فجعلت أرى بقلبي .. ولا أرى بعينى .. ورأيت من خلفى ومن بين كتفى كما رأيت أمامى » .

لقد رآه حقا بفؤاده (ما كذب الفؤاد ما رأى) (٥) .

ولهذا قال شيخ الاسلام - ابن تيمية - : وليس قول ابن عباس أنه رآه .. مناقضا لقول عائشة .

كما قال الامام احمد بن حنبل : قال ابن عباس مرة - « رآه » - ومرة « رآه بفؤاده » .. فحكيت عنه روايتان .. وحكيت عنه ثالثة .. من تصرف بعض الرواة أنه - « رآه بعينى رأسه » - .

(٢) الانوار المحمدية ص ٢٤٨ .

(٤) ١٠٣ - الانعام .

(١) ٨ - ٩ - النجم .

(٣) ٥١ - الشورى .

(٥) ١٣ - النجم .

وعاد - عليه الصلاة والسلام - الى موقعه
الاول .. من سدره المنتهى .. بعد ان اوحى
الله اليه ما اوحى .. حيث ترك جبريل :
(ولقد رآه نزلة اخرى عند سدره المنتهى) (١) .

والضمير هنا يعود الى جبريل .. رآه عند
صعوده .. وراه مرة اخرى عند نزوله .

فوجدته في انتظاره .. ومعه طبق فيه
قدحان : باحدهما خمر .. وبالثاني لبن ..
وقدمهما اليه .. فمد يده - عليه السلام
وتناول كوب اللبن .. فقال له جبريل : هديت
الفطرة .. لو شربت الخمر لفوت امتك ..
وشرب عليه السلام - قدح اللبن .. وترك ثماله
اقليلة فيه .. ورده الى الطبق .. فقال جبريل
واو شربت اللبن كله .. لما دخل احد من امتك
النار .. فاسرع - عليه السلام - لاسترداد
القدح .. ليأتى على الثمالة الباقية .. ولكن
جبريل - عليه السلام - قال : هيهات هيهات
.. كان ذلك في الكتاب مسطورا .

وطاف به جبريل .. فاراه الجنة والنار ..
وصلى في البيت المعمور .. والبيت المعمور في
السماء مثل الكعبة في الارض .. وهو على
سمتها تماما .. الكعبة يطوف حولها سكان
الارض .. والبيت المعمور يطوف حوله سكان
السماء .. وتوجد صلة لا ترى بين الكعبة
والبيت المعمور (فلا أقسم بما تبصرون وما
لا تبصرون) (٢) .

**دخل - عليه الصلاة والسلام - الجنة في
تلك الليلة :**

ففي رواية لابي سعيد الخدري (٣) .. من
حديث الاسراء والمعراج .. قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم -

« ثم رفعت لى الجنة .. فاستقبلتنى
جارية .. فقلت لها : لمن انت يا جاريه ؟ ..
قالت : لزيد بن حارثة » .

وفيه أيضا : « فاذا هو برجل اشمط (٤) ..
جالسا على باب الجنة على كرسى .. عنده قوم
جلوس .. بيض الوجوه .. امثال القراطيس
.. وقوم في الوانهم شيء .. فدخلوا نهرا
فاغتسلوا فيه .. فخرجوا وقد خلص من الوانهم
شيء .. ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه
فخرجوا وقد خلص من الوانهم شيء .. ثم دخلوا
نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت
الوانهم مثل الوان البيض الوجوه .. فقال :
من هذا ؟ .. ومن هؤلاء ؟ الذين في الوانهم شيء ؟
.. وما هذه الانهار التي دخلوا فيها وقد صفت
الوانهم ؟ »

قال هذا ابوك ابراهيم .. اول من شمس
على الارض .. واما هؤلاء البيض الوجوه ..
فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم .. واما هؤلاء
النفر الذين في الوانهم شيء .. فقوم خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا .. فتابوا فتاب الله عليهم ..
وأما الانهار .. فاولها : رحمة الله والثاني : نعمة
الله .. والثالث : وسقايم ربهم شرابا طهورا » .

وقد اخترت هذا الحديث من بين احاديث
كثيرة .. وردت في هذا المقام .. لنرى ان تطهير
المسلم من ذنوبه لن يكون بدخول النار مدة -
بحسب مقدار الذنوب - حتى يطهر .. ثم يخرج
من النار فيدخل الجنة - كما يعتقد الكثير من
الناس - لان هذه هي عقيدة اليهود .. كما
أخبر الله تعالى عنهم بقوله :

(وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام
تقولون على الله ما لا تعلمون) (٥) .. كما اخبر
عنهم ايضا .. في قوله تعالى :

(ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) (٦)

(٢) ٣٨ - الحاقة .

(٤) الشمس - بفتح السين : بياض شعر الرأس يخالف سواده

(٦) ٢٤ - آل عمران .

(١) ١٣ - النجم .

(٣) البيهقي في الدلائل .

(٥) ١١ - البقرة .

أما عقيدتنا نحن المسلمين .. صريحة واضحة في قوله تعالى : (فريق في الجنة وفريق في السعير) (١) .

والخلود نص في كل منهما .. في الجنة او في النار .

وحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ايضا صريح .. في هذا المعنى « والله انها لسعادة الابد او شقوة الابد » .

وفي حديث آخر « والله انها لجنة ابدى او نار ابدى » .

ولا داعى لتأولات البعض في كلامهم حول قول الله - تبارك وتعالى - عن جهنم :

(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) (٢) .

فالمؤمن يأخذ نصيبه من جهنم في الدنيا (ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك) (٣) .. وامشال تلك الآية كثير .. في القرآن الكريم .. بمعنى ان كل خطأ يخطئه المؤمن .. تصيبه سيئة لتكفيرها وتذكيره بها .. من مرض او بلاء او ألم .. ليظل خاليا من السيئات .. وعليه في تلك الحالة ان يعرف خطاه فتكون له تلك السيئة تكفيرا وتذكيرا .
والرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول :
« الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء » .

ولعل هذا هو السبب في قولنا - المؤمن مصاب - لأن الله لا يمد له .. وانما يؤاخذ به بذنوبه اولا بأول .. حتى يدركه الموت .. وقد نقى من ذنوبه .. كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .

وروى في الحديث القدسي المشهور :

« وعزتي وجلالي .. لا اخرج عبدي من الدنيا .. وقد اردت به الخير .. حتى اوفيه ما عمله من السيئات .. احاسبه عليها في الطبيعة .. من مرض في جسمه .. خسارة في

ماله .. فقد في ولده .. فاذا بقيت عليه سيئة ثقلت عليه سكرات الموت .. حتى يأتيني كيوم ولدته أمه .

وعزتي وجلالي لا اخرج عبدي من الدنيا .. وقد اردت به الشر .. حتى اوفيه ما عمله من الحسنات .. من بركة في جسمه .. وبركة في عمله .. وبركة في ماله .. وبركة في ولده .. فاذا بقيت له عندى حسنة .. خففت عليه سكرات الموت .. حتى يأتيني وليست له حسنة » .

والنصف الثانى من هذا الحديث القدسي الكريم .. ينطبق تماما مع قول الله تعالى :

(فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء) من الخيرات (حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بفتنة فاذا هم مبلسون) (٤) .

فالبلاء في الدنيا تذكير وتكفير للمؤمن .. وهو نصيبه من ورود جهنم - والعياذ بالله - وهذا موضوع واسع .. في ثنايا كتاب الله تعالى .. وسنة رسوله .. ولكن ليس هذا موضعه .

ثم يقول - عليه الصلاة والسلام - في نفس حديث - ابي سعيد الخدرى - رواية البيهقي - « ثم عرضت على النار .. فاذا فيها غضب الله ورجزه وغضبه ونعمته .. لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها .. ثم اغلقت دونه » .

وبدأت رحلة العودة :

فقد ذكر البخارى .. في بعض طرقه :

((وفرض عليه خمسون صلاة .. فرجع حتى مر على موسى .. فقال له : بم امرت ؟ .

قال بخمسين صلاة .. قال : ان امتلك لا تطيق ذلك .. ارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك .. فالتفت الى جبريل .. كانه يستشير به في ذلك .. فأشار .. أن نعم ان شئت .. فعلا

(٢) ٧١ - مريم .
(٤) ٤٤ - الانعام .

(١) ٧ - الشورى .
(٣) ٧٩ - النساء .

به جبريل .. حتى اتى به - الجبار - تبارك وتعالى .. فوضع عنه عثرا .. ثم انزل حتى من موسى فاخبره .. فقال : ارجع الى ربك فاسأله التخفيف .. فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله - عز وجل - حتى جعلها خمسا .. فامر موسى بالرجوع وسؤال التخفيف .. فقال : قد استحييت من ربي .. ولكن ارضى واسلم .. فلما بعد .. نادى مناد : قد امضيت فريضتى .. وخففت عن عبادى » (١) .

وعاد - عليه الصلاة والسلام - الى مكة .. وقد اراه الله - سبحانه - بعض علامات وامارات .. فى الطريق .. فقد روى الله مر فى بعض طريقه بغير لقريش .. تحمل طعاما .. فيها جمل عليه غرارتان : غرارة بيضاء وغرارة سوداء .. فلما حاذى البعير .. نفرت واستدارت .

وفى رواية انه مر بغير قد اضلوا بعيرا لهم .. قد جمعه فلان .. فقال - صلى الله عليه وسلم - : فسلمت عليهم .. فقال بعضهم لبعض هذا صوت محمد (٢) .

وقد قرأت لبعض اصحاب المعانى .. حول الاسراء والمعراج :

كان الله تعالى .. قال له - صلى الله عليه وسلم - : يا محمد .. قد اعطيتك نورا تنظر به جمالى .. وسمعا تسمع به كلامى .. يا محمد .. انى اعرفك بلسان الحال معنى عروجك الى .. يا محمد .. ارسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا .. والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به .. فأريك جنتى لتشاهد ما أعددت فيها لأولياى .. وأريك نارى لتشاهد ما أعددت فيها لأعدائى . ثم اشهدك جلالى .. واكشف لك عن جمالى .. لتعلم انى منزله فى كمالى عن الشبيه والنظير .. والوزير والمشير .

فرآه - صلى الله عليه وسلم - بالنور الذى قواه .. من غير ادراك ولا احاطة .. فردا صمدا .. لا فى شيء .. ولا من شيء .. ولا قائما بشيء .. ولا على شيء .. ولا مفتقر الى شيء .. ليس كمثله شيء . فلما كلمه شفها .. وشاهده كفاحا .. قيل له يا محمد .. لابد لهذه الخلوة من سر لا يذاع .. ورمز لا يشاع .. فاوحى الى عبده ما اوحى .. فكان سرا من سر .. لم يقف عليه ملك مقرب .. ولا نبي مرسل .



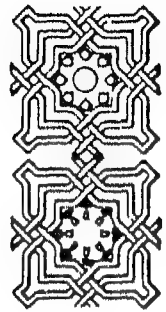
(١) زاد المعاد ص ٥٣ ج ٢ .

(٢) الانوار الحمديّة ص ٢٤٨ .

تكذيب ونكسة

• انكرت قريش ما قاله - عليه السلام - من انه
ذهب الى المسجد الأقصى وعاد في نفس الليلة .. لمعد
هذا الأمر عن مبركات عقولهم .. وها هو العقل يؤمن
الآن بهذا المكان .. بعد ان صنع الطائرات النفاثة •

صنع الله له البرق .. وهو يسير بسرعة البرق ..
اي سرعة الضوء • ((سبستريوم آياتنا في الآفاق وفي
الأنفس هم هتني يتبين لهم انه الحق)) فيقبله من مكة الي
بجنته المأبوس !! بسرعة الضوء •



تكذيب ونكسة

لجارييتى - نبعة - وكانت حبشية : اتبعيه
فانظري ماذا يقول :

فلما رجعت اخبرتني ان رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - انتهى الى نفر في الحطيم ..
وفيهم مطعم بن عدى .. وابو جهل بن هشام
.. فأخبرهم بمسراه .. اه -

تعهد - عليه الصلاة والسلام - أن يبدأ
بأخبار أبى جهل عن أسرائه - ليلة الامس -
من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى .. فنظر
اليه ابو جهل نظرة فيها الكثير من المعانى ..
وقد علا البشر وجهه .. ثم قال له هامسا :
هل تقول حقا يا محمد ؟ .. قال : نعم .. قال :
هل اذا دعوت القوم تقول لهم ما قلت لى ؟ ..
قال : نعم يا أبا جهل .. وعلا صوت أبى جهل :
اقدموا أيها القوم .. فمقد جن صاحبكم ..

كان طبعيا ان يكذبه قومه وينكرونه ..
عندما أخبرهم انه ذهب الى بيت المقدس ..
وعاد في نفس الليلة .. بل وفتن بها بعض ضعفاء
الايمان .. الذين كانوا قد اسلموا معه .. ولما
يدخل الايمان في قلوبهم .

فروى انه - عليه الصلاة والسلام - لما عاد
من مسراه .. أخبر به ام هانئ بنت عمه أبى
طالب - اخت على - رضى الله عنه - وأخبرها
انه خارج الى قومه ليخبرهم بذلك ، فتعلقت
بردائه وقالت : انشددك الله يا بن العم ..
الا تحدث بها قريشا .. فيكذبك من صدقك ..
فضرب بيده على رداءه فانتزعه منها .

قالت : وسطع نور عند فؤاده .. كاد يخطف
بصرى .. فخررت ساجدة .. فلما رفعت
رأسى .. فإذا هو قد خرج .. قالت : فقلت

اسمعوا ماذا يقول .. واتجه الى رسول الله ..
وقال له : قل لهم ما قلت لى يا محمد ..
فأخبرهم رسول الله بخبر مسراه الى بيت
المقدس .. وعلت الدهشة وجوه الجميع ..
فقال لهم : ان غيركم فى مكان كذا .. وحصل
لها الليلة كذا .. وشردت بعير جمعها فلان ..
وفى مقدمتها بعير .. عليه فرارتان صفتها كذا
.. كل هذا وهم مأخوذون بما يقول .. منهم
المشفق عليه وقد ظن به الظنون .. ومنهم من
كان قد أسلم فوجد الشيطان بهذا الامر ثغرة
افسد منها قلبه .. ومنهم من وجدها فرصة
للتشهير بمحمد والسخرية منه .. مثل أبى
جهل .. الذى هز جنبات المكان بضحكاته
وسخريته . فتقدم اليه مطعم بن عدى ..
وقال : ان امرك قبل اليوم كان امرا يسيرا غير
قولك اليوم .. هو يشهد انك كاذب .. نحن
نضرب اكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا
شهرًا .. ومنحدرا شهرًا .. اتزعم انك آتيته
فى ليلة واحدة .. واللآلئ والعزى لا اصدقك
.. وما كان هذا الذى تقول قط .

وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر
.. فقالوا : هل لك الى صاحبك ؟ .. يزعم انه
أسرى به الليلة الى بيت المقدس ؟ .. قال :
او قد قال ذلك ؟ .. قالوا : نعم .. قال : لئن
قال ذلك لقد صدق .. قالوا : اتصدق انه
ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح ؟ ..
قال : انى لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك ..
أصدقته فى خبر السماء فى غدوة وروحة .. ثم
أسرع الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهو يعلن تصديقه فهما قال :

وال معلم بن عدى : يا محمد .. صف لنا
بيت المقدس .. فقال أبو بكر - رضى الله عنه - :
صفه لى يا رسول الله .. فأنى قد جئته .

وفى رواية عند مسلم : فسألونى عن أشياء
لم اثبتها .. فكربت كربا شديدا .. لم أكره
مثله قط .. فرفعه الله الى أنظر اليه .. ما
يسألونى عن شيء .. الا انبأهم به .

وفى حديث أم هانئ : أنهم قالوا : كم
للمسجد من باب ؟ .. قال : ولم اكن عدتها ..
قال : فجعلت أنظر اليه .. وأعدها بابا .. بابا .

جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يصفه .. وأبو بكر يقول : صدقت أشهد
انك رسول الله . وقول أبى بكر لرسول الله :
صفه لى .. لم يكن عن شك .. فانه صدقه من
أول وهلة .. ولكنه أراد اظهار صدقه لقومه .

ولنا وقفة قهسية .. أمام تلك المعجزة ..
معجزة رفع المسجد الأقصى للرسول .. وهو
بمكة .. مع ان المسافة بين مكة وبيت المقدس ..
مسيرة شهر .. فتلك معجزة .. من معجزات
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آمنا بها
وصدقناها تسليما .. وقد تحققت الآن علميا
.. بعد اكتشاف جهاز - التلفاز - فقد هيا الله
- سبحانه - للعقل البشرى أن يحقق أشياء
بالعلم .. كان البشر يقبلونها كمعجزة خارجة عن
نطاق الإدراك العقلى .. وبهذا يتضح لنا معنى
قوله تعالى .. من أربعة عشر قرنا من الزمان :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى
يتبين لهم أنه الحق) (١) .

بالعلم استطاع الانسان - وهو مخلوق - أن
يصنع أشياء كانت فى الماضى - أمام العقل -

معجزات .. عليه ان يسلم بها .. لانها وقعت
على يد نبى .. وقد يكذب بها البعض بحجة انهم
لا يؤمنون الا بما يقبله العقل .. وبهذا الانكار
يلقون بانفسهم فى احضان الكفر ..

انكرت قریش ما قاله محمد .. من انه ذهب
الى المسجد الاقصى .. وعاد فى نفس الليلة ..
لبعد هذا الامر من مدركات عقولهم .. وها هو
العقل يؤمن الآن بهذا الامكان .. بعد ان صنع
النفاثات .. ولهذا قلنا عن البراق .. انه يسير
بسرعة البرق .. ولذا سمى - براقا - صنع الله
الذى خلق العقل .. صنع البراق ليكون وسيلة
لنقله - عليه السلام - من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى .. وهى المرحلة الادمية .. على
سطح كوكب الارض .. كما بينا من قريب ..
لان الاجسام الادمية .. فى حاجة الى وسيلة
لنقلها من مكان الى مكان .

وانكروا عليه انه رآى بيت المقدس ..
فقطار يصف لهم ابوابه وجدرانه ومواقعها ..
انكروا عليه كل هذا .. لبعد هذا الامر عن
مدركات عقولهم .. ولكن العقل سلم بها الآن ..
بعد ان حققها علميا .. وصار بجهاز - التلفاز -
الذى حققه العلم .. يرى امريكا عبر المحيطات
الواسعة .. والمسافات الشاسعة .. بادارة
مفتاح صغير .

بل واستطاع الانسان الغاء الزمن ايضا ..
فالساعة تدق فى مكة الرابعة مثلا .. وتصل
الى اذننى فى القاهرة .. من خلال المدياع .. فى
نفس اللحظة التى دقت فيها .. لا تتأخر اى
زمن برغم بعد المسافة .

وهنا يستطيع العقل ان يدرك قدرة خالق
العقل .. على نقل محمد من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى بدون زمن .. او بسرعة
البرق .. كما نستطيع ان ندرك معنى :

(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى
يتبين لهم انه الحق) .

وكثيرا ما نرى على شاشة السينما ..
ابو شاشة - التلفاز - ممثلين ماتوا من زمن
بعيد .. ولكننا نراهم باعيانهم واعضاءهم ..
ونسلمع أصواتهم وحوارهم .. وننظر
حركاتهم وسكناتهم .. وكأنه سجل حياتهم فى
تلك الفترة الزمنية .. التى مثلوا فيها .

ونرى ان هذا السجل .. لا يفادى صغيرة
ولا كبيرة مما عملوه الا احصاها .. وهذا يوحى
الينا بفكرة مبسطة عن الكتاب الذى نحاسب به
امام رب العالمين .. وهو انه أشبه ما يكون
بتسجيل كامل عن حياة كل انسان .. من
لحظة مولده الى لحظة موته .. فكل نفس يتردد
بسجل على الانسان صورة وصوتا وسريرة
(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون) (١) .

والنسخ تصوير .. ومعنى هذه الآية
واضح جدا .. وصريح جدا .. فى ان الكتاب
قد نسخت به وصورت جميع أعمال الانسان
شرا وخيرا . (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره .
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٢) . فانا مثلا
.. دخلت اسرق شيئا .. وتلفت حولى لاطمنن
ان احدا لا يرانى .. واخذت الشئ وخبائه فى
مكان ما .. هذا المنظر .. سجلته الملائكة

المسجلون .. سجل على مصورا .. وهكذا في كل ما يصدر من الانسان .. او يغمره .. من حركات وخواطر .

هذا السجل الكامل من حياة الانسان .. يطوى عندما تبلغ الروح الحلقوم .. وسمماها القرآن الكريم - طائرا - (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه .. ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) (١) . والمخرج هنا - هو الله تعالى - ولله المثل الأعلى .

هذا السجل الكامل .. هو الكتاب الذى تلقاه منشورا معروضا .. يرى فيه الانسان كل حياته بدقائقها وثوانيتها .. بما فيها من صغير وكبير .. شرا او خيرا .. طاعة او معصية .. عملا او لعبا .. ولن يستطيع امامها ان ينكر شيئا .. وهنا نستطيع ان نفهم قوله تبارك وتعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) (٢) في سورة النور .. واذا ربطنا بين تلك الآيات والآيات الواردة في سورة فصلت : (حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجاودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجاودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون * وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جاودكم ولكن ظننتم ان الله لا يهلم كثيرا مما تعملون) (٣) .

فنجسد ان الشهود في آية النور هي : الالسنه والايدى والارجل .. وفي آية فصلت

هي : السمع والابصار والجلود .. ومعنى هذا ان الجاود هي الاعضاء .. التى هي الالسنه والايدى والارجل .. يتضح هذا في تبكيثهم بقوله تعالى : وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم (اما الجلود بمعنى الغطاء الذى يكسو الجسم .. فقد سماها الله تعالى - الشوى - في قوله تعالى : (كلا انها لظى * نزاعة للشوى) (٤) .

الم تر ان الله تعالى قال عن اهل جهنم .. (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) (٥) ؟ اى كلما نضجت اعضاؤهم .. جعلنا لهم اعضاء جديدة .. ليتعذبوا بها .

ولعل العقل يستطيع ان يتصور - الكتاب الناطق - من قوله تعالى : (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) (٦) .

وكلمة منشورا توحى بانه عرض كعرض - افلام الفيديو - لانه صور مشهودة .. يراها الانسان .. ألم تر قول الله تعالى : (واذا النفوس زوجت) (٧) .. بمعنى ازدواج الانسان .. انه يرى جسمه في شريط .. يأتى عرضه من يمين السعداء .. ومن شمال الاشقياء .. نسال الله خاشعين خاضعين خائفين .. ان يجعلنا من اصحاب اليمين ..

(٢) ٢٤ - النور .

(٤) ١٥ - ١٦ - المعارج .

(٦) ١٣ - ١٤ - الاسراء .

(١) ١٣ - الاسراء .

(٣) ٢٠ - ٢٢ - فصلت .

(٥) ٥٦ - النساء .

(٧) ٧ - التكاوير .

وحركاتهم .. برغم أنهم انصرفوا من هذا المكان من زمن .. ومعنى هذا ان الانسان يترك في الجو اثرا .. صورة وصوتا .. تختزن في طبقات الجو العليا .. وهذه هي كتب الحساب .. المحفوظة عند رب الارباب .

لقد عميت قريش عن الآيات البينات والبراهين الناطقات .. التي افخمهم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من وصف بيت المقدس .. وهم يعلمون أنه لم يذهب اليه من قبل .. ومن اخبارهم بامارة المعير التي مر بها .. وقد وصلت في الميعاد الذي حددته .. وفي مقدمتها هذا البعير حامل الفراريتين .

ولكنه العناد والكبر .. والعنوة والكفر .. فازدادوا في تكذيبه واضطهاده .. ومحاولة اذاه

فكم في شريط كل انسان من مخاز وفضائج .. ونسأله (ولا تخزننا يوم القيامة) .. فأصحاب اليمين لا يرى عيوبهم سواهم .. مصحوبة بالعمى « ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة » (١) .. (ويعفو عن كثير) (٢) و (ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون) (٣) ولكن لابد من رؤية الحسنات والسيئات (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) .

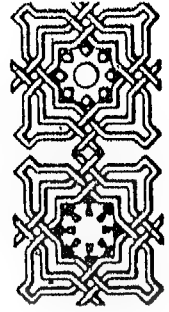
لقد استطاع العقل البشري ان يحقق المعجزات لفهم قوله تعالى (سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

وقد سمعنا عن أجهزة حديثة .. اكتشفها العقل اخيرا .. لو وضع هذا الجهاز في مكان بعد انصراف قوم كانوا يجلسون فيه .. يخرج هذا الجهاز شريطا به صورهم وحديثهم

(١) ١٦ - الاحقاف .

(٢) ١٥ - المائدة .

(٣) ٩٧ - النمل .



تصديق وبيعة

... ويلفت النظر هنا أمر غريب .. فقد دخل
أهل المدينة في الاسلام بسرعة عجيبة .. وسرى فيهم
نور الاسلام .. سريان الضوء في حلقة الليل .. بدون
عناء .. وبلا مجهود في الاقناع .. ولا مخالفة او نقاش
او جدل .. مع أن الأوس والخزرج .. الذين دخلوا
في الاسلام أفواجا .. كانوا مشتهورين بين العرب
بالحرب والقتال فيما بينهما ..

تصديق وبيعة

يباعوك .. فيرفع يديه ويقول : « اللهم لو شئت
أن يكونوا هكذا » .

عرض نفسه فيما عرض .. على بنى عامر
ابن صعصعة .. فقال له رجل منهم ارايت
اوباعناك على امرك .. ثم اظفرك الله على من
خالفك .. أن يكون لنا الامر من بعدك ؟ .. فقال :
الامر الى الله يضعه حيث يشاء » فقال له :
انقابل العرب دونك .. فاذا اظفرك الله كان الامر
لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك .. وأبوا عليه .. فلما
رجع بنو عامر الى منازلهم .. وكان فيهم شيخ
ادركته السن .. لا يقدر ان يسافر معهم في
الموسم .. فلما قدموا عليه سألهم عما كان في
مؤسمهم .. فقالوا : جاءنا شاب من قريش ..
احد بنى عبد المطلب .. يزعم انه نبي .. يدعونا
نمنعه .. ونقوم معه .. ونخرج به الى بلادنا ..
فوضع الشيخ يده على رأسه .. ثم قال : يا بنى
عامر .. هل لها من تلاف ؟ اى هل لهذا الامر
من تدارك ؟ .. والذي نفس فسلان ببسائه ..
ما يقولها كاذبا من بنى اسماعيل قط .. وانها
لحق .. وان رأيكم غاب عنكم (١) .

قضى رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
من أول نبوته .. ثلاث سنين بمكة .. مستخفيا
بدعوته .. ثم جهر بها في السنة الرابعة ..
وظل يدعو الناس حتى مضت عشر سنوات من
نبوته .. يدعوهم في مناسزلهم تارة .. وفي
المواسم والأسواق تارة اخرى .. يدعوهم الى
دينه في سوق عكاظ .. وذى المجاز .. يدعوهم
الى أن يمنعه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة ..
فلم يجبه الى نصرته احد .. حتى مر بالقبائل في
ديارهم .. قبيلة قبيلة .. يقول لهم : « يا ايها
الناس .. قولوا لا اله الا الله تفلحوا .. وتملكوا
العرب .. وتدين لكم بها العجم .. فاذا آمنتم
كنتم ملوكا في الجنة »

وكان ابو لهب يترصده .. فاذا رآه يدعو
الناس .. سار خلفه يقول : لا تطيعوه فانه
صابيء كاذب .. والناس يعلمون أن ابا لهب
همه .. فيقولون لرسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم

(١) ابن اسحاق .

واراد الله - سبحانه - ان يظهر دينه ..

وينصر عبده .. ويعز جنده .. فبينما رسول الله عند العقبة .. وهى على يسار القاصد من مكة الى منى .. اذ لقي رهطا من الأوس والخزرج .. وهما قبيلتان كبيرتان في يثرب - المدينة - مشهورتان بين العرب .. لقي - عليه الصلاة والسلام - منهم ستة .. كلهم من الخزرج .. وهم : أبو أمامة - سعد بن زرارة .. وعوف بن الحارث وشهرته ابن عفراء .. وهذان من بنى النجار .. ورافع بن مالك بن العجلان .. وهو من بنى زريق .. وقطبة بن عامر بن حديدة .. وعقبة بن عامر .. وهما من بنى غنم .. وجابر ابن عبد الله .. وهو من بنى عبيدة .

فدعاهم الى الاسلام .. وتلا عليهم شيئا من القرآن .. فأسلموا .. فقال لهم : « تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي » ؟ فقالوا : يا رسول الله .. انما كان يوم بعث من عامين .. يوم من ايام قتالنا .. فان تقدم ونحن كذلك .. لا يكون لنا معك اجماع .. فدعنا حتى نرجع الى مشائرنا .. لعل الله يصلح ذات بيننا .. وندعهم الى ما دعوتنا اليه .. فعسى الله ان يجمعهم على دينك .. فان اجتمعوا على كلمتك واتبعوك .. فلا أحد اعز منك .. وموعدهك الموعود في العام المقبل .. وانصرفوا الى المدينة .. فلم تبق دار من دور الأنصار - أهل المدينة - الا وفيها ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مضي العام .

ويلفت النظر هنا امر شريف حقاً . فقد دخل أهل المدينة في الاسلام .. بسرعة عجيبة .. وسرى فيهم نور الاسلام .. سريان شعاع الضوء في حلقة الليل .. بدون شيء من العناء .. وبلا مجهود في الاقناع .. ولا مخالفة أو نقاش أو جدال .. مع ان الأوس والخزرج الدين دخلوا في الاسلام افواجا كانوا مشهورين بين العرب بالحرب والقتال فيما بينهما .. وقد

دامت فيهم حرب البسوس أربعين عاما بسبب ناقة .. هؤلاء الأعداء .. الضاربين في أعماق العداوة والبغضاء .. يقبلون على الاسلام في لهم .. كاقبال الرضيع على ثدي امه بعد ان ضابت عنه يوما أو بعض يوم .

ذلك تقدير العزيز العليم .. فقد كان اليهود بينهم أصحاب المال والصناعة .. وهم أهل كتاب .. ولكن الأوس والخزرج كانوا أكثر منهم عدداً .. فكانوا اذا كان بينهم شيء من الخلاف .. قال اليهود لهم : ان خاتم الأنبياء سيبعث .. وقد اظلنا زمانه .. وسئلتجه ونقتلكم قتل عاد وادم .

وعندهم في التوراة انه بيده سيف وقوس .. يقاتل بهما حتى تلعو كلمة الله .

وكان الأوس والخزرج يحجون البيت بهكة بخلاف اليهود .. فلما رأوا رسول الله يدمو الناس الى الله - عز وجل - وتأملوا أحواله .. قال بعضهم لبعض : تعلمون والله يا قوم انه هذا الذي توعدكم به يهود المدينة .. فلا يسبقتم اليه .

وقبل هذا العام .. قدم مكة سويد بن الصامت .. من الأوس .. فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الاسلام .. فلم يبعد ولم يجب .. ثم قدم مكة من الأوس أنسى ابن رافع أبو الحيس .. في فتية من قومه .. من بنى عبد الأشهل .. يطلبون الحلف مع قريش .. فلقاهم رسول الله ودعاهم الى الاسلام .. وقرأ عليهم قرآنا .. فقال اياس بن معاذ - وكان شاباً حدثاً - يا قوم والله هذا خير مما جئنا له .. فضربه أبو الحيس وانتهره فسكت .. ثم لم يتم لهم الحلف .. وعادوا الى المدينة من أجل هذا استجاب لرسول الله هؤلاء الستة .. عندما لاقوه عند العقبة .. وذهبوا بالاسلام الى قومهم بالمدينة .. فكانوا مشعلا

استجاب لنورده الاوس والخزرج معا .. حيث لم يمض العام .. حتى كان ذكر رسول الله في كل بيت من بيوت المدينة .

وفي نفس الموعد من العام القابل .. لقيه
بمكة اثنا عشر رجلا .. فيهم خمسة من الستة الاول .. حيث لم يحضر معهم جابر بن عبد الله بن ريان .. اما السبعة الاخر .. فهم : معاذ بن الحارث بن رفاعه - أخو عوف المتقدم ذكره .. وذكوان بن عبد قيس .. وعبادة بن الصامت .. ويزيد بن ثعلبة .. والعباس بن عباد .. وهؤلاء الخمسة من الخزرج .. ومن الاوس رجلان .. ابو الهيثم بن التيهان من بنى عبد الاشهل .. وعويم بن ساعدة .. فاسلموا وبايعوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - واقام ذكوان بن قيس بمكة .. حتى هاجر مع الرسول الى المدينة .. ولذلك يقال عنه : المهاجرى الانصارى .

ويقول رجال السيرة عن تلك البيعة : انها على بيعة النساء .. يقصدون انها على الصيغة التى نزلت في سورة الممتحنة خاصة ببيعة النساء .. فبايعوه على الا يشركوا بالله شيئا .. ولا يعصوه في معروف .. وعلى السمع والطاعة في السر واليسر .. والنشط والمكره .. وان يقولوا الحق حيث كان .. لا يخافون في الله لومه لائم .

ثم قال لهم - صلى الله عليه وسلم - « فان وفيتم فلكم الجنة .. ومن غشى من ذلك شيئا .. كان امره الى الله .. ان شاء عذبه .. وان شاء عفا عنه » .. ثم انصرفوا الى المدينة .

وارسل رسول الله معهم مصعب بن عمير - رضى الله عنه - الى المدينة .. يقرئهم القرآن .. ويعلمهم مبادئ الاسلام .. فاسلم على يده خلق كثير من الانصار .. منهم سعد بن معاذ .. واسيد بن حضير .. واسلم باسلامهما جميع بنى عبد الاشهل في يوم واحد .. الرجال والنساء ما خلا الاصيرم .. وهو عمرو بن ثابت بن قيس فانه تاخر اسلامه الى يوم احد .. فاسلم يومئذ

.. وقاتل فقتل قبل ان يسجد لله سجدة واحدة .. واخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انه من اهل الجنة .. وقال عنه « عمل قليلا .. واجر كثيرا » .

ولم يكن في بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة .. بل كلهم حنفاء مخلصين - رضى الله عنهم اجمعين . ودخل اهل المدينة في دين الله افواجا .

قال ابو الزبير .. عن جابر : ان النبى - صلى الله عليه وسلم - لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم « ومجنة ومكاظ من يؤمنى ؟ .. ومن يؤوينى ؟ .. ومن ينصرنى ؟ حتى ابلغ رسالة ربى وله الجنة .. فلا يجد احدا ينصره ولا احدا يؤويه .. حتى ان الرجل ليرحل من مصر او اليمن ليزور ذا رحمه في مكة .. فيقول له قومه : احذر غلام قريش لا يفتنك .

كان يعيش بين الناس يدعوهم الى الله . وهم يشيرون اليه بالاصابع .. حتى بعثنا الله من يشرب .. فيأتيه الرجل منه فيؤم به .. ويقرئه القرآن .. فينقلب الى اهله فيسلمون باسلامه .. حتى لم يبق دار من دور الانصار .. الا وفيها رهط من المسلمين .. يظهرون الاسلام .

وبعثنا الله اليه فا اتمرنا واجتمعنا وقلنا : حتى متى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينتظر في جبال مكة ويخاف ؟ .. فرحلنا حتى قدمنا عليه في الموسم .. فواعدنا بيعة العقبة .. فقال له عمه العباس .. وكان العباس على دين قومه .. قال : يا ابن اخى .. ما ادرى ما هؤلاء القوم .. الذين جاءوك ؟ .. انى ذو معرفة باهل يشرب .

فاجتمعنا عنده من رجل ورجلين .. فلما نظر العباس في وجوهنا قال : هؤلاء قوم لا نعرفهم .. هؤلاء احداث .. فقلنا : يا رسول

الله على ما نبيأكم ؟ .. قال على السمع والطاعة في المنشط والمكره .. وعلى النفقة في العسر واليسر .. وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وعلى أن تقوموا في الله لا تأخذكم لومة لائم .. وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم .. وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم .. ولكم الجنة .. فقمنا نبيأه .

كان ذلك في بيعة العقبة الثانية .. حيث حضر موسم الحج هذا العام عدد كبير من المدينة .. منهم المسلم والكافر .. فاتفق جماعة من الانصار على لقاء النبي سرا في موسم الحج .. وحضروا مع قومهم .. وواعدوا الرسول على لقائه عند العقبة ليلا في اوسط ايام التشريق (١) .. فلما كان الليل خرجوا يتسللون بعد الثلث الاول .. حتى اجتمعوا بالعقبة .. وحضر معهم عبد الله بن عمر حرام - ابو جابر - وقد اسلم تلك الليلة فقط (٢) .

وجاءهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه عمه العباس بن عبد المطلب .. وهو كما قلنا - كان على دين قومه .. واحب ان يستوثق لابن اخيه .. فقال :

« يا اهل يثرب .. ان محمدا منا حيث قد علمتم في عز ومنعة .. وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم .. فان كنتم ترون انكم تفسون الله بما دعوتوه اليه .. فأنتم وذلك .. وان كنتم ترون انكم مسلموه .. فمن الآن فدعوه .. فانه في عز ومنعة » .

فقال الانصار : قد سمعنا ما قلت .. فتكلم يا رسول الله .. واختر لنفسك ولربك ما احببت . فطلب - عليه الصلاة والسلام - البيعة التي ذكرها جابر في حديثه .. فقاموا يبايعونه .

فاخذ بيده اسعد بن زرارة - وهو اصغرهم سنا - فقال : رويدا يا اهل يثرب .. انا لم

نضرب اليه اكباد المولى .. الا ونحن نعلم انه رسول الله .. وان اخراجه اليوم معاداة للعرب كافة .. وقتل لخياركم .. وان تعضكم السيوف .. فان كنتم تصبرون على ذلك فخذوه واجركم على الله .. وان كنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه .. فهو اعدركم عند الله .

فقالوا : يا اسعد .. امط عنا يدك .. فوالله لا نذر هذه البيعة .. ولا نستقبلها .. فقمنا اليه رجلا رجلا .. فاخذ علينا .. يعطينا بذلك الجنة .

ووقف البراء بن معرور .. وكان زعيم القوم .. واخذ بيده وقال : والذي بعثك بالحق .. لنمنعتك مما لمنع منه ذراريها .. فبايعنا يا رسول الله .. فنحن والله اهل حرب .

فاعترض الكلام ابو الهيثم بن التيهان حليف بين عبد الاشهل .. فقال :

يا رسول الله .. ان بيننا وبين الناس حبلا .. وانا قاطعوها - يعني اليهود - فهل نسيت ان اظهر لك الله - عز وجل - ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ .. فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال :

« بل الدم الدم .. الهدم الهدم .. انتم مني وانا منكم .. اسالم من سالمتم .. واحارب من حاربتم » وكان عدد المبايعين من الانصار .. في تلك البيعة .. سبعين رجلا وامراتين :

نسيبة بنت كعب - ام عمار - واسماء بنت عمرو بن عدى .. من بنى سلمة .. بايعته .. من غير أن يضافحهما .

واختار منهم - عليه الصلاة والسلام - اثني عشر نقيبا .. قال لهم :

« انتم كفلاء على قومكم .. ككفالة الحوارين لعيسى بن مريم .. وانا كفيل على قومي .

(١) ايام التشريق ثلاثة ايام بعد يوم النحر .

(٢) استشهد عبد الله بن عمرو يوم احد .. ومثل بجسده مع حمزة .

ولا مانع من ذكر اسمائهم .. فهم في الواقع ..
حملة المشاعل .. في موكب ظهور الاسلام ..
وهم : سعد بن عبادہ .. واسعد بن زوارة ..
وسعد بن الربيع .. والمندرين عمرو .. وعبد الله بن
بن رواحة .. والبراء بن معرور .. وعبد الله بن
عمرو بن حرام .. وعباد بن الصامت .. ورافع
بن مالك .. هؤلاء تسعة من الخزرج وثلاثة من
الاوس .. هم : اسعد بن خيثمة .. واسيد بن
حضير .. وابو الهيثم بن التيهان . وقد امر
الرسول على النقباء اسعد بن زرارۃ .. وهو
اول من دفن من المسلمين في البقيع .

ولما تمت البيعة .. استاذنوا رسول الله ..
ان يميلوا على هل العقبة باسبابهم .. فلم ياذن
لهم . وصرخ الشيطان على العقبة بأبعد صوت :
يا اهل الاحاسب .. هل لكم في محمد والصابئون
معه .. قد اجتمعوا على حربكم .. فقال رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - :

« هذا اذب السقبة .. اما والله يا عباد الله
لا تفرغن لك » ثم امرهم ان ينفضوا الى رحالهم
وفي الصباح .. غدا اشرف قريش .. حتى
دخلوا شعب الانصار .. وقالوا : يا معشر
يثرب .. انه بلغنا انكم لقيتم صاحبنا البارحة ،
وباعتموه على حربنا ، وايم الله ما حى من العرب
ابغض الينا من ان ينشب بيننا وبينه الحرب
منكم .

فوقف المئذنون من الانصار يحلقون ..
ما كان هسدا .. وما علمت .. وقال عبد الله
بن ابي (١) .

هذا باطل .. لو كنت يثرب ما صنع فومي
هذا .. حتى يستشيروني .

فرجعت قريش من عندهم .. وبدأت عودة
الانصار الى المدينة .

ولكن ثريشا ادركوا بسعد بن عبادۃ ..
بعد رحيل اخوانه .. فجروه من شمره الى مكة
.. وضربوه .. ولم يخلصه من ايديهم الا مطعم
ابن عدي .. والحرث بن حرب بن امية .

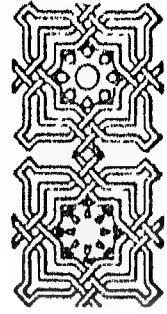
ونشاور الانصار حين اوعاها ..
اليه .. فاذا سعد قد طاعناهم .

ووصلوا جميعا الى المدينة .. ذى الحجة
.. حيث بمى - عليه الصلاة والسلام - بمكة
بقية ذى الحجة .. والمحرّم .. وصهر .. بعد
بيعة العقبة .

وقد امر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
المسلمين بالهجرة الى المدينة .. فخرجوا ارسالا
.. حتى لم يبق من المسلمين بمكة غير رسول
الله وابو بكر وعائى .. اقاما بامرهم .. في انتظار
امر السماء بالهجرة .. وقد اعد جهازه ..
وكذلك اعد ابو بكر جهازه .

(١) كان عبد الله بن ابي .. يعد نفسه ليكون ملكا على يثرب .

روح القرآن في الهجرة



« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله » فهل لو أنزلنا من طائفة مثلاً .. ملايين المصاحف على جبل .. هل يخشع ويتصدع ويتشقق ؟ ..

ان القرآن الكريم ليس مجرد الفاظ ولا مجرد حروف .. وبالتالي ..

● ولا مجرد ورق .. بل هو القوة الروحية الفعالة المؤثرة ..

● هذه القوى الروحية .. تسير بها الجبال .. وتقطع بها الأرض .. ويكلم بها الموتى ..

روح القرآن في الهجرة

القرآن .. الذي يتلوه عليكم خاتم المرسلين ..
الذي يقول الله فيه :

(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله) (٢) .

فقل لي بحق هذا الكتاب .. هل يتصدع
الجبل ويتشقق ويخشع لمجرد التلاوة
الحرفية ؟ .

وهل لو انزلنا من طائفة مثالا ملايين
المصاحف على جبل .. لتصدع وخشع ؟ .

وهل لو احضرنا مئات القراء يقرأون القرآن
قراءة حرفية لفظية محدودة من الروح .. هل
يتفتت الصخر .. وتتشقق الاحجار ؟ .

انك تشعر مع ايها القارئ الكريم ..
بأن القرآن الكريم .. ليس مجرد لفظ ..
ولا مجرد حروف .. وبالتالي ولا مجرد ورق ..
بل هو القوة الروحية الفعالة المؤثرة .. تلك
الروح هي القوة التي جاءت بعرش بلقيس من
سبا باليمن .. الى اورشليم بفلسطين من غير
زمن ما .. قوة « بسم الله الرحمن الرحيم »

قلنا في مستهل هذا الكتاب : ان لكل شيء
صورة .. ولكل شيء حقيقة .. ولا قيمة
للصورة اذا فقدت حقيقتها .. بمعنى ان الجسم
صورة كل شيء .. والروح حقيقة هذا الشيء ..
لان الروح هي الجوهر الفعّال المؤثر .. اما
الجسم فهو عرض زائل .. معرض للعدم
والفناء .

وكذلك القرآن الكريم .. له صورة وله
حقيقة .. له جسم وله روح .. وروحه هي
الحقيقة الفعّالة المؤثرة .

فالاوراق والحروف والكلمات كلها صورة
وجسم بالنسبة له .. وكذلك الاصوات ومخارج
الحروف والالفاظ .. كلها تابعة لهذا القسم ..
قسم الصورة والجسم .. اما روحه وحقيقته
.. فهي امر انفعالي مؤثر .. غير هذا الذي
ذكرنا .. تسير به الجبال .. وتقطع به الارض
.. وبكلم به الموتى . وهو المحدث المقدر في
قوله تعالى :

(ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى) (١) اى لكان هو هذا

(ثم انزل عليكم من بعد الغم امانة نعاسا
يفشى طائفة منكم) (١) .

وذلك ان قريشا بعد ان خرج المسلمون
الى المدينة بجهازهم .. يسوقون الدراري
والاموال .. وعرفوا ان المدينة ستكون لهم دار
منعة وعزة .. وعلموا انهم صاروا في شوكة
وبأس .. خافوا ان يخرج اليهم رسول الله
ويلحق بهم .. فيشتد عليهم امره .

**فاجتمعوا في دار الندوة .. لم يتخلف منهم
احد من اهل الراى والتدبير .. ليتشاوروا في
امره .. وحضرهم ولهم وشيخهم ابليس ..
في صورة شيخ كبير من اهل نجد .. يلبس
كساء اسود .**

ثم تدبروا امر الرسول .. فأبدى كل واحد
رايا .. والشيخ يرده ولا يرضاه .. الى ان قال
ابو جهل : عندي راى ما اراكم قد وقعتم عليه
.. قالوا : ما هو يا ابا جهل ؟ .. قال : ناخذ
من كل قبيلة فتى تهذا جلدا .. ثم نعطيه سيفا
صارما .. فيضربونه ضربة رجل واحد ..
فيتفرق دمه بين القبائل كلها .. وندفع لهم
ديته فقال الشيخ : لله در الفتى .. هذا هو
الراى .. فتفرقوا على ذلك .. واجتمعوا عليه .

**واخبره جبريل - عليه السلام - بمؤامرة
القوم .. وامره الا ينام في مضجعه تلك الليلة
.. وابلغه اذن ربه له بالهجرة .**

وعلى غير عادته - عليه الصلاة والسلام -
ذهب الى ابي بكر نهارا .. وطلب الانفراد به ..
فقال له ابو بكر : انما هم اهلك يا رسول الله ..
فقال : ان الله قد اذن لى في الخروج .. فقال :
الصحبة يا رسول الله .. قال : نعم .. الصحبة
يا ابا بكر .. فقال ابو بكر : بابى وامى .. خذ
أحدى راحلتى هاتين .. فقبلها رسول الله بئمنها
.. حتى لا ينقص منه شيء من ثواب الهجرة ..
نفسا ومالا .

واستأجر عبد الله بن اريقط الليثى .. وكان
دليلا عالما بالطريق .. وكان على دين قومه من
قريش .. فامناه على ذلك .. وسلمما اليه
راحتيهما .. وواعداه على موافاتهما عند غار
ثور .. بعد ثلاث ليال .

(٢) ٢٩ - النمل .

(٤) ٢٧ - النمل .

(٦) ١٥٤ - آل عمران .

وهذا هو السر .. الذى اشار اليه « الذى عنده
علم من الكتاب » الكتاب الذى ارسله سليمان
- عليه السلام - مع سفيره الهدهد .. قائلا
له : (اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم) (١) ..
وقالت عنه بلقيس : (انى القى الى كتاب
كريم) (٢) .. وفى هذا الكتاب قوات انفعول
سليمان باثرها وفاعليتها) .. وهى قوات (بسم
الله الرحمن الرحيم) .. التى امام قواتها ..
آمركم :

(الا تعلوا على واثونى مسلمين) (٣) .
وهى ايضا التى انصب عليها قسم سليمان
المؤكد باللام والنون الثقيلة .. عندما وجه الانذار
النهائى الى مجلس وزراء سبا .. فقال لرئيس
بعثة الهدية : (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود
لا قبل لهم بها) (٤) .

**وما كانت تلك الجنود التى لم يجسدوا لهم
قبلا بها سوى المعانى الفعالة .. التى القيت
اليهم القاء .. يحمل صورته كتاب منسوب
في مطلعته الى سليمان .. وفى حقيقته الى الله
الرحمن الرحيم .. الذى لا يريد برحمته ان
يدمر قوما .. متى استجابوا لدعوته .**

**وهى نفس القوى الفعالة .. التى استعملها
- عليه الصلاة والسلام - لحظة الهجرة ..
بعد ان فرع من تسليم امانات المشركين .. التى
في ذمته لهم الى على - كرم الله وجهه - وبعد
ان اعطاه مبعاته الحمراء .. لينام فيها .. ثم
انطلق - صلى الله عليه وسلم - نحو الباب ..
مبتدئا بتلاوة اول - يس - حتى اذا بلغ الباب
.. حيث يكمن اربعون شابا .. او اربعون
سيفا .. وقد اصروا واسروا .. ان يضربوه
ضربة رجل واحد .. كان يقول :**

(وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) (٥) .

وتم مفعول الآيات .. فغشيت ابصارهم ..
وعميت انظارهم .. لا من جانب الحروف
ولا الالقاء ولا الصوت .. بل من جانب قوة
الروح .. ودرجة الدفع .. وكمال الاستعداد .
فهى التى حدث بها قوة الغشيان .. لان الله -
سبحانه هو الذى ينزل هذه القوى من عنده
.. كما قال فى غزوة أحد :

(١) ٢٨ - النمل .

(٢) ٣١ - النمل .

(٥) ٩ - يس .

وحصل ما ذكرنا من خروجه عليه الصلاة والسلام على المؤمنين .. وهو يستعمل أسلحته الروحية .. ومن وسطهم يتلو : (فاعشسيهم فهم لا يبصرون) .. وبلغت به الثقة في قوة فاعلية الآيات .. وتأثيرها في أعينهم .. ان انحنى الى الأرض .. فأخذ منها حفنة من التراب .. فجعل ينثره على رؤوسهم .. وهم لا يرونه وهو يقول : « شاهدت الوجوه وغشيت الإبصار » فما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا .

ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى بيت أبي بكر .. ثم خرجا من خوخة بالبيت ليلا .. الى غار ثور .. وهو على ثلاثة أميال في الجنوب من مكة .

وجاء رجل والقوم أشبه بالنيام امام باب رسول الله .. فقال لهم : ما تنتظرون ؟ .. قالوا : محمدا .. قال : خبتم وخسرتم .. قد والله من بكم .. وذرت التراب على رؤوسكم .. فأخذوا ينفذون التراب عن رؤوسهم .. وجردوا عليا مكانه .. فسأله عنه .. فقال : لا علم لى به .

ومن هؤلاء : أبو جهل .. والحكم بن أبى العاص .. وعقبة بن أبى معيط .. والنضر ابن الحارث .. وأميمة بن خلف .. وزمعة ابن الاسود .. وطعيمة بن عدى .. وأبو لهب .. وأبى بن خلف .. ونيه وأميمة ابنا الحجاج .

فخرجوا في شعاب الجبال يبحثون عنه وعن صاحبه .. بعد ان ظهر لهم أنه مختف معه .. وساروا خلف قصاص الاثر .. والعرب مشهورون باقتفاء الاثار .. وقد أدى بهم الاثر الى مكان غار ثور .. فوقفوا عليه .

وجاء في الصحيحين « ان أبا بكر قال : يا رسول الله .. لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا .. فقال : يا أبا بكر .. ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ .. لا تحزن فان الله معنا » .

وحفظ الله رسوله بأضعف مخاوفاته : الحماة والعنكبوت .. لتتخذ من ذلك عبرة وذكرى .. ويكون لنا فيها نظر وبصر .

هذا الموقف يذكرنا بموقف لجيش المسلمين .. في بعض الفزوات ضد الفرس .. وكان جيش العدو يفوقهم عددا وقوة وعدة .. وابتهل المسلمون الى الله ليمدهم بنصره .. وتذكروا

ففلتهم عن استعمال السواك اربعة ايام .. فأخرج كل منهم سواكه يستاك به .. تقربا الى الله بتنفيذ سنة رسوله .. في نفس الوقت الذى كن فيه كشافة جيش الفرس ينظرون بمناظيرهم المكبرة .. وكانت المناظير اسلحة حديثة في جيشهم الضخم الكبير .. فراوا جيش المسلمين يستاكون .. والفرس لا يعرفون شيئا عن السواك .. فأصابهم الرعب .. وقالوا : ان هؤلاء العرب يأكلون البشر .. انهم يسنون اسنانهم .. استعدادا لافتراسهم صباح الغد .. ففرغوا وخافوا .. وهرب الكثيرون منهم في ظلمة الليل .. وكان هذا الحدث البسيط سببا في انتصار جيش المسلمين في تلك المعركة .

ويقول - عليه الصلاة والسلام - « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

وهكذا حمى الله رسوله وصاحبه بحماة وقدت على بيضها بمدخل الغار .. وعنكبوت نسج خيوطه ببابه .. وعاد المشركون يبحثون في مكان آخر .

وعن عمر - رضى الله عنه -

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - الى الغار ومعه أبو بكر .. فجعل يمشى ساعة بين يديه .. وساعة خلفه .. حتى فطن له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله .. فقال له :

يا رسول الله .. أذكر الطلب فامش خلفك .. ثم أذكر الرصد فامش بين يديك .. فقال :

يا أبا بكر .. لو كان شيء .. اتحب ان يكون بك دونى ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق .

فلما انتهيا الى الغار .. قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله .. حتى استبرئ - استطلع -

لك الغار .. فدخل فاستبراه .. ثم قال : أنزل يا رسول الله .. فنزل .. فمكنا في الغار ثلاث

ليال .. حتى خمدت عنهما نار الطلب (١) .

« وجها احث (٢) جهاز .. ووضعاه لهما سفرة في جراب .. فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها .. فربطت بها الجراب .. وقطعت الاخرى فصيرتها عصاما لغم القربة .. وتأتيهما بالطعام في الغار .. فلذلك لقيت - ذات النطاقين - » .

(٢) اسرع جهاز .

(١) الحاكم - في مسنده .

وأسماء أكبر سناً من عائشة .. وهي اختها لأبيها .. وكانت أسماء شقيقة لعبد الله بن أبي بكر .. الذي أسره أبوه أن يتسمع لهما أخبار مكة نهاراً .. ثم يأتيهما بها ليلاً .. كما أمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاراً .. ثم يأتيهما بها ليلاً عند النار .. ليأخذوا حاجتهما من لبنها .

وجاءهما نبي الله بن أريقط براحتيهما .. فارتحلا صباحاً .. في يوم الخميس غرة ربيع الأول .. وأردف بن بكر مولاه عامر بن فهيرة خلفه .. وسار الدليل أمامهما .. وعين الله نكلؤهما .. وتأييده يسحبهما .. وأسعاده برحاهما ونزلهما .. رقد أخذ الدليل بهما طريق الساحل .

وروى ابن النبی - عليه الصلاة والسلام - قال حين خروجه من مكة .. قاصدا المدينة : « اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الى .. فأسكنني أحب البلاد إليك » (١) .

كما روى حديث آخر .. قال فيه :

« والله انك لأحب أرض الله الى » .. وانك لأحب أرض الله الى الله .. ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت » (٢) .

ولنستمع الى أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - تفص علينا خبر سراقه .. الذى خرج في أثرهما .. طمعا في الدية .. التى نذرتهما قريش لمن باتى بهما .. قالت : في صحيح البخارى :

« ولما تيسر المشركون من الظفر بهما .. جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما .. فجند الناس في الطلب .. والله غالب على أمره .. فلما مروا بحى بنى مدلج - تقصد الرسول وصحبه - مصعدين من قديد .. بصر بهم رجل من الحى .. فوقف على الحى فقال : لقد رايت آنفا بالساحل أسودة - أى أشخاصا - ما أراها الا محمدا وأصحابه .. ففعلن للامر سراقه بن مالك .. فأراد ان يكون الظفر له خاصة .. وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسيبانه .. فقال : بل هم فلان وفلان .. خرجا في طلب حاجة لهما .. ثم مكث قليلا .. ثم قام فدخل خبائه .. وقال : لخدمه أخرج بالفرس من وراء الخيام ..

وموعذك وراء الاكمة .. ثم اخذ رمحه .. وخفض عاليه يخط به الأرض .. حتى ركب فرسه .. فلما قرب منهم - وسمع قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر يكثر الالتفات .. ورسول الله لا يلتفت .. فقال أبو بكر : يا رسول الله .. هذا سراقه بن مالك قد رهقنا .. فدعا عليه رسول الله .. فمأخيت بدا فرسه في الأرض .. فقال : قد علمت ان الذى أسأبني بدعائكما .. فدعوا الله الى .. والكما على ان أرد الناس عنكما فدعا له رسول الله فأطلق .. وسأل رسول الله أن يكتب له كتابا .. فكتب له أبو بكر بأمره في اديم (٣) .. فكان هذا الكتاب مع سراقه حتى يوم فتح مكة .. فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : « يوم وفاء وبر » .

وبعد ان أخذ سراقه الكتاب .. عرض عايهما الزاد .. فقالا : لا حاجة لنا به .. ولكن هم عنا الطلب .. فقال : قد كفيتم .

ورجع فوجد الناس في طلبهما .. فجعل يقول : قد استبرأت لكم الخبر .. وقد كفيتم ما ههنا .. وكان أول النهار جاهدا عليهما .. وآخره حارسا لهما .

وفي طريقهم مروا بخيمتى أم معبد - عاتكة بنت خالد الخزاعية - وكانت امرأة برزة (٤) جلدة تجلس بفناء الخيمة .. وكانت كريمة ونسقى من مر بها .. فسألاها : هل عندك شيء ؟ فقالت : لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى .. والشاة عجفاء .. وكانت سنة مجدبة .

فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى شاة في كسر الخيمة .. فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ .. قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم .. فقال : هل بها لبن ؟ .. قالت : هي أجهد من ذلك .. فقال : اتأذنين لى أن أحلبها ؟ .. قالت : نعم بأبى وأمى .. أن رأيت بها حلب فاحلبها .

فمسح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ضرعها .. وسمى الله ودعا .. فتفاجت عليه ودرت .. فدعا باناء كبير لهما .. فحلب فيه حتى علت الرغوة .. فسقاها فشربت ..

(٢) الانوار الحمديدية .

(٤) برزة : نصيحة - وجلده : صلبه .

(١) رواء الحاكم - في المستدرک .

(٣) جلد .

حتى رويت .. وسقى أصحابه حتى روي ..
ثم شرب هو آخرهم .. وحاب فيه نانيا حتى
ملاً الاناء .. ثم غادره عندها وارتحلوا .

فما لبثت ان جاء زوجها - ابو معبد -
يسوف أعزنا عجافا .. ينساوكن هزالا ..
رأى اللبن عجب .. فقال : من أين لك هذا
والشاة عازب .. ولا حلوبة في البيت؟ .. فقالت :
والله أنه مر بنا رجل مبارك .. كان من حديثه
ثبيت وكيت .. ومن حاله كذا وكذا .. قال :
صفيه لى يا أم معبد .. قالت : « ظاهر الوضاء
ابليج الوجه (١) .. حسن الخلق .. لم تعبني نجلة
ولم تزره صعلقة (٢) .. وسيم قسيم .. في عينيه دمع
.. وفي أشفاره وطف (٣) .. وفي صوته صحل
.. وفي عنقه سطح .. أحور أكحل أزج أقرن (٤)
.. شديك سواد الشعر .

إذا صمت علاه الوقار .. وان تكلم علاه
البهاء .. أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ..
وأحسنهم وأحلاهم من قريب .. حاو المنطق ..
فضل لا نزر ولا هذر (٥) .. كان منطقهم خرزان
نظمين ينحدرن .. ربعة لا تقتحمه العين من قصر
.. ولا تشنؤه (٦) من طول .. غصن بين غصنين
.. فهو أنضر الثلاثة منظرا .. وأحسنهم قدرا
.. له رفقاء يحفون به .. وإذا قال استمعوا
لقوله .. وإذا أمر تبادروا الى أمره .. محفود
محشود (٧) .. لا عابس ولا مفند (٨) » .

فقال ابو معبد : والله هذا صاحب قريش ..

الذي ذكروا من أمره ما ذكروا .. لو رأيته
لصحبته .. ولا فعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا .
وقد بقيت هذه الشاة الى خلافة عمر
بن الخطاب .. تحلب صباحا ومساء (٩) .

ويئس اهل مكة .. لما سمعوا صوتا عاليا ..
بسمعونه ولا يرون القائل :

جرى الله رب العرش خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزل بالبر وارتحلا به
وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما روى الله عنكمو
به من فعال لا يجازى وسؤدد
ليهين بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلو اختكم عن شأنها وانائها
فانكمو ان تسألوا الشاة تشهد

قالت أسماء - رضى الله عنها - :

ما درينا أين توجه رسول الله .. اذ أقبل
رجل من الجن من أسفل مكة .. فأنشد هذه
الآبيات .. والناس يتبعونه ويسمعون صوته
ولا يرونه .. حتى خرج من أعلاها .

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وان وجهه
الى المدينة .

(١) مقيء مشرق .

(٢) النجل : سعة شق العين .. والصعل عكسه .

(٣) الدمع : سواد العين .. والوظف كثرة شعر أشفار العين وحاجبها .

(٤) الحور : شدة سواد العين في شدة البياض .. والأكحل أسود ما حول العين .. والزجج : دفة الحاجبين .

(٥) وسط الحديث لا قليلة ولا كثيرة .

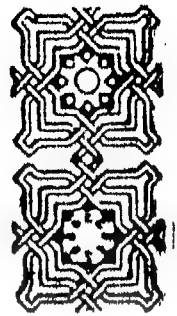
(٦) الشائى : المبفس .

(٧) الحفد : السرعة - فهو بين بين .

(٨) الفند : ضعف الراى من كبر .

(٩) الانوار المحمدية للنبيهانى .

طلوع البدر على يثرب



وبعد الصلاة .. ركب راحلته - القصصاء -
وارضى زمامها فاخذوا بخطامها .. فقال « دعوها
فانها مأمورة » .

وكان لا يمر بدار من دور الانصار .. الا قالوا
هلم يا رسول الله الى العدد والمدة والمنعة ..
ويعترضون ناقته .. فيقول : « خلوا سبيلها فانها
مأمورة » .

— ٣٤ —

طلوع البدر على يشرب

المسلمون فرحا بقدومه .. واحدقوا به مطيفين
حواله .. والسكينة تغشاه .. والوقار يحفه .
فسار حتى نزل بقاء .. فى بنى عمرو بن
عوف .

وقباء قرية على بعد ميلين من المدينة جنوبا
.. وبها حدائق وأعناب ونخيل وتين ورمان .
نزل — عليه الصلاة والسلام — بها على كلثوم بن
الهدم بن أمية القيس .. ويعرف بصاحب
رسول الله .. وكان شيخا كبيرا .. قد أسلم
قبل وصول الرسول الى المدينة .. وقد توفى
كلثوم قبل بدر بيسير ..

وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم —
عند كلثوم فى قباء مدة .. اختلف الرواة فى
تحديد لها . ونرجح أنه أقام عنده أحد عشر يوما
.. حيث خرج من قباء صبيحة يوم الجمعة ..
بعد أن أسس بها مسجد قباء .. وهو المسجد
الذى أسس على التقوى من أول يوم .

وصل المدينة خبر خروجه — عليه الصلاة
والسلام من مكة فى طريقه اليهم .. ودفع الفرح
والشوق أهلها الى الخروج كل يوم فى انتظار
وصوله .

كانوا يخرجون الى الصحراء .. رجالا
ونساء .. شيوخا وشبابا وغلمانا .. حتى اذا
لفحهم حر الشمس عادوا الى ديارهم .. فى
انتظار الغد .. وهم على أحر من الجمر .

وفى يوم الاثنين .. الثانى عشر من ربيع الأول
.. خرجوا على عادتهم .. فلما حمى حر الشمس
رجعوا . وصعد رجل من اليهود على أطم من
من أطام المدينة .. لبعض شأنه .. فرأى رسول
الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه على البعد
.. يلبسون ملابس بيض .. فصرخ بأعلى صوته :
يا بنى قيلة .. هذا صاحبكم قد جاء .. هذا
جدكم الذى تنتظرونه .. فبادروا لاستقباله ..
وسمع التكبير أولا فى بنى عمرو بن عوف .. وكبر

وقد لحق بقباء على بن أبى طالب . . . ومعه
جماعة من ضعفاء المسلمين . . . بعد أن رد الودائع
إلى أصحابها . . . ونزل مع الرسول في منزل كلثوم
ابن الهدم .

وكان على - رضى الله عنه - في طريقه . . .
يسير ليلا ويكمن نهارا . . . حتى تفطرت قدماء . . .
فاعتنقه النبي وبكى رحمة به . . . لما تقدمه من
الورم . . . وتفل في يديه ومسح بهما قدمه . . . فلم
يشكهما بعد ذلك .

خرج - عليه الصلاة والسلام - من قباء يريد
المدينة . . . ومعه مائة من المسلمين . . . وقد أدركته
صلاة الجمعة . . . في بنى سليم بن عوف . . .
فصلاها بالمسلمين . . . في مسجد بطن الوادى . . .
وهي أول جمعة يصليها ويخطب فيها بالمدينة .

« الحمد لله . . . أحمدوه واستعينه . . .
واستغفروه واستهديه . . . وأؤمن به ولا أكفره . . .
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له . . .
وأن محمدا عبده ورسوله . . . أرسله بالهدى
والنور والموعظة . . . على فترة من الرسل . . .
وقلة من العلم . . . وضلالة من الناس . . . وانقطاع
من الزمان . . . ودنو من الساعة . . . وقرب من
الأجل . . . من يطع الله ورسوله فقد رشد . . . ومن
يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضللا بعيدا .

وأوصيكم بتقوى الله . . . فإنه خير ما أوصى
به المسلم المسلم . . . ثم أن يحضه على الآخرة . . .
وأن يأمره بتقوى الله . . . فاحذروا ما حذركم الله
من نفسه . . . ولا أفضل من ذلك نصيحة . . .
ولا أفضل من ذلك ذكرا . »

الى أن قال :

« ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره
. . . في السر والعلانية . . . لا ينوى بذلك الا وجه
الله . . . يكن له ذكرا في عاجل أمره . . . وذخرا

فيما بعد الموت . . . حين يفتقر المرء الى ما قدم
. . . وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه
أمدا بعيدا . . . ويحذركم الله نفسه والله رعوف
بالعباد . . . والذي صدق قوله . . . وانجز وعده
. . . لا خلف لذلك . . . فإنه يقول - عز وجل -
(ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد) .

فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله . . . في السر
والعلانية . . . فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له أجرا . . . ومن يتق الله فقد فاز فوزا
عظيما . . . وان تقوى الله يوقى مقته . . . ويوقى
سخطه . . . وان تقوى الله يبيض الوجوه
ويرضى الرب . . . ويرفع الدرجة . . . خلدوا
بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله . . . قد علمكم الله
كتابه . . . ونهج لكم سبيله . . . ليعلم الذين
صدقوا ويعلم الكاذبين .

واحسنوا كما أحسن الله اليكم . . . وعادوا
اعداء . . . وجاهدوا في الله حق جهاده هو .
اجتباكم وسماكم المسلمين . . . ليهلك من هلك
عن بينه . . . ويحيى من حى عن بينة . . . ولا قوة
الا بالله . . . فاكثروا ذكر الله . . . واعملوا لما بعد
اليوم . . . فإنه من يصلح ما بينه وبين الله . . .
يكفه الله ما بينه وبين الناس . . . ذلك بأن الله
يقضى على الناس . . . ولا يقضون عليه . . . ويملك
من الناس . . . ولا يملكون منه . . . الله أكبر . . .
ولا قوة الا بالله العلى العظيم . » (١) .

ولعلنا نلمس روح التسامح والعفو والرضا
وصفاء القلب بارزة في خطبته تلك - عليه
الصلاة والسلام - وهي أول خطبة في المدينة . . .
بعد هجرته إليها من مكة . . . لم يذكر فيها أهلا
مكة بشيء مطلقا . . . مع ما رأينا من أذاهم له . . .
واعتدائهم عليه . . . وإخراجه من أحب بلاد الله
إلى قلبه . . . لم يذكر شيئا من عنادهم وأصرارهم

على الكفر .. وما لاقى منهم المسلمون من الضر
والأذى .. مع أن العهد مازال قريبا بكل هذا
.. فتلك والله مثل عليا .. وشمائل سامية ..
لا تيسر إلا لمن كان في درجة خاتم الأنبياء ..
وإن تكون لسواه ..

وبعد الصلاة .. ركب راحلته « القصواء »
وارخى زمامها .. فأخذوا بخطامها .. فقال :
« دعوها فإنها مأمورة » وكان لا يمر بدار من
دور الانصار الا قالوا : هلم يا رسول الله الى
العدد والعدة والمنعة .. ويعترضون ناقته
فيقول : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » . حتى
بركت عند موضع مسجده اليوم .. وكان مربدا
للتمر (١) للفلان يتيمن .. هما : سهل وسهيل
أبنا عمرو من بنى النجار .. فلما بركت .. لم
ينزل عنها .. ثم وثبت فسارت غير بعيد ..
لكنها التفتت خلفها .. ثم عادت الى مبركها الأول
.. ووضعت مقدم عنقها على الأرض .. فنزل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم - واحتمل
أبو أيوب الانصارى رحل ناقته الى بيته .. فأقام
عنده سبعة أشهر .. حتى بنى حجره
ومسجده .

وأبو أيوب هذا اسمه - خالد بن زيد كليب
بن ثعلبة بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار
الانصارى الخزرجى النجارى .. شهد العقبة
وبدرا واحدا والخندق وجميع الغزوات .. وكان
من خاصة على بن أبى طالب .. وغزا أيام معاوية
أرض الروم مع يزيد بن معاوية سنة احدى
 وخمسين من الهجرة .. وتوفى عند مدينة
القسطنطينية .. فدفن هناك .

ويقول البراء : ان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - بعث وهو فى منزل أبى أيوب .. زيد
ابن حارثة وأبا رافع .. وأعطاهما بعيرين
 وخسمائة درهم الى مكة .. فقدموا عليه بفاطمة
 وأم كلثوم ابنتيه .. وسودة بنت زمعة -
زوجته - وأسامة بن زيد وأمه - أم ايمن - وأما

ابنته زينب فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن
الربيع من الخروج .. وخرج معهم عبد الله بن أبى
بكر بعيال أبى بكر - ومنهم عائشة - فنزلوا فى
بيت حارثة بن النعمان .

وعن أنس بن مالك .. قال : لما دخل رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة أضاء منها
كل شيء .. وصعدت ذوات الخدود على
الأجاجير (٢) عند قدومه يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وعنه أيضا :

فلما بركت الناقة على باب أبى أيوب .. خرج
جوار من بنى النجار بالدفوف يقلن :

نحن جوار من بنى النجار
يا حبذا محمد من جار

فقال - صلى الله عليه وسلم - لهن :
« اتحببننى » لا قلن : نعم يا رسول الله ..

قال : « الله يعلم ان قلبى يحبكم » (٣) .

وقال الطبرى : وتفرق الغلمان والخدم فى
الطرق يقولون : جاء محمد رسول الله .

وكان الغلمان صاحباً - المريد - يتيمن ..
فى حجر أسعد بن زرارة .. فاستدعاهما رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وسأوهما فى
المريد .. ليتخذه مسجداً .. فقالا : بل نهبه لك
يا رسول الله .. فأبى أن يقبله منهما هبة ..
حتى اشتراه منهما بعشرة دنانير ذهباً .. أداها
من مال أبى بكر .

وامر - عليه الصلاة والسلام بصنع -
اللين - للبناء .. ثم عمل المسلمون فى بناء
مسجده .. حتى تم بناؤه .

(٢) الاسطح .

(١) الانوار الحميدة .

(٣) الانوار الحميدة .

وكان اسعد بن زرارة يصلى ويجمع في هذا المكان قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان فيه شجرة فرقد ونخل وبعض قبور المشركين .. فامر رسول الله بالقبور فنشئت .. وبالنخل والشجرة فقطعت .. وصفت في قبلة المسجد .. وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع .. والجانبين مثل ذلك .. وجعل أساسه ثلاثة أذرع .. ثم بنوه باللبن .. وكان - عليه الصلاة والسلام - يبنى معهم .. وينقل اللبن والحجارة بنفسه .. ويقول من شعر عبد الله بن رواحة :

اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
فارحم الانصار والمهاجرة

وكان يقول :

هذا الجمان لا جمان خبير
هذا ابر ربنا واطهر

وجعل المسلمون يرتجزون .. وهم ينقلون اللبن .. ويقول بعضهم في رجزه :

لئن قعدنا والرسول يعمل
لذلك منا العمل المضلل

وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس .. وفتح فيه ثلاثة أبواب : باب في مؤخره .. وباب يقال له باب الرحمة .. والباب الذى يدخل منه رسول الله .. وجعل عمده الجدوع .. وسقف بالجريد .. وقيل له - عليه السلام - الا نسقفه ؟ فقال : لا .. عريش كعريش موسى .. وبنى بيوتا الى جانبه .. بيوت الحجرات .. وسقفها بالجريد والجدوع .

ولما انتهى البناء .. بنى بعائشة - رضى الله عنها - في الحجرة التى بناها لها شرقى المسجد .. وهى مكان قبره الآن .. وجعل لسودة بنت زمعة - رضى الله عنها - حجرة أخرى .

ومادام الحديث قد تطرق بنا .. الى ام المؤمنين عائشة .. رضى الله عنها - لزم ان نعلم عنها شيئا .. فهى بنت أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - وأمها أم رومان بنت عامر .. ولدت في السنة التاسعة - قبل الهجرة - فنشأت مسلمة .. وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة في شهر شوال السابق للهجرة .. ودخل بها في المدينة بعد الهجرة .. وكانت أحب نسائه اليه .. وكنيتها - أم عبد الله - : عبد الله بن الزبير .. ابن اختها أسماء .. لأنه تربى في حجرها .

كانت من اكبر النساء عقلا .. فصيحة الكلام .. صحيحة المنطق .. احفظ أهل زمانها للحديث .. روت عن النبى أكثر من ألف حديث .. وكان لديها نسخة من القرآن الكريم (١) .

قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وهى بنت ثمانى عشرة .. ولم يتزوج بكرا غيرها .. وقبض ورأسه في حجرها .. ودفن في بيتها .

وتوفيت سنة سبع وخمسين للهجرة .. ليلة الثلاثاء .. لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان .. وسنها سبعة وستون عاما .

صلى عليها أبو هريرة بالقيع .. ودفنت ليلا .. في أيام ولاية مروان بن الحكم على

(١) دائرة المعارف الاسلامية - تحت اسم عائشة .

بصورتى فى حريرة وامره ان يتزوج بى ..
وكننت اغتسل معاه فى اناء واحد .. وجبريل
ينزل عليه بالوحى وانا معاه فى لحاف واحد ..
وتزوجنى فى شوال .. وبنى بى فى ذلك الشهر
.. وقبض بين سحرى ونحرى .. وانزل الله
تعالى عذرى من السماء .. ودفن فى بيتى ..
وكل ذلك لم يساوى غيرى فيه (٢) .

المدينة .. فى خلافة معاوية .. وكان مروان
اقد استخلف ابا هريرة وذهب الى العمرة .

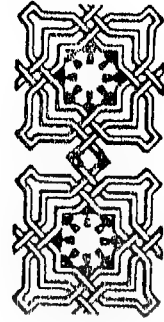
وروى القاسم بن محمد عن عائشة -
رضى الله عنها - انها قالت :

« فضلت ازواج النبى - صلى الله عليه
وسلم - بعشر خصال :

تزوجنى رسول الله بكرا دون غيرى ..
وابواى بها جران .. ونجاء - جبريل -

* * *

حَوْلَ يَثْرَبْ



• من اسمائها المشهورة :

- يشرب .. ودار الهجرة .. وطيبة .. وقريبة
- الأنصار .. ومدينة الرسول .. والمباركة .. والعذراء
- والبارزة .. والفاضة ..
- وكثرة الأسماء .. تدل على شرف المسمى .
- آخى الإسلام بين الأوس والخزرج .. والف
- بين قلوبهم .. واصبحوا بنعمة الإسلام اخوانا متحابين
- متناصرين .
- وسماهم رسول الله بالانصار .. لانهم ضروره
- وايدوه .

- ٣٥ -

حول يثرب

ولعل اسم الفاضحة .. لأن من أضمر فيها
سوءا أظهر الله ما أضمره .. وافتضح به .

وهي تقع في سهل خصب .. في الشمال
من مكة بمقدار مائتي ميل .. كثيرة النخيل ..
تسقى زروعها من الآبار .. ويحيط بها سور
.. ويقع مسجد الرسول في وسطها .. وقبره
شرقي المسجد .. ومعه فيه قبر أبي بكر وقر
عمر .. والروضة ما بين القبر والمنبر .

ويقع بقيق الفرقد شرقي المدينة .. وهو
مدفن أكثر أمواتها .. وبه قبر إبراهيم ابن
النبي .. وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ..
والى جانبه قنور : العباس وعثمان ومالك بن
أنس الامام المعروف .

أما جبل احد .. فهو في شمالي المدينة ..
وهو اقرب الجبال اليها .. بينه وبينها
فرسخان .. وقد فضله رسول الله .. صلى
الله عليه وسلم - فقال عنه ا

يقتضينا البحث .. وقد وصلنا مع ركب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى
المدينة .. أن نقف وقفه نحاول فيها أن نعلم
شيئا من تلك المدينة .. التي اختارها الله -
سبحانه - لتكون دارا لهجرة رسوله ..
فيشرق منها نور الاسلام .. اشعاعا قويا يملأ
الارض بالحب والخير والسلام .

وقد قال عنها عبد العزيز الدارودي :

بلغنى ان للمدينة في التوراة اربعين اسما .
كما ذكر لها ياقوت في معجم البلدان تسعة
ومشرين اسما . أما السهموري فقد اخرج
لها في كتابه - وفاء الوفاء - اربعة وتسعين
اسما .. وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى

ومن اسماها المشهورة :

يثرب .. وذار الجهرة .. وطيبة .. وقرية
الانصان .. ومدينة الرسول .. والمباركة ..
والعذراء .. والبارئة .. والفاضحة ..

« أحد جبل يحبنا ونحبه .. وهو على باب من أبواب الجنة » .

وحجارته من الجرانيت .

وبقرب المدينة مزارع ونخيل وضياح لأهلها .. تسمى وادي العقيق - واعذب المياه في هذه المنطقة هي آبار العقيق .

ومن خصائص المدينة .. أنها طيبة الريح .. وللعطر فيها طيب رائحة لا توجد في غيرها .. وتمرها - الصيحاني - لا يوجد في أي بلد مثله .

ولما قدم المهاجرون إلى المدينة .. أصيب أكثرهم بالحمى .. وذلك لاختلاف المناخ .. فقد تعودوا جو مكة وجفافه .. بينما صيف المدينة رطب .. وشتاؤها قاس .

قالت عائشة - رضى الله عنها -

« **ولما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ..** أصاب أصحابه منها بلاء وسقم .. وصرف الله ذلك عن نبيه .. وأصاب الحمى أبا بكر وبلاا وعامر بن فهيرة .

فاستأذنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عيادتهم .. وذلك قبل أن يضرب عليهما الحجاب .. فأذن لى .. فدخلت عليهم .. في بيت واحد .. فوجدتهم يهدون من شدة الحمى .. فأخبرت رسول الله .. قالت : فنظر إلى السماء وقال :

« اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد .. اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا .. وصححها لنا .. وانقل حماها إلى الجحفة (١) فاستجاب الله له .. فطيب هواءها وترابها وسكنها والعيش فيها » .

وكان أبو يكر يقول إذا اشتدت الحمى .. من شعر حنظلة بن يسار :

(١) الجحفة : قرية قرب رابغ .. محل إحرام حجاج مصر .. وكان أهلها يهودا .

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله

وكانت حمى المدينة - الملائية - لما كان يحيط بها من المستنقعات ومياه الآبار .. وكانت تعيب على أهل يثرب ما يصيبهم من الحمى . والملائية كانت تسمى بين العرب - أم ملدم - وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لزيد الخيل .. وكان قد أتى مع وفد طيء وأسلم : « يا زيد تقتلك أم ملدم » يقصد الحمى .. فأصيب بها أثناء الطريق عند عودته .. ومات بها .

وذكر بعض الرواة خطأ .. ان الرسول - عليه الصلاة والسلام - لما قدم المدينة .. وجد أهلها خبيثاء .. من أخبث الناس كيلا .. فانزل الله - تعالى - (ويل للمطففين) الآية .. فأحسنوا الكيل بعد ذلك .. وقد فات هؤلاء الرواة أن سورة « المطففين » نزلت بمكة .. وهي آخر سورة نزلت بها .

وأهل المدينة .. هم الذين سماهم الله - تعالى - ورسوله بالأنصار .

ومن أجل هذا .. استأذن القاريء الكريم .. في وقفة مع أهل المدينة .. الذين مدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه الكريم .. وصار ذكرهم قرآنا يتلى إلى يوم الدين .. فعلى أيديهم علت مشاعل الهدى والنور .

كان أهل يثرب قبيلتين مشهورتين بين العرب .. هما : الأوس والخزرج .. تذكران معا في الغالب .. فيقال عن أهل يثرب : الأوس والخزرج .. ولكن غلب اسم الخزرج عليهم جميعا . وأصلها رجلان أخوان .. خزرج وأوس .. أبوهما : حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو مزريقاء بن عامر بن ماء السماء .. يمتد نسبه إلى يعرب بن قحطان . وامهما

أقيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد من قضاة -
ولذلك كان اليهود يسمون أهل المدينة أبناء
أقيلة -

وقد ذكر المؤرخون : أن مزيقياء جد حارثة
- والد خزرج وأوس - خرج من اليمن ..
بعد تفرق أهلها - أهل سبأ - بسيل العرم ..
فذهب إلى الشام .. وملك غسان .. ثم هلك
.. فملكها بعده ابنه ثعلبة العنقاء .. فلما هلك
ثعلبة ملك بعده عمرو بن أخيه .. الذي
تقلب على حارثة صاحب الحق في ملك غسان .

فلم يجد حارثة بدا من الرحيل إلى يثرب
.. هو وولده : خزرج وأوس ومن معهم .
ونزلوا على اليهود .. وسألوهم الحلف والجوار
على الأمان والمنعة .. فأعطوهم من ذلك ما سألوا
فنزلوا يشرب مع أهلها .. ولم يكونوا أهل
أنعام ولا شياه .. لأن البلاد لم تكن بلاد مراعى
.. ولا نخل ولا زرع .. فكانوا يصلحون
الأرض ويزرعونها .. والأموال لليهود ..
ولبثوا حيناً من الدهر على هذا الوضع ..
ضياح وفقر .. وشدة وعسر .. وأملاق وضر .

وخرج منهم مالك بن عجلان الخزرجي ..
في زيارة لابن عمه أبي جبيلة الغساني بالشام
فسأله الأخير عن حالهم .. فأخبره بما هم فيه
من ضيق وشدة .. فقال له : لماذا لا تغلبون
اليهود ، وكيف ترضون تلك الحياة ؟ .. لكم
الشقاء والتعب والعمل .. ولليهود المال
والثمر ؟ .. ووعده بالسير إليهم ونصرهم
على اليهود .

فرجع مالك بن عجلان .. وأخبر قومه
بوعد أبي جبيلة بن عمه .. فاستعدوا للقائه ..
في خفية من اليهود .

ووفى أبو جبيلة الغساني بوعده .. وحضر
إليهم بجنوده .. وخشى أن يتحصن منه
اليهود .. فاتخذ له مكاناً وسطاً .. مرتفع
الجوانب .. وبعث إلى اليهود يستدعيهم للقائه

.. فلبى الدعوى خواصهم .. وأذن لهم في
الدخول عليه .. في مكانه هذا .. ثم أمر جنوده
فقتلهم جميعاً .. وقال للأوس والخزرج : إذا
لم تتغلبوا على البلاد بعد قتل هؤلاء
فلأحرقنكم .. ثم رجع إلى الشام .

فأقاموا في عداوة مع اليهود .. واستطاع
مالك بن عجلان بعد هذا أن يخدع الباقي من
رؤسائهم .. ويستدرجهم إلى وليمه .. وغدر
بهم .. وقتل سبعة وثمانين منهم .

وقد صور اليهود - مالك بن عجلان - في
كنائسهم وبيعهم .. يلعنونه كما دخلوا ..
ولكنهم ذلوا وخافوا .. ولجأ كل قوم منهم
إلى بطن من بطون الأوس والخزرج يستنصرون
بهم .. ويكونون لهم أحلافاً .. بينما أترى
الأوس والخزرج .. وامتنع جانبهم .. وعظم
شان مالك بن عجلان بين الحيين : حتى الأوس
وحى الخزرج .

وذكر ابن الأثير سبباً آخر لموقف مالك بن
عجلان حيال اليهود .. ولكنه غريب .. فقال :
أن اليهود كان لهم ملك اسمه - الفيظون - وكان
ظالماً فاسقاً .. سن سنة أن كل امرأة تتزوج
يدخل عليها قبل زوجها .. فاتفق يوماً زفاف
أخت مالك بن عجلان إلى زوجها .. فأتت مجنسة
فيه أخوها وكشفت عن ساقها .. فقال أخوها :
قد أتيت سوءاً .. فقالت : الذي يراد بي الليلة
أشد من هذا .. فثارت النخوة العربية في رأسه
.. واحتال على الدخول معها عند الملك .. في زى
امرأة .. فلما خلا المكان قتله .. وفر إلى أبي
جبيلة الغساني بالشام .

والعقل لا يقبل تلك الرواية .. ولا يقرها ..
فالنخوة العربية لا تقبل التسليم لملك يهودي
بهذا العمل مطلقاً .. مهما كان ظالماً أو طاغياً أو
جباراً .

ومن المعروف والمشهور عن العرب .. أنهم
كانوا يثدنون البنات صغيرات خشية العار ..
حتى أبطل الإسلام تلك العادة .. بقوله تعالى :

« واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت » (١) .

وقد انكرها ايضا الأستاذ - ولفنسون - فى كتابه - تاريخ اليهود .

انكرها من وجهة نظره هو . . فقال : انها قصة خرافية . . لانه ليس من العقول ان ملكا يهوديا يرتكب جريمة منكرة كهذه . . تناقض روح النوراة . . وتخالف الايمان بالله موسى دون ان يجد مقاومة عنيفة . . وانكارا شديدا من شعبه وابناء جلده .

والهم ان الأوس والخزرج قويت شوكتهم بالمدينة . . وتناسلوا . . وكثرت زرايعهم وتشعبت بطونهم .

ويحدثنا التاريخ . . عن حروب كثيرة نشبت بين القبيلتين الاحثين . . كان النصر فيها تارة للأوس . . وتارة للخزرج . . ولكن فى الاغلب كان الظفر للخزرج . . وكلها كانت بسبب الثار . . لما هو معروف فى طبيعة العرب . . من النمسك بالاخذ بالثار .

فالوها كانت فتنة . . ادت الى معركة سميت - حرب سمير - بين الأوس والخزرج . . انتصر فيها الأوس . . وحكم فيها المنذر بن حزام النجارى الخزرجى . . وهو جد - حسان ابن ثابت - بدفع الدية . . وافترقوا على ذلك .

وتكررت المعارك بينهما . . حتى كانت الموقعة المعروفة - بحرب حاطب - التى انتصر فيها الخزرج وصار لها يوم من اشهر ايامهم .

ومنها « يوم الربيع » . . « ويوم البقيع » و « يوم الفجار » الاول والثانى و « يوم بعاث » وهو آخر ايام حروبهم .

وكان لليهود دور كبير . . فى تلك المعارك والحروب . . ففى يوم - الفجار الثانى - حالفت

يهود بنى قريظة وبنى النضير الأوس على الخزرج . . وانضم يهود بنى قينقاع الى الخزرج . . ومكثوا اربعين يوما يتجهزون للحرب . . والتقوا . . ببعاث . . وكانت حربا طاحنة . . انتهت بهزيمة الخزرج سنة ٦١٦ م نغريبا .

وبلغت العداوة مداها قبل هجرة الرسول مباشرة :

فلما سئموا القتال . . اتفقوا على تنويع عبد الله بن ابي بن سلول ملكا عليهم .

وكان ابن سلول رئيس الخزرج . . وهو الملقب فيما بعد - براس المنافقين - لانه لما رأى اجماع قومه على الاسلام . . دخل فيه كارها . . مصرا على النفاق . . لان الاسلام حال بينه وبين تاج الملك . . فكتم غيظه واضمر الشر .

واخذته العزة بالاثم . . وهو الذى قال فى غزوة المصطلق .

« لئن رجعنا الى المدينة لنخرجن الاعز منها الاذل » (٢) .

فقال ابنه عبد الله للنبي : هو والله الدليل . . وانت العزيز يا رسول الله . . ان انت اذنت لى فى قتله قتلته . . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها احد ابر بوالده منى . . ولكنى اخشى ان تأمر به رجلا مسلما فيقتله . . فلا تدهنى نفسى انظر الى قاتل ابنى يمشى على الارض حتى يقتله . . فأكون قتلت مسلما بكافر .

فقال له - عليه الصلاة والسلام :

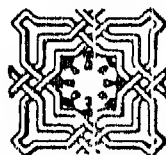
« بل نحسن صحبته . . ونترفق به ما صحبنا . . ولا ينحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه . . ولكن بر اباك . . واحسن صحبته » .

وأخى الاسلام بين القبيلتين : الأوس والخزرج . . والف بين قلوبهم . . واصسبحوا بنعمته

حيث شابهت بين كلمة « الأنصار » .. وكلمة
« النصارى التى تطلق على المسيحيين (١) » ..
فكلمة - انصار - جمع نصير - اما كلمة -
نصارى - فهى نسبة الى قرية الناصرة
بالشام *

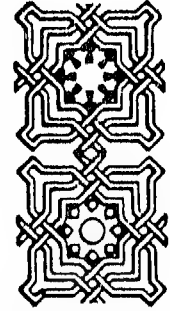
الاسلام اخوانا متحابين متناصرين .. وسماهم
رسول الله بالانصار .. لانهم نصره وعضدوه
وايدوه .

وقد اخطأت دائرة المعارف الاسلامية ..



(١) فى مادة - انصار *

مؤاخاة ومهادنة



عن ابن عباس - رضى الله عنه - ان النبى صلى
الله عليه وسلم - عندما آخى بينهم وبين الانصار ..
قال للانصار :

« ان شئتم قسمتكم للمهاجرين من دوركم واموالكم
.. وقسمت لكم من الفنائم كما قسمت لهم ..
وان شئتم كان لهم الفنائم ولكم دياركم واموالكم »
فقالوا : لا . بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ..
ولا نشاركهم فى الفنائم » .

مؤاخاة ومهادنة

فطعننا في ركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : من عالم الأمر .. قبل عالم الخلق .. فرايناه ينتقل من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة .. من لدن آدم الى ابيه عبد الله بن عبد المطلب .. سلالة اختصها الله سبحانه - بالكرم والمروءة .. والمجد والسؤدد .. والعزة والشرف .. والشجاعة والسيادة .. من كابر الى كابر .. ومن ساجد الى ساجد .. وتلك هي المرحلة التي يشير اليها - سبحانه في قوله :

(الذي براك حين تقوم * وتقلب في الساجدين) (١) .. اى انتقالك من ظهر ساجد الى ظهر ساجد .

والمرحلة الثانية : من يوم مولده - عليه الصلاة والسلام - الى يوم مبعثه .. حيث رايناه قمة في المثل العليا .. وذروة في الخلق العظيم .. طفولة وصيا وشبابا .. فنجدده صادقا امينا .. سهل الخلق .. لين الجانب .. ليس بفظ

ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح .. فكان يمزح ولا يقنول الا حقا .. يقابل السيئة بالحسنة .. يصل من قطعه .. ويعطى من حرمة .. ويعفو عن ظلمه .

رايناه فيها يرمى الغنم .. ويشد تغل . بالتجارة .. ويكسب قوته من عمل يده . اسخى الناس كفا .. واشدهم حياء .. وقد كساه الله حلة من الوقار والهيبة .. والجلال والكمال . حتى اصطفاه ربه لرسالته .. واختصه بنبوته .. لما بلغ الأربعين .

وفي تلك المرحلة الثالثة : رايناه قد حمل الرسالة .. وادى الامانة .. ودعا الى الفضائل .. ونهى عن الرذائل .. وتحمل في سبيل ذلك ما تحمل من الاذى .. فكان فيها جبلا اشم .. في قوة الصبر وعظيم الاحتمال .. حمله يسبق غضبه .. لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما .. تكتلت ضده جميع قوى الشر .. تحالفت عليه شياطين الانس والجن .. فلم يزد ذلك الا ثباتا ويقينا .. وصمودا واصراراً .. عرضت عليه

فان الدنيا من مال وعز وجاه .. فقال قولته
المخالدة :

« والله يا عمى لو وضعوا الشمس في يميني
والقمر في يساري .. على أن أترك هذا الأمر ..
حتى يظفره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

او ذئ وعذب وطرد .. حتى اذن الله لدينه
ان تحتضنه يشرب - دار هجرته - حيث أوى
الرسول اليها مع السبعة الذين هاجروا معه
والصفوة من الصديقين ..

وننتقل معه الى المرحلة الرابعة والاختيرة ..
لتبدأ دولة الاسلام .. وعزة المسلمين ..
فالاسلام دين ودولة .. عبادة وسياسة .. زهد
وكياسة ..

**كانت الهجرة بدءا للتاريخ الهجري .. لانها
بدء لدولة الاسلام .**

وقد بدأها قائد تلك الدولة .. بأمرين
خطيرين : مؤاخاة .. ومهادنة .

فأما المؤاخاة : فقد ربط - عليه الصلاة
والسلام - أواصرها .. بين المهاجرين والانصار
.. في دار - انس بن مالك - وكانوا تسعين
رجلا .. نصفهم من المهاجرين ونصفهم من
الانصار .

أخى بين المهاجر والانصارى .. على المساواة
.. والتوارث بعد الموت دون ذوى الأرحام حتى
حين غزوة بدر .. حيث أنزل الله - عز وجل -
قوله :

(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
الله ان الله بكل شيء عليم) (١) .

فأعاد التوارث الى الرحم .. دون رباط
الأخوة .

وقد رويت مواقف كثيرة عن تفاني الانصار
.. في الوفاء بحق الأخوة .. فيقتسم الانصارى
مع أخيه المهاجر داره وماله وكل ما يمتلك ..

وقد عرض بعضهم على أخيه اختيار إحدى
زوجتيه ليتزوجها بعد أن يطلقها له .

قال المهاجرون : يا رسول الله .. ما رأينا
مثل قوم قدمنا عليهم .. أحسن مواساة في

قليل .. ولا أحسن بدلا في كثير .. كفونا المؤونة
.. وأشركونا في المهنة .. حتى لقد خشينا أن
يذهبوا بالأجر كله .. قال : « لا . ما ائنيتم عليهم
ودعوتهم لهم » .

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - أن النبي -
صلى الله عليه وسلم - عندما آخى بينهم قال
للانصار : « أن شئتم قسمتكم للمهاجرين من
دوركم وأموالكم .. وقسمت لكم من الغنائم
كما قسمت لهم .. وأن شئتم كان لهم الغنائم
ولكم دياركم وأموالكم » .

فقالوا : لا بل نقسم لهم من ديارنا وأموالنا
.. ولا نشاركهم في الغنائم .. فأنزل الله تعالى
.. يشئ على الانصار :

(والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم
يعجبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم
حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان
بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم
المفلحون) (٢) . ومن الذين آخى الرسول بينهم :

أبو بكر الصديق .. وخارجة بن زيد بن أبي
زهير الانصارى .. وقد تزوج أبو بكر - رضى
الله عنه - حبيبة بنت خارجة .. واستشهت
خارجة يوم أحد .

ومنهم عمر بن الخطاب .. وعثمان بن مالك
الانصارى .

وجعفر بن أبي طالب .. ومعاذ بن جبل
الانصارى .

وأبو عبيدة بن الجراح .. وسعد بن معاذ
الانصارى .

وطلحة بن عبيد الله .. وكعب بن مالك
الانصارى .

وعثمان بن عفان .. واوس بن ثابت
الانصارى .

وسعيد بن زيد .. وأبي بن كعب الانصارى .
ومصعب بن عمير .. وأبو أيوب الانصارى .
وعمار بن ياسر .. وحذيفة بن اليمان العنسى
الانصارى .

وسلمان الفارس .. وأبو الرداء الانصارى .
وأبو ذر الفسارى .. والمنذر بن عمرو
الانصارى .

وعبد الرحمن بن عوف .. وسعد بن الربيع
الانصارى .

وذكر بعض الرواة (١) : أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - آخى بين المهاجرين بعضهم
مع بعض .. مؤاخاة ثانية .. واتخذ فيها عليا
أخا لنفسه .

ولكن المهاجرين كانوا مستغنيين بأخوة الاسلام
.. ورابطة الديار .. وقرابة النسب .. عن
عقد مؤاخاة .. بخلاف المهاجرين مع الانصار ..
ولو أنه - صلى الله عليه وسلم - قد آخى بين
المهاجرين .. لكان أحقهم بأخوته أحب الخلق
إليه .. أنيسه في الفار .. ورفيقه في الهجرة ..
وأفضل الصحابة عليه - أبو بكر الصديق -
وقد قال :

« لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ..
لاتخذت أبا بكر خليلاً .. ولكن أخوة الاسلام
أفضل » وفي لفظ آخر « ولكن أخى وصاحبى » .

فاذا كانت الأخوة في الاسلام عامة ..
لقوله - عليه الصلاة والسلام - للصحابة :
« وددت لو قد رأيتم أخواننا » قالوا : السنا
أخوانك يا رسول الله ؟ .. قال : « أنتم
أصحابى .. وأخوانى قوم يأتون من بعدى ..
يؤمنون بى ولم يرونى » .

فلأبى بكر .. أعلى مراتب الأخوة والصحبة
معا .. فالصحابة لهم الأخوة مع مزية الصحبة
وللتابعين بعدهم الأخوة دون الصحبة .

وأما المهادنة : فقد كان في المدينة ثلاث قبائل
 لليهود : بنو قينقاع .. وبنو النضير ..
 وبنو قريظة .

وأدعهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 وكتب بينه وبينهم كتاب موادة ومهادنة
 بشروطها .. مفتتحاً : بسم الله الرحمن الرحيم
 .. جاء فيه ..

« وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا
 محاربين .. وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين
 لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. مواليهم
 وأنفسهم الا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ (٢) الا نفسه
 وأهل بيته . وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود
 بنى عوف .. وأن ليهود بنى الحارث مثل
 ما ليهود بنى عوف .. وأن ليهود بنى جشم مثل
 ما ليهود بنى عوف .. وأن ليهود بنى الاوس
 مثل ما ليهود بنى عوف .. وأن ليهود بنى ثعلبة
 مثل ما ليهود بنى عوف .. الا من ظلم وأثم فإنه
 لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته »

الى ان قال : « وأن على اليهود نفقتهم ..
 وعلى المسلمين نفقتهم .. وأن بينهم النصر على
 من حارب أهل هذه الصحيفة .. وأن بينهم
 النصح والنصيحة .. والبر دون الاثم .. وأنه لم
 يأتهم امرؤ بحليفه .. وأن النصر للمظلوم ..
 وأن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين
 .. وأن يشرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة
 .. وأن النجار كالنفس غير مضار ولا آثم .. وأنه
 لا تجار حرمة الا باذن أهلها .. وأنه ما كان بين
 أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار (٣)
 يخاف فسناده .. فإنه مردود الى الله - عز
 وجل - وإلى محمد رسول الله .. وأن الله على
 تقى ما في هذه الصحيفة وأبره .. وأنه لا تجار
 قريش ولا من نصرها .. وأن بينهم النصر على
 من دهم يشرب (٤) .. وإذا دعوا الى صلح
 يصلحونه ويلبسونه فأنهم يصلحونه ويلبسونه
 .. وأنهم اذا دعوا الى مثل ذلك .. فإنه لهم على
 المؤمنين .. الا من حارب في الدين .. على كل
 أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .. وأن
 ليهود الاوس مواليهم وأنفسهم .. مثل ما لأهل
 هذه الصحيفة .. من البر الحسن من أهل هذه
 الصحيفة .. وأن البر دون الاثم .. لا يكسب
 كاسب الا على نفسه .. وأن الله أصدق على ما في
 هذه الصحيفة وأبره .. وأنه لا يحول هذا الكتاب
 دون ظالم أو آثم .. وأنه من خرج آمن .. ومن
 قعد آمن بالمدينة الا من ظلم وأثم .. وأن الله
 جار لمن بر وأتقى ومحمد رسول الله » (٥) .

(٢) لا يوتغ : لا يهلك .

(٤) جاءها وحاربها .

(١) ابن قيم الجوزية ص ٦٣ ج ٣ .

(٢) اختلاف .

(٥) من ابن اسحاق .



الإسلام بين اليهودية والنفاق

خرج عبد الله بن أبي بن سلول - زعيم المنافقين -
يوما مع اصحابه .. فلقبهم بعض صحابة رسول الله ..
فقال ابن أبي لاصحابه : انظروا كيف ارد عنكم هؤلاء
السفهاء .. فاخذ بيد أبي بكر - رضى الله عنه - وقال :
مرحبا بالصدیق .. سيد بنی تمیم .. وشيخ الاسلام
.. وثاني رسول الله في الفار .. الباذل نفسه وماله
لرسول الله .

ثم اخذ بيد عمر - رضى الله عنه - وقال :
مرحبا بسيد بنى عدى - الفاروق - والقوى في
دين الله .. الباذل نفسه وماله لرسول الله .
ثم اخذ بيد على - كرم الله وجهه .. فقال :
مرحبا بابن عم رسول الله .. وختنه .. وسيد
بنى هاشم ما خلا رسول الله .
فقال له على - رضى الله عنه :
اتق الله يا عبد الله ولا تنافق .. فان المنافقين شر
خليقة الله .

الاسلام بين اليهودية والنفاق

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الله
بن سلام - بعد ان اسلم .
ولنسمع منه هو . . كيف اظهر اسلامه . .
فيقول :

سمعت برسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وعرفت صفته وزمانه الذى كنا
نتوكل (٤) له . فكنت مسرا لذلك . . صامتا
عليه . . حتى قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم - المدينة . . فلما نزل قباء فى بنى عمرو
بن هوف . . اقبل رجل . . حتى اخبر بقدومه
. . وانا فى راس نخلة لى اعمل فيها . . وعمتى
خالدة بنت الحارث تحتى جالس . . فلما
سمعت الخبر بقدوم رسول الله كبرت . . فقالت
عمتى حين سمعت تكبرى : خيبك الله . . والله

وصل بى البحث الى رجل يهودى من بنى
قينقاع . . اسلم وحسن اسلامه . . وورد ذكره
فى كتب السيرة . . وفى دائرة المعارف الاسلامية
. . والكتب الاوربية . . وانزل الله فى فضله :

(وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله
فآمن واستكبرتم) (١) . . كما انزل فيه قوله :

(قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده
علم الكتاب) (٢) .

فقد ذكرت كتب التفسير انه هو المقصود
فى قوله تعالى (ومن عنده علم الكتاب) اى علم
التوراة (٣) . ذلك الرجل هو الحصين بن سلام
بن الحارث . . حبر يهود بنى قينقاع . . اسماء

(٢) ٤٣ - الرمد .

(١) ١ - الاحقاف .

(٣) النسقى والقرطى وغيرهما - وكتاب - تهذيب الاسماء - وغيرها .

(٤) اى نشرهب ظهوره .

لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما مازدت،
فقلت لها : أى عمه .. هو والله أخوموسى بن عمران
وعلى دينه .. بعث بما بعث به .. فقالت
أى ابن أخى .. أهو النبى الذى كنا نخبر أنه
يبعث مع نفس الساعة ؟ قلت لها : نعم .. قالت
فذاك اذا .. قال : ثم خرجت الى رسول الله
— صلى الله عليه وسلم — فأسلمت ثم رجعت الى
اهل بيتى .. فأمرتهم فأسلموا .. وكتمت
اسلامى من اليهود .. ثم جئت رسول الله ..
فقلت : يا رسول الله .. ان اليهود قوم بهت ..
وانى احب أن تدخلنى فى بعض بيوتك ..
فتغيبنى عنهم .. ثم تسألهم عنى .. حتى
يخبروك كيف أنا فيهم .. قبل أن يعلموا
باسلامى .. فانهم ان علموا به بهتوني عندك .

فدخلنى رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
.. فى بعض بيوته .. ودخلوا عليه فكلموه
وسألوه . ثم قال لهم : « أى رجل الحصين بن
سلام فيكم » ؟ .. قالوا : سيدنا وابن سيدنا
وحبرنا وعالمنا .. قال : فلما فرغوا من قولهم ..
خرجت عليهم .. فقلت لهم : يا معشر يهود ..
اتقوا الله .. واقبلوا ما جاءكم به .. فوالله انكم
لتعلمون انه رسول الله — تجدونه مكتوبا عندكم
فى التوراة باسمه وصفته .. فانى أشهد انه
رسول الله .. واؤمن به وأصدقه وأعرفه .

قالوا : كذبت .. ثم وقعوا بى .. فقلت
لرسول الله : ألم أخبرك أنهم قوم بهت يا نبى
الله ؟ أنهم اهل غدر وكذب .

قال : فظهرت اسلامى .. واسلام اهل
بيتى .. وأسلمت عمتى خالدة ابنة الحارث ..
فحسن اسلامها (١) .

وجاء فى صحيح البخارى .. عن أنس بن
مالك .. قال :

بلغ عبد الله بن سلام .. مقدم رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — المدينة .. فأتاه .. فقال :
انى أسألك عن ثلاث .. لا يعلمهن الا نبى
.. قال :

« ما أول اشراط الساعة ؟ .. وما أول طعام
يأكله اهل الجنة ؟ ومن أى شىء ينزع الولد الى
أبيه ؟ .. ومن أى شىء ينزع الى أخواله ؟ .

فقال — عليه الصلاة والسلام — « خبرنى
بهن آتفا جبريل » .

فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة
.. فقال رسول الله :

« أما أول اشراط الساعة .. فنار تحشر
الناس من المشرق الى المغرب .

وأما أول طعام يأكله اهل الجنة .. فزيادة
كبدة الحوت (٢) .

وأما الشبه فى الولد .. فان الرجل اذا غشى
المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له .. واذا سبق
ماؤها كان الشبه لها » .

قال : أشهد أنك رسول الله .

وقال الطبرى : أجمع الرواة على ان عبد الله
بن سلام مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين للهجرة .

وبالتأمل فى رد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
على السؤال الأول .. بقوله : عن أول
اشراط الساعة :

« نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب »
نجد أن أول اشراطها .. قد ظهر فى هذا
الزمان واضحا جليا .. فهذه نار الشيوعية

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ .

(٢) قطعة متملقة بكبد الحوت . هى أطيبه وأهنؤه وأرمؤه .

تحتاج العالم .. وقد حدد رسول الله اتجاهها بقوله « من المشرق الى المغرب » والاشارة هنا واضحة .. لا لبس فيها ولا غموض .. ولا نحتاج الى كبير اقناع .. او قوى برهان .. فأى نار تعدل نار الشيوعية ؟ .. ان النار تحرق المادة فقط .. اما نار الشيوعية فانها تحرق المادة والروح معا .

ان النار التى يشيخها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هى نار معنوية ..
اقوله تعالى :

(ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا (١))
وقوله ايضا :

(ان الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترُونَ به ثمنا قليلا .. أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار (٢)) .

وتمادى رعوس اليهود فى عنادهم وكفرهم ..
مع علمهم بصدق الرسول .. ولكنه العناد والكبر .. وشر الناس من أضله الله على علم .. ومن هؤلاء :

حبي .. وأبو ياسر .. وسلام بن مشكم .. وكنانة بن الربيع .. وكعب بن الأشرف .. وعبد الله بن صوريا .. ولبيد بن الأعصم .. الذى حرضه اليهود لمحاولة سحر النبی - صلى الله عليه وسلم - حيث جاء جبريل - عليه السلام - وأخبره بذلك السحر وبمكانه .. وعفا منه رسول الله .. وقال :

« أما انا فقد اعفانى الله وكرهت أن أثير فى الناس شرا » يقصد قتله (٢) .

ومنهم مالك بن الصيف .. رئيس الأخبار .. ذهب مع جماعة من اليهود الى النبی - صلى

الله عليه وسلم - يجادلونه بالباطل .. فقال له النبی - عليه الصلاة والسلام - :

« أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى .. هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين » لا

قال : نعم .. ان الله يبغض الحبر السمين قال صلى الله عليه وسلم .. « أنت الحبر السمين » .

فقضى وقيل : ما أنزل الله على بشر من شيء (٤) .

وهنا نحن أولاء نرى مالكا هذا .. قد أدى به عناده وكبره الى الكفر بما أنزل على نبينا محمد .. وبما أنزل على نبيهم موسى أيضا .. ولهذا أنبه الأخبار على هذا القول .. وخلصوه عن رئاستهم .. وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

كما أوحى الشيطان اليهم ان يجادلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويناقشوه ويسألوه : فكان يدفع حججهم .. ويظهر افكهم بما أوحى الله اليه من آيات محكمات .. وبينات مفصلات .. فلجأوا الى اثاره الفتنه .. ونبش الضفائن بين الأوس والخزرج .

فهذا شاس بن قيس اليهودى .. يمر يوما على الأوس والخزرج وهم مجتمعون .. فقال : قد اجتمع بنو قيلة .. والله مالنا معهم اذا اجتمعوا من قرار .

فامر شابا يهوديا بالذهاب اليهم .. والجلوس معهم .. وتذكيرهم بيوم - بعث - يوم عدائهم وحربهم .. ونبش ما قاله شعراؤهم فى الحرب .. ليثير بينهم كامن الضغينة .. ومدفون العدا .. ففعل الشاب ما أمره به شاس .. وكادت تنجح الفتنة .. حيث ذكر كل منهم اقوال شاعرهم .. وتنازعوا وتواعدوا على

القتال .. فنادى هؤلاء : يا آل الأوس .. ونادى
هؤلاء : يا آل الخزرج .. تم خرجوا للحرب ..
وقد حملوا السلاح .

فلما علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
هذا الأمر .. خرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين
فقال : « يا معشر المسلمين .. الله الله .. اتقوا
الله - أبدنوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ ..
بعد أن هذاكم الله الى الاسلام .. وقطع با عنكم
أمر الجاهلية .. واستنقذكم به من الكفر ..
والف بين قلوبكم .. ترجعون الى ما كنتم عليه
كفارا » ؟

فعرفوا انها نزعة من الشيطان .. وفتنة
ايقظها اليهود .. فالتقوا السلاح .. وبكوا ..
وعانق رجال الأوس رجال الخزرج .. وانصرفوا
أسفين ناديين .. سامعين مطيعين .. وأنزل
الله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من
الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم
رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط
مستقيم ﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق
تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون ﴾
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة
من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته
لعلكم تهتدون (١) .

كما أنزل الله تعالى في حق شاس بن قيس
قوله :

(يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من آمن تبغونها عوجا (٢)) .

**وهكذا تنوعت اساليب الكيد للرسول
وللإسلام من اليهود .. وانضم اليهم سرا ..**

عدد من المنافقين .. من الأوس والخزرج ..
الذين لم يرد الله ان يشرح سبلهم للإسلام ..
وهو عدد لا يعد كبيرا .. ولو ان بعض الرواة
حدد عددهم في زمن الرسول بثلاثمائة .. الا انهم
دانوا بظهور الاسلام :

(واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلو
الى شسيطاتهم قالوا انا مسلمون انما نحن
مسنهزون (٢)) .

كانوا مع المسلمين في العان .. ومع اليهود في
السر .. وكان على رأسهم عبد الله بن ابي بن
سلول .. كان من أعظم اشراف أهل المدينة ..
وكانوا قد نظموا له الخرز ليتزوجوه ويملكوه ..
وكان جميل الصورة .. مثالي الجسم ..
فصيح اللسان .. وهو الذي بعينه الله بقوله في
سورة المنافقين :

(واذا رأيتهم نعبك أجسامهم) .

تقول كتب التفسير : كان ابن ابي رجلا
جسيما صبيحا فصيحاً .. ومعه نسوة من
المنافقين على مثل صورته .. وكانوا يحضرون
مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم -
فيستندون فيه .. ولهم جبهة المنظر ..
وفسحة اللبس .. فكان النبي ومن حضر
يعجبون بهياكلهم .. ويسمعون الي كلامهم (١) .
وقد شبههم الله - سبحانه - بالخنسب
المسندة .. لانهم أشباح بلا ارواح .. وأجسام
بغير أحلام .

ان حياة النفاق .. هي اخطر دركات الحياة ..
ولهذا جعل الله المنافقين في الدرك الأسفل من النار
تحقيرا لهم .. وزراية بهم .. ووضعهم في الدرجة
التي يستحقونها .

وسأعرض عليك ايها الأخ الكريم .. مثلاً من
أمثلة نفاق ابن ابي بن سلول :

(٢) ٩٩ - آل عمران .

(٤) النسائي والبيهقي وابن كثير وغيرهم ٤ - المنافقون .

(١) ١٠٠ - ١٠٢ - آل عمران .

(٣) ١٤ - البقرة .

فقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال :

نزلت « واذا لقوا الدين آمنوا قالوا آمنا ..
الآية » في عبد الله بن أبي وأصحابه .. وذلك أنهم
خرجوا ذات يوم .. فلقبهم نفر من الصحابة ..
فقال ابن أبو لأصحابه .. انظروا كيف ارد
عنكم هؤلاء السفهاء .. فأخذ بيد أبي بكر -
رضي الله عنه - فقال :

مرحبا بالصديق .. سسيد بنى تميم ..
وشيوخ الاسلام .. وثاني رسول الله في الغار ..
البازل نفسه وماله لرسول الله .

ثم أخذ بيد عمر - رضي الله عنه - وقال :

مرحبا سسيد بنى عدى - الفاروق -
والقوى في دين الله .. البازل نفسه وماله
لرسول الله . ثم أخذ بيد علي - كرم الله وجهه -

**فقال يا بن عم رسول الله وخنته .. وسيد
بنى هاشم ما خلا رسول الله .**

**فقال له علي - رضي الله عنه - اتق الله يا عبد
الله ولا تنافق .. فان المنافقين شر خليفة الله .**

فقال له ابن أبي : مهلا يا أبا الحسن ..
انقول لى هذا لا والله ان ايماننا كايما نكم ..
وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا .. فقال
لأصحابه : كيف رأيتموني فعلت ؟ .. فاثنوا
عليه مدحا .

**وعاد المسلمون الى الرسول .. فاخبروه
بما حصل .. فنزلت الآية :**

(واذا لقوا الدين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا
الى شياطينهم قالوا انا معكم) الى اخر سورة
المنافقين كلها .. في ابن أبي وأصحابه .

**وكان المسلمون يستقبلون بيت المقدس في
صلاتهم .. وبلغ رسول الله أن اليهود يقولون :
يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا .. فقال : يا جبريل !**

.. وددت أن الله - تعالى - صرف وجهي عن
قبلة اليهود .. فقال جبريل - عليه السلام -
انما أنا عبد .. فادع ربك واسأله .

وجعل - عليه الصلاة والسلام - يقلب
ناظرية في السماء .. فالسما قبله الدعاء .

وفي النصف من شعبان .. على رأس ثمانية
عشر شهرا من الهجرة .. نزل عليه قوله تعالى :

(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) (١) .

**فوجهت الصلاة الى الكعبة .. وكان ذلك
قبل موقعة بدر الكبرى .. بأقل من شهرين .**

**واختلف الرواة في أول وقت من الاوقات
الخمس .. وجهت فيه الصلاة الى الكعبة ؟
فقال بعضهم : صلى ركعتين من الظهر الى بيت
المقدس .. ثم استدار الى المسجد الحرام ودار
معه المسلمون .**

ولكننا نرجح ما ذكره البخارى :

« بينما الناس بقاء في صلاة الصبح .. اذ
جاءهم ات فقال ا ان رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - قد نزل عليه القرآن .. وقد امن
ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها .. فاستداروا
الى الكعبة » . ولهذا سمي المسجد - مسجد
القبليتين -

**وكان في تحويل القبلة محنة شديدة ..
استغلها اليهود والمنافقون في المدينة .. والمشركون
في مكة اما اليهود فقالوا : خالف قبلة الانبياء
قبله .. ولو كان نبيا لكان يصلى الى قبلة
الانبياء .**

**وأما المنافقون .. فقالوا : ما ندرى محمد
أين يتوجه بنا ؟ أن كانت الاولى حقا فقد تركها
.. وان كانت الثانية هى الحق .. فقد كان
على باطل .**

واما المشركون في مكة .. فقالوا : كما رجع الى قبلتنا يوشك ان يرجع الى ديننا .. وما رجع اليها الا لانها الحق .

واما المسلمون .. فقالوا : سسمعنا وأطعنا (وقالوا ائنا به كل من عند ربنا) .. وهم الذين هداهم الله وعناهم بقوله :

(وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبرة الا على الذين هدى الله) (١) .

فهؤلاء لم يكن التحويل عليهم كبيرا .. لانهم يعلمون ان المشرق والمغرب لله - سبحانه - وكثرت اقاويل السفهاء من اليهود والمنافقين .. وعلم الرسول مسبقا بما سيقولون .. لقول الله له :

(سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (٢) .

وقد روى النسقي في تفسيره .. حول قوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها .. الآية) قال : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يصلي بمكة الى الكعبة .. فامرته الله بالصلاة الى صخرة بيت المقدس .. بعد الهجرة - تأليفا لليهود .. ثم حول الى الكعبة .

كما ذكر الشيرازي في تفسيره - تفسير البيضاوي - قول ابن عباس - رضى الله عنه - انه - عليه الصلاة والسلام - كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل القبلة بينه وبينه

فيكون معنى قوله تعالى (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) .. اي الجهة التي كنت عليها أولا .. وهي الكعبة (الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) بمعنى ما جعلنا القبلة

التي تحب ان تستقبلها .. الجهة التي كنت عليها أولا بمكة .. الا امتحانا للناس وابتلاء .. لنعلم وتعلم انت والمؤمنون .. من هو ثابت على الاسلام .. الصادق فيه .. ممن هو على حرف .. ينكص على عقبيه .. فيرتد عن الاسلام عند تحويل القبلة .. مثل قوله (ليميز الله الحبيث من الطيب) .. فوضع الله تعالى العلم موضع التمييز .

وقد سئل - عليه الصلاة والسلام - بعد تحويل القبلة - الى الكعبة : كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل ؟ .. فنزل قوله تعالى :

(وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم) (٣) . أى صلاتكم الى بيت المقدس وسمى الصلاة هنا - ايمانا - لأن الصلاة هي الدعامة والركيزة للايمان .

ولهذا التحويل حكمة عظيمة جلية .. وقد سبقته آية النسخ في قوله تعالى :

(ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها لم تعلم ان الله على كل شيء قدير) (٤) فإذا كان الله - سبحانه - قد نسخ القبلة - من بيت المقدس .. فانه أتى بخير منها .. وهي الكعبة .. اول بيت وضع للناس .. قبل بيت المقدس .. فلزم ان تعود البشرية .. مع خاتم الرسل الى القبلة الاولى .. قبلة ادم وابراهيم .. قبل ان يطوى سجل الزمن .

ثم أتم نعمته على المسلمين مع القبلة .. بان شرع لهم الأذان .. وقد اذن فيها ابراهيم ابو الأنبياء من قبل .. وزادهم الله في الظهر والعصر والعشاء ركعتين أخريين بعد أن كانت ثنائية . وعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنه - ان

(٢) ١٤٢ - البقرة .

(٤) ١٠٦ - البقرة .

(١) ١٤٢ - البقرة .

(٣) ١٤٣ - البقرة .

وأذن في جامع عمر بن الخطاب بالقدس .. ومات
بلال بدمشق .

ولا استقر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة .. والى الله بين قلوب أهلها .. بعد العداوة والحروب .. فمنعه - حفظه - انصار الله .. وكتيبة الاسلام .. من الأسود والأحمر (١) وبدلوا نفوسهم دونه .. وقدموا محبته على محبة الإبناء والآباء والأزواج .. وكان أولى بهم من أنفسهم .

وتحالف ضده العرب واليهود .. وأعلنوا له العداوة والبغضاء .. والله يأمر المسلمين بالصبر والعفو والصفح .. حتى اقويت شوكتهم .. واشتد جناحهم .. فأذن لهم حينئذ في القتال .. ولم يفرضه عليهم .. فقال تعالى :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) (٢) .

وهذه أول آية نزلت في القتال .

وقال بعض الرواة :

نزل هذا الاذن بمكة (٣) .. وهذا خطأ لعدة أسباب :

منها ان الاذن في نص الآية للذين أخرجوا من ديارهم بغير حق .. وهؤلاء هم المهاجرون .

ومنها أن الله لم يأذن بمكة في القتال .. لأن المسلمين لم يكن لها فيها شوكة تمكنهم من القتال .

وأهمها أن الآية نفسها - منية - نزلت بالمدينة .. بعد هجرة الرسول إليها .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يجعل شيئاً يجمع به الناس للصلاة .. فذكر عنده البوق وأهله .. والناقوس وأهله .. فكره ذلك . حتى رأى رجل من الانصار الأذان في نومه .. وهو عبد الله بن زيد .. ورأى عمر نفس الأذان في منامه في تلك الليلة .. فاما عمر .. فقال :

إذا أصبحت أخبرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وأما عبد الله الانصاري .. فذهب ليلاً الى رسول الله وقال له : يا رسول الله .. طاف بي طائف في هذه الليلة .. مر بي رجلٌ عليه ثوبان أخضران .. يحمل ناقوساً في يده ... فقلت يا عبد الله - أتبيع هذا الناقوس ؟ .. قال : وما تصنع به ؟ .. قلت : ندعوا به الى الصلاة . قال : ألا أدلك على خير من ذلك ؟ .. قلت : وما هو ؟ .. قال :

تقول : الله أكبر الله أكبر .. الله أكبر الله أكبر .. أشهد أن لا إله الا الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. أشهد أن محمداً رسول الله .. حتى على الصلاة .. حتى على الصلاة .. حتى على الفلاح .. حتى على الفلاح .. الله أكبر .. الله أكبر .. لا إله الا الله .

فأمر رسول الله بلالاً فأذن بها .. وزاد بلال في الصبح : الصلاة خير من النوم .. وأقرأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي ليست فيما رأى عبد الله .. ولا فيما رأى عمر .

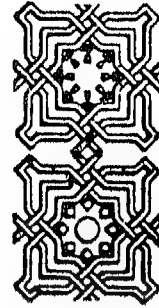
وكان من مؤذني الرسول : ابن أم مكتوم بالمدينة .. وبلال أول من أذن في الاسلام ..

(٢) ٢٩ - ٤٠ - الحج .

(١) من جميع الناس : العرب والمعجم .

(٣) زاد المعاد - لابن القيم الجوزية ص ٦٥ ج ٢ .

روح الإسلام في الحرب



الإسلام عقيدة صديق .. قامت على أسس قوية
من المبادئ والمثل .. والعقل والمنطق .. قبل أن
تكون نتيجة ضغط أو إكراه أو إجبار .

وليس أدل على ذلك .. من وصايا الخلفاء أقواد
الجيوش .. حيث بلغت شفافتهم .. إلى الرحمة
بالنبات والشجر .. والشياه والبقر .. كالرحمة
بالأطفال الرضع .. والشيوخ الرقع .. والنساء
الضعاف .

روح الاسلام في الحرب

ليس ادل على ذلك من دخول الاسلام في كل بيت من بيوت يشرب قبل الهجرة اليها .
لقد استمر انتشار الاسلام بقوته الذاتية . .
حتى في العصور التي وهت فيها قوة المسلمين
وضعفت شوكتهم . . شهد بذلك الاعداء قبل
الاصدقاء . . ويكفي ان اقدم للقارىء الكريم
فقرة من كتاب - الدعوة الى الاسلام - مؤلفه
- السير توماس ارنولد - فيقول عن الامبراطورية
الاسلامية المتصدعة :

((تصدعت اركان الامبراطورية العظمى . .
وتضعفت قوة الاسلام السياسية . . ولكن
ظلت غزواته الروحية - مستمرة دون انقطاع
ثم يقول :

« وعندما طرد فرديناند - ملك ليون
وقنستاله - المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦م
ودفعت غرناطة - وهي اخر معاقل الاسلام في
اسبانيا - الجزية الملك المسيحي . . وعندما
اغرقوا في الدماء مسجد الدولة العباسية . .
ضربت جموع المفلول بغداد عام ١٢٥٨م . .
في هذه الاوقات . . كان الاسلام قد استقرت
دعائمه . . وتوطدت اركانها في جزيرة سومطره

كم ردد خصوم الاسلام . . انه دين حرب
.. شق طريقه بالقوة . . وانتصر بحد السيف
.. وأجبر الناس قسرا على اتباعه .

وهذا الدعاء باطل . . وافك مفتري . .
فاحداث التاريخ وظواهر الواقع تثبت زيف
باطلهم . . وتظهر افتراء افكهم .

وتلك نفخة اكبر الظن انها وليدة العصر
الحديث . . روجها الاستعمار الغربي . .
ورددتها ابواقه . . ليزلزل تلك العقيدة التي
عزت على الخطوب . . وصمدت امام اعاصير
الزمن . . وظلت على مر السنين جبلا راسخا
تتحطم امامه كل القوى . . وتتلاشى على صحوره
عبقريات ارباب الكيد والمؤامرات .

نعم لقد انتشر الاسلام بقوته الذاتية . .
وليس ادل على ذلك من ازدياد عدد المسلمين في
مكة . . في الوقت الذي كان فيه النبي واتباعه
قلة مستضعفين . . لا حول لهم . . ولا قوة
تحميهم من العذاب والاذى .

ليس ادل على ذلك من انتشار تحية الاسلام
وسريانها في الجزيرة العربية مسرى النار في
الخطب . . قبل ان يامن المسلمون على انفسهم
من طغيان الطغاة . . وجبروت العتاة . . قبل
ان يهاجر النبي وصحبه الى المدينة .

(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (٥) .

(لست عليهم بمسيطر) (١) .

وغيرها كثير وكثير .

ولهذا دخل سكان المستعمرات الرومانية والفارسية في الاسلام افواجا . . لانهم وجدوا في الاسلام منقذا لهم من الاضطهاد في دينهم . . و خلاصا من ظلم وعسف حكامهم .

وهذا تاريخ مصر في الفتح العربى . . خير شاهد على صدق ما نقول :

فكم كان في مصر من شهداء في المسيحية بسبب الاستبداد الرومانى . . ومن أجل هذا رحب المصريون بالفتح العربى الاسلامى . . لانه لم يتعرض لدينهم ونظمهم وعاداتهم .

لقد أحس الناس سماحة الاسلام في اسبانيا . . وفي سوريا . . وفي مصر وغيرها . . حيث ترك لهم حكامهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم . . بل وتركوا لهم حق التقاضى الى قضاة منهم

وقد يقول قائل . . انه فرض عليهم الجزية . . وفيها شيء من الاكراه . . ولكنه اعتراض تافه . . حيث كانت الجزية السنوية تبلغ دينارا عن كل شريف . . ونصف دينار عن كل مملوك . . ورضى سكان اسبانيا بذلك طائعين (٧) . . وكانت تلك الجزية في مقابل حمايتهم من أعدائهم . . وتدبير شئونهم . . فهي ضريبة زهيدة . . هى في الواقع أقل من القليل .

جرى المسلمون على السماحة في حربهم . . وفي فتوحاتهم . . فكانوا قبل ان يخوضوا حربا مع أهل أى بلد . . يرسلون اليهم شروطا للصلح . . كما فعل عمرو بن العاص مع سكان غزة . . لما حاصرها في السنة السابعة عشرة من الهجرة . . وكما فعل مع أهل مصر . . حيث عرض عليهم حرية كاملة في الدين . . ومساواة تامة في المعاملة مع المسلمين .

يقول جوستاف لوبون . . في كتابه - حضارة العرب - :

. . وكان على أهبة أن يحرز تقدما ناجحا في الجزر الواقعة في بلاد الملايو . .

وفي هذه اللحظات . . التى تطرق فيها الضعف السياسى الى قوة الاسلام . . نرى أنه قد حقق بعض غزواته الروحية الرائعة .

وضرب توماس مثلين تاريخيين كبيرين لذلك :

المثل الأول : هو انتصار الأتراك السلاجقة على المسلمين في القرن الحادى عشر .

والمثل الثانى : هو انتصار المغول على المسلمين في القرن الثالث عشر .

وفي الحاليتين اعتنق الفاتحون المنتصرون الاسلام . . وهو ديانة المغوليين .

وقد حمل دعاة الاسلام . . بعد أن فقدوا مظهر السلطان والقوة عقيدتهم الى افريقيا الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية وروسيا وغيرها . . ثم صار للاسلام في العصر الأخير اتباع في انجلترا وأمريكا وأستراليا واليابان (١) فما معنى هذا ؟

معناه ان الاسلام عقيدة صدق قامت على أسس قوية من المبادئ والمثل . . والعقل والمنطق . . قبل أن تكون نتيجة ضعف أو اكراه أو اجبار .

لقد فتح المسلمون الممالك . . واقاموا فيها دولا قائمة على العدل والحب والتسامح . . ولم نسمع ان المسلمين أرغموا أحدا على اعتناق الاسلام . . بل كانوا مثلا عليا في صون العقائد الدينية . . وكفالة الحرية لغير المسلمين .

والقرآن الكريم ملئ بالآيات الصريحة . . التى تنهى عن الاكراه في الدين :

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى) (٢) .

(ما على الرسول الا البلاغ) (٣) .

(أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٣)

(فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) (٤) .

(١) الدعوة الاسلامية - للسير توماس ارنولد ص ١٨ .

(٢) ٢٥٦ - البقرة .

(٣) ٩٩ - يونس .

(٤) ١٢٥ - النحل .

(٧) اقرا - حضارة العرب - ص ٣٢٩ - لجوستاف لوبون .

(٣) ٩٩ - المائدة .

(٤) ٤٠ - الرصد .

(٦) ٢٢ - الفاشية .

بالأرواح المزهقة .. والدماء المراقبة .. والأشلاء
المزقة .. والعمران المدمر .. والأموال المبشرة
.. والابرياء الذين يفجعون ؟

أم ينحاز بعض المسلمين الى هؤلاء ..
وينحاز بعضهم الى أولئك ؟ .. وفي هذا اشعال
لنار الفتنة بين المسلمين .. وافساد للعلاقات
التي تربط بينهم .. وتدمير لحضارتهم ..
وتعويق لراقيهم .. واضعاف لهم جميعا ..

رسم القرآن الكريم تخطيطا لمواجهة هذا
الامر .. بقوله تعالى :

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما فان بغت احدهما على الأخرى فقاتلوا
التي تبغى حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت
فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب
المقسطين) (٢)

بدا أولا باتحاد الدول الاسلامية على رأى
واحد وكلمة واحدة .. حيال الدولتين او
الطائفتين المتنازعتين .. ثم التدخل بينهما
للمصالحة وفض النزاع .. فاذا أصرت احدى
الدولتين على موقفها .. ولم تخضع لحكم الأمة
.. واعتدت على الدولة الأخرى .. كان هذا
منها غرورا بقوتها .. وطفيانا تستحق عليه
التأديب ..

ويكون على الأمة كلها فرض محتوم .. ان
تتأربها .. وتنصر المعتدى عليه بكل الوسائل ..
وبجميع الأسباب من مال ورجال وعتاد .. حتى
ترجع الدولة المعتدية عن غيها .. وتؤوب الى
رشدتها .. وتقف موقف المهزوم ..

وتبرز الحكمة السامية .. والتخطيط
النبيل في الخطوة التالية :

فلا اذلال للدولة المهزومة .. وانما عودة الى
المصالحة .. وفض النزاع .. على أساس من
العدل والقسط بغير تحيز او محاباة .. او
تشف أو انتقام ..

وبهذا نرى ان الاسلام حريص على السلام
.. لم يأمر بالسيف الا لحفظ هذا السلام ..
اذا لم يستطع حفظه بالحكمة والعقل والموعظة
الحسنة ..

وتلك هدية الوجود .. يمنحها صاحب
العرش الأعلى .. لنبي الاسلام .. عند سدره

« ويثبت لنا سلوك امير المؤمنين - عمر بن
الخطاب - في مدينة القدس .. مقدار الرفق
العظيم .. الذى كان يعامل به العرب الفاتحون
الامم المغلوبة .. وهو على النقيض مما اقترفه
الصليبيون في القدس بعد بضعة قرون » (١) .

كما اقال جوستاف :

« وابدى العرب مثل هذا التسامح في المدن

السورية الأخرى .. فلم يلبث جميع سكانها ان
رضوا بسيادة العرب .. وانتحل أكثرهم
الاسلام » (٢) .

وقد يعترض البعض على هذا فيقول : ان
العرب في فتح مصر قد حاصروا الاسكندرية
اربعة عشر شهرا .. ولكن هذا الحصار لم يكن
نتيجة امتناع الاهالى عن الخضوع لعدالة
الاسلام .. وانما هو نتيجة تمرد الرومان ..
جنودا وموظفين ورجال دين .. أبوا أن يخضعوا
للغزاة فلجأوا الى الاسكندرية ..

فهل بعد هذا .. يقول قائل : لقد انتصر
الاسلام بالسيف ؟

ان الاسلام دين سلام .. وليس دين حرب
كما يزعمون .. ولكن الانسان بطبعه ركبت فيه
غريزة الصراع .. وحب التملك .. والتنازع على
المصالح .. وقد دفعت هذه الغريزة بعض ولاة
الأمور في بعض دول اسلامية .. الى شن حروب
مدفوعة بيواعث السياسة والملك .. لا بدافع
الدين .. فليس العيب في الدين نفسه .. انما
العيب في هؤلاء الناس .. وهم بشر يصيبون
ويخطئون .. تعتربهم القوة كما تعتربهم
الضعف .. يتمسكون بأهداب الدين تارة ..
وتأسرهم مفاتن الدنيا تارة أخرى .. وليس من
العدل ان نحمل الاسلام أخطاء معتنقيه ..

ومن عبقرية الاسلام .. انه لم يغفل تلك
الغسائر البشرية .. فيتغاضى عن وجود تلك
الفرائز .. أو يفترض محوها .. وانما سن لها
من الوسائل ما يكفل تهذيبها .. والتسامى بها
ودره أخطارها ..

فهذا حكم الاسلام .. حينما تتحارب
دولتان مسلمتان .. او طائفتان منهما :

هل تقف الدول الاسلامية الأخرى من هذه
الحرب وقفة المتفرج اللاهئ .. الذى لا يعبا

المنتهى .. بقوله « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » .

حيث يقوم - عليه السلام - بتوزيع السلام .. توزيعا عاما شاملا يغطي الانسية والجنية .. والملائكية أيضا .. بقوله « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

وستبقى هذه العبارة تدوى في أسماع الدنيا .. على لسان كل مسلم .. يرددها في صلاته كل يوم عشرات المرات .. الى يوم الدين .

اما ترى معنى .. أن الاسلام دين السلام ؟

وأيّن حروب البول .. الى ندعى الحضارة والمدنية الآن .. من حروب المسلمين في رحمتهم وعدلهم ومعاظمتهم على الكرامة الانسانية .. وحرصهم على المدنيين الأمنين .. أين هم من وصية أبى بكر لاسامة بن زيد .. لما بعثه بجيشه الى الروم .. فقال له :

« لا تخونوا .. ولا تفدروا .. ولا تغلوا .. ولا تمثلوا .. ولا تقتلوا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا دغلا .. ولا تقربوا نخلا وتحرقوه .. ولا تقطعوا شجرة مثمرة .. ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا .. وسوف تمرن بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع .. فدعوهما وما فرغوا أنفسهم له » .

بلغت شفافتهم الى الرحمة بالنبات والشجر .. والشياه والبقر .. كالرحمة بالأطفال الرضع .. والشيوخ الرقع .. والنساء الضعاف .

انه احساس الانسان بانسانيته .. وشعور المخلوق بعبوديته .

وقف - عليه الصلاة والسلام - في احدى غزواته .. عند امرأة مقتولة .. فبدأ عليه الاسى والأسف .. وقال لأصحابه : « ما كانت هذه لتقتل » .

وفي يوم الفتح .. أمر أحد المسلمين .. بأن يلحق بخالد بن الوليد .. ويقول له :

« لا تقتل ذرية ولا عسيفا (١) ولا امرأة » وأمر المسلمين ألا يقتلوا شيخا ولا طفلا ولا امرأة .. وقال لهم : « اخرجوا باسم الله .. فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله .. ولا تفدروا

.. ولا تقتلوا الولدان .. ولا اصحاب الصوامع » وضرب بذلك المثل لمن خلفه من حكام المسلمين .

لقد نهى الاسلام عن التعذيب العوانيه .. حتى مع الاعداء الذين ظلموا المسلمين من قبل .. فقال تعالى : « ولا يجرمكم شئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (٢) » وجعل العدوان على الاعداء .. خروجا على مبادئ التقوى .. وخوفهم شديد عقاب الله .. اذا تجاوزوا الحد في حروبهم .

حرص الاسلام اشده الحرص على الوفاء بالعهد .. وبلغت به الشفافية في هذا الأمر .. انه نهى عن مساعدة المسلمين .. غير الخاضعين لحكمهم .. ضد الكافرين أصحاب العهد معهم .. فقال تعالى عن المسلمين الذين لم يهاجروا :

(وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) (٣) .

وقال في سورة النساء :

(يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لما القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عوض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا) (٤) .

أمرهم الله بدقة التحري قبل الحرب .. حتى لا يصيبوا قوما بجهالة .

وقد ذكرتني هذه الآية بموقف جميل لنملة سليمان .. عندما قالت :

(يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) (٥) .

فقولها « وهم لا يشعرون » يوحى بمبادئ سامية .. وحقائق جلية .. فمعناها أن سليمان لو علم أن هذا وادى النمل .. لاحترمه وقدمه .. ولما اقتحمه بجنوده .. تكريما لهذا الجنس من خلق الله .. وهم نمل وليسوا بشرا .

فلعل قادة البول .. التي تدعى المدنية والحضارة في عصرنا الحديث .. يصل الى أسماعهم صوت تلك النملة .. من خلال كتاب الاسلام .. فتتطرق الى وجوههم قطرة من حياء .. أو ذرة

(٢) المائدة ٥٠

(٤) ٩٤ - النساء .

(١) أجيا .

(٢) ٧٢ - الانفال .

(٥) ١٨ - النمل .

من خجل .. عندما يهجمون بجيوشهم على دول
آمنة .. ينتهكون حرمانها .. ويسلبون أموالها
.. ويسفكون دماءها .. ويقتلون أطفالها وشيوخها
ونسائها .

اين هم من مبادئ الاسلام السامية .. في
الحرب .. وفي السلم .. على السواء ؟ .

قال الكونت هنرى كاسترى :

ان المسلمين امتازوا بالمسألة .. وحرية
الافكار في المعاملات .. ومحاسنة المخالفين ..
وهذا يحملنا على تصديق ما قاله - روبنسون - :
ان شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين
المحاسنة ومحبة انتشار دينهم .. وهذه المحبة
هى التى دفعت العرب في طريق الفتح .. فنشر
القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة .. ولم
يتروكوا للعسف في طريقهم .. الا ما كان لابد منه
في كل حرب وقتال .. ولم يقتلوا امة ابت
الاسلام (١) .

وعلى هذا الاساس .. يمتلك المبادئ ..
قامت الحروب الاسلامية .. ليست عدوانية
ابتغاء التوسع وفرض السلطان .. ولكنها دفاع
عن الحق .. ولتكون كلمة الله هى العليا ..
اسعادا للبشرية في دنياها وآخرها .

وكان للرسول - عليه الصلاة والسلام -
غزوات مع العرب .. أهمها :

غزوة بدر .. وغزوة احد .. وغزوة
الاحزاب .. وصلاح الحديبية .. وفتح مكة ..
وغزوة حنين .

اما حروبه مع اليهود فكانت :

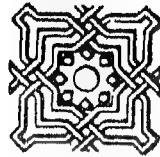
غزوة بنى قينقاع - وغزوة بنى النضير ..
وغزوة بنى قريظة .. وغزوة خيبر .

واما النصراني فكانت حروبه معهم :

غزوة مؤتة .. ثم غزوه تبوك ولم يحصل
فيها حرب .. ثم جهز جيش أسامة بن زيد
لحرب الروم .

وقد افاض ائمتنا الكبار في تفصيل جميع
الغزوات والبعوث والسرايا .. افاضة شكرها
الله لهم .. فلم يتركوا للباحث اى مجهود في
البحث والتنقيب .

ولهذا .. رفقا منى بالقارىء الكريم ..
سأعرض لكثير من الغزوات بشيء من الايجاز
غير المخل بالمطلوب .. مع ابقاء الغزوات
الرئيسية المؤثرة حقها .. بأسلوب قد لا يبعث في
النفوس الملل .. وفي نفس الوقت يشفى غلة
الصادى .. ويرد لهفة النهم الى العلم .



حول بدر الكبري

انه يعلم ان قريشاً لا غنى لهم من الذهاب الى
الشام كل عام .. فاراد ان يلفت نظرهم الى مهادنته
ومصالحته .. حتى يتفرغ لنشر الدعوة الاسلامية ..
عليهم يعرضون عليه صلحا يامنون به على انتشارهم ..
ويامن به المسلمون على انفسهم وعلى دعوتهم +



٣٩ حول بدر الكبرى

ولهذا بادر ببعث البعوث .. وارسال
السرايا .. يعترضون قوافل قريش .

وكانت تلك البعوث من المهاجرين فقط ..
لان عهد الانصار كان على انهم يمنعونهم في دارهم
.. ولم يبعث رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - احدا من الانصار .. حتى غزا بهم
بدر .

سرية حمزة :

واول لواء عقده رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - لعمه حمزة بن عبد المطلب .. وكان لواء
ابيض .. حمله ابو مرثد - كنان بن حصين
الغنوي - حليف حمزة .. في ثلاثين راكبا من
المهاجرين .. يعترض عمرا لقريش .. جاءت من
الشام تريد مكة .. وفيها ابو جهل .. في
ثلاثمائة راكب .. كان ذلك في اول الشهر السابع
من الهجرة .. في رمضان .

وبالنظر الى تلك النسبة بين الغريقتين ..
يتضح صحة ما اتجهنا اليه .. من أن رسول الله

كانت مكة ملتقى الخطوط التجارية القادمة
من الجنوب .. من الهند والحشة واليمن .

وكانت قريش تحصل هذه التجارة كل عام
الى الشام .. على الفى بغير .. واحيانا اكثر ..

يقول صاحب كتاب - سماحة الاسلام في
الحرب - : وقد قدرها المستشرق - اسبرنجر -
بنحو مائة وستين الفا من الجنيهات الذهبية .

وكانت المدينة في طريق القوافل بين مكة
والشام .. غدوا ورواحا .

ويبدو أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - كان يتعرض لقوافل قريش .. يريد أن
يدفعهم الى مهادنته ومصالحته .. حتى يتفرغ
لنشر الدعوة الاسلامية .. وهو يعلم ان قريشا
لا غنى لها من الذهاب الى الشام كل عام ..
فأراد بتهديد قوافلهم .. ان يلفت نظرهم الى
هذا الامر .. عليهم يعرضون عليه صلحا يأمنون
به على تجارتهم .. ويأمن به المسلمون على
انفسهم وعلى دعوتهم .

صبح خميس .. فوجدنا العير مرت بالامس ..
فانصرفنا الى المدينة .

غزوة الأبواء :

وفي شهر صفر على رأس اثنى عشر شهرا
للهجرة .. غزا - عليه الصلاة والسلام -
بنفسه غزوة الأبواء .. وهى أول غزوة غزاها
بنفسه .. ويسمى بها بعض اصحاب السيرة -
غزوة ودان - وذلك لان - ودان والأبواء -
مكانان متقاربان في وادئ الفرع .. بينهما
سنة أميال .

يقول زين العابدين بن الحسين بن على -
رضى الله عنهم - كنا نعلم مغازى رسول الله
صلى الله عليه وسلم . كما نعلم السور من
القرآن الكريم .. كما يقول اسماعيل بن محمد
بن سعد بن أبى قاص : كان أبى يعلمنا الغزوات
والسرايا .. ويقول : « يابنى انها شرف آبائكم
.. فلا تضيعوا ذكرها » .

فكانت أول مغازيه - عليه الصلاة والسلام -
هى غزوة الأبواء .. بعد أن استخلف على المدينة
.. سعد بن عباد .. وحمل لواءه حمزة - رضى
الله عنه - خرج على رأس ستين راكبا من
المهاجرين .. يعترض غير قريش فلم يلق كيدا
.. وانما لقي بنى ضمرة .. وعقد بينهم وبينه
مصالحة .. هذا نصها : « بسم الله الرحمن
الرحيم .. هذا كتاب محمد رسول الله .. لبنى
ضمرة .. بأنهم آمنون على أموالهم وانفسهم ..
وان لهم النصر على من رامهم بسوء - بشرط
ان يحاربوا في دين الله - ما بل بحر صوفة -
وان النبى اذا دعاهم لنصر أجابوه .. عليهم
بذلك ذمة الله ورسوله » .

ثم عاد الى المدينة .. بعد أن غاب عنها
خمس عشرة ليلة .

غزوة بواط (١) :

وفي اوائل شهر ربيع الاول .. على رأس
ثلاثة عشر شهرا من الهجرة .. غزا بواط ..

لم يكن يريد حربا .. وانما كان يريد ارغام
قريش على كف اذائها عن المسلمين .. أو تتخذ
لها طريقا آخر غير طريق المدينة .. بين مكة
والثمام .. حتى يطمئن المسلمون في مهاجرهم ..
ويؤمنون جانب غارة قريش عليهم فجأة .

والثقي جيش حمزة - الصفي - وجيش
ابى جهل - الكبير - على ساحل البحر ..
بناحية - المعيص - من بلاد جهينة .. واصطفوا
للقنان .. فمشى مجدى بن عمرو الجهنى
بالصلح بينهم .. وكان حليفا للفريقين .. فلم
يقتتلوا .

سرية عبيدة بن الحارث :

وفي أول شوال .. الشهر الثامن من الهجرة
.. بعث الرسول عبيدة بن الحارث .. في سرية
الى بطن رابغ .. وحمل اللواء مسطح بن اثانة
بن عبد المطلب بن عبد مناف .. فى ستين من
المهاجرين .. لنفس الغرض .. فلقى ابا سفيان
بن حرب .. وهو فى مائتين .. وكان بينهم
الرمى .. ولم يسلوا السيوف .. ولم يصطفوا
للقنان .. وانما كانت مناوشة . وحضر هذه
السرية سعد بن أبى وقاص .. وهو أول من
رمى بسهم فيها .. وهو أول سهم رمى فى
الاسلام .. وانصرف الفريقان .

وقدم ابن اسحاق هذه السرية على سرية
حمزة ولكن الغالب على ما ذكرنا .

سرية سعد بن أبى وقاص :

وفي شهر ذى القعدة .. على رأس تسعة
اشهر .. عقد رسول الله لواءه الأبيض ..
لسعد بن أبى وقاص .. وحمل اللواء - المقداد
بن عمرو .. وكانوا عشرين مهاجرا .. بعثهم
يعترضون غيرا لقريش .. تمر بهم .. وعهد الى
سعد الا يجاوز مكانا اسمه - النخار .

يقول سعد : خرجنا على اقدامنا .. فكننا
نكن نهارا .. ونسير ليلا .. حتى صبحناها

(١) بواط جبل من جبال جهينة بناحية - رضى .

في مائتين من المهاجرين .. وقد حمل اللواء
الابيض سعد بن ابي وقاص .. واستخلف على
المدينة سعد بن معاذ .

خرج يعترض عيرا لقريش .. فيها امية بن
خلف الجمحي .. ومعه مائة رجل من قريش ..
والفان وخمسمائة بعير .. وبلغ بواط .. وبين
بواط والمدينة اربعة برد (١) .. ففاته العير ..
وعاد الى المدينة .. ولم يلق حربا .

غزوة سفوان : وهى بدر الاولى .

ففى نفس شهر ربيع الاول .. خرج
— عليه الصلاة والسلام — فى طلب كرز بن جابر
الفهري .. الذى اغار على مراعى المدينة ..
وكان يرمى بالحمى .

فطلبه رسول الله — حتى بلغ واديا يقال له —
سفوان — وهو موضع من ناحية — بدر — ولكن
كرز هرب .. فرجع — صلى الله عليه وسلم —
وتلك هى غزوة بدر الاولى .. وكان حامل اللواء
فيها على بن ابي طالب — رضى الله عنه — وقد
اسلم كرز بن جابر الفهري .. بعد ذلك ..
وحسن اسلامه .. وقتل يوم الفتح — سنة ثمان
من الهجرة .

غزوة العشيرة :

وفى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر
شهرًا .. خرج — عليه الصلاة والسلام — فى
مائة وخمسين .. وقيل فى مائتين من المهاجرين
.. يحملون لواءه الأبيض حمزة بن عبد المطلب ..
بعد ان استخلف على المدينة ابا سلمة بن عبد
الاسد المخزومي .. ولم يكره احدا على الخروج

معه .. وكان معهم ثلاثون بعيرا .. يتبادلون
ركوبها .. بقصد اعتراض عير لقريش بلغه
خروجها من مكة .. قاصدة الشام . وبلغ —
ذى العشيرة — مكان قرب ينبع .. وبين ينبع
والمدينة تسعة برد — اى اكثر من مائة ميل .

وبعض الرواة يسمون هذا المكان — العشيرة
— او العسيرة — بالمهملة .. فوجد العير قد
فاتته بأيام .. وهى العير التى ترصدها بعد
ذلك .. فى عودتها من الشام .. تلك العير التى
وعده الله فيها احدى الطائفتين .. وكانت سببا
فى غزوة — بدر الكبرى — .

وقد ذكر ابن اسحاق .. والنبهاني تلك
الغزوة .. قبل غزوة بدر الاولى .. ولكن الاغلب
لا يؤيد هذا .

وفى غزوة العشيرة .. كنى رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — على بن ابي طالب —
ابا تراب — وذلك انه رآه نائما متمرغا فى الغبار
.. فقال : « اجلس ابا تراب » .. وان كان ابن
قيم الجوزية .. يخطئ هذا الراى ويقول : ان
تلك الكنية كانت بعد زواج على من فاطمة ..
بعد غزوة بدر الكبرى .. فان رسول الله دخل
على فاطمة .. وقال : أين ابن عمك ؟ .. قالت :
خرج مغاضبا .. فجاء الى المسجد .. فوجده
مضطجعا فيه .. وقد لصق به التراب .. فجعل
ينفضه عنه ويقول : « اجلس ابا تراب .. اجلس
ابا تراب » وكنى بها من هذا اليدم (٢) .

سرية عبد الله بن جحش الأسدي :

وفى شهر رجب السابع عشر من الهجرة ..
بعث — صلى الله عليه وسلم — ابن جحش

(١) البريد : اثنا عشر ميلا .

(٢) زاد المعاد ص ٩٣ — ج ٢ .

الاسدي في اثني عشر رجلا من المهاجرين .. كل
اثنين يعتقبان على بعير .. واعطاه كتابا ..
وامره الا ينظر فيه .. حتى يسير بمن معه يومين
.. ففعل .. ثم فتح الكتاب .. فوجد فيه :

« اذا نظرت كتابي هذا .. فامض حتى
تنزل - نخلة - بين مكة والطائف - فترصد بها
هير القريش .. وتعلم لنا من اخبارهم » .

فأخبر أصحابه بذلك .. وهو لا يستكرهم
على السير معه .. فساروا معه جميعا .. طلبا
للسهادة في سبيل الله .

ونخلة هو المكان الذي نزل فيه - صلى الله
عليه وسلم - وهو عائد من الطائف .. قبل
الهجرة .. وفيه بستان ابنى ربيعة .. وصرف
الله اليه الجن فيه يستمعون القرآن .. كما
ذكرنا من قبل .

وفي طريق تلك السرية .. ضل بعير سعد بن
ابى وقاص .. وعتبة بن غزوان .. كانا يعتقبانه
.. فتخلفا في طلبه .. واستمر عبد الله بن
جعش وباقي الصحابة .. حتى نزلوا بنخلة ..
فمرت بهم هير لقريش .. تحمل زبيبا وادما
وتجارة .. فيها عمرو بن الحضرمي - وعثمان
ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة .. والحكم بن
كيسان مولى المغيرة .

فتشاور المسلمون .. وقالوا : نحن في آخر
يوم من رجب .. وهو شهر حرام .. فان قتلناهم
انتهكنا الشهر الحرام .. وان تركناهم الليلة ..
دخلوا الحرم .. فأجتمعا على حربهم .. فرمى
واقد بن عبد الله التيمي .. عمرو بن الحضرمي

يسهم فقتله .. فهذا أول قتيل قتلته المسلمون
.. وأسروا عثمان والحكم .. فهذان أول أسرى
المسلمين .. وفر نوفل هاربا . ثم قدموا بالبعير
والأسيرين الى المدينة .. بعد ان عزلوا خمس
ما غنموا (١) .. واقتسموا اليافى .. فذاك
أول خمس في الاسلام .. وقد سمي عيد الله
بن جحش في تلك السرية - أمير المؤمنين -

فلما قدم .. وأخبر رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - بما حدث .. قال لهم رسول الله
- صلى الله عليه وسلم -

« ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام » ..
وانكر عليهم ما فعلوه .

ووجدت قريش سانحة للقتل والقال ضد
المسلمين .. فقالوا : احل محمد الشهر الحرام
.. واشتد ذلك على المسلمين .. حتى انزل
الله تعالى :

يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل
قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله
والفتنة اكبر من القتل (٢) .

وفرغ الله بها عن المسلمين .. وقبض رسول
الله العير .. وفدى الأسيرين .

ولنا وقفة صغيرة امام تلك الآية .

فقد حكم - سبحانه - بين اوليائه وأعدائه
بالعدل والانصاف .. ولم يبريء أوليائه من
ارتكاب الخطأ بالقتال في الشهر الحرام .. بل

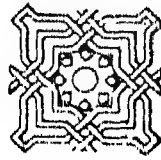
(٢) خمس الغنائم لله ورسوله وللمؤمنين .

(٢) ٢١٧ - البقرة .

منهم من الهجرة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن التوحيد والطاعة .. وإيثار ما عند الله .. كما قيل :

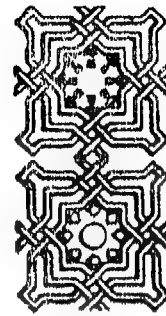
وإذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بالف شفيح ..
وفي شسعين من تلك السنة .. حولت
القبيلة .. كما ذكرنا من قبل .

قال « أنه كبير » .. ثم بين أن ما عليه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام .. بصددهم عن سبيل الله .. والكفر به وبالمسجد الحرام .. وإخراج أهله منه ظلماً وعدواناً .. هذا أكبر عند الله .. لأنها كلها فتنة « والفتنة أكبر من القتل » . فان كان المسلمون قد أخطأوا .. فان الله غفر لهم هذا الخطأ .. لما سبق



غزوة بدر الكبرى

انها يوم الفرقان .. اعز الله فيه الاسلام واهله ..
واذل فيه الشرك واهله .. مع قلة المسلمين .. وكثرة
المشركين .. انها اعظم غزوات الاسلام .. فمنها كان
ظهوره .. وبعدها اشرق في الافاق نوره .



غزوة بدر الكبرى

لعل القارىء الكريم .. يلمس أننا اسرعنا الخطى في عرض البعوث والسرايا .. في تلك الفترة .. وهي عام كامل .. بدأ من الشهر السابع للهجرة .. بعث فيه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - البعوث وأرسل السرايا .. وخرج بنفسه في أربع منها .

ولكن البحث يقتضي أن نبطئ الخطو هوناما .. امام غزوة بدر الكبرى .. فهي يوم الفرقان .. أهد الله فيه الاسلام وأهله .. وأذل فيه الشرك وأهله .. مع قلة عدد المسلمين .. وكثرة المشركين وخيلائهم بعتهم الكاملة .. وخيولهم المسومة .
ولذلك امتن الله على المسلمين بقوله تعالى :
(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) (١) .

لقد كانت غزوة بدر أعظم غزوات الاسلام .. فمتها كان ظهوره .. وبعدها أشرق في الأفق نوره .. وبدر بلدة في الحجاز .. الى الجنوب الشرقي من الجار .. والجار على ساحل البحر الاحمر .. وبينهما مرحلة .. وهي سهل منبسطة من الأرض .. شماله الشرقي جبال وعرة .. وجنوبه آكام صخرية . وغربة كثبان رملية .

لما بلغ رسول الله عليه وسلم - خبر العير المقبلة من الشام لقريش .. صحبة أبي سفيان .. ومعه أربعون رجلا .. وهي العير التي كان قد خرج في طلبها عند ذهابها الى الشام .. وفاتته .. وأشرنا اليها في - غزوة العشيرة -

ندب رسول الله الناس للخروج اليها .. في طريق عودتها الى مكة .. وخرج بهم مسرعين .. في يوم السبت الثاني عشر من رمضان - الشهر التاسع عشر من الهجرة .. وخرج معه الأنصار .. ولم يخرج منهم أحد قبل ذلك .

وكانت عدة جيش المسلمين ثلاثمائة وخمسة .. وعد معهم رسول الله ثمانية تخلصوا بأذن الرسول .. لأعمال كلهم بها .. وهم :

ثلاثة من المهاجرين : عثمان بن عفان .. خلفه رسول الله لتمرير زوجته رقية .. بنت رسول الله .. وكانت مريضة .. وطلحة بن عبيد الله .. وسعيد بن زيد .. بعثهما يتجسسان خبر العير وخرجا في طريق الشام .

وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر الأوسي .. خلفه على المدينة .. وأبو أمامة ابن

لعبة الأنصارى .. عزم على الخروج الى بدر ..
وكانت امه مريضة .. فامر به صلى الله عليه وسلم
- بالمقام مع امه .. وعاصم بن عدى العجلاني
خلفه على اهل العالية .. والحارث ابن حاطب
العمرى .. رده من الروحاء الى بنى عمرو بن
عوف لشيء بلغه عنهم .. والحارث بن الصمة
.. كسر في الروحاء .

وقد استبشر - عليه الصلاة والسلام -
لما عدهم .. ووجد الجميع ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلا .. وقال « عدة اصحاب طالوت الذين
جازوا النهر معه » .

كان منهم مائتين وسبعة من الانصار ..
اغلبهم من الخزرج .. فكان عدد الاوس : واحدا
وستين .. وانما قل عدد الاوس عن الخزرج ..
وان كانوا اشد منهم واقوى شوكة .. واصبر
عند اللقاء .. لان منازلهم كانت في عالية المدينة
.. وجاء النفر بغته .. وقال النبي : « لا يتبعنا
الا من كان ظهره (١) حاضرا » فاستاذنه رجال
.. ظهورهم كانت في العالية من المدينة .. ان
يستأني بهم .. حتى يذهبوا الى ظهورهم ..
فأبى .. ولم يكن عزمهم على الحرب .. ولا
اعدوا له عدة .. ولكن جمع الله بينهم وبين
عدوهم على غير ميعاد .

لم يكن معهم من الخيل الا فرسان : فرس
للزبير بن العوام .. وفرس للمقداد بن الاسود
الكندي .. وكان معهم سبعون بعيرا .. يعتقب
الرجلان والثلاثة على البعير الواحد .. فكان
- عليه الصلاة والسلام - يعتقب بعيرا مع على
ومرثد بن ابي مرثد الغنوي .

وكان قد استخلف على المدينة وعلى الصلاة
- ابن ام مكتوم .. فلما بلغ الروحاء .. رد
ابالبابة بن عبد النذر - واستخلفه على المدينة
.. وجعل ابن ام مكتوم على الصلاة فقط .

وحمل اللواء مصعب بن عمير .. وجعل امامه
رايتين سوداوين : الاولى للمهاجرين .. حملها
على ابن ابي طالب .. واسمها - العقاب - وكان
في العشرين من عمره .. والثانية للانصار ..
حملها سعد بن معاذ .. وجعل على الساقة -
سعد بن ابي صعبه .

ثم سار بجند الله .. فلما قرب من الصفراء (٢)
.. بعث بسيس بن عمرو الجهني .. وعدى

بن الربعاء .. الى بدر يتبعه سنان بن العير .
وبلغ ابا سفيان خروج المسلمين .. وكانت
القافلة كبيرة .. فيها اموال كثيرة لقريش ..
فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري الى مكة ..
مستصرخا لقريش بالنفير .. لانتفاذ عيرهم
واموالهم .. ومال بالقافلة عن طريق بدر .. الى
طريق الساحل .. هروبا بها .

فلما وصل ضمضم الى مكة .. اراد ان
يشير قريشا .. فقطع انف بعيره .. وشق فميصه
.. وصاح .. اللطيمة اللطيمة - (٣) .

ودوى صياحه في ارجاء مكة .. فخرجت
قريش بقضها وقضيضها .. لم يتخلف من
اشرافهم احد .. سوى ابي لهب .. فانه عوض
عنه رجلا كان له عليه دين .. وحشدوا من
حولهم من قبائل العرب .. ولم يتخلف من بطونهم
الا بنى عدى .. فلم يخرج منهم احد .
خرجوا ومعهم المغنيات .. وضاربات الدفوف
.. يغنون بهجاء المسلمين .. وهم في قمة الزهو
والرياء .. والبطر والخيلاء حين خروجهم ..
اعتمادا على كثرة عددهم .. حيث تبارى
اغنياؤهم وتجارهم في مداهم بالسلاح والمال
والعتاد .. قال تعالى عنهم ١

(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا
ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله .. والله
بما يعملون محيط) (٤) .

ولكن السمر قد نجت بتزلة طريق بدر
.. الى طريق الساحل .. واطمان ابو سفيان
الى نجاتها .. فخاف سوء العاقبة .. من صدام
قريش والمسلمين .. فأرسل الى قريش يقول
لهم : انكم خرجتم لحماية عيركم واموالكم
ورجالكم .. ثم نجت ونجوا .. فارجعوا ..
ووافقه على رايه عدد من المشركين كبير .. ولكن
ابا جهل امر على عدم الرجوع .. وصاح : والله
لا نرجع حتى نرد بدرا .. فنقيم عليها ثلاثا ..
فننحر الجزر .. ونطعم الطعام .. ونعقر الخمر ..
.. وتعزف القيان .. وتسمع بنا العرب ..
فلا يزالون يهابونا الى الابد .

وتردد القوم بين الرجوع والاقدام ..
وخشوا ان يتهموا بالجبن اذا رجعوا .. فلم
يرجع الا بتوزهرة .. اما الباقيون فقد ساروا
الى بدر .. وكان بدر .. موسم .. من

(٢) مكان .

(٣) ٤٧ - الانفال .

(١) يعنى ركوبته .

(٢) اي ادركوا الفير التي تعمل التجارة .

مواسم العرب را . واقهم . . يجتمعون به كل عام .

ولما بلغ ابا سفيان قول ابي جهل . . قال : هذا بقى . . والبقى متقصصة وشؤم . . لان القوم قد خرجوا لنجاة اموالهم . . وقد نجاها الله .

كان عددهم الفا . . منهم ستمائة دارع . . ومعهم مائة فرس . . عليها مائة درع سوى دروع المشاة . . ومعهم ايضا سبعمائة بعير . . يحمل لواءهم - السائب ابن يزيد - الذي اسلم فيما بعد وحسن اسلامه - ورضى الله عنه . . وهو الاب الخامس للامام الشافعى .

اما الذين كان عليهم نفقة اطعام هذا الجيش فكانوا اثني عشر رجلا وهم : ابو جهل . . ومثبة وشيبة ابنا ربيعة . . والعباس بن عبد المطلب . . وابى بن خلف . . وحكيم بن حزام . . وابو البختري . . وزمعة بن الاسود . . والنضر بن الحارث . . ونبيه ومنبه ابن الحجاج . . وهم الذين انزل الله فيهم قوله ا

ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليمصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغفلون (ا) .

وعلم النبي - عليه الصلاة والسلام - بخروج قريش بنفيها للحرب . . فاستشار أصحابه في هذا الامر . . وقال لهم : « ان الله وعدنى بالنصر على احدى الطائفتين : اما العير واما النفير » . . والعير غير قريش وتجارتهن مع ابي سفيان . . اما النفير فهو نفي الحرب مع ابي جهل - - وكانت العير احب اليهم . . ليستعينوا بها فيها من اموال . . على شراء الخيل والسلاح والعتاد . . وقد فهم رسول الله هذا منهم . . لما قال بعضهم : اننا لم نتأهب للحرب يا رسول الله . . وانما خرجنا للعير . . وفي بعض الروايات قالوا يا رسول الله عليك بالعير . . ودع العدو . . فتغير وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسكت . فتكلم ابو بكر فاحسن . . ثم تكلم عمرو فاحسن . . وتكلم المقداد بن عمرو فاحسن . . والرسول - صلى الله عليه وسلم - يكرن الاستشارة في كل مرة . . ففهم الانصار انهم يعطيهم تقام سعد بن معاذ . . وهو من الانصار . . بمنزلة ابي بكر من المهاجرين عند رسول الله

فقال : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : اجل . . وكان يقصدهم فعلا . . لان بيعتهم له على ان يمنعه في ديارهم . . فقال سعد :

لقد آمنا بك وصدقناك . . وشهدنا ان ما جئت به هو الحق . . واعطيناك على ذلك عهدنا وموثيقنا على السمع والطاعة . . فامض يا رسول الله لما أردت . . فنحن معك . . فوالذي بعثك بالحق . . لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك . . ما تخلف منا رجل واحد . . وما نكره ان تلقى بنا عدوك غدا . . انا لصبر عند الحرب . . صدق عند اللقاء . . لعل الله يريك فينا ما تقرر به عينك . . فسر بنا على بركة الله .

وقال المقداد :

لا تقول لك كما قال قوم موسى لموسى ! اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون « ولكننا نقاتل عن يمينك . . وعن شمالك . . ومن بين يديك . . ومن خلفك . . فأشرق وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسره ما سمع من أصحابه . . وقال : « سيروا على بركة الله وابشروا . . فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين . . وانى قد رايت مصارع القوم » .

وسار - صلى الله عليه وسلم - في موضع المعركة . . وجعل يشير بيده . . ههنا مصرع فلان . . وههنا مصرع فلان . . وهذا مصرع فلان ان شاء الله . . فما تعدى احد منهم موضع اشارته .

ثم دخل عريشه ذاك . . ومعه ابو بكر الصديق . . بينما قام سعد بن معاذ . . متوشحا بالسيف .

وعن علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - قال : اخبرونى من اشجع الناس ؟ . . قالوا : انت . . قال : اشجع الناس ابو بكر - رضي الله عنه - لما كان يوم بدر . . جعلنا لرسول الله عريشا . . فقلنا من يكون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لئلا يهوى اليه احد من المشركين ؟ . . فكان ابو بكر مع رسول الله . . فوالله ما دنا منه احد . . الا وابو بكر شاهر سيفه على رأس رسول الله . . لا يهوى اليه احد . . الا اهوى عليه ابو بكر .

فأفسد على الناس رأى عتبة .. وأصر على قتال المسلمين .

وتراعى الجمعان : حزب الله القليل عددا وعده .. يقوده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحزب الشيطان الكبير عددا وعدة .. يقوده فرعون هذه الأمة - أبو جهل .

. ففي يوم السابع عشر من رمضان .. نظروا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى قرينش في هذا العدد وذلك الاعداد .. فقال .
« اللهم هذه قرينش قد اقبلت بخيلائها وفخرها .. تحادك وتكذب رسولك .. اللهم فنصرك الذي وعدتني » .

وفي تلك الحفلة خرج عتبة بن ربيعة ..
واخوه شيبة .. وأبنيه الوليد بن عتبة .. يطلبون المبارزة .. فخرج لهم ثلاث فتية من الانصار .. هم : عبد الله بن رواحة .. وعوف ومعاذ ابنا الحارث .. فقال لهم عتبة : من انتم ؟
... فقالوا : من الانصار .. قال : اكفأ كرام .. وانما نريد بنى اعمامنا .. فبرز اليهم : على .. وعبيدة بن الحارث .. وحمزة .. بأمر الرسول .. فقتل على قرنه - الوليد بن عتبة - وقتل حمزة قرنه - شيبة - واختلف عبيدة وعتبة ضربتان .. فأخذ كل منهما صاحبه .. فمال حمزة وعلى على عتبة فقتلاه .. واحتل عبيدة الذي ظل بجرحه حتى استشهد .. وهم في طريق العودة الى المدينة .

وكان - على رضى الله عنه - يقسم ان الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) (٣) .. الى آخر الآيات .. نزلت في حق هؤلاء المتبارزين (٤) .

ولما قتل المتبارزون .. خرج - عليه الصلاة والسلام - من العريش .. لتعديل الصفوف .. فعدلهم بقدر في يده - والقدر سهم لا نصلا فيه ولا ريش - فمر بسواد بن غزوة .. حليف بنى النجار .. وهو خارج عن الصف .. وقال : « استويا سواد » .. فقال يا رسول الله أوجعتني .. وقد بعثك الله بالحق والعدل .. فاقذني من نفسك (٥) . فكشف - عليه الصلاة والسلام -

ووقف على باب العريش - سعد بن معاذ -
ومعه جماعة من الانصار .. وكان العريش يشبه الخيمة .. يستظل به .. وكان من الجريد .

قال السهمورى : ومكان العريش عند مسجد بدر .. وهو معروف عند النخيل .. والعين قريبة منه .

ولما اطمانت قرينش في مكانها من بدر ..
ارسلوا عمير بن وهب الجمحي للاستطلاع .. وفد اسلم عمير بعد ذلك .. وشهد احدا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجال بغرسه حول معسكر المسلمين .. فعرف عددهم بالتقريب .. وعاد الى قومه .. فقال لهم :

لقد رايت يا معشر قرينش البلايا نحمل المنايا .. رجال يثرب تحمل الموت الناقع .. الا ترونهم خرسا لا يتكلمون .. يتلمظون تلمظ الافاعي .. لا يريدون ان يقبلوا الى اهليهم .. زرق العيون كأنهم الحصى تمت الحجف (١) .. قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم .. والله ما نرى ان نقتل رجلا منهم .. حتى يقتل رجل منكم .. فاذا اصابوا منكم عددهم .. فما خير العيش بعد ذلك ؟ .. فزوا رايتكم .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك .. مشى في الناس .. حتى اتى عتبة بن ربيعة .. فقال : يا ابا الوليد انك كبير قرينش .. والمطاع فيهم .. هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر .. فقال : وماذا يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس .. فقام عتبة خطيبا .. فقال :

يا معشر قرينش .. والله ما تصنعون شيئا ان تلقوا محمدا واصحابه .. والله لئن اصبتموه لايزال الرجل ينظر في وجه الرجل .. يكره النظر اليه .. قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته .. فأرجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب .. فان اصابه غيركم فذاك اذا اردتم .. وان كان غير ذلك الفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون .. يا قوم اعصموا اليوم براسي (٢) .. وقولوا : جبن عتبة .. وانتم تعلمون اني لست بأجبنكم .

فوقف أبو جهل وقال : والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .

(١) يقصد الانصار .. والحجف - بفتح الحاء والجيم - نروس الحرب .

(٢) ١٩ - الحج .

(٣) أى اريد القصص منك .

(٤) أى اجملوا عارها متعلقا بى .

(٥) زاد الماد ص ٨٨ ج ٢ .

وروى النسائي والحاكم .. عن علي بن أبي طالب .. قال :

« فالت يوم بدر نسيئا من قتال .. ثم جئت لاستكشاف حال النبي - صلى الله عليه وسلم - فاذا رسول الله يقول في سجوده « يا حي يا قيوم » لا يزيد على ذلك .. فرجعت فقاتلت .. ثم جئته فوجدته كذلك .. ففعل ذلك أربع مرات .. وقال في الرابعة « ففتح الله عليه » . وهذا دليل على عظيم هذا الاسم وقوته .

وقد أغفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اغفاء خفيفة .. ثم رفع رأسه وقال : « أبشر يا أبا بكر .. هذا جبريل على ثيابه النقع - أي الفبار - جاء النصر » .

وانزل الله جنده .. وأيد رسوله والمؤمنين .
وخرج رسول الله من عريشه .. يحرض المؤمنين ويقول : « سيهزم الجمع ويولون الدبر » .. وأخذ حفنة من الحصباء .. فاستقبل بها قريشا .. وقال « شأهت الوجوه » وفلسفهم بها .. وقال لأصحابه : « شدوا عليهم » .. فلم يبق من المشركين أحد إلا دخل التراب في عينه وأنفه وفمه .. وشغلوا بالتراب في أعينهم .. وشغل المسلمون بقتلهم وأسروهم .. فانزل الله - تعالى - في شأن هذه الرمية قوله تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (١) .

وقد فهم بعض الناس خطأ .. أن هذه الآية تدل على نفى الفعل عن العبد .. وإثباته لله كليسة .. ولكن معنى الآية .. أن الله - سبحانه - أثبت لرسوله ابتداء الرمي .. بقوله « وما رميت إذ رميت » ونفى عنه إيصال الجصى المقذوف .. لأن الرمي قذف وإيصال .. فأثبت لنبيه الرمي .. ونفى عنه الإيصال .

أوحى الله تعالى إلى ملائكته : (أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب .. فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) (٢) .

يقول المفسرون : كانت الملائكة لا تعرف كيف يقتل الآدميون .. فعلمهم الله - تعالى - بقوله « فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » . ولهذا كانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلهم .. بآثار سود في الأعناق والبنان (٣) . وأوحى

عن بطنه .. وقال : « استنقد » .. فاعتنق سواد النبي - صلى الله عليه وسلم - وقبل بطنه .. فقال : « ما حملك على هذا يا سواد » .. فقال : يا رسول الله .. حضر ما ترى - فأردت أن يكون آخر العهد بك .. أن يمس جلدي جلدك .. فدعا رسول الله له بخير .

وان كان صاحب كتاب - اسد الغابة - يقول : رويت هذا القصة لسواد بن عمرو .. وليس لسواد بن غزيرة .

ولما عدل الصفوف .. قال لهم :

« ان دنا القوم منكم فانصمهم .. واستبقوا نبلكم .. ولا تسالوا السيوف حتى يغشوكم » .

وخطبهم خطبة .. حثهم فيها على الجهاد والمصابرة .. وأخبرهم أن الله قد أوجب الجنة لمن استشهد في سبيله .. فقام عمير بن الحمام فقال : يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض ؟ .. قال : نعم .. قال : بخ بخ يا رسول الله .. ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ .. قال : لا والله يا رسول الله .. إلا رجاء أن أكون من أهلها .. قال : فانك من أهلها .. فرمى تمرات من يده .. ثم قال : لئن حييت حتى أكلها .. أنها لحياة طويلة .. ثم قاتل حتى قتل فكان أول قتيل .

وتزاحم الفريقان .. ثم حمى الوطيس .. واستدارت رحى الحرب .. واشتد القتال .

ووقف سعد بن معاذ .. ومعه جماعة من الانصار .. شاهري السيوف .. أمام عريش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومعه في العريش أبو بكر .. فوقف رسول الله يدعو ويتهل إلى الله . - عز وجل -

فعن ابن عباس .. أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال وهو في العريش يوم بدر :

« اللهم اني انشدك عهدك ووعدك .. اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم .. فلا تعبد في الأرض » وفي رواية « ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم .. فلا تعبد في الأرض » وظل رسول الله يبتهل إلى الله .. حتى سقط رداؤه من منكبِهِ .. فرده عليه الصديق .. وهو يقول : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك .. فإنه منجز لك وعده » .

الله الى رسوله : (انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين (١) .

والروايات كثيرة .. عن مظاهر اشتراك الملائكة .. فى قتل المشركين يوم بدر .

فقد كانت الملائكة تسبق المسلمين فى قتل أعدائهم .. قال ابن عباس :

بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى اثر رجل من المشركين امامه .. اذ سمع ضربة بالسوط فوقه .. وصوت الفارس فوقه يقول « أقدم حيزوم » .. اذ رأى المشرك امامه مستلقيا .. فنظر اليه .. فاذا هو قد خطم انفه .. وشق وجهه كضربة السوط .. فجاء الانصارى .. فحدث بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « صدقت ذلك مدد السماء الثالثة » (٢) .

وقال ابو داود المازنى : انى لاتبع رجلا من المشركين لاضر به .. اذ وقع راسه .. قبل ان يصل اليه سيفى .. فعرفت انه قد قتله غيرى .

وجاء رجل من الانصار .. بالعباس بن عبد المطلب أسيرا - عم النبى - فقال العباس : ان هذا والله ما أسرنى .. لقد أسرنى رجل أجلىح .. من أحسن الناس وجها .. على فرس أبلق .. وما أراه فى القوم .. فقال الانصارى : انا الذى أسرته يا رسول الله .

فقال - عليه الصلاة والسلام - « اسكت فقد أيدك الله بملك كريم » .

وعن سهيل بن حنيف .. عن ابيه قال : لقد رايتنا يوم بدر .. وان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك .. فتقع رأسه عن جسده .. قبل ان يصل السيف اليه (٣) .

وقد اثار ابن قيم الجوزية .. فى كتابه - زاد المعاد - نقاشا حول عدد الملائكة الذين اشتركوا مع المؤمنين فى - غزوة بدر - فيقول : **كيف تجمع بين قول الله - تعالى -** عن عددهم فى آية الانفال .. وعددهم فيها الف من الملائكة .

وبين آية آل عمران .. فى قوله تعالى : (اذ تقول المؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) بلى ان تصبروا وتتقوى ويأتوكم من فوركم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (٤) .

وجاء فى بعض الآراء ان تلك الآية الأخيرة .. كانت عن يوم أحد .. وقالوا : ان هذا الامداد معلق بالصبر والتقوى فلما لم يصبروا ولم يتقوا .. فات الامداد (٥) .

وهذا رأى الضحاك ومقاتل .. ونحن لا نؤيد هذا رأى .. وانما نؤيد رأى ابن عباس .. وهو الأصح .. واختاره الكثير من المفسرين : وهو انها عن يوم بدر .. لأن السياق يدل على ذلك .. فقبل هذه الآية مباشرة .. قول الله - تبارك وتعالى :

ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة .. فاتقوا الله لعلكم تشكرون (٦) .

وبعدها مباشرة (اذ تقول للمؤمنين ان يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) الى ان قال (وما جعله الله) أى هذا الامداد (الا بشرى لكم ولتعطئن قلوبكم به) .. فلما صبروا واتقوا .. بعد امدادهم بالف .. امدهم بتمام ثلاثة آلاف .. ثم بتمام خمسة آلاف .

وبهذا تتضح لنا آية الانفال .. فى قوله تعالى (بالف من الملائكة مردفين) .. لان الدال فى كلمة (مردفين) تقرأ بالكسر والفتح .. ويكون معنى (مردفين) بفتح الدال .. أى متبوعين بغيرهم .. يردف بعضهم بعضا أرسالا .. لم يأتوا دفعة واحدة .. وهذا التدرج .. ومتابعة الامداد .. اشدن تشييتا .. واغوى لنفوسهم .

قتل من المشركين فى هذا اليوم سبعون .. وأسر أربعة وسبعون .. أو سبعون .. واستشهد من المسلمين أربعة عشر : ستة من المهاجرين .. وثمانية من الانصار : منهم ستة من الخزرج .. واثنان من الأوس . بدأت المعركة فى الصباح .. وكانت الهزيمة لقريش عند الظهر .

وعلىنا ان نقف امام تلك المعركة .. وقفة الخشوع والخضوع .. وقفة التأمل والتدبر .. لنرى فيها القوة والعظمة والفداء .. فى أعلى الدرجات . كما نرى الكبر والزهو والغرور فى أحط الذركات .

نرى أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - يدعو ابنه عبد الرحمن الى المبارزة .. وكان أكبر أولاده .. فقال له النبى - صلى الله عليه وسلم -

(٢) زاد المعاد ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) ١٢٤ - ١٢٥ - آل عمران .

(٤) ١٢٣ - آل عمران .

(١) ٩ - الانفال .

(٣) النيهانى ص ٦٦ .

(٥) زاد المعاد ص ٩٧ ج ٢ .

« متعباً بنفسي .. لك .. اما علمت انك مني بمنزلة سمعي وبصري » ؟

وفد اسام - عبد الرحمن بن ابي بكر - في هدنة الحديبية .. وكان اسمه قبل الاسلام « عبد النخبة » فسماه رسول الله « عبد الرحمن ».

وكان في بدر .. من اشجع قريش .. واصوبهم رميا .

ونرى في بدر ايضا - ابا عبيدة بن الجراح - يقتل اياه وكان مشركا (١) .

واسر عبد الرحمن بن عوف .. امية بن خلف .. وابنه عليا . فابصره بلال .. وكان امية يعلب بلالا بنخة .. فقال : هذا رأس الكفر - امية بن خلف - لا نجوت ان نجا .. ثم استعان بلال بجماعة من الانصار .. يريد قتل امية .. واراد عبد الرحمن بن عوف ان يكتفى بأسره .. لانه كان صديقه في الجاهلية .. ولما ازداد ضغط بلال عليه ليقتله .. اجلسه عبد الرحمن ابن عوف .. والقى جسده عليه .. فضربه بالسيوف .. وهو تحت عبد الرحمن .. حتى قتله .. واصاب بعض السيوف رجل عبد الرحمن بن عوف (٢) .

وروى ان امية بن خلف .. سال عبد الرحمن ابن عوف .. وهو اسير معه .. فقال : يا عبد الرحمن من الرجل المعلم في صدره بريشة نعام ؟ فقال : ذلك حمزة بن عبد المطلب .. فقال : ذلك الذي فعل بنا الافاعيل ؟ مما يدل على ما قام به حمزة - رضى الله عنه - في هذا اليوم .. من البلاء الحسن .

لقد كان عجيبا .. ان يصر ابو جهل وقريش معه على الحرب .. بعد ان نجت غيرهم واموالهم .. وبعد ان اشار عليهم رئيسهم بان يعودوا .

كان المنطق يقتضيه ان يستجيبوا الى دعوة ابي سفيان .. ويعودوا الى مكة .. بعد ان نجت اموالهم من ايدي المسلمين .

وقد ظل النبي - عليه الصلاة والسلام - حزينا على حقن الدماء .. وقد رأيناه - عليه الصلاة والسلام - يوصي المسلمين .. بعدم القتال حتى يأذن لهم .. واصابهم الا يقتاتوا اناسا سماهم لهم .. لانهم اخرجوا مع قريش كرها .. ان رسول الله لم يحاربهم الا حماية

للاسلام . ولكنه الكبر والزهو .. والغرور والشيطان .

وكان للشيطان دور كبير في تلك المعركة .. اشار اليه قوله تعالى :

(واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بئىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله (٣) .

ولهذا الموضوع .. موضوع الشيطان الذي تشير اليه تلك الآية .. قصة لطيفة في معركة بدر الكبرى :

فلما عزمتم قريش على الخروج لحرب المسلمين .. ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب .. فتبدى لهم ابليس في صورة سراق ابن مالك المدلجي .. وكان من اشراف كنانة .. فقال لهم : « لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم » من ان تأيكم كنانة بشيء تكرهونه .. فخرجوا والشيطان جارلهم لا يفارقهم .. فلما بدا القتال .. ورأى عدو الله جند السماء .. فر ونكص على عقبيه .. فقالوا : الى اين يا سواقة ؟ .. ألم تكن قلت انك جار لنا لا تفارقنا ؟ فقال « انى بئىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب » .

وقد صدق في قوله « واني ارى ما لا ترون » .. وكذب في قوله « انى اخاف الله » .. كان خوفه على نفسه .. ان يهلك معهم .

وقد روى الطبراني - في معجمه الكبير - تلك القصة .. فقال :

لما رأى ابليس ما يفعل الملائكة بالمشركون في بدر .. اشفق ان يصل القتل اليه فتشبث به - الحرث بن هشام - وهو يظنه سراقا بن مالك .. فوكر في صدر الحرث فالتقاه .. ثم خرج هاربا .. حتىلقى نفسه في البحر .. ورفع يده وقال : « اللهم انى اسالك نظرتك اياي » وخاف ان يصل اليه القتل .. فاقبل ابو جهل ابن هشام .. فقال : يا معشر قريش .. لا يهزمكم خذلان سراقا اياكم .. فانه كان على ميعاد مع محمد .. ولا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد .. فانهم قد عجلوا .. فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرنهم بالهبال .. ولا الفين رجلا

(١) محمد رضا ص ١٦٩ .

(٢) ٤٨ - الانفال .

(٣) ابن قيم الجوزية ص ١٠٠ ج ٢ .

منكم قتل منهم رجلا .. ولكن خذوهم اخذا ..
حتى نعرفهم بسوء صنيعهم .

واستفتح ابو جهل في ذلك اليوم .. فقال :
اللهم اينما اقطع للرحم .. واتى بما لا يعرف ..
فاحنه الغداة .. اللهم اينما كان احب اليك ..
وارضى عندك فانصره اليوم .

فانزل الله - عز وجل -

(ان استمشقوا فعد جاءكم الفتح .. وان
نسهبوا فهو خير لكم وان يعودوا نعد .. ولن
تغنى عنكم فتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع
الموسين) (١) .

وقد روى الطبراني هذه الرواية عن رفاعه
ابن رافع .. ورفاعة هذا من الدين ابلوا بلاء
حسننا في يوم بدر .. رمى بسهم يوم بدر ففقت
عينه .. فوضع يده عليها .. وذهب الى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : يا رسول الله
.. لى زوجة جميلة .. واخشى ان تعيرى بعيني
.. فقال له - عليه الصلاة والسلام - « اصبر
يارفاعه ولك الجنة » .. فقال : يا رسول الله ..
اريد عيني واريد الجنة .. قال : فضحك
الرسول حتى بدت نواجذه .. ثم تغل فيها
فبرئت .

ولما بردت الحرب .. وولى القوم مهزومين
قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« من ينظر لنا ما صنع ابو جهل » ؟ ..
فانطلق ابن مسعود .. فوجده قد ضربه ابن
عفراء .. وقطع ابن الجموح رجله .. وهو في
النزع .. فاخذ بلحيته .. وقال : انتما ابو جهل؟
.. فقال : لمن الدائرة اليوم ؟ .. قال : لله
ولرسوله .. هل اخذك الله ياعدو الله ؟ .. ثم
حز راسه .. وحملها الى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فقال : « الله اكبر .. الحمد لله
الذى صدق وعده .. ونصر عبده .. واعن جنده
.. وهزم الأحزاب وحده » .

ثم سار مع ابن مسعود .. حتى اوقفه على
جسد ابي جهل .. فقال :

« الحمد لله الذى اخذك ياعدو الله .. هذا
كان فرعون هذه الامة .. وراس قاعدة الكفر » .
قال ابن مسعود :

ونفلى رسول الله سيف ابي جهل ..
وكان عريضا قصيرا .. فيه قبائع فضة ..
وحلق فضة .

وامن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالقتلى من المشركين .. أن يطرحوا في القليب ..
فطرحوا فيه .. الا امية بن خلف .. فانه انتفخ
في درعه فماله .. فذهبوا ليحركوه فتقطعت
اوصاله .. فالتقوا عليه التراب والحجارة .

ولعل القاءهم في القليب .. اكتفاء لشرب رمهم
.. ولعذب امكان دفنهم .

ثم وقف - عليه الصلاة والسلام - عليهم
وقال :

« بئس العشيرة انتم .. كذبتموني وصدقني
الناس .. وخذلتموني ونصرتني الناس ..
واخرجتموني وآوانى الناس » ثم قال : « يا عتيبة
ابن ربيعة .. ويا شبيب بن ربيعة .. يا امية
بن خلف .. يا ايا جهل بن هشام .. يافلان ..
ويافلان .. هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ ..
فانى وجدت ما وعدنى ربي حقا » .

فقال له عمر - رضى الله عنه - : يا رسول
الله .. ما تخاطب من اقوام قد جيفوا لا ..
فقال : « والذى نفسى بيده .. ما أنتم باسمع لى
منهم .. ولكنهم لا يستطيعون الجواب » ..
اما ابو لهب .. وقد تخلف في مكة - كما
ذكرنا - ولم يحضر بدرا .. وبعث مكانه -
العاص بن هشام - الذى قتله عمر بن الخطاب ..
في بدر .. فلما علم ابو لهب بهزيمة قريش ..
فقد رشده .. ولم يعيش بعدها الا سبع ليال ..
ومات مصابا بالجدرى .. وبقي بعد موته ثلاثة
ايام لا يقرب منه احد .. خوفا من العدوى ..
حتى انتن .

ولما هز رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
من بدر .. في اول يوم من شوال .. بعث فريد
ابن حارثة بشيرا .. فوصل المدينة ضحى ..
وقد نفضوا ايديهم من تراب - رقية - بنت
النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان عثمان قد
تخلف عن بدر لتمريرها .

واستكمالا لغزوة بدر الكبرى .. وقد اتفقنا
على ان نوفيها حقتها من البحث .. لاهميتها في
التاريخ الاسلامى .. لا يفوتنا ان نعلم شيئا ..
ولو خفيفا .. عن موضوع فداء الاسرى .. وقد
انزل الله - تعالى - في هذا الموضوع قرآنا يتلى
الى يوم الدين .. وكاد المسلمون ان ينزلوا عليهم
بسببه عذاب عظيم .

فقد كان من الاسرى العباس - عم النبي -
وصنو ابيه .. شئد وثاقه مع الاسرى .. فسهر
النبي تلك الليلة ولم يتم .. فقال له بعض

اصحابه : ما يسهرك يا رسول الله ؟ .. فقال :
اسهرنى انين العباس .. فقام رجل من القوم ..
فأرخى وثاقه .. فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - مالى لا اسمع انين العباس ؟ .. فقال
الرجل : انا لم يخيت وثاقه .. فقال : « فافعل
ذلك بالأسرى كلهم » .

ثم قال - عليه الصلاة والسلام - لعمه
العباس : « افد نفسك يا عباس وابنى اخويك
عقيل بن ابي طالب .. ونوفل بن الحارث بن ابي
طالب .. وحليفك عتبة بن عمرو .. فقال
العباس : تركننى فقير قريش ما بقيت .. فقال
له - صلى الله عليه وسلم - « فاین المال الذى
دفعته لام الفضل - يعنى زوجته - وقلت لها :
ان اصبت فهذا لبنى : الفضل وعبد الله وقثم ؟ »
فقال : والله اشهد أنك رسول الله .. ان هذا
شئ ما علمه أحد الا انا وام الفضل .. أشهد
ان لا اله الا الله .. وانك عبده ورسوله .

وقد قيل ان العباس كان قد أسلم .. وكان
يكتنم اسلامه لديون له كانت متفرقة في قريش ..
وكان يخشى ان أظهر اسلامه .. ضاعت عندهم .

كما جاء في بعض الروايات : ان العباس
قال : علام يؤخذ منا الفداء .. وكنا مسلمين ..
فقال النبي « الله أعلم بما تقول » .. ان يك حقا
فان الله يجزيك .. ولكن ظاهر الامر انك كنت
علينا » .

فانزل الله - جلّ وعلا - في العباس - رضى
الله عنه - :

« يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ
منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم » (١) .

وقد صدق الله وعده له .. فاعطاه الله مالا
عظيما .. حتى كان عنده مائة مبد .. في يد كل
مبد مال يتجر فيه .

وكان من بين الأسرى - النضر بن الحارث
العبدري - كان يقول في القرآن الكريم : انه من
اساطير الاولين - ويقول : لو نشاء لقلنا مثل
هذا .. فأمر النبي على بن ابي طالب .. فضرب
عنقه .. ولما بلغ خبر قتله ابنته قتيلة بنت النضر
.. قالت :

ياراكبنا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسه وانت موقوف
ابلع بها ميتا بأن نجيبه
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليك .. وعبرة مسفوحة
جادت بواكفها واخرى تخفق
ظلت سيوف بنى ابيه تنوشه
لله ارحام هناك تشقق
قسرا يقاد الى المنية متعبا
وسف المقيد وهو عان موق
امحمد .. او لست صنو نجيبه
من قومها .. والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت .. وربما
من الفتى .. وهو المغيظ المحنق
فالنضر اقرب من اسرت قرابة
واحقهم ان كان عشق يعشق

وحين سمع رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - هذه الأبيات .. بكى .. وقال :
« لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله .. لمننت
عليه » .

وكان من الأسرى ايضا - عقبة بن ابي معيط -
كان - كما قلنا - من أشد الناس عداوة للنبي ..
من المستهزئين به .. وهو الذى كان يضع سلا
الجزور على ظهر النبي وهو ساجد بمكة
وفد قرأت روايات كثيرة .. انه وطأ رأس النبي
- عليه الصلاة والسلام - بقدمه .. وهو ساجد
فأمر رسول الله بقتله .

فالنضر بن الحارث .. وعقبة بن ابي معيط
.. هما الأسيران اللذان أمر النبي - صلى الله
عليه وسلم - بقتلهما .. اما باقى الأسرى ..
فقد استشار - عليه الصلاة والسلام - اصحابه
.. في شأنهم .

فقال ابو بكر : يا رسول الله .. اهلك وقومك
.. وفي رواية : هؤلاء بنو العم والعشيرة .. قد
اعطاك الله الظفر بهم .. ونصرك عليهم .. ارى
ان تستبقهم .. وتأخذ الفداء منهم .. فيكون
ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار .. وعسى الله
ان يهديهم بك .. فيكونوا لك عضدا .

وقد وافق الصحابة ابا بكر على اخذ الفداء .
وكان لعمر رأى آخر .. فقال :
يا رسول الله .. كذبوك واخرجوك وقاتلوك
.. ما ارى رأى ابي بكر .. ولكنى ارى ان
تمكننى من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه

.. وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه ..
 .. وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه ..
 حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين ..
 ما أرى أن تكون لك أسرى .. فاضرب أعناقهم ..
 هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم ..
 فأعرض عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

أما علي .. فإنه لما رأى تغير وجه الرسول ..
 حين اختلف الشهبان .. لم يجب ..
 وكان رأى عبد الرحمن بن رواحة .. احراقهم
 في واد كثير الخطب .

ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 اخذ برأى أبى بكر .. وقال : لا يفلتن أحد منهم
 الا بفداء .. أو ضرب عنق .. فنزل قول الله
 تعالى .. يؤيد رأى عمر :

« ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن
 في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
 والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق
 لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * فكأول ما غنمتم
 حللا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (١) .
فبكى النبي وأبو بكر .. وقال رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - :

« ان كاد لبمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب
 عظيم .. ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن
 الخطاب » ولم يقل وابن رواحة .. لانه أشار
 باضرام النار للأسرى .. وليس هذا من الدين .
 وهذه الآية من المقامات التي جاء القرآن فيها
 موافقا لقول عمر - رضى الله عنه - .

وكان من الأسرى أبو العاص بن الربيع ..
 زوج زينب بنت رسول الله - عليه الصلاة
 والسلام - وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد .

وقد همت زينب - رضى الله عنها - المدينة ..
 بعد شهر من بدر .. وأسلم زوجها .

وبلغ ما دفعته قريش .. فداء للأسرى أكثر
 من عشرين ألف درهم .

وكان أهل مكة يكتبون .. وأهل المدينة
 لا يكتبون .. فمن لم يكن له فداء .. دفع اليه
 عشرة غلمان من غلمان المدينة .. فعلمهم ..
 وكانوا فداءه .

وكان في الأسرى أيضا وهب بن عمير .. وكان
أبوه شيطاناً .. يؤذى رسول الله وأصحابه
بمكة .

جلس يوما بعد بدر .. مع صفوان بن أمية
.. في الحجر .. وتذاكروا قتلى بدر ومصائبهم :
 فقال صفوان : ما في العيش خير بعدهم .. فقال
 عمير : صدقت .. ولولا دين على ليس عندي
 قضاؤه .. وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى ..
 كنت آتى محمدا حتى أقتله .. فان لى فيهم علة
 .. أبنى أسير في أيديهم .

فاغتنمها صفوان .. **وقال له :** على دينك
 أنا اقضيه عنك .. وعيالك مع عيالى أو أسيسهم
 ما بقوا .. قال عمير : فاكتم شأنى وشأنك ..
 قال : لأفعل .

ثم ان عميرا أخذ مليفه وشحذه وسمه ..
 ثم انطلق حتى قدم المدينة ..

فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المساهين ..
 اذ نظر الى عمير .. حين اتاخ راحلته على باب
 المسجد .. متوشحا السيف .. فقال : هذا الكلب
 عدو الله عمير .. ما جاء الا بشر .. فدخل عمر
 على رسول الله .. فقال : يابى الله .. هذا
 عدو الله عمير بن وهب .. قد جاء متوشحا
 السيف .. قال رسول الله .. فأدخله على ..
 فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ..
 فأمسكه بها .. وقال لرجال من الانصار كانوا
 معه .. ادخلوا فاجلسوا عند رسول الله .. فان
 هذا الخبيث غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فلما رآه وعمر آخذ بحمالة سيفه
 في عنقه .. قال : **أرسله ياعمير ..** ادن ياعمير ..
 فدنا .. ثم قال عمير .. أنعموا صابحا .. وكان
 تحية أهل الجاهلية .. فقال رسول الله : قد
 أكرمتنا الله بتحية خير من تحيتك ياعمير ..
 بالسلام تحية أهل الجنة .. **ما جاء بك ياعمير ؟**
 .. قال : جئت لوهب ابنى .. الأسير عندهم ..
 فأحسنوا فيه .. قال : فما بال السيف ؟ قال :
 قبحها الله من سيوف .. وهل أغنت عنا شيئا ؟

قال رسول الله : أصدقنى ما الذى جئت له ؟
 .. قال : ما جئت الا لذلك .. فقال : بل قعدت
 أنت وصفوان بن أمية في الحجر .. فذكرتما
 أصحاب القليب من قريش .. ثم قلت : لولا دين
 على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا ..
 فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك .. على أن
 تقتلنى .. والله حائل بينك وبين ذلك .. قال
 عمير : أشهد أنك رسول الله .. قد كنا نكذبك

بما تأتى به من خبر السوء .. وما ينزل عليك من الوحي .. وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان .. فوالله انى لأعلم ما آتاك به الا الله .. فالحمد لله الذى هدانى للاسلام .. وساقنى هذا المساق .. ثم شهد شهادة صدق .. فقال - عليه الصلاة والسلام - « فقهوا أخاكم فى دينه .. واقرئوه القرآن .. وأطلقوا أسيره وهب بن عمير » .

ثم مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على نفر من الأسرى بغير فداء .. منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشساعر .. وكان يؤذى النبى والمسلمين بشعره .. فقال : يا رسول الله انى فقير .. وذو عيال .. فامنن على .. فأطلقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن أخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل مكة قال : سحرت محمدا .. وعاد الى ما كان عليه من ايداء النبى بشعره .. ولكنه أسر يوم أحد .. وهو يحرض المشركين بشعره .. فامن النبى بضرب عنقه .. فقال : انى تائب .. فقال -

عليه الصلاة والسلام - « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » ف ضرب عنقه .. وحمل رأسه الى المدينة .. وفيه نزل قوله تعالى :

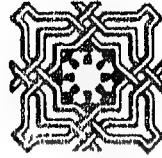
« وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم » (١) .

لقد كرم الله أهل بدر .. فعن أبى هريرة قال .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « اطلع الله على أهل بدر .. فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » أو قال « فقد وجبت لكم الجنة » .

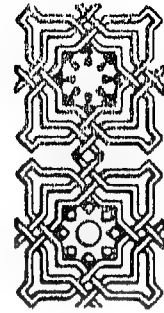
وعن الامام أحمد .. عن حفصة - رضى الله عنها - قالت :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول :

« انى لأرجو ان لا يدخل النار - ان شاء الله تعالى - أحد شهد بدرًا أو الحديبية » .. وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكرم أهل بدر .. ويقدمهم على غيرهم .



عام أفراح وزواج وغنائم



لفاطمة الزهراء منزلة كبيرة عند الله وعند رسوله
.. فهي سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران ..
وقد لقيت فاطمة باليتول .. لانقطاعها عن الدنيا ..
كانت كنيستها - بنت أبيها - وكانت احب الناس الى
رسول الله على الاطلاق .. وهي اصغر بناته ..
وامها خديجة - رضى الله عنها +

عام أفراح وزواج وغنائم

الى على بن أبى طالب .. وكان قد زوجها منه
من سبعة اشهر ونصف .. بعد ان ابتنى بعائشة
.. بأربعة اشهر ونصف .

مع فاطمة :

وللزهراء منزلة كبيرة عند الله وعند رسوله
.. فهي سيدة نساء العالمين .. بعد مريم ابنة
عمران .. وقد لقبت فاطمة - بالبتول -
لانقطاعها عن الدنيا .. كما لقبت بهذا اللقب
قبلها - مريم البتول - لنفس السبب .

كانت كنيثها - بنت أبيها - وكانت أحب
الناس الى رسول الله .. على الاطلاق .. وهي
أصغر بناته .. وأمها خديجة - رضى الله عنهما -
ابتنى بها على بن أبى طالب .. وهى فى تمام
السادسة عشر من عمرها .. خطبها أبو بكر ..
فأبى رسول الله .. ثم خطبها عمر .. فأبى ..
فقال عمر : : انت لها يا على .

ولندع عليا - رضى الله عنه وكرم وجهه -
يحكى لنا قصة زواجه منها .. قال :

دخل النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة
بعد بدر مؤيدا مظفرا منصورا فهابه أعداؤه
فى المدينة وما حولها .. واسلم كثير من أهل
المدينة .. ودخل عبد الله بن أبى - زعيم المنافقين
- وأصحابه فى الاسلام ظاهرا .. لم يخلص ابن
أبى فى اسلامه .. بل ظل منافقا الى ان مات .

وقد خرج أهل المدينة للفائه - عليه الصلاة
والسلام - فرحين بما فتح الله عليه .. فتلاقوا
معه بالروحاء .. وقسم رسول الله الغنائم على
أبطال بدر .. وكانت مائة وخمسين من الابل ..
وعشرة أفراس .. ومتاعا وسلاحا وانطاما وثيابا
وأدما كثيرا .. كان المشركون قد حملوه للتجارة
فى سوق بدر .. ونادى منادى رسول الله .. من
قتل مشركا فله سلبه .. ومن اسر اسيرا فهو له .

وعند الثمانية الذين تخلفوا عن بدر بأذنه ..
فى توزيع الغنائم .. وأعطاهم أسهمهم فيها ..
وتنفل رسول الله - زيادة على سهمه - سيفه -
ذا الفقار - وجمال لبى جهل .

ثم أمر بتجهيز ابنته فاطمة .. ليتم زفافها

قال له : ادخل باهلك باسم الله والبركة ..
وقال :

« اللهم بارك فيهما .. وبارك عليهما ..
وبارك لهما في نسلهما » .

وقد انقطع نسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا منها .. فان الذكور من اولاده ماتوا صغارا .

وسجد على شسكرا لله تعالى .. وقد اولم على - ليلة فرحه - وليمة فيها شعير وتمر وحيس : والحيس تمر مخلوط بسمن - وقيل اولم بكبش وأصع من ذرة .. من عند جماعة من الانصار .. وكان فراشهما ليلة عرسهما - جلد كبش - وكان على يومئذ في الحادية والعشرين من عمره . وقد ولدت فاطمة - رضى الله عنها - لعلى : الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم .

تقول ام المؤمنين عائشة : كانت مشية فاطمة هي مشية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتوفيت فاطمة .. بعد أبيها رسول الله بستة أشهر .. ولم ترضاحكة بعد وفاته .. حتى لحقت بربها .. وكانت اول أهله لحوقا به .. وهى اول من غطى نعشها في الاسلام .. وأوصت أن تدفن ليلا .

واغلب الأقوال : انها توفيت لثلاث خلون من رمضان سنة احدى عشرة من الهجرة .

قال ابن اسحاق :

حدثني من لا اثم .. أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغار لبناته غيرة شديدة .. ولا ينكح بناته على خرة .

وعن المسوار بن مخرمة .. قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول وهو على المنبر : « ان بنى هشام بن المغيرة استاذنوا في ان ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب .. فلا آذن .. ثم لا آذن .. الا أن يريد على بن أبى طالب .. أن يطلق ابنتى .. وينكح ابنتهم .. فانها بضعة منى .. يرينى مآربها .. ويؤذنينى ما آذاها » .

« خطبت فاطمة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبى .. فقالت لى مولاتى . هل علمت أن فاطمة خطبت الى رسول الله ؟ .. قلت : لا .. قالت : فقد خطبت .. فما يمنعك ان تأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيزوجك ؟ .. قلت : وهل عندى شيء أتزوج به ؟ .. فقالت : انك ان جئت رسول الله زوجك .. فوالله ما زالت ترغبينى .. حتى دخلت على رسول الله .. وكانت لرسول الله جلالة وهيبته .. فلما قعدت بين يديه أفحمت .. فوالله ما استطيع أن اتكلم .. فقال : ما جاء بك ؟ .. فسكت .. فقال : لعلك جئت تخطب فاطمة ؟ .. قلت : نعم .. قال : وهل عندك شيء تستحبها به ؟ .. فقلت : لا يا رسول الله .. فقال : ما فعلت بالذرع التى سلحتكها ؟ فقلت : عندى .. والذى نفس على يده .. انها لخطمية (١) وثمنها اربعمائة درهم .. قال : قد زوجتك .. فابعث بها .. فان كانت لصدوق فاطمة - بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يبين بها الا بعد بدر .

امر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان يجهزوا فاطمة .. فجعل لها سريرا ووسادة من آدم حشوها ليف وارسل رسول الله اسماء بنت عميس .. فهايات البيت .. فصلى العشاء .. وارسل الى فاطمة .. فجاءت مع ام ايمن - بركة الحبشية - مولاته - عليه السلام - حتى قعدت فى جانب البيت وعلى - رضى الله عنه - فى جانب آخر .. ثم جاء رسول الله .. بعدما صلى العشاء الآخرة .. وكان قد قال لعلى : لا تحدثن شيئا حتى تلقانى .. فلما جاء رسول الله .. قال : اههنا اخى ؟ .. قالت أم ايمن : اخوك وقد زوجته ابنتك ؟ .. قال : نعم .

اى هو كاخى فى المنزلة والمواخاة .. فلا يحول ذلك دون تزويجه ابنتى .

ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال لفاطمة - رضى الله عنها - اثنتى بماء .. فقامت تتعثر فى ثوبها من الحياء .. الى قعب (٢) فى البيت .. فأتت فيه بماء .. فأخذته وفج (٣) فيه .. ثم قال لها : تقدمى .. فتقدمت .. فنضح بين يديها .. وعلى رأسها .. وقال : « اللهم انى أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » .. ثم قال : أدبرى .. فأدبرت .. ثم فصب بين كتفيها .. ثم فعل ذلك بعلى .. ثم

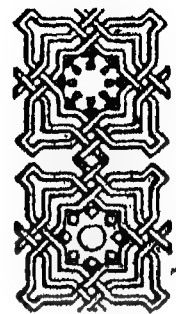
(١) نسبة الى بطن من عبد قيس .. يقال لها خطمة .. كانوا مهرة فى صنع الدروع .

(٢) وضع الماء فى فيه وورده .

(٣) انه كالقصعة .

حول دَرَسِ اُحُد

قالوا : لقد ايليت اليوم يا قزمان فابشر .. بماذا
ابشر .. فوالله ما قاتلت الا عن احسنا ب قومي ..
ولولا ذلك ما قاتلت .. فلما اشتدت عليه جراحه ..
اخذ سهمها من كتانته فقطع بها رواهشسه - اي
عروقه - فنزف دمه ومات .. فاخير به رسول الله -
فقال : ((اشهد اني رسول الله حقا)) .



- ٤٢ -

حول درس أحد

وكانت نتيجة المعركة - كما رأينا - نصرا ساحقا .. ما زال يحير كتاب الغرب في أسباب انتصار تلك القلة المستضعفة .. على هذا الجمع الحاشد من أبطال العرب .. وصناديد قريش .

أما غزوة أحد .. فقد كانت على أعداد واستعداد .. بدأ بوصول كتاب من مكة .. الى رسول الله .. كتبه له عمه العباس .. أخبره فيه أن قريشا أعدت نفسها للثأر .. وأن عبد الله ابن أبي ربيعة .. وعكرمة بن أبي جهل .. وصفوان بن أمية (٢) .. وآخرين من أشراف قريش .. من الموتورين في بدر .. بفقد آبائهم أو ابنائهم أو اخوانهم .. اتفقوا مع أبي سفيان وأصحاب التجارة في تلك العير .. التي تسببت في معركة بدر .. وكانت العير

لم يكن في حسبانى أن أتناول غزوة بالتفصيل .. بعد غزوة بدر الكبرى .. كما نوهت من قبل . ولكنى بعد أن درست غزوة أحد .. وجدت أنها أولى بالتفصيل والتدقيق .. والتحليل والتحقيق .. لما فيها من عجب .. والله في كل شيء حكمة .

خرج المسلمون الى غزوة بدر .. بدون أعداد ولا استعداد .. ولم يكن خروجهم في الأصل للحرب والنفير .. وإنما خرجوا للأموال والعير .. ولهذا تخلف عنها الكثير من صادقى المسلمين .. وخلصاء المؤمنين .. لم يكن بينهم على الحرب ميعاد .. ولذلك يقول تعالى : (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا (١) .

(٢) هؤلاء الثلاثة اسلموا فيما بعد .

(١) ٤٢ - الأنفال .

ما زالت موقوفة في دار الندوة .. ولم تعط
التجارة لأصحابها .. اتفقوا على تجهيز جيش
الثار من تلك العير .. وكانت قيمتها خمسين
الف دينار .

وأخبره أن قريشا تحالفت مع من والها
من قبائل كنانة وتهامة والاحابيش (١) .

وأن أبا عزة الجمحي الشاعر .. الذي
أطلقه رسول الله من الأسر .. من بين أسرى
بدر .. وعفا عنه قد ساعد بلسانه على جمع
العرب .. واذكاء حماسهم .. واشتعال نار
الثار في صدورهم .. وأن أبا سفيان بن حرب
.. خرج بجيش عدته ثلاثة آلاف .. فيهم
سبعمائة دارع .. ومعهم مائتا فرس .. كلهم
مصريون على الثار والانتقام .. كما أخبره أن
معهم سبع عشرة امرأة .. معهن الدفوف وآلات
العزف والخمور .. ومن بينهن هند بنت عتبة
- زوج ابى سفيان - لتنتقم لابنها الذي قتل
في بدر .. خرجت وهي تنشد :

نحن بنات طارق .. نمشى على النمارق ..
ان تقبلوا نعائق .. أو تدبروا نفارق ..
فراق غير وامق (٢) . وخرجت معها أم حكيم
بنت طارق مع زوجها عكرمة .. ربطة بنت
منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص ..

خرجن ينحن على قتلاهن .. يعرضن
على القتال .. والصمود في الحرب والنزال .
وأخبره أنهم خرجوا من مكة في اليوم الخامس
من شوال .. في السنة الثالثة من الهجرة .
وكان العباس .. قد أرسل الكتاب مع رجل
غفارى .. واشترط عليه أن يصله في المدينة
في ثلاثة أيام بلياليها .. وأجزل له في الأجر
نظير ذلك .

ووصل كتاب العباس الى رسول الله ..
وهو في قباء .. ففتحته ودفعه الى أبى بن كعب
.. فقراه عليه .. فاستكتمه الأمر .

ثم نزل - عليه السلام - على سعد بن الربيع
.. فأخبره بهذا الكتاب .. فقال سعد : والله
انى لأرجو أن يكون خيرا .. فاستكتمه اياه ..
ولما خرج رسول الله من عند سعد .. قالت له
امراته : ماذا قال لك رسول الله ؟ .. فقال لها :
يا أم محمد .. ما أنت وذاك ؟ .. فقالت :
قد سمعت ما قال .. وأخبرته بما حصل ..
فاسترجع (٣) .. وأخذ بيدها .. وأدرك النبى
.. وأخبره انها سمعته .. وقال : والله يارسول
الله انى خفت أن يفشوا الخبر فتظن انى أنا
الذى أذعته .. وقد استكتمتنى اياه .. فقال
له : خل عنها .

وكان - عليه الصلاة والسلام - قد رأى
في تلك الليلة رؤيا .. رأى أن في سيفه ثلمة ..
ورأى بقرا تدبح .. وانه أدخل يده في درع
حصينة .. وكأنه مردف كبشا .

فتأول لأصحابه الثلمة في سيفه برجل
يصاب من أهل بيته .. وتأول البقر المدبوحة
بنفر من أصحابه يقتلون .. وتأول الدرع
بالمدينة .. والكبش بأنه يقتل صاحب الكتيبة .

وقد صدق في تأويله .. في غزوة أحد ..
بقتل حمزة - سيد الشهداء - من أهل بيته ..
وقتل من أصحابه فيها عدد كبير .. كما قتل
طلحة بن عثمان العبدري - صاحب لواء
المشركين .. فهو صاب الكتيبة .. وكبش
القوم سيدهم .

وأخبر رسول الله أصحابه بكتاب عمه العباس
.. ثم قال : أرى أن نمكث في المدينة ..
ونتحصن بها .. فان دخلوها قاتلهم المسلمون
على أبواب الأزقة .. والنساء من فوق البيوت
.. ووافقه على هذا الراى عبد الله بن أبى بن
سلول .. وكان هو الراى .. ولكن الصحابة
ممن فاته الخروج يوم بدر .. أشاروا عليه
بالخروج .. وألحوا عليه في ذلك .. وقالوا :

(١) الاحابيش : نسبة الى جبل - حبش - وقيل سموا بهذا الاسم لتجيشهم اى نجوعهم .
(٢) وامق : لا حول ولا قوة الا بالله .
(٣) محب .

يا رسول الله انا كنا نتمنى هذا اليوم .. أخرج بنا الى اعدائنا .. لا يرون أنا جنبنا عنهم .. والح معهم حمزة بن عبد المطلب .. فقال : والذي أنزل عليك الكتاب .. لا أطعم اليوم طعاما .. حتى اجالدهم بسيفي خارج المدينة .

وقال النعمان : يا رسول الله لا تحرسنا الجنة .. فوالذي نفسي بيده لادخلنها ..

كل هذا وعبد الله بن أبي .. يقول : نبقي بالمدينة .

فرجع عنده موافقة رايهم في الخروج .. وان كرهه ابتداء .. لينفذ قضاء الله . وصلى بهم الجمعة .. فوعظهم .. وأمرهم بالجهاد .. وأخبرهم بأن النصر لهم ما صبروا وأمرهم بالاعداد للحرب .. ثم دخل بيته .. فليس لأمته .. وتقلد سيفه .. وألقى ترسه على ظهره .. وأخذ قناته بيده .. وقد اصطلف الناس ينتظرون خروجه ..

فقال لهم سعد بن معاذ .. وأسيد بن حضير .. لقد استكرهتم رسول الله على الخروج .. فاعيدوا عليه الرأي .

ولما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في لباس الحرب .. قالوا : يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك .. فاصنع ما شئت .

وفي رواية : فان شئت فاقعد .. فقال :

« ما ينبغي لنبي اذا لبس لأمته .. أن يضعها .. حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » .

خرج بهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ليلا .. خرج معه ألف من الصحابة .. بعد أن استخلف ابن أم مكتوم للصلاة بمن بقي من المسلمين في المدينة .. رأى رسول الله جماعة من اليهود .. مع عبد الله بن أبي .. يريدون الخروج .. فقال : أو قد أسلموا ؟ قالوا : لا يا رسول الله .. قال : « مروهم فليرجعوا .. فانا لا نستعين على المشركين بالمشركون » .

وعقد ثلاثة ألوية : لواء للأوس حملة أسيد بن حضير .. ولواء حملة حباب بن المنذر ولواء المهاجرين مع علي بن أبي طالب .

وكان في المسلمين مائة دارع .. وأخرج السعدان يجريان أمامه : سعد بن معاذ .. وسعد بن عباد .. ورد سبعة عشر من شباب المسلمين .. لصغر سنهم .. ومنهم أسامه بن زيد .. وعبد الله بن عمر .. وزيد بن ثابت .. وسمرة بن جندب .. وأبو سعيد الخدري .. والنعمان بن بشير .. والبراء بن عازب .. وعمر بن حرام .. وزيد بن الأرقم .

وفي الطريق بين المدينة وأحد .. تراجع عبد الله بن أبي .. ومن معه من المنافقين .. وكانوا ثلاثمائة .. واحتج في تراجعهم بقوله : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأى له .. علام نقتل أنفسنا ؟ .. أرجعوا أيها الناس .. وعاد بمن معه .. وسقط في أيدي طائفتين من المسلمين .. وهما أن تفشلا : بنو حارثة من الخزرج .. وبنو سلمة من الأوس .

فذهب عبد الله بن عمرو بن حرام .. والد جابر بن عبد الله .. خلف ابن أبي ومن معه .. يوبخهم ويحثهم على الرجوع .. ويقول : (تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) .. قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع .. فرجع عنهم وسبهم .

ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صبح يوم السبت .. في الشعب من أحد .. فجعل ظهره وعسكره الى أحد .. وصلى الصبح بالمسلمين صفوفا .. وكانوا سبعمائة .. منهم خمسين فارسا . ونهى الناس عن القتال .. حتى يأمرهم .

واستعمل على الرماة عبد الله بن جبير .. وكانوا خمسين .. أمرهم أن يلزموا أماكنهم .. خلف الجيش .. يدفعون المشركين بالنبل .. حتى لا يفجأوا المسلمين من خلفهم .. فقال لهم : « ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا .. حتى أرسل اليكم .. وان رايتمونا هزمننا القسوم .. أو ظاهرناهم وهم قتلى .. فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم » .

ثم عرض رسول الله سيفاً وقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام رجال وبسطوا أيديهم .. كل منهم يقول : أنا يا رسول الله .. منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير .. فأمسكه منهم حتى قام أبو دجانه - سمالك بن خرشة - فقال : وما حقه يا رسول الله لا .. قال : « أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني » .. قال : أنا أحده بحقه .. فأعطاه إياه .. وكان شجاعاً .. يحتال عند الحرب .. فلما راه ينبخر قال : « انها لمنيه ييغضها الله الا في هذا الموطن » .

فكان أبو دجانه .. لا يلقى أحدا من المشركين الا قتله .. وكان اذا كل السيف شحذه بالحجارة ثم يضرب به .

وكانت فريش قد وصلت احدا ..
يوم الاربعاء .. الثاني عشر من شوال .. واصطفت ثلاثة الاف .. بينهم مائتا فارس .. على ميممتهم خالد بن الوليد .. وعلي ميسرتهم عمره بن ابي جهل .. وقد خرج معهم من الاحابيش بنو المسطلق وبنو هون .. وخرج معهم ابو عامر الراهب .. في سبعين فارساً .. وبنان ابو عامر الراهب هذا رأس الاوس في الجاهلية .. فلما جاء الاسلام جاهر رسول الله بالعداء .. وخرج الى فريش يؤلبهم على المسلمين .. ويحرضهم على القتال .. ووعدهم بأن فومه اهل المدينة اذا راوه اطاعوه ومالوا معه .. وفد سماه رسول الله : - ابا عامر القاسق - .

فكان هو اول من خرج يوم احسد ..
فنادى فومه .. وعرفهم بنفسه .. فقالوا له : لا انعم الله بك يا قاسق .. فقال : لقد أصاب قومي بعدى شر .

مع ان ابنه - حنظلة - من فضلاء الصحابة .. وقد استشهد حنظلة يوم احد ولما اصطف القوم .. نادى ابو سفيان .. يا معشر الاوس والخزرج .. خلوا بيننا وبين بنى عمنا .. وخرج طلحة بن ابي طلحة يحمل لواء المشركين

.. فطلب المبارزة .. فخرج له على بن ابي طالب .. فضربه ضربة قطعت رجله .. فسقط على الأرض .. وبدت عورته .. فرجع عنه ولم يجهز عليه .. فحمل اللواء بعده أخوه عثمان .. فحمل عليه حمزه فقطع يده وكثفه .. فاخذ اللواء اخوه ابو سعيد بن ابي طلحة .. فرماه سعد بن ابي وفاض فاصاب حنجرته فقتله .. فتناول اللواء مسافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله .. ثم حملة أخو مسافع .. وهو الحارث بن طلحة .. فرماه عاصم ايضا فقتله .. ثم حمل اللواء كلاب بن طلحة فقتله الزبير .. فحمله جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله .. ثم حملة اوطاه بن شير حويل فقتله على .. ثم حملة ابو زيد بن عمرو فقتله فزمان ايضا .. ثم حملة صواب وبنان عيدا حبشيا فقتله على .. وبقي اللواء طريقاً .. حتى احسده عمره بنت علقمة الحارثية .. ثم فرمته لفريش .. فالتقوا حوله .

لقد كان اللواء شؤماً على من يحمه ..
لانه كبت الكتيبة .. راح ضحيته احد عشر .. منهم طلحة بن ابي طلحة .. واولاده الاربعه مسافع والحارث وكلات وجلاس .. كما قتل اخواه عثمان وابو سعيد .. وتعرفت كتائب فريش .. وجاش المسلمون فيهم ضرباً .. حتى الجاؤهم الى نساءهم .. وكان شعار المسلمين في هذا اليوم « امت امت » وشعار المشركين « ياللعزى يالهيل » . وقد ايلي في تلك الجولة - ابو دجانه الانصاري - وطلحه بن عبيد الله .. واسد الله حمزه ابن عبد المطلب .. وعلى بن ابي طالب .. والنضير بن انس .. وسعيد ابن الربيع .

فلما رأى الرماة هزيمة المشركين .. تركوا مراكزهم من الجبل .. خلف جيش المسلمين .. وقالوا : الغنيمة الغنيمة .. فذكرهم اميرهم - عبيد الله بن جبر - بقول رسول الله لهم بالثبات في مواقعهم .. فقالوا : والله لنائين الناس .. ولنصيب من الغنيمة .. فان المشركين قد انهزموا .. فما مقامنا هنا ؟

فلم يثبت منهم مع عبد الله بن جبير .. الا اقل من العشرة .. وكانت تلك مخالفة لتعاليم القائد .. فحققت عليهم الهزيمة .

ورأى خالد بن الوليد خلاء الجبل خلف المسلمين من الرماة .. فهجم بخيله عليهم من الخلف .. وتبعه عكرمة بن أبي جهل بقواته وخيله .. وقتلوا عبد الله بن جبير .. ومن بقى معه من الرماة .. وصرخوا خلف جيش المسلمين .. فاضطربت صفوفهم .. وأكرم الله منهم من أكرم بالشهادة .. وهم سبعون شهيدا .
ويقول بعض الرواة : من ارتباك المسلمين ..
تركوا شعارهم الذى يتعارفون به « أمت أمت » فقتلوا بعضهم بعضا .. وكر المنهزمون من المشركين .. وأحاطوا بالمسلمين .. وخلص بعضهم الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله .. حتى قتل .. قتله ابن قميئة الليثى .. وهو يظنه رسول الله .. لشدة الشبه بينهما عندما يلبس الرسول لامته .

وقد رمى ابن قميئة رسول الله يوم أحد ..
فشج وجهه الشريف .. وكسر رباعيته .. وقال خذها وانا ابن قميئة .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه : « اقمالك الله » .. فسلط الله عليه تيس جبلا .. فلم يزل ينطحه حتى قطعه .. قطعة .. قطعة وصرخ الشيطان مع ابن قميئة : لقد قتل محمد .. وكان لتلك الصرخة أسوأ الأثر فى صفوف المسلمين .. ففر منهم من فر .. وكان أمر الله قدرا مقدورا .

بينما ثبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى موقعه .. لم يتزعزع عنه شبرا .. وظل يرمى عن قوسه .. حتى صارت شظايا .. ويرمى بالحجر .. وكان اقرب الناس الى العدو وجاء عن على - رضى الله عنه - « كنا اذا اشتد البأس - أى حمى القتال - اتقيتا برسول الله » - أى يكون هو فى وجه القوم وهم خلفه .. مما يؤيد انه كان اشجعهم وأثبتهم .

وعن سعد بن أبى وقاص .. قال : « رأيتنى يوم أحد .. والنبي يناولنى النبل .. ويقول : « ارم فذاك أبى وأمى » حتى انه لناولنى السهم ماله نصل .. فيقول : ارم به .

وجاء ان سعدا رمى يوم أحد ألف سهم .. ما فيها سهم .. الا ورسول الله يقول : « ارم فذاك أبى وأمى » ففداه فى ذلك اليوم ألف مرة

وعن على رضى الله عنه .. قال : ما سمعت رسول الله قال : « فذاك أبى وأمى الا لسعد »

لقد ابتلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم
.. يوم أحد .. بلاء شديدا .. فكسرت رباعيته اليمنى السفلى .. وجرحت شفته السفلى .. وشج فى جبهته .. وهشمت خوذته على رأسه .. ورمى بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة .. فأخذ على يده .. واحتضنه طلحة بن عبيد الله .. حتى استوى قائما .. ونشبت حلقتان من مغفره بوجهه .. فانتزعها أبو عبيدة بن الجراح .. وحصن عليهما .. حتى سقطت ثنياته .. من شدة غوصهما فى وجهه الشريف . وامتص مالك بن سنان .. والد أبى سعيد الخدرى الدم من وجنته .. ثم ازدرد .. فقال صلى الله عليه وسلم - « من مس دمي دمه لم تصبه النار » .. وقد استشهد مالك فى تلك الغزوة .

وقد صنع أبو دجانة من ظهره ترسا ..
يحمى به رسول الله .. والنبل يقع فيه وهو لا يتحرك .

وفى الصحيحين .. عن أبى حازم .. انه سئل عن جرح رسول الله .. فقال : والله انى لأعرف من كان يغسل جرح رسول الله .. صلى الله عليه وسلم - ومن كان يسكب الماء .. وبما تدأوى .

كانت فاطمة ابنته تغسله .. وعلى بن أبى طالب يسكب الماء بالمحجن .. فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم الا كثرة .. أخذت قطعة

من حصير فأحرقتها.. فالصقتها.. فاستمسك
الدم .

وقد ثبت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربعة عشر .. سبعة من المهاجرين هم :
أبو بكر .. وعمر .. وابن عوف .. وابن أبي
وقاص .. وطلحة بن عبيد الله .. والزبير ..
وأبو عبيدة بن الجراح .. وصحبت الأحاديث
أن عليا ثبت .. ولم يذكره بعض الرواة .. لأنه
كان حامل اللواء .

وسبعة من الأنصار .. هم : أبو دجانة ..
والحارث بن الصمة .. وعاصم بن ثابت ..
والحارث ابن الصمة .. وسهل بن حنيف ..
وسعد بن معاذ .. وأسيد بن حضير .

وإمامنا امرأة كريمة .. ثبتت مع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - وأبلى يوم أحد
بلاد حسنا .. هي - أم عمارة المازنية ..
واسمها - نسيبه .. زوج زيد بن عاصم ..
قالت : خرجت يوم أحد .. لأنظر ما يصنع
الناس .. ومعى سقاء فيه ماء .. اسقى به
الجرحي .. فأنتهيت الى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وهو في أصحابه .. والريح
للمسلمين (١) .. فلما انهزم المسلمون ..
انحزرت الى رسول الله .. فقامت بإبشر القتال
دونه .. وأذب عنه بالسيف .. وأرمى من
القوس .. حتى خلصت الجراحة الى ..

كان على عاتقها جرح غائر .. فقبل لها من
أصابع بهذا .. قالت : ابن قميثة .. أنا أولى
الناس من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أقبل ابن قميثة يقول : دلوني على محمد ..
فلا نجوت ابن نجا .. فاعتزمت .. أنا ومصعب
بن عمير .. فضربني هذه الضربة .. وضربته
ضربات .. ولكن عدو الله كان عليه درعان .

فخرجت نسيبة - رضى الله عنها - يوم
أحد .. وزوجها زيد بن عاصم .. وإبنها
حبیب وعبد الله .. وقال لهم رسول الله -

صلى الله عليه وسلم .. : « بارك الله عليكم
أهل البيت » .. فقالت له نسيبة : ادع الله
أن ترافقك في الجنة .. فقال : « اللهم اجعلهم
رفقائي في الجنة » .. وعند هذا .. قالت :
ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا .

**وقال في حقها - عليه السلام - « ما التفت
يميناً وشمالاً يوم أحد .. الا ورأيتها تقاثل
دونى »** وقد جرحت - رضى الله عنها - يومها
اثنى عشر جرحاً .. ما بين طعنة برمح وضربة
بسيوف .

ولا يسعنا الا ان ننحنى اجلالا لتلك المرأة
المسلمة .. التى قامت بما يجنب دونه الرجال
.. وقد رأينا كيف فر كثير من المسلمين ..
لما أصابهم من الفزع .. ولكنها صمدت وثبتت
وجاهدت .

وجاء فى اسد الغابة : أن أم عمارة - نسيبة
- شهدت بيعة العقبة .. وشهدت أحداً مع
زوجها وإبنها .. وشهدت بيعة الرضوان ..
وشهدت اليمامة فقاتلت وأصيبت يدها فيها
.. وجرحت .

وقال عكرمة مولى عباس : انها قالت
للتبى - صلى الله عليه وسلم : ارى كل شئ
للرجال .. ما ارى النساء يذكرن بشئ ..
فنزل قوله تعالى :

(ان المسلمين والمسلمات .. والمؤمنين
والمؤمنات .. والقانتين والقانتات ..
والصادقين والصادقات) الى آخر الآية (٢) .

**وبتلك الروح الفدائية .. ذاع الاسلام وانتشر
.. وسرى روح الاسلام فى الحرب من خلال
هذه المعركة .**

**فترى أول ما ترى .. حمزة بن عبد المطلب
.. وقد قاتل فى هذا اليوم بسيوفين .. وآخر
قتيل قتلته حمزه هو سباع بن عبد العزى
الخزاعى .. فلما اكب عليه ليأخذ دمه ..**

(١) أى الغلبة لهم .. فى أول اليوم .

(٢) الآية ٣٥ من سورة الاحزاب .

قتله وحشى .. غلام جبير بن مطعم .. وكانت
هند زوج ابى سفيان .. قد استأجرته لقتل
حمزة .

ونرى أنس بن النضر .. عم أنس بن مالك
.. على ما جاء فى البخارى .. عن أنس بن مالك
.. قال : غاب عمى أنس بن النضر .. عن
قتال بدر .. فقال يارسول الله .. غبت عن
اول قتال .. ليرين الله ما اصنع .. فلما كان
يوم احد .. واكتشف المسلمون قال : اللهم انى
اعتذر اليك .. مما صنع هؤلاء « يعنى
الصحابه » وابرا اليك مما صنع هؤلاء « يعنى
المشركين » .. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ
.. فقال يا سعد الجنة ورب النضر .. انى
اجد ريحها دون احد .. قال سعد : فما
استطيع ان اصف ما صنع .

قال أنس : ولقد وجدنا به يومئذ سبعين
صربة .. فما عرفه الا اخته .. عرفته ببنانه -
اصابعه -

لقى أنس بن النضر جماعه من المهاجرين
والانصار - يوم أحد - فقال : ان كان قد قتل
- يعنى محمدا - فما تصنعون بالحياة بعده !
اقوموا فموتوا على ما مات عليه .. ثم استقبل
العدو .. فقاتل حتى قتل .

كما نرى ثابت بن الدحداح - رضى الله عنه
- قال : يا معشر الانصار .. ان كان محمد
قد قتل .. فان الله حى لا يموت .. قاتلوا عن
دينكم .. فنهض اليه نفر من الانصار .. فحمل
بهم على كتيبة .. فيها خالد بن الوليد ..
.. وعمرو بن العاص .. وعكرمة بن أبى جهل
.. وضرار بن الخطاب .. فقتل ثابت ومن
معه من الانصار .

وقال زيد بن ثابت : بعثنى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - اطلب سعد بن الربيع
.. فقال لى « ان رايته فأقرئه منى السلام » ..
وقل له .. يقول لك كيف نجدك ؟ قال :

فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته .. وهو بأخر
رمى .. وفيه سبعون ضربة .. ما بين طعنة
رمح .. أو ضربة سيف .. أو رمية سهم ..
فقلت يا سعد .. ان رسول الله يسلم عليك ..
.. ويقول لك : كيف نجدك ؟ .. قال : وعلى
رسول الله السلام .. قل له اجد ريح الجنة
.. وقل لقومى الانصار .. لا عذر لكم عند
الله .. ان خلص الى رسول الله .. وفيكم عين
نظرف .. وفاضت نفسه من وقته .

ومر رجل من المهاجرين برجل من الانصار
.. وهو يتشحط فى دمه .. فقال المهاجر
يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل ؟ .. فقال
الانصارى : ان كان محمدا قد قتل .. فقد
بلغ .. فقاتلوا عن دينكم .. فنزل قوله تعالى :
(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل) (١) .

وقال عبد الله بن عمرو بن حرام : رايت
فى النوم يقبل أحد .. مبشر بن عبد المندر ..
يقول لى : انت قادم علينا فى أيام .. فقلت
واين انت ؟ .. قال : فى الجنة .. نسرح فيها
حيث نشاء .. قلت له : ألم تقتل يوم بدر ؟ ..
قال : بلى ثم احييت .. فذكرت ذلك لرسول
الله .. فقال : هذه الشهادة يا ابا جابر .

وقال خيشمة لرسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وكان ابنه سعد قد استشهد يوم بدر :
لقد اخطأتنى وقعة بدر .. وكنت والله حريصا
عليها .. حتى ضربت السهم بينى وبين ابنى
فى الخروج .. فخرج سهمه .. فوزق الشهادة
.. وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم .. فى
احسن صورة .. يسرح فى ثمار الجنة وانهارها
.. وهو يقول : الحق بنا تراقنا فى الجنة ..
فقد وجدت ما وعدنى ربى حقا .. وقد والله
يا رسول الله اصبحت مشتاقا الى مرافقته فى
الجنة .. وقد كبرت سنى .. ورق عظمى ..
وأحببت لقاء ربى .. فادع الله يا رسول الله
ان يرزقنى الشهادة ومرافقة سعد فى الجنة ..

فدما له رسول الله - عليه الصلاة والسلام بذلك .. فاستشهد في أحد .

وكان عمرو بن الجموح اعرج .. شديدا العرج .. وكان له أربعة بنين .. يفزون مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا غزا .. فلما توجه الى أحد .. أراد أن يتوجه معهم .. فقال له بنوه : ان الله قد جعل لك رخصة .. فلو قعدت ونحن نكفيك .. وقد وضع الله - تعالى - عنك الجهاد .. فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله .. ان ابنائي يمنعونني من الخروج معك .. والله اني لأرجو أن استشهد .. فأطأ بعرجتي هذه في الجنة .. فقال له رسول الله : اما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد .. وقال لبنيه : وما عليكم الا تدعوه .. لعل الله - عز وجل - ان يرزقه الشهادة .. فخرج مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقتل يوم أحد شهيدا

صور عترة .. من التسابق الى الجنة .. مسور يعجز القلم عن التعليق عليها .. وينسجك البيان خالصا امام قوتها وعظمتها وجلالها .. ايمان راسخ .. ويقين ثابت .. وثقة مطلقة لا أحد لها في الفداء .. ويبيع النفس في سبيل الله .. لا ظمعا في منصب .. ولا املا في جاه .. وانما لتكون كلمة الله هي العليا .. واستحقوا بذلك شرف الدنيا ومجد الآخرة

تلك هي روح الاسلام في الحرب .. وبذلك الروح .. فاز بغضل الله سبعون من المهاجرين والانصار في غزوة أحد بالشهادة .. وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون .

ولكنني بقتادة بن النعمان يثلي السهام بوجهه .. دون وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان آخرها سهم نزلت منه عينه على خده .. فحملها وسعى بها الى رسول الله .. فردها .. وكانت أحسن عينيه .. لا ترمك اذا رمدت الاخرى .

ولم يثبت ان الملائكة اشتركت في وقعة أحد الا في الدفاع عن رسول الله فقط .

ففي الصحيحين من سعد بن ابى وقاص .. قال :

« رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد .. ومعه رجلان يقاتلان عنه .. عليهما ثياب بيض .. كأشد القتال .. ما رايتهما من قبل » .

وقال نافع بن جبير : سمعت رجلا من المهاجرين .. يقول :

شهدت أحدا .. فنظرت الى النبل تأتي من كل ناحية .. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسطها .. كل ذلك يصرف عنه .. ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ : دلوني على محمد .. لا نجوت ان نجا .. ورسول الله الى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه .. فعاتبه في ذلك صفوان .. فقال والله ما رايت .. أحلف بالله - انه ممنوع منا فقد خرجنا أربعة .. فتعاهدنا وتعاهدنا على قتله .. فلم نخلص الى ذلك .

وقال ابن عباس : ما نصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في موطن نصره يوم أحد .. فانكروا ذلك عليه .. فقال : بيني وبينكم كتاب الله .. ان الله تعالى يقول :

(ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه) (١) .

إقال ابن عباس : والحس : القتل .. ولقد كان ذلك لرسول الله ولاصحابه أول النهار .. حتى اقتل من أصحاب لواء المشركين تسعة .. وذكر الحديث .. وأنزل عليهم النعاس أمنة منه في غزوة بدر واحد .. والنعاس في الحرب وعند الخوف دليل الأمن .. وهو من الله .. ولكن في الصلاة ومجالس الذكر والعلم .. فهو من الصلاة .

واقبسل ابى بن خلف يوم أحد - لما انهزم المسلمون .. وهو يقول : أين محمد؟ .. لا نجوت ان نجا .. فاستقبله رجال من المسلمين .. فأمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يخلوا طريقه .. فأقبل على الرسول وهو يقول : يا كذاب أين تفر ؟ فتناول النبي الحربة من الحارث ابن العمة .. ورماه بها .. فأصابت عنقه .. وخدشته خدشا غير كبير .. فرجع وهو يقول : قتلنى محمد .. قالوا له : ذهب فؤادك .. انا لناخذ السهم من اضلاعنا .. فنرمى به .. فما بك والله من بأس .. ان جرحك لبسيط .. فقال : واللوات والعزى .. لو كان هذا الذى بى بأهل المجاز - سوق من أسواق مكة - لماؤنا أجمعون .. انه قال لى بمكة : انا اقتلك .. فوالله لو بصق على لقتلنى .

وكان ابى بن خلف .. يقول للنبي بمكة - ان عندى فرسا أعلف لى يوم فرقا - مكيال - من ذرة أقتلك عليها .. فيقول له - عليه الصلاة والسلام - انا أقتلك ان شاء الله .. ولم يقتل رسول الله بيده الا ابى بن خلف .. فقد مات وهو فى الطريق الى مكة .

ومن المفارقات العجيبة .. فى يوم أحد .. ما ذكره ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال :

كان فينا رجل .. لا ندرى من اين هو .. يقال له - قزمان - اذا ذكر عند رسول الله قال : « انه من أهل النار » .. فلما كان يوم أحد .. قاتل - قزمان - قتالا شديدا .. فقتل وحده ثمانية من المشركين .. منهم اثنان من حملة لواء المشركين - كما رأينا من قبل - يقول عاصم : وكان ذا بأس .. فلما اثخنته جراحة .. احتملوه الى دار بنى ظفر .. فجعل رجالا من المسلمين يقولون له : والله لقد ابليت اليوم يا قزمان .. فأبشر .. قال : بماذا أبشر .. فوالله ما قاتلت الا عن أحساب قومى .. ولولا ذلك ما قاتلت .. فلما اشتدت عليه جراحة ..

أخذ سهما من كنانته فقطع بها رواهشه - أى عروقه .. فنزف دمه ومات .. فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « أشهد انى رسول الله حقا » وذلك لأنه مات منتحرا .. فهو من أهل النار ..

كما استشهد فى تلك المعركة - مخيريق - وهو حبر من احوار اليهود .. من بنى ثعلبة بن الغيطون .. لما كان يوم أحد .. قال : يا معشر اليهود .. والله لقد علمتم ان نصره محمد عليكم لحق (١) .. قالوا : ان اليوم يوم السبت .. قال : لا سبت لكم .. فأخذ سيفه وعدته .. وقال : ان أصبت .. فما لى لمحمد يصنع فيه ما شاء .. ثم غدا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقاتل معه حتى قتل .. فقال رسول الله : « مخيريق خير يهود » .

وكان مخيريق .. حبرا عالما غنيا كثير الاموال من النخيل .. وكان يعرف رسول الله بصفته وما يجد فى علمه .. وخالف قومه .. واشترك فى موقعة أحد .. ولم يشترك فيها احد من اليهود غيره .. فلما قتل .. قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - امواله .. وتصدق بها . وقرات فى غزوة أحد .. ان عمرو بن ثابت المعروف - بالاصيرم - من بنى عبد الأشهل .. وقد أسلم قومه مع الرسول .. لما قدم المدينة .. الا هو فقد ابى الاسلام ..

فلما كان يوم أحد .. شرح الله صدره للاسلام .. فأسلم .. وأخذ سيفه ولحق بالنبي .. فقاتل وأصيب .. ولم يعلم أحد بأمره .. فلما أنجلت الحرب .. طاف بنو عبد الأشهل فى القتلى يلتمسون قتلاهم .. فوجدوا الاصيرم .. وبه رمق يسير .. فقالوا :

ان هذا الاصيرم .. ما جاء به وقد تركناه فى المدينة ؟ .. ثم سأله : ماذا جاء بك ؟ أذفاع عن قومك .. أم رغبة فى الاسلام ؟ فقال : بل رغبة فى الاسلام .. آمننت بالله ورسوله .. ثم

قاتلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
حتى أصابني ما ترون .. ومات من وقته ..

فذكره لرسول الله - فقال : « هو من أهل
الجنة » .. وفي رواية قال :

« عمل قليلا .. وجوزى كثيرا » .. يقول
أبو هريرة : « ولم يصل لله ركعة واحدة » .

ويقول سعد بن أبي وقاص :

لما جال الناس عن رسول الله - صلى الله عليه
عليه وسلم - تلك الجولة يوم أحد .. قلت :
أدود عن نفسي .. فاما أن استشهد .. واما أن
الحق حتى ألقى رسول الله .. فبينما أنا كذلك
.. إذا برجل مخض وجهه .. ما أدري من هو ..
فأقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه .. فملا
يده من الحصى .. ثم رمى به في وجوههم ..
فتنكبوا على أعقابهم القهقري .. حتى أتوا
الجبل .. ففعل ذلك مرارا .. ولا أدري من هو
.. وبيني وبينه المقداد .. فبينما أنا أريد أن
أسأل المقداد عنه .. إذ قال المقداد : يا سعد هذا
هو رسول الله يدعوك .. فقلت : وأين هو ؟ ..
فأشار إليه .. فقممت وكأنه لم يصبني شيء من
الأذى .. واجلسني أمامه .. وأنا أقول : اللهم
سهلك فارم به عدوك .. ورسول الله - صلى الله
عليه وسلم - يقول :

« اللهم استجب لسعد .. اللهم سدد
رميته .. وأجب دعوته » فكان سعد مجاب
الدعوة ..

وقد حاول - عليه الصلاة والسلام -
أن يعلو صخرة هناك .. فلم يقدر .. فجلس
طلحة تحته حتى صعدا وحانت صلاة الظهر
.. فصلى جالسا .. وصلى خلفه المسلمون
جلوسا .. وسار رسول الله تحت لواء
الأنصار .

وشدد حنظلة بن أبي عامر على أبي سفيان
يريد أن يقتله .. ولكن بعد أن تمكن منه ..

أقبل شداد بن الأسود على حنظلة فقتله ..
وكان حنظلة جنبا .. لما سمع نفي رسول
الله .. وهو مع امراته .. قام من فوره إلى
الجهاد .. فأخبر رسول الله أصحابه :

« أن الملائكة تغسله » ثم قال « سلوا
أهله ما شأنه » فسألوا امراته .. فأخبرتهم
الخبر .

**وجعل بعض الفقهاء هذا حجة على غسل
الشهيد إذا قتل جنبا (١) .**

وقبل أن نطوى صفحة القتال في غزوة
أحد .. لا يفوتنا أن نشير إلى موقف حسيل ابن
جابر .. وهو اليمان .. والد أبي حذيفة بن
اليمان .. وثابت بن وقش .. عندما وجدا
نفسيهما في الديار .. بين النساء والصبيان ..
وكانا شيخين كبيرين .. فقال أحدهما لصاحبه :
لا إيا لك ما ننتظر ؟ فوالله ما بقي لواحد منا من
عمره الا ظم حمار (٢) .. انما نحن هامة اليوم
أو غد .. أفلا نأخذ أسيافنا .. ثم نلحق
برسول الله ؟ .. فأخذا أسيافه .. ثم خرجا
.. حتى دخلا في الناس .. ولم يعلم بهما أحد .

فاما ثابت بن وقش .. فقتله المشركون
.. واما حسيل بن جابر .. فاختلفت عليه
أسياف المسلمين .. فقتلوه وهم لا يعرفونه .

ورآه حذيفة .. فقال : أبي .. فقالوا :
والله يا حذيفة ما عرفناه .. وكانوا صادقين ..
قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين
.. فأراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أن يديه .. فتصدق حذيفة بديته على
المسلمين .. فزاده ذلك عند رسول الله خيرا .

ولما انقضت الحرب .. أشرف أبو سفيان
على الجبل .. فنأدى : أفيكم محمد ؟ ..
فلم يجيبوه .. فقال : أفيكم ابن أبي نحافة ؟
.. فلم يجيبوه .. فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟

(١) ابن قيم الجوزية ص ١٠٤ ج ٢ .

(٢) كلمة حمار : أي لم يبق من عمره الا اليسير .

.. فلم يجيبوه .. ولم يسأل أبو سفيان الا عن هؤلاء الثلاثة .. لعلمه ان هؤلاء هم ربيعة الاسلام .. فقال : اما هؤلاء فقد كفيتموهم .. فلم يملك عمر نفسه ان قال : يا عدو الله ان الدين ذكرتهم احياء .. وقد أبقي الله لك ما يسوءك .

فقال أبو سفيان : قد كان في القوم مثله .. لم آمر بها .. ولم تسؤني .. والله ما رضيت وما سخطت .. وما نهيت وما امرت .. ثم قال : اعل هبل .. فقال النبي : الا تجيبونه ؟

فقالوا : فما نقول ؟ قال : قولوا : الله اعلى واجل .

فقال أبو سفيان : لنا العزى .. ولا عزى لكم .

فقال - عليه الصلاة والسلام - الا تجيبونه ؟ .. قالوا : ما نقول ؟ .. قال .. قولوا : الله مولانا .. ولا مولى لكم .

لم يامرهم - عليه الصلاة والسلام - بالرد .. عندما نادى أبو سفيان أسماءهم .. ولكنه امرهم بالرد .. لما تفاخر بالهته وشركه .. فكلمة التوحيد لا يقف امامها شيء .. لم يامرهم باجابته عندما قال : افياكم محمد ؟ .. افياكم ابن ابي فحافة ؟ افياكم عمر بن الخطاب ؟ .. بل وفي بعض الروايات : انه عليه الصلاة والسلام - نهاهم عن الرد عليه .. وقال : لا تجيبوه .. ولكن عمر .. لم يملك نفسه لما قال : اما هؤلاء فقد كفيتموهم .. فقال له : كذبت يا عدو الله .

وفي هذا اظهر لعزة الاسلام .. وشجاعة المسلمين .. وقوتهم .. وعدم ضعفهم ووهنهم ..

وقد احس أبو سفيان بالعزة والخيلة .. عندما سال عن الثلاثة .. ولم يجيبوه .. وظن انهم قتلوا .. فقال : اما هؤلاء فقد كفيتموهم .. وكانت الصدمة شديدة بالنسبة له ولقومه .. عندما جابههم عمر بانهم احياء .. ليكون كيدهم اشد .. وصدمتهم اشد .

وظاهر ان في هذا الموقف تحقير واذلال لأبي سفيان .. ولهذا قال : يوم بيوم بدر .. والحرب سجال .. فاجابه عمر فقال : لا سواء .. قتلتنا في الجنة .. وقتلاكم في النار .

ولنا وقفة قصيرة .. امام عبارة قالها أبو سفيان .. في ندائه .. فقد قال :

كان في القوم مثله .. لم آمر بها ولم تسؤني .. لتتنسم في تلك العبارة أريج عظيمة لاسلام ومجده .. وشموخه وانسانيته .. حيث بنهى الاسلام دائما عن المثلة بأجساد القتلى من الاعداء .. ويؤكد هذا النهي .. حتى يجعله في درجة التحريم .. احتراماً للمشاعر الانسانية .. وتقديساً للمبادئ والقيم .. فقد اتخذ التمثيل بجثث شهداء المسلمين في يوم احد .. صورة تشمئز من فظاعتها النفوس .. وتنفر من قذارتها الضمائر ..

اشترك رجال قريش ونسأؤهم .. في بقر البطون .. وقطع الأنوف والأذان والفروج ايضا .. واتخذت هند زوج أبي سفيان وصاحباتها من تلك الاعضاء خلاخل وفلائد .. واعطت هند قلايدها وقرطها وحشياً - غلام جبير بن مطعم الذي اغتال حمزة .. فبقرت بطن حمزة .. فاخذت كبده .. فلاكتها في فمها .. فلم تستطيع ان تسيغها فلفظتها وقد قال - صلى الله عليه وسلم - « لو ساغتها ما مست جسدها النار » .

وقد كان الحليس بن زيان .. اخو بني الحارس بن عبد مناة .. وهو يومئذ سيد الاحابيش .. قد مر بابي سفيان بن حرب .. وهو يضرب شدة حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح .. ويقول : ذق عقق .. فقال الحليس : يا بني كنانة .. هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون .. فقال أبو سفيان : ويك .. اكتمها عني فانها كانت زلة .

تري عظيمة الاسلام .. في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما اصيب في تلك الفروة اصابة موجعة .. وقالوا له : لو دعوت عليهم

يا رسول الله .. فيقول : « انى لم أبعث لعانا .. ولكن بعثت داعيا ورحمة .. اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » . اعتذر عن الدعاء عليهم .. ودعا لهم بالهدى .. او عسى ان يكون من ذريتهم من يؤمن بالله .

وبينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشعب .. مع من ثبت معه .. اذ رأى طائفة من قريش تعلقو الجبل .. ومعه خالد بن الوليد .. فقال :

« اللهم انهم لا ينبغي لهم ان يعملونا .. اللهم لا قوة لنا الا بك » .

فقاتلهم عمر بن الخطاب .. وجماعة من المهاجرين .. حتى انزلوهم من الجبل .

وللمؤرخين العذر .. في ابداء العجب ..
من عودة قريش يوم احد .. دون ان يدخلوا المدينة خلف المسلمين للقضاء عليهم .. فقد قتل من المسلمين في هذا اليوم .. اكثر من سبعين* .. ولم يقتل من المشركين غير ثلاثة وعشرين .

ولكنها كانت حركة بارعة من المسلمين .. اوهمت المشركين انهم جمعوا جموعهم .. ولمسوا شعثهم .. واعدوا انفسهم لتعقبهم .. فعادوا بعد ان توعدوهم في العام المقبل .

خشى المشركون ان تعود الدائرة عليهم ..
فاتجهوا الى مكة .

نعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - ثبت في موقعه .. لم يتزعزع عنه .. وشاهده اصحابه .. فالتفوا حوله .. وقاتلوا عنه قتالا لم يالفه البشر .

رمى سعد بن ابى وقاص وحده الف سهم
.. ورمى رسول الله عن قوسه حتى اندقت سيثها .. واستطاع عمر بن الخطاب ان ينزل

الطائفة التى علت الجبل من قريش .. كل ذلك بعد الهزيمة التى لحقت بالمسلمين .. بسبب مخالفة الرماة الامر الذى امرهم به رسول الله .. وتركهم مواقعهم لما احسوا بالنصر في اول الامر .

ولكنه درس احد .. ليعلم المساهون ان الله قد نصرهم ببدر وهم اذلة مستضعفون .. لا حول لهم ولا قوة .. ولتعلم البشرية كلها .. ان النصر في طاعة الله .. وطاعة رسوله .

ولا شك في ان المسلمين حزنوا .. فعزاهم الله تعالى بقوله :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين * ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (١) .

وكان اعظم العزاء قوله تعالى :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢) .

ولما انقضت الحرب .. واستعد المشركون للعودة الى مكة .. ظن المسلمون انهم يقصدون المدينة .. لاسر الدرازى .. ونهب الاموال .. فشق ذلك عليهم .. فقال - صلى الله عليه وسلم - لعلى بن ابى طالب .

« اخرج في آثار القوم .. فانظر ماذا يصنعون ؟ .. وماذا يريدون ؟ .. فان هم جنبوا الخيل .. وامطوا الابل .. فاعلم انهم

يريدون مكة .. وان كانوا ركبوا الخيل ..
وساقوا الابل .. فانهم يريدون المدينة ..
فوالدى نفسى بيده لئن ارادوها لاسيرن اليهم
.. ثم لانا جزئهم فيها » .

قال علي : فخرجت في آثارهم .. انظر
ماذا يصنعون .. فرايتهم جنبوا الخيل ..
وامتطوا الابل .. فعلمت انهم يقصدون مكة .

وقد تشاور المشركون في نهب المدينة
.. ولكن صفوان بن امية اشار عليهم الا يفعلوا
ومشى - عليه الصلاة والسلام - بين قتلى
المسلمين .. وقد مثل بهم اعداء الله .. فرأى
عمه حمزة .. وقد بقر بطنه عن كبده ..
وجدع أنفه واذناه .. فاحس بالألم يكاد يعصر
قلبه الشريف .. فقال :

((لئن أظهرنى الله على قريش لأمثلن بثلاثين
رجلا منهم)) .. وقال المسلمون مثل ذلك ..
لما راوا حزن رسول الله .. وتوعدوا المشركين
بالمثلة في قتلاهم اذا انتصروا عليهم . فانزل الله
- تعالى - قوله :

(وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير الصابرين) (١) .
فعفا رسول الله .. ونهى عن المثلة .. وقال
« بل اصبر واحتسب » .

وقد أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- أن يدفن قتلى احد في مواقعهم .. ولا ينقلون
الى المدينة .. فكان الرجلان والثلاثة ..
يكفنون في الثوب الواحد .. ثم يدفنون في قبر
واحد بدمائهم .. لم يصل على احد منهم ..
ولم يغسلهم .

وقد استدلل الأئمة بهذا .. على أن الشهيد
لا يغسل .. ولو كان جنبنا .. بخلاف الراى
الأول في تفصيل الملائكة لحنظلة بن أبى عامر .

وأمر رسول الله بدفن عمرو بن الجموح
.. وعبد الله بن عمرو بن حرام .. في قبر واحد
.. لانهما كانا متحابين في الدنيا .

ولما أشرف - صلى الله عليه وسلم - على
قتلى المسلمين .. قال :

« انا شهيد على هؤلاء .. وما من جريح
بجرح في الله .. الا والله يبعثه يوم القيامة ..
يدمى جرحه .. اللون لون الورد .. والريح
ريح المسك » .

وعن ابن عباس .. قال .. قال رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - :

« لما أصيب اخوانكم بأحد .. جعل الله
أرواحهم في أجواف طير خضر .. ترد أنهار
الجنة .. وتاكل من ثمارها .. وتاوى الى
قناديل من ذهب في ظل العرش .. فلما وجدوا
طيب ماكلهم ومشربهم .. وحسن مقيلمهم ..
قالوا : يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا
.. لئلا يزهدوا في الجهاد .. وينكلوا عن
الحرب .. قال الله تعالى : انا أبلغهم عنكم ..
فانزل الله تعالى :

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا) . الى آخر الآيات .

ولما أراد - عليه الصلاة والسلام - العودة
الى المدينة .. ركب فرسه .. وخرج المسلمون
حوله .. وأغلبهم جرحى .. ومعهم أربع عشرة
امراة .

فلما بلغوا اصل احد .. قال لهم : اصطفوا
.. حتى أثنى على ربي - عز وجل - فاصطف
الرجال خلفه .. وخلفهم النساء .. ثم قال :
« اللهم لك الحمد كله .. لا قابض لما
بسطت .. ولا باسط لما قبضت .. ولا هادى
لمن اضلت .. ولا معطى لما منعت .. ولا مانع
لما اعطيت .. ولا مقرب لما أبعدت .. ولا مبعد
لما قربت » الحديث .

ثم عاد الى المدينة .. وهو يهدى من روع
نساء القتلى .. ويدعو لهن .. ونهاهن عن
لطم الخدود .. وشق الجيوب .. وحلق
الرعوس .

وتذكر عمه حمزة .. لما سمع النساء
لنندين أبناءهن وازواجهن واخوانهن .. فقال :
« ولكن حمزة لا يواكى له » ؟ ..

وسرت كلمته تلك في المدينة كلها ..
مسرى الريح .. فتركت كل نائحة اسم زوجها
أو ابنها أو أخيها .. وقلن جميعا .. رحم الله
حمزة سيد الشهداء .

وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة
على بابه - صلى الله عليه وسلم - بالمسجد
يحرصونه .. خشية أن تعود قريش الى
المدينة .

كانت موقعة أحد يوم السبت .. النصف
من شوال سنة ثلاث للهجرة .. ولما عزم
المشركون على العودة الى مكة .. بعد أن تواعدوا
مع المسلمين على اللقاء في موسم بدر من العام
القابل .. تلاوموا في الطريق .. وقال بعضهم
لبعض : لم تصنعوا شيئا .. أصبتم شوكتهم
.. ثم تركتموهم .. وقد بقى منهم رءوس
يجمعون لكم .. فارجعوا نستأصل شافتهم .

فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فنادى في الناس .. وندبهم الى المسير
للقاء العدو .. وقال : « لا يخرج الا من شهد
القتال » .. يقصد قتال أحد .. فقال له
عبد الله بن أبي : أركب معك ؟ .. قال : لا .

فاستجاب له المسلمون .. مع ما بهم من
الام وجراح .. وخوف وهزيمة .. وقالوا :
لك السمع والطاعة .. واستأذنه جابر بن
عبد الله .. وقال : يا رسول الله .. انى احب
الا تشهد مشهدا الا كنت معك .. وانما خلفنى
أبى على بناته .. فلم أشهد أحدا .. فأذن لى
أسير معك .. فأذن له .

وسار المسلمون مع رسول الله ..
صلى الله عليه وسلم - يوم الأحد التالى للمعركة
.. حتى بلغوا مكانا اسمه « حمراء الأسد » ..
وأقبل معبد الخزاعى الى رسول الله فأسلم ..

فأمره النبى أن يلحق بأبى سفيان .. ويفت في
عضده .. فلحقه بالروحاء .. ولم يعلم
أبو سفيان باسلامه .. فقال أبو سفيان :
ما وراءك ما معبد ؟ .. قال : محمد وأصحابه
.. قد تجمعوا لكم .. وخرجوا في جمع لم
يخرجوا في مثله .. وقد ندم من تخلف عنه من
أصحابه .. فقال : لقد اجمعنا الكرة عليهم
لنستأصلهم .. قال : لا تفعل .. فانى لك
ناصح .. فرجعوا على أعقابهم الى مكة .

وكانت تلك خدمة حربية ماهرة من
المسلمين .. ردت عنهم قريشا .. في وقت
كانوا فيه أقرب الى الضعف منهم الى القوة ..
لما أصابهم يوم أحد .

وكفى الله المسلمين شر تجمع العرب كرة ثانية
للقضاء عليهم .. لأنهم قالوا : حسبنا الله ونعم
الوكيل : (الدين قال لهم الناس ان الناس قد
جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل) (١) .

واقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في حمراء الأسد ثلاث ليال .. يوقدون فيها
خمسمائة نار .. كانت ترى على البعد ..
وعلا صوت معسكر المسلمين في كل وجه ..
فكبت الله بذلك عدوهم .

وعن ابن عباس .. قال :

« ان الله قذف الرعب في قلب أبى سفيان
.. بعد الذى كان منه يوم أحد .. فرجع الى
مكة » . وكان وجه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - مجروحا من معركة أحد .. فيه اثر
الحاقتين .. فقال لطلحة :

« يا طلحة لن ينالوا منا مثلا .. حتى
يفتح الله علينا مكة » .

وقال لعمر :

« يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا
مثل هذا .. حتى نستلم الركن »

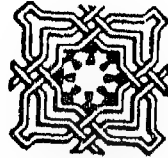
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
لا والله .. لا تمسح عارضيك بمكة وتقول :
خدعت محمدا - اضرب يا زيد عنقه .. لا يلذغ
المؤمن من حجر مرتين .. » .

وهذا المثل ضربه رسول الله صلى الله عليه
وسلم - ولم يسمع من غيره وضرب عنق أبى
حمزة - وحمل رأسه الى المدينة .

وعاد عليه الصلاة والسلام الى المدينة يوم
الجمعة - بعد ان غاب عنها خمس ليال - بعد
غزوة أحد .

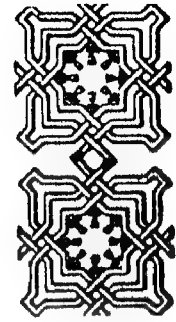
ثم قال : « والذى نفسى بيده .. لقد
سومت لهم حجارة .. لو صبجوا بها لكانوا
كأمس الداهب » يقصد حجارة قوم لوط :
(مسومة عند ربك وما هم من الظالمين ببعيد

وظفر رسول الله .. فى حمراء الاسد ..
بابى عزة الشاعر .. الذى من الله عليه يوم
بدر من غير فداء من أجل بناته .. ولكنه عاد
يستنفر الناس .. ويحرضهم بأشعاره على
قتال المسلمين .. ونقض العهد .. وخرج مع
قريش يوم أحد فأسر .. فقال : يا محمد ..
اقلنى وامتن على .. ودعنى لبناتى .. وأعاهدك
الا أعود لمثل ما فعلت .



بين أحد والخندق

تقول عائشة - رضى الله عنها - يرحم الله زينب بنت جحش .. لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذى لا يبلغه شرف .. ان الله - عز وجل - زوجها نبيه - صلى الله عليه وسلم - ونطق به فى القرآن - وان رسول الله قال لنا ونحن حوله : « اسرعن بى لحوقا اطولكن باعا » فهى اول نساء الرسول موتا بعده .



بين احد والخندق

وقد قلنا ان غزوة احد كانت في النصف من شوال .. في العام الثالث الهجرى .. وبعدها بعث - عليه السلام - في مستهل شهر المحرم - اول العام الرابع .. سرية من مائة وخمسين صحابيا .. على رأسها أبو سامة عبد الله بن عبد الأسد .. بعثها في طلب طليحة وسلمة ابني خويلد .. كانا يجمعان الناس لحرب المسلمين . فطلبهما أبو سلمة .. فلم يجدهما .. وانما وجد ابلا وشياها واموالا .. عاد بها .. ولم يلق حربا .

وفي الخامس من نفس الشهر - شهر المحرم - بلغ رسول الله ان خالد بن سفيان الهزلي .. قد جمع له الجموع .. فبعث اليه عبد الله بن انيس .. فقتله وعاد برأسه الى المدينة .

وفي شهر صفر .. قدم على الرسول سبعة نفر من عضل والقارة .. فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلما .. وسألوه ان يبعث معهم من يعلمهم الدين .. ويقرئهم القرآن .. فبعث معهم ستة من فضلاء الصحابة .

وقال البخاري : انهم كانوا عشرة - ولكن كتب السيرة كلها تجمع على انهم ستة .. وهم : عاصم بن ثابت .. ومرتدة بن ابي مرثد الغنوي .. وخالد بن البكير .. وعبد الله بن فارق

بين غزوة احد وغزوة الخندق عامان .. حدثت فيهما عدة أحداث هامة في تاريخ الرسول - عليه الصلاة والسلام - أهمها - غزوة بني النضير .. وهم يهود بالمدينة .

وللرسول مع اليهود غزوات اربع .. كل غزوة منها بعد غزوة عربية كبرى .. لها ثقلها ووزنها في التاريخ الاسلامي .

فاولتهما : غزوة بني قينقاع .. وكانت بعد غزوة بدر الكبرى - كما قدمنا - .

والثانية : غزوة بني النضير .. وكانت بعد غزوة احد .

والثالثة : غزوة بني قريظة .. وقد كانت بعد غزوة الخندق .

اما الغزوة الرابعة مع اليهود .. فهي غزوة خيبر .. وكانت بعد الحديبية .

ولكن قبل ان نصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. في غزوة بني النضير .. نرى ان نستعرض بايجاز غير مخل .. بعض السرايا التي حدثت في تلك الفترة .. قبل يوم بني النضير .. حتى لا يعولنا شيء .. من تلك السيرة العطرة .

.. وحبيب بن عدى الأوسى .. وزيد بن
الدثنة ..

ولم يكن وفد عضلًا وقارة مخلصين في ادعاء
الاسلام .. فما وصلوا بهم الى « الرجيع » ..
وهو ماء لهزيل - بين مكة والطائف - حتى
غدروا بوفد الرسول .. حيث استصرخوا عليهم
هذيلا .. وحاصروا المسلمين الستة .. يريدون
قتلهم .. فدافع هؤلاء عن انفسهم .. فقتل
منهم : عاصم .. ومرثد .. وخالد .. واستسلم
عبد الله وحبيب وزيد .. فأسروهم وخرجوا
بهم الى مكة .. لبيعوههم بها .

فلما بلغوا الظهران .. انتزع عبد الله بن طارق
يده من قيده .. وأخذ سيفه .. فتأخر عنه
القوم .. وروموه بالحجارة .. حتى قتلوه ..
وقبره بالظهران .

وانطلقوا بحبيب وزيد .. فباعوهما بمكة ..
وكانا قتلا من رءوس المشركين يوم بدر ..
فاشترى صفوان بن أمية زيدا .. وقتله
بأبيه .

وأما حبيب .. فمكث عندهم مسجوناً ..
ثم أجمعوا على قتله .. فقال له أبو سفيان :
ايسرك ان محمداً عندنا الآن في مكانك .. نضرب
عنقه .. وإنك في أهلك ؟

قال : والله ما أحب ان محمداً في مكانه الذي
هو فيه .. تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس
في أهلي !

فقال أبو سفيان : ما رايت من الناس أحداً
.. يحب أحداً .. كحب أصحاب محمد محمداً .

وفي الصحيح .. ان حبيباً .. أول من سن
الركعتين عند القتل .. فقد قال لهم قبل قتله :
ان رأيتم ان تذهبوني .. حتى أركع ركعتين
فافعلوا .. قالوا : دونك فاركع .. فركع
ركعتين أتمهما واحسنهما .. ثم أقبل على
القوم .. فقال : أما والله لو لا أن تظنوا اني انما
أظلت جزءاً من القتل .. لاستكثرت من الصلاة
.. ثم رفعوه على خشبة وهو يقول :

اللهم احصهم عدداً .. واقتلهم بدءاً ..
ولا تبق منهم احداً .. وأنشد قصيدة منها :

الى الله اشكو غربتي بعد كربتي
وما جمع الأحزاب لى عند مضجعي
وقد خيروني الكفر - والموت دونه
فقد ذرفت عيناى من غير مدمع
وما بى حذار الموت .. انى لميت
وان الى ربى اياى ومرجسى
ولست ابالى حسين اقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى

وفي تلك السرية - سرية الرجيع .. حصل
امر يبين كيف يدافع الله عن اوليائه .. وهو ان
هذيلاً حين قتلوا عاصم بن ثابت .. أرادوا قطع
راسه لبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد
.. وكانت قد نذرت حين اصاب ابنها يوم أحد
.. لئن قدرت على راس عاصم .. لتشربن فيه
الخمير .. فحالت الدبر - الزنانير - بينهم
وبينه .. فقالوا : دعوه الى الليل .. فتذهب
عنه الدبر فناخذه .. فبعث الله سيلاً احتمل
عاصماً .. فذهب به .. وكان عاصم قد اعطى
الله عهداً .. لا يمسسه مشرك .. ولا يمس
مشركاً ابداً .. تنجساً منه .

وقال عمر بن الخطاب .. حين بلغه ان الدبر
منعته عجباً لحفظ الله عبده المؤمن .. كان
عاصم نذر الا يمسسه مشرك ولا يمس مشركاً في
حياته .. فمنعه الله بعد وفاته .. كما امتنع منه
في حياته .

حزن - عليه الصلاة والسلام - من اجل
هؤلاء الأبطال الستة .. اصحاب سرية عاصم
بن ثابت .. ولكن حزنه .. في سرية بئر معونة
كان أشد وأشد .

ففى نفس شهر صفر .. من العام الرابع
الهجرى .. قدم على رسول الله .. أبو براء بن
مالك بن جعفر السامرى .. ويعرف بملاعب
الاسنة .. فدعاه الى الاسلام .. فلم يسلم
ولم يبعد .. فقال : يا رسول الله .. لو بعثت

أصحابك إلى نجد .. يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم .. فقال : انى أخاف عليهم أهل نجد .. فقال أبو براء : أنا جار لهم .. فبعث معه - كما يقول ابن اسحاق وغيره .. اربعين من خيار قراء المسلمين وساداتهم وفضلاتهم .. وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين .. والذبي في الصحيح .. هو الأصح .

وامر عليهم المنذر بن عمرو .. أحد بنى ساعدة .. وتسمى هذه السرية (بئر معونة) وسماها البعض .. سرية (القراء) .

فساروا حتى نزلوا بئر معونة .. وهى أرض بنى عامر .. وحره بنى سليم .. ثم بعثوا أحدهم يكتب رسول الله .. إلى عدو الله - عامر بن الطفيل - فلم ينظر فيه .. وقتل حامل الكتاب . واستنفر بنى عامر لقتال المسلمين .. فلم يجيبوه لأجل جوار أبى براء .. فاستنفر بنى سليم .. فأجابوه .. وأحاطوا بأصحاب رسول الله .. فقاتلوا .. حتى قتلوا عن آخرهم .. ولم ينج منهم الا كعب بن زيد .. تركوه وبه رمق .. فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا . وكان اثنان من الصحابة بعيدين عن المعركة .. هما : عمرو بن أمية العمرى .. والمنذر بن عتبة بن عامر .. ولم يعلما بما حصل .. فرأيا الطير تحوم على معسكر المسلمين .. فقالا : والله ان لهذه الطير لشيئا .. فاقبلا لينظرا .. فاذا القوم في دوائهم .. فقال المنذر لعمرو .. ما ترى ؟ .. قال : ارى ان نلحق برسول الله فنخبره الخبر .. فقال المنذر : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه أصحابى .. فقاتل القوم .. حتى استشهد .. واسر عمرو بن أمية العمرى .. فلما أخبرهم أنه من مضر .. أطلقه عامر بن الطفيل .. بعد ان جز ناصيته واعتقه عن رقبة .. فهم انها كانت على أمه .

فلما بلغ النبى - صلى الله عليه وسلم - خبرهم .. قال : هذا عمل أبى براء .. لقد كنت لهذا أكارها متخوفا .. فبلغ ذلك أبى براء .. فمات أسفا .

وعن أنس بن مالك .. قال : ما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجد - أى حزن .. على أحد ما وجد على أهل بئر معونة .. ودعا على من قتلهم ثلاثين صباحا فى القنوت .

وقال حسان بن ثابت يرثى قتلى معونة :

على قتلى معونة فاستهلى
على خيل الرسول غداة لا قوا
بدمع العين سسحا غير نزر
ولاقتهم منايهم بقدر

لقد حزن الرسول .. من أجل قتل القراء فى معونة .. لأنه لم يرسلهم لقتال .. وانما أرسلهم ليلفوا رسالته إلى أهل نجد .. وليس من عادة العرب قتل الرسل .. ولكن الله يصطفى من يشاء من عباده للشهادة .. فاستشهد أصحاب السريتين : سرية الرجيع .. وسرية بئر معونة .. كلهم فى شهر واحد .. هو شهر صفر من العام الرابع . وفى طريق عودة عمرو بن أمية إلى المدينة .. بعد ان جز ابن الطفيل ناصيته .. جلس يستظل بشجرة عند مكان - يسمى القرقرة - وجاء رجلان من بنى كلاب .. فنزلا معه .. فلما ناما .. قتلها عمرو وهو يظن انه اصاب ثار أصحابه .. وهو لا يعلم ان معهما هذا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما قدم .. أخبر رسول الله بما فعل .. فقال له : لقد قتلت ذوى عهد منى .. لادفعن ديتهما .

وكان هذا الحادث سببا فى غزوة بنى النضير - كما سنرى .

فى ربيع الأول من السنة الرابعة .. بعد وصول عمرو بن أمية الضمري .. خرج رسول الله .. فى نفر من أصحابه .. منهم أبو بكر وعمر وعلى .. إلى بنى النضير .. وهى قبيلة كبيرة من اليهود .. بينهم وبين رسول الله عهد .. ذهب اليهم يستعينهم فى دية الرجلين اللذين قتلها عمرو بن أمية .. فقالوا : يا أبا القاسم .. نعينك على ما أردت ! فجلس بجانب حائط .. هو ومن معه .. ثم خلا بعضهم ببعض .. فقالوا : من رجل يعلو الحائط من هذا البيت

.. فيلقى عليه صخرة .. فيريحنا منه ؟ ..
فقال عمرو بن جحاش بن كعب : انا افعل
ذلك . ونهاهم سلام بن مشكم .. فلم ينتهوا ..
فقال لهم : لا تفعلوا .. والله لينخبرن بما همتم
.. وانه لنقض للعهد .. فاتاه الخبر من السماء
بما اراد القوم .. فقام - عليه السلام - مظهرا
انه يقضى حاجة .. ورجع الى المدينة .. وتبعه
اصحابه .. فاخبرهم بما اراد اليهود من الغدر به
.. وامر بالتهيؤ لحربهم .. والمسير اليهم ..
واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم .. ثم سار
بالمسلمين اليهم .. فحاصروهم سنت ليل .

واجمع رجال العلم .. على أن الخمر حُرمت
في تلك الغزوة .

تحصن اليهود في حصونهم .. ورموا بالنبل
.. وكان عبد الله بن أبي وبعض المنافقين ..
قد بعثوا اليهم أن اثبتوا وتمنعوا .. فانا
لا نسلمكم .. وان قوتلتهم قاتلنا معكم .. وان
اخرجتم خرجنا معكم .. فانتظروا مساعدتهم
.. فلم يفعلوا .. وقذف الله في قلوبهم الرعب
.. وسألوا رسول الله .. أن يجليهم .. ويكف
عن دماءهم .. على أن يأخذوا أموالهم ما عدا
السلاح .. فوافق رسول الله .. وخرجوا بما
استطاعوا من أموالهم على ستمائة بعير .. ولم
يأخذوا شيئا من السلاح .. وقد خربوا بيوتهم
وحصونهم .. واخذوا ما فيها من فاخر الابواب
.. وجميل الشرفات .. وحملوها على الابل .

ويدافع الدكتور - ولفنسون - عن اليهود
في كتابه - تاريخ اليهود في بلاد العرب -
بقوله :

« ان بنى النضير .. لم يهدموا بيوتهم بقصد
التخريب .. وانما لأخذ الصحف المشتملة على
وصايا موسى .. وكانوا يحفظونها في نجاف
البيوت وشرفها » .

ولكن النباش عن الصحف .. لم يكن يستدعي
هدم البيوت كلها .. فقد قال ابن اسحاق :

ان الرجل منهم .. كان يهدم بيته عن نجاف
بابه .. فيضعه على ظهر بعيره فينطلق .. بل
وتقول السيرة الحلبية : انهم صاروا ينقضون
العمد والسقوف .. وينزعون الخشب .. حتى
الأتاد .. وينقضون الجدران .. حتى لا يسكنها
المسلمون حسدا وبغضا :

(يخربون بيوتهم بأيديهم وايدى المؤمنين
فاعتبروا يا أولى الابصار) (١) .

وفي البخاري .. كان ابن عباس يسمى سورة
- الحشر - سورة بنى النضير ..

فعن سعيد بن جبير .. قال .. قلت لابن
عباس : سورة الحشر .. قال : قل سورة بنى
النضير .

وقد رحل من زعمائهم وأكابرهم : حبي بن
اخطب .. وسلام بن الحقيق .. وغيرهما ..
الى خيبر .. على بعد مائة ميل من المدينة ..
وذهب الباقيون الى الشام .

ولم يسلم من بنى النضير .. غير : ماسين
بن عمرو .. وأبو سعد بن وهب . وقد وجد -
عليه الصلاة والسلام - من السلاح عندهم ..
خمسين درما .. وخمسين بيضة (٢) وثلاثمائة
واربعين سيفا .. وكانت أموالهم خاصة
لرسول الله - صلى الله عليه وسلم ..
يضعها حيث يشاء .. فقسمها على المهاجرين
الاولين خاصة .. ليرفع بها مؤنتهم عن
الانصار .

وهكذا خرجنا من غزوة بنى النضير ..
ناني غزوة من غزوات الرسول مع اليهود ..
لنصحه .. عليه الصلاة والسلام - بعد شهرين
في غزوة « ذات الرقاع » . ويطلق عليها أسماء
كثيرة .. منها : غزوة محارب .. وغزوة بنى
ثعلبة .. وغزوة نجد - وغزوة صلاة الخوف -

ففي شهر جمادى الاول من العام الرابع غزا
بنفسه نجدا وبنى ثعلبة من غطفان .. فقتل
بلغه أنهم يجمعون له الجموع .

واختلف الرواة في عدد جيش المسلمين ..

بين اربعمائة وسبعمائة .. واستعمل على المدينة اباذر الغفاري .. وقيل عثمان بن عفان .

وسار بالمسلمين حتى نزل نخلا .. وهو موضع بنجد من ارض غطفان .. وسميت غزوة - ذات الرقاع - لانهم رفعوا فيها راياتهم .

- ولقى رسول الله فيها جمعا عظيما من غطفان .. وتقارب الناس .. ولم يحصل بينهم حرب . وقد خاف الناس بعضهم بعضا .. حتى صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس صلاة الخوف ..

وجاء في صحيح البخاري .. عن عبد الله بن عمر .. قال :

« غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل نجد .. فوازيانا العدو .. فصاففتنا لهم .. فقام رسول الله يصلي بنا .. فقامت طائفة معه .. واقبلت طائفة على العدو .. وركع رسول الله بمن معه .. وسجد سجدتين .. ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل .. فجاءوا فركع رسول الله بهم ركعة .. وسجد سجدتين .. ثم سلم .. فقام كل واحد منا فركع لنفسه ركعة وسجد سجدتين » .

وكانت اول صلاة صلاها رسول الله للخوف

.. ثم انصرفوا الى المدينة .

حيث يقى بها شهرى جمادى ورجب .. وجاء شعبان .. وحان موعد سوق بدر .. الذي حدده ابو سفيان .. يوم غزوة احد .

فخرج - عليه الصلاة والسلام - لميعاد ابي سفيان .. ونزل بدرا في انتظاره .. وهى غزوة بدر الاخيرة .

خرج - صلى الله عليه وسلم - في الف وخمسمائة .. وكانت الخيل عشرة افراس .. وحمل لواءه على بن ابي طالب .. واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجي .. وخرج

ابو سفيان في الفين من قريش .. ومعهم خمسون فرسا .. ونزل بهم موضعا قريبا من مر الظهران .. ثم رأى أن يرجع من غير حرب .. فقال : يا معشر قريش انه لا يصلحكم الا عام نخصيب .. ترعون فيه الشجر .. وتشربون فيه اللبن .. وان عامكم هذا عام يجذب .. وانى راجع فارجعوا .. فراجع الناس .. فسماهم اهل مكة جيش السويق .. وهو ناعم الدقيق من القمح والشعير .

ويبدو ان ابا سفيان لم يكن يريد حربا .. وانما كان خروجه .. حتى لا يقال : اخلف ابو سفيان وعده وخاف .

وكان ابو سفيان قد بعث الى المدينة رجلا انسمه - نعيم - ليفت في عشد المسلمين .. ويخوفهم كثرة جيش قريش .. حتى لا يخرجوا .. ويلتمس من ذلك عذرا له في العودة بغير حرب .. ولكن رسول الله قال :

« والذى نفس بيده .. لو لم يخرج معى احد لخرجت وحدى » .

واقام رسول الله ببدر ثمانية ايام .. ينتظر ابا سفيان .. وريح المسلمون كثيرا من تجارتهم التي باعوها في سوق بدر .. في تلك المدة .. ثم عادوا الى المدينة .

وفي هذه السنة الرابعة من الهجرة .. تزوج رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ام المؤمنين - ام سلمة - بنت ابي امية .

وانتهى العام الرابع من الهجرة .. عند هذا الحد .. وبدا العام الخامس .. ومضى معه شهر المحرم .. دون احداث تستحق البحث .

وفي شهر صفر من العام الخامس .. حدث امر يقتضينا الوقوف امامه وقفة صفيرة .. امر ذكره القرآن الكريم في عدد من آياته .. وهو زواجه - عليه السلام - من ام المؤمنين - زينب بنت جحش - وهى ابنة عمته اميمة .. وفيها نزل قوله تعالى :

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) (١) .
كان قد زوجها من زيد بن حارثة .. الذى
تبناه رسول الله .. فلما طلقها زيد .. زوجه الله
ايها .. ليكون اسوة للأمة .. فى نكاح ازواج
من تبنيه .

ولهذا كانت تفتخر على امهات المؤمنين وتقول
« زوجكن اهلكن .. وزوجنى الله من فوق سبع
سماوات » .

كان زيد بن حارثة .. مولى خديجة ..
وهبته لرسول الله .. قبل البعثة .. وهو
ابن ثمان فاعتقه رسول الله وتبناه .. وكانوا
يدعونه .. زيد بن محمد .. ولما خطب رسول
الله زينب له .. ابت فى أول الامر .. فهى ترى
أن زيدا غير كفء لها حسبا ونسبا .. وكانت
تتصف بالحدة .. ولكن لما نزل قوله تعالى :
(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم) (٢)
قالت : رضيته لى يا رسول الله زوجا ..
وتزوجها زيد .

واخبر الله رسوله أن زيدا سيطلق زوجته
.. وتزوجها بعده .. فلم يتحدث
بهذا الامر .. مخافة طعن الأعداء والمنافقين ..
وفى نفس الوقت .. يلح زيد على الرسول ..
فى طلب طلاق زوجته .. فيقول له الرسول :
(امسك عليك زوجك واتق الله) .. فعاتبه
الله على ذلك بقوله :

(واذا تقول للذى انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى
نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق
ان تخشاه) (٣) .

وفى هذه الآية عتاب على ترك الاولى ..
فكان الاولى الا يمنع زيدا من طلاقها . وطلقها
زيد .. وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بعد انقضاء عدتها .. لابطال عادة

التبنى .. فالمشروع يستفاد من فعله .. كما
يستفاد من قوله .. وكان زيد بعد ذلك يدعى
- زيد بن حارثة - وقال تعالى :

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي
لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادميائهم
اذا فوضوا منها وطرا وكان امر الله معمولا (٤) .

**وليفسر الله لمن تشطحت بهم اوهامهم الى
غير هذا .. فى هذا الحدث .**

اولم عليها رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - بخبز ولحم .. وكانت سائمة قوامه
.. تنيره الحبر .. تعمل بيدها وتتصدق به
.. وكان اسمها - برة - فسماها رسول الله
- زينب - وهى يومئذ بنت خمس وتلاتين سنة
.. ويسببها نزلت اية الحجاب . ارسل اليها
عمر بن الخطاب - وهو امير المؤمنين - انى
عشر الف درهم .. كما فرض لنساء النبى -
فى خلافته .. فأخذتها ووفرتها على دوى
مرايتها والايتام .. ثم قالت : « اللهم لا يدركنى
عطاء لعمر بن الخطاب بعد هذا » .. فماتت فى
ذلك العام .. سنة عشرين .. وهى بنت
خمسين سنة .. وصلى عليها عمر .. ودفنت
بالبيع .. بين دار عقيل .. ودار ابى الحنفية .

تقول عائشة - رضى الله عنها : « يرحم الله
زينب بنت جحش .. لقد نالت فى هذه الدنيا
الشرف الذى لا ييلفه شرف .. ان الله -
عز وجل - زوجها بييه - صلى الله عليه وسلم
- ونطق به القرآن .. وان رسول الله قال لنا
.. ونحن حوله « أسرعن لحوقا بى ..
أطولكن باعا » فبشرها رسول الله ببرعة لحوقها
به .. فهى أول نساء النبى موتا بعده » .

**ونعود سراعا الى شهر ربيع الأول سنة
خمس من الهجرة .. لنشرف بصحبة رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فى أول غزوة
بالشام .. وهى : « غزوة دومة الجندل » .**

(٢) ٣٦ - الأحزاب .

(٤) ٣٧ - الأحزاب .

(١) ٣٧ - الأحزاب .

(٢) ٣٧ - الأحزاب .

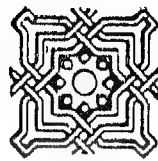
ودومة الجندل - بضم الدال - مدينة
بينها وبين دمشق خمس ليال . وتبعد عن
المدينة بخمس عشرة ليلة . . . وهى اقرب بلاد
الشام الى المدينة . خرج - عليه الصلاة
والسلام - اليها . . لما علم أن بها جمعا كبيرا . .
يحاولون الدنو من المدينة . . خرج ومعه الف
من اصحابه . . واستخلف على المدينة - سبع
ابن عرفة . . . ومعه دليل من بنى عذرة . .
اسمه - مذكور .

فلما دنا منهم . . لم يجد الا الانعام والشاء
.. فهجم عليها وعلى رعاتها . . فأصاب من
أصاب . . وهرب من هرب . . وعلم أهل
دومة الجندل بقدومه ففرقوا . . ونزل
بساحتهم . . فلم يلق أحدا . . فأقام بها أياما
.. ثم رجع . . ودخل المدينة بعد منتصف
ربيع الآخر فى السنة الخامسة .
وقد كنت أريد أن أجمع أحداث العامين . .

بين أحد والخندق . . فى فصل واحد . . كما
ذكرت فى مطلع هذا الفصل . . تفاديا لارهاق
القارئ . . فى بحوث أفاض فيها أثمتنا الأفاضل
.. ورجال السيرة الكرام . . وأوفوها حقها
بحثا وتحقيقا وتدقيقا . . ولكنى رأيت فى
(غزوة بنى المصطلق) من الأحداث الكبار . .
والأمور الخطيرة . . ما أجبرنى على أفراد فصل
خاص بها .

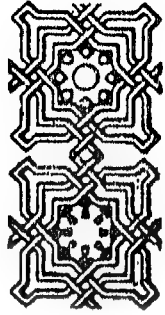
ففيها نصر « للمسلمين كبير » وفتح للإسلام
عظيم .

وفيهما أسلوب جديد من أساليب تأليف
القلوب . . ونشر الإسلام .
وفيهما أيضا حديث الأفك . . الذى هز
مشاعر المسلمين هزا عنيفا .
وكانت قبل غزوة الخندق . . ولهذا افردت
لها فصلا خاصا .



غزوة بنى المصطلق وحديث الإفك

فيها حكمة المستشير .. وصدق المستشار ..
فقد اختار لاستشارته أسامه بن زيد .. وعلى بن أبي
طالب .. وقد صدقه الاثنان .. فشهد أسامه
بما يعلمه من عفتها وبراءتها وحصانتها ودينها ..
وأشار على بما يخفف عن الرسول الأمام بحسم الداء
.. والاعراض عما يقوله الناس .



غزوة بنى المصطلق وحديث الافك

ولقى فى الطريق جاسوسا لخزاعة ..
فقتله .. وسار بالمسلمين .. حتى نزل ماءهم
بالمريسيع .. وضربوا عليه قبة رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وكان معه عائشة
وأم سلمة - رضى الله عنهما .

وسبق الرعب جيش المسلمين ..
ففرع الحارث بن ابي ضرار .. وتملكه الحلز
والخوف .. وتفرق عنه الكثير من العرب ..
الذين تجمعوا معه ..

والتقى الجيشان .. وثراموا بالنبل ساعة
.. ثم امر رسول الله أصحابه .. فحملوا على
أعدائهم .. حملة رجل واحد .. فقتلوا منهم
عشرة .. واسروا الباقين جميعا .. وكانوا
أكثر من سبعمائة .. وسبوا الرجال والنساء
والدرية .. وساقوا أنعامهم .. وأموالهم معهم
الى المدينة .

ولم يقتل من المسلمين غير هشام بن صبابه
.. ويقال قتله رجل من الانصار خطأ .. وهو
يعتقد أنه من الأعداء .

غزوة « بنى المصطلق » هذه يسميها البعض
غزوة « المريسيع » . والمريسيع اسم ماء لبنى
خزاعة .. وبنو المصطلق بطن من بطون خزاعة .
فقد علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أن الحارث بن ابي ضرار .. سيد بنى المصطلق
.. جمع ما استطاع .. من قبائل العرب ..
واستعد لحرب المسلمين .. فأرسل - عليه
السلام - بريدة بن الخصيب الأسلمى لاستطلاع
هذا الأمر .. وعاد بريدة بعد أن لقي الحارث
وحديثه .. فأخبر رسول الله .. أن الأمر
صحيح .. وأنهم جادون فى الحرب .

فخرج - عليه السلام - فى اليوم الثانى من
شعبان سنة خمس .. وخرج معه كثير من
المنافقين .. ولم يخرجوا معه قبلها .. وكان
فى جيش المسلمين ثلاثون من الخيل .. عشرة
للمهاجرين .. وعشرون للأنصار .. واستخلف
على المدينة زيد بن حارثة - مولاه - وقيل :
أبا ذر الغفارى - ثم جعل راية المهاجرين لأبى
بكر .. وراية الأنصار لسعد بن عباد .

وغاب رسول الله عن المدينة في تلك الغزوة .. ثمانية وعشرين يوما . وقد ذكر ابن هشام غزوة بنى المصطلق .. بعد الأحزاب ومريظة مخالفا بذلك غيره من أصحاب السيرة .

وكانت جويرية بنت الحارث - سيد القوم - من بين النسبي .. فصارت في القسمة لأحد المسلمين .. فتأثب عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واعتقها وتزوجها تكريما لها .. ولأبيها سيد بنى المصطلق .. بعد ذله وهوانه .. لأنه - عليه السلام يقول : « ارحموا عزيز قوم ذل » ولنسمع قصة زواجها من أم المؤمنين عائشة .. فتقول :

« لما قسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سبايا بنى المصطلق .. وقعت جويرية بنت الحارث في السهم - لثابت بن قيس بن شماس .. أو لابن عم له .. فكاتبته (١) على نفسها .. وكانت امرأة حلوة ملاحه .. لا يراها أحد إلا أخذت من نفسه .. فأتت رسول الله .. تستعينه في كتابتها .. قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رايتها فكرهتها .. وقلت يرى منها ما قد رأيت .. فلما دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت : يا رسول الله .. أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه .. وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك .. وقد كاتبته على نفسي .. فأعنى على كتابتي .. فقال لها : أو خير من ذلك .. أؤدي عنك كتابتك .. واتزوجك ؟ .. فقالت : نعم يا رسول الله .. ففعل رسول الله ذلك .. فبلغ الناس أنه تزوجها .. فقالوا : أصهار رسول الله .. فأرسلوا ما كان في أيديهم من بنى المصطلق .. اعتق بها مائة من أهل بيت بنى المصطلق .. فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها » .

تزوجها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فحجبها .. وقسم لها .. وكانت بنت عشرين

سنة .. وأسلم أبوها الحارث .. وأسلم معه جميع بنى المصطلق .

وهكذا كان ترابط الرسول بالمصاهرة مع القبائل من أكبر العوامل .. في تأليف القلوب .. ونشر الإسلام بين بطون العرب .

لقد هدى الله كثيرا من خزاعة .. بسبب زواج الرسول من جويرية .

وتختلف رواية ابن اسحاق وابن هشام في زواج جويرية - رضى الله عنها - شيئا ما عن رواية أم المؤمنين عائشة .. فيقول ابن هشام

قدم الحارث بن ضرار .. بفسداء ابنته جويرية .. فلما كان بالعقيق - قرب المدينة - نظر الى الأبل التي جاء بها للفداء .. فرغب في بيعين منها .. ففيها في شعب من شعاب العقيق .. ثم أتى الى النبي - عليه الصلاة والسلام - وقال : يا محمد أصبتم ابنتى .. وهذا عداؤها .. فقال له : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق .. في شعب كذا ؟ .. فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله .. وأنت رسول الله .. فوالله ما أطلع على ذلك إلا الله .. فأسلم الحارث .. وأسلم معه ابنان له .. وناس من قومه كثير .. وأسل الى البعيرين فجاء بهما .. فدفع الأبل الى النبي .. ودفعت اليه ابنته جويرية .. فأسلمت وحسن إسلامها .. فخطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى أبيها .. فزوجه إياها .. وأصدقها أربعمائة درهم - أ ه - .

توفيت أم المؤمنين - جويرية - سنة خمسين .. ولها من العمر خمس وسنون سنة .

وفي غزوة بنى المصطلق .. سبى حديث الإفك .. الذي اتهم فيه المنافقون الصديقة بنت الصديق .. أم المؤمنين .. وزوج حبيب الله ورسوله - التي قال عنها :

« خدوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ويقول عنها عروة : ما رأيت أحدا أعلم بفقها .. ولا بطب .. ولا بشعر من عائشة .

(١) تشتري نفسها منه .

ولو لم يكن لعائشة من الفضائل الا قصة الافك .. لكفى بها فضلا وعلو مجد .. فانها نزل فيها من القرآن ما يتلى .. ويتعبد به الى يوم القيامة .

خاض في حقها المنافقون .. الذين خرجوا لأول مرة مع الرسول في تلك الغزوة .. وزلزل المؤمنون في هذا الحادث زلزالا شديدا .. وتحرز المخلصون منهم .. فقالوا : (سبحانك هذا بهتان عظيم) .. سبحوا الله .. ونزهوه عما لا يليق به أن يجعل لخليله .. واكرم الخلق عليه .. امرأة ترتكب الفاحشة .. قطعوا قطعا لا يشكون فيه .. أن هذه فرية ظاهرة .. وبهتان عظيم .

وخير ما نسمع حول هذا الحدث ..

ما قالت عائشة - رضى الله عنها - قالت : « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أراد سفرا .. أقرع بين نسائه .. فإيهن خرج سهمها .. خرج بها معه .. فلما كانت غزوة بنى المصطلق .. أقرع بين نسائه كما يصنع .. فخرج سهمى .. فخرج بى .. وكنت اذا رحل لى بعيرى .. جلست فى هودجى .. ثم يأتى القوم .. فيأخذون بأسفل الهودج .. فيرفعونه .. فيضعونه على ظهر البعير .. فيشدونه بحباله .. ثم يأخذون برأس البعير .. فينطلقون به .. فلما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من سفره ذاك .. وجهه قافلا (١) حتى اذا كان قريبا من المدينة .. نزل منزلا .. فبات به بعض الليل .. ثم اذن فى الناس بالرحيل .. فارتحل الناس .. وخرجت لبعض حاجتى .. وفى عنقى عقد لى .. فيه جرز ظفار (٢) .. فلما فرغت انسل من عنقى .. ولا ادرى - فلما رجعت الى الرحيل .. ذهبت التمس فى عنقى .. فلم أجده .. وقد اخذ الناس فى الرحيل .. فرجعت الى مكانى

الذى ذهبت اليه .. فالتمسته حتى وجدته .. وجاء القوم على خلاف .. الذين كانوا يرحلون البعير .. وقد فرغوا من رحلته اى تجهيزه .. فأخذوا الهودج .. وهم يظنون انى فيه .. كما كنت أصنع .. فاحتملوه فشدهوه على البعير .. ولم يشكوا انى فيه .. ثم اخذوا برأس البعير .. فانطلقوا به .

فرجعت الى العسكر .. وما فيه من داع ولا مجيب .. قد انطلق الناس . قتلقت بجلبابى .. ثم اضطجعت فى مكانى .. وعرفت أن لو افتقدت لرجع الى .. فوالله انى لمضاجعه .. اذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى .. وقد كان تخلف عن العسكر .. لبعض حاجته .. فلم يبت مع الناس .. فرأى سوادى .. فأقبل حتى وقف على .. وقد كان يرانى .. قبل أن يضرب علينا الحجاب .. فلما رآنى قال : انا لله وانا اليه راجعون .. ظعينة رسول الله ؟ وانا متلففة فى ثيابى .. قال : ما خلفك يرحمك الله ؟ .. قالت : فما كلمته .. ثم قرب البعير .. فقال : اركبى .. واستأخر عنى .. قالت : فركبت .. واخذ برأس البعير .. فانطلق سريعا .. يطلب الناس .. فوالله ما أدركنا الناس .. وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس .. فلما اطمأنوا .. طلع الرجل يقود بى .. فقال أهل الافك ما قالوا .. فاضطرب العسكر .. ووالله ما أعلم بشيء من ذلك » .

وجاء فى حديث ابن عمر : أن عبد الله بن أبى .. قال عندما رآها قادمة .. على بعير صفوان : « فجر بها ورب الكعبة » فقد كان ابن أبى زعيم عصابة الافك .

ونعود الى حديث السيدة عائشة - رضى الله عنها - على ما أورده ابن هشام .. وقد ورد هذا الحديث .. فى صحيح البخارى باللفظ يختلف احيانا .. ولكن بنفس المعنى .

(١) راجعا .

(٢) الجرز : الغرز .. وظفار : مدينة باليمن ينسب اليها نحر الجيد .

تقول عائشة :

ثم قدمنا المدينة .. فلم البث أن اشتكيت شكوى شديدة - أى مرضا - ولا يبلغنى من ذلك شيء .. وقد انتهى الحديث الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والى أبوى .. لا يدكرون لى منه قليلا ولا كثيرا .. الا انى قد انكرت - أى افتقدت - من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعض لطفه بى - كنت اذا اشتكيت رحمنى ولطف بى .. فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك .. فانكرت ذلك منه .. حتى وجدت - أى حزنت - فى نفسى .. فقلت يا رسول الله .. حين رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى فانتقلت الى أمى فمرضتنى ؟ .. قال : لا عليك .

فانتقلت الى أمى .. ولا علم لى بشيء مما كان .. حتى نقهت من وجعى فى بضع وعشرين ليلة .

وكنا قوما عربا .. لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف - دورات المياه - التى تتخذها الأعاجم .. ناعافها ونكرها .. انما كنا نذهب فى فسخ المدينة .. وانما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن .. فخرجت ليلة لبعض حاجتى .. ومعى - أم مسطح - بنت أبى رهم بن عبد المطلب .. وكانت أمها خالة أبى بكر الصديق .. فوالله انها لتمشى معى .. اذ عثرت فى مرطها - أى كسائها - فقالت : تعس مسطح - تقصد ابنها - وهو أحد عصبة الافك .. قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرا .. قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من أهل الافك .. قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم .. والله قد كان .. فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى .. ورجعت .. فوالله ما زلت أبكى .. حتى ظننت أن البكاء سيصدع قلبى .

وقلت لأمى : يغفر الله لك .. تحدث الناس بما تحدثوا به .. ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ؟

قالت : أى بنية خفضى عليك الشأن .. فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها .. لها ضرائر .. الا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك :

فحمد الله واثنى عليه .. ثم قال : « يا أيها الناس .. ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى .. ويقولون عليهم غير الحق .. والله ما علمت منهم الا خيرا .. ويقولون ذلك لرجل .. والله ما علمت منه الا خيرا .. يقصد صفوان - وما يدخل بيتا من بيوتى .. الا وهو معى » .

وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبى بن سلول .. فى رجال من الخزرج .. مع الذى قال مسطح وحمئة بنت جحش - أخت زينب زوجة رسول الله .. وذلك أن اختها زينب كانت عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني - أى تساوينى - فى المنزلة عنده غيرها .. فأما زينب فقد عصمها الله - تعالى - بدينها .. فلم تقل الا خيرا .. وأما حمئة بنت جحش فأشاعت من ذلك ما أشاعت .. تضادنى - أى تعادينى - لأختها .. فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك المقالة .. قال أسيد بن حضير : يا رسول الله .. ان يكونوا من الأوس نكفكهم .. وان يكونوا من اخواننا من الخزرج .. فمرنا بأمرك .. فوالله انهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

قالت : فقام سعد بن عبادة .. فقال : كذبت لعمرؤ الله .. لا تضرب أعناقهم .. أما والله ما قلت هذه المقالة .. الا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج .. ولو كانوا من قومك ما قلت هذا .

فقال أسيد : كذبت لعمرؤ الله .. ولكنك منافق .. تجادل عن المنافقين .. وتساور الناس .. حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر .

ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فدعا على بن أبي طالب .. وأسامة ابن زيد ..
فاستشارهما .. فأما أسامة .. فأتى على
الله خيرا : ثم قال : يا رسول الله ..
اهلك ولا نعلم منهم الا خيرا .. وهذا الكذب
والباطل .

وأما على .. فانه قال : يا رسول الله ..
ان النساء لكثير .. وانك لقادر على ان تستخلف
.. وسل الجارية .. فانها ستصدقك .. فدعا
رسول الله جاريته ليسالها .. فقام اليها على
وضربها .. وهو يقول : أصدقى رسول الله ..
قالت .. فتقول : والله ما اعلم الا خيرا ..
وما كنت أعيب على عائشة شيئا .. الا انى
كنت اعجن العجين فأمرها ان تحفظه .. فتنام
عنه .. فتأتى الشاة فتاكله .

ثم دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وعندى أبواى .. وعندى امرأة من
الأنصار .. وأنا أبكى .. وهى تبكى معى ..
فجلس فحمد الله .. وأثنى عليه .. ثم قال :
يا عائشة .. انه قد كان ما قد بلغك من قول
الناس .. فاتقى الله .. وان كنت قد قارفت
سوءا مما يقول الناس .. فتوبى الى الله ..
فان الله يقبل التوبة عن عباده .

فوالله ما هو الا ان قال ذلك لى - فقلص
دمى - أى ارتفع .. حتى ما احس منه شيئا .
وانتظرت أبوى ان يجيبا عنى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - فلم يتكلما .

قالت وايم الله .. لانا كنت احقر فى نفسى
.. واصغر شأننا .. من أن ينزل الله فى قرآنا
.. يقرأ به فى المساجد .. ويصلى به .. ولكنى
كنت أرحو أن يرى رسول الله فى نومه شيئا
يكذب الله به عنى .. لما بعلم من براءتى .. او

يخبر خبرا .. فأما قرآن ينزل فى .. فوالله
لنفسى كانت احقر عندى من ذلك .

قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان .. قلت لهما :
الا تجيبا رسول الله ؟ .. فقالا : والله لا ندرى
بماذا نجيبه .. قالت : والله ما اعلم اهل بيت
دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر .. فى تلك
الأيام .. فلما استعجما على .. أى سكتا ولم
يتكلما - استعبرت فبكيت .. ثم قلت : والله
لا اتوب الى الله مما ذكرت ابدا .. والله انى لاعلم
.. لئن أقررت بما يقول الناس .. والله يعلم انى
منه بريئة .. لأقولن ما لم يكن .. ولئن أنا
انكرت ما يقولون .. لا تصدقوننى .. ثم التمسيت
اسم - يعقوب - فما اذكره .. فقلت : ولكن
سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون » .

فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه
وسلم - مجلسه .. حتى تفشاه من الله ما تفشاه
.. فسجى بثوبه .. ووضعت له وسادة من آدم
تحت رأسه .. فأما أنا حين رأيت من ذلك
ما رأيت .. فوالله ما فزعت وما باليت .. قد
عرفت انى بريئة .. وان الله - عز وجل - غير
ظالمى .. وأما أبواى .. فوالذى نفس عائشة
بيده .. ما سرى عن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا ..
من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس .

ثم سرى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وسلم - فجلس .. وانه ليتحدر منه مثل
الجمان (١) .. فى يوم شات .. فجعل يمسح
العرق من جبينه .. وهو يقول :

« أبشرى يا عائشة .. فقد أنزل الله براءتك
.. قلت : يحمد الله .

ثم خرج الى الناس فخطبهم .. وتلى عليهم
ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك .. ثم أمر
بمسطح بن اثالة .. وحسان بن ثابت .. وحمزة

يبيت جحش .. وكانوا ممن الفصح بالفاحشة ..
فضربوا حدهم - اه ..

وقد حكم الله فيها بقوله تعالى :

(ان الذين جاءوا بالافك عصية منكم ..
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) .. الى
آخر الآيات من سورة النور (١) .

تلك هي قصة الافك .. نرى فيها

الهدية من المشاهد والصور .. والكثير من
الاجاسيس والعبر .. نرى فيها الحق والصدق
.. يطل بوجهه الكئيب من عين عبد الله بن أبي
.. فيبيني من النظرة الاولى صرحا عريضا ..
من فتنة هزت قلوب الرجال .

نرى الشائعات تبيض وتفرخ .. وتنمو على
لسانه .. وهو يستحكي الافك .. ويشيعه
ويديعه .. ويجمعه ويفرقه .. وكان اصحابه
يتقربون به اليه .

نرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
تعتجره الهموم اعتصارا .. وهو يسمع ما يقوله
المرجفون .. ويردده المنافقون .. ولكن في صبر
الموقن الواثق من اهله واصحابه ..

فيقول : « ما بال رجال يؤذونني في اهلي ..
ويقولون عليهم غير الحق .. ويقولون ذلك لرجل
والله ما علمت منه الا خيرا » .

ونرى فيها حكمة المستشار .. وصديق
المستشار .. فقد اختار لاستشارته اسامة ابن
زيد .. وعلى بن أبي طالب .. وقد صدقه
الاثنان .. فشهد اسامة بما يعلمه من عفتها
وبراءتها وحصانتها ودينها .. وأشار على بما
يخفف عن الرسول آلامه .. بحسم الداء
والامراض عما يقول الناس .

ونرى فضلاء الصحابة .. يدفعون الشك عن
نفوسهم .. في قوة ايمان و يقين ..

قالوا : (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

ونرى الحكمة واضحة في جعل هذا الحدث
امتحانا وابتلاء لرسول الله - صلى الله عليه

وسلم - والامة كلها .. ليزيد اللذين اهتسبوا
هدى وايمانا .. ولا يزيد العالمين الا غمًا وضلالا
نرى فيه ثقة المؤمن بربه .. وانقطاع رجائه من
المخلوقين .. وياسه من رسول الفرج من اجل
غير الله .. فنرى عائشة .. قد وفيت هذا المقام حقه
.. عندما قال لها ابوها : قومي الي ربك ولي الله ..
وقد انزل الله عليه براءتها .. فقالت .. كما ورد
في صحيح البخاري : « والله لا اقوم اليه ..
ولا احمد الا الله .. هو الذي انزل براءتي » .

لقد حبس الوحي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الله عليه وسلم - شهرا .. حتى نضجت القلبية
وتمحضت .. واستشرفت قلوب المؤمنين الى
حكم السماء .. وكانت لهمة الرسول واهله ..
وابى بكر واهله أشد فورًا عليهم بحكم الله ..
ورود الفيث على أرض هامة .

لما جاء الوحي ببراءتها .. أمر رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - باقامة الحد على من
صرخوا بالافك .. ولم يقمه على عبد الله بن أبي
بن سلول .. زعيم العصبة .. لانه لم يصريح ..
بل كان يستحكي .. ويستوشي الحديث ..
ويجمعه ويخرجه في قالب لا ينسب اليه .

وهنا قبر عظمى الاسلام في الجود ..
فالحد لا يثبت الا بالاقرار او البينة .. وابن أبي
لم يقر بالقذف .. ولم يشهد به عليه أحد ..
فانه لم يكن يذكره الا مع اصحابه .. ولا يذكره
بين المؤمنين .. واصحابه لا يشهدون عليه ..

كما ان الحدود تخفيف وإفارة عن اهله ..
وهو ليس اهلا لذلك .. فقد وعده الله بالعذاب
الاليم العظيم في الآخرة .. فيكفيه ذلك عن حد
الدنيا .

وقد اثار ابن قيم الجوزية .. في هذا المقام
نقاشا .. فقال انه حق لله .. فلا بد من مطالبة
المقذوف .. وعائشة - رضى الله عنها - لم تطالب
به ابن أبي .. ثم قال : بل ترك حده لمصلحة

.. يظهرها لهم وتغفيرا .. وترك ابن ابي .. فلم
يقم عليه الحد .

وفي ذلك يقول عبد الله بن رواحة :

لقد ذاق حسان الذي هو اهله
وحمنة اذا قالوا هجيرا .. ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم
وسخطه ذى العرش الكريم فابرحوا (٢)
كما نرى زينب بنت جحش - رضى الله عنها -
وهي التي تزاحم عائشة - رضى الله عنها -
في قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يعصمها ايمانها .. فتقول عندما سألها عن
عائشة : احمى سمعى وبصرى .. لا اعلم عنها
الا خيرا .

كما نرى سماحة الاسلام .. لما نزلت البراءة
.. قال ابو بكر - رضى الله عنه - وكان ينفق على
مسطح لقربته منه : والله لا انفق على مسطح
شيئا ابدا .. ولا انفعه بنفع ابدا .. بعد الذي قال
عن عائشة وادخل علينا .. فانزل الله تعالى :
« ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة
ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله وليعفوا وليصفحوا .. الا تحبون ان
يغفر الله لكم والله غفور رحيم » (٢) .

فقال ابو بكر : بلى والله .. انى احب ان
يغفر الله لى .. فرجع الى مسطح نفقته .. التي
كان ينفق عليه .. وقال : والله لا انزعها منه
ابدا .

هي اعظم من اقامته .. كما ترك قتله مع ظهور
نفاقه .. وتحذره بما يوجب القتل مرارا .

هذه المصلحة .. هي تأليف قومه .. وعدم
تنفيرهم من الاسلام .. فانه كان مطاعا فيهم ..
رئيسا عليهم .. فلم يامن الرسول اثاره
الفتنة في حده .

وقد روت بعض كتب السيرة .. ان ابن ابي
.. قال في تلك الفروة :

(لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل) .. فبلغها زيد بن الارقم رسول الله -
صلى الله عليه وسلم .

وجاء ابن ابي يعتذر .. ويحلف ما قال ..
فسكت عنه النبي .. فانزل الله تصديق زيد ..
في سورة « المنافقون » .. فآخذ النبي باذنه
فقال :

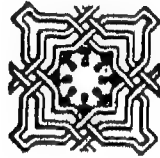
« ابشر فقد صدقتك الله » .. ثم قال :

« هذا الذي وفي الله باذنه » .. فقال عمر :

يا رسول الله .. مر عباد بن بشير ..
فليغرب عنقه .. فقال :

« فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل
اصحابه » .

وقد طلب محمد ابنه ان يقتل اياه .. فابى
رسول الله .
جلد مسطح بن اثانة .. وحسان بن ثابت ..
وحمنة (١) بنت جحش .. فهم من المؤمنين
الصادقين .



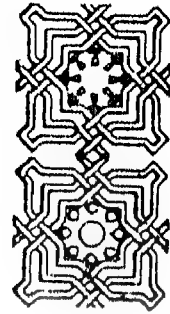
(١) حمنة اخت ام المؤمنين - زينب بنت جحش - وزوجها مصعب بن عمير .. الذي استشهد في احد .

(٢) اى بالغوا في الكذب .

(٣) ٢٢ - النور .

بين حصارين

ونحن نعتب على بعض مؤرخي الغرب استعظامهم
لهذا القتل الجماعي لبني قريظة .. فقد رأينا غدرهم
وخيانتهم ونقضهم عهدهم للرسول والمسلمين في وقت
زلزلت فيه الأركان .. وطاشت الأحلام .. وزاغت
الأبصار .. وبلغت القلوب الحناجر يوم الأحزاب .



بين حصارين

يقول الدكتور - ولنفسن - في كتابه « تاريخ اليهود » .

« لما نزل اشراف بنى النضير في خيبر ..
اخذوا يفكرون في الثار من الانصار .. وبحثوا
عن الوسائل .. التي تردهم الى مزارعهم
واطامهم .. في منطقة يشرب .. فعزم نفر من
اليهود .. فيهم سلام .. وابن ابي الحقيق ..
وحى بن اخطب .. وكنانة بن الربيع .. فراوا
ان يحزبوا الاحزاب على المسلمين » - ا ه -

ولعل المشركين من العرب .. قد شكوا في
اليهود .. وارتابوا في جديتهم ونصرتهم ضد
المسلمين .. لعلمهم ان اليهود اهل كتاب ..
يؤمنون كالمسلمين بالبعث والثواب والعقاب ..
ويعتقدون مثلهم في وجود اله واحد .. يرسل
الرسل .. وينزل الكتب .. ولا يؤمنون بعبادة
الاصنام .. والعرب عباد اوثان واصنام ..
فقالوا لهم :

يا معشر اليهود .. اديننا خير ام دين محمد ؟
.. قالوا : بل دينكم خير من دينه واحق منه .

في غزوة الخندق .. حاصر المشركون مدينة
رسول الله خمسة عشر يوما .. ثم حاصر الرسول
عليه الصلاة والسلام يهود بنى قريظة خمسة
وعشرين يوما في غزوة بنى قريظة .. وانتصر
المسلمون في الحصارين .. وقد اتصلت
الفزوتان .. فلم يضع الملائكة بينهما سلاحهم .

وغزوة - الخندق - هي غزوة - الاحزاب -
.. سمي بهذا الاسم .. لتجمع الاحزاب
العربية وقبائلهم من قريش وغطفان .. ليضربوا
المسلمين ضربة قاصمة .. تقضى عليهم قضاء
نهائيا .

تجمعت فيهن كل عناصر الشيطان .. من
قبائل العرب .. ومن اليهود ايضا .

فقد خرج زعماء اليهود المطرودين من
المدينة .. في غزوة بنى النضير .. وعلى راسهم
كنانة وسلام ابنا ابي الحقيق النضري .. وسلام
بن مشكم .. وحى بن اخطب .. ومعهم ابو عامر
الفاسيق .. وقدموا على قريش بمكة يحرضونهم
على حرب المسلمين .

هكذا بلغ الخغد بقلوب قادة اليهود .. ففضلوا الوثنية على دين موسى وإبراهيم .. وكفروا بالله إسرائيل .. ولم يستطع كتاب الغرب اخفاء المه من زلة اليهود في هذا الموقف .

فقال - ولنفسن - بالنص :

« والذى يؤلم كل مؤمن بالله واحد من اليهود والمسلمين على السواء .. انما هى تلك الحادثة .. التى جرت بين نفر من اليهود .. وبين قريش الوثنيين .. حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود اديان قريش .. على دين صاحب الرسالة الاسلامية » (١) - اه -

وانما ناخذ على الدكتور - ولنفسن - انه قال « نفر من اليهود » فهم ليسوا نفرا عاديين من اليهود .. ولكنهم رموس وزعماء وقادة . ولهذا انزل الله - تعالى - في حقهم :

(الم تر الى الذين اتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت .. ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا * اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) (٢) .

وفرحت قريش برأى زعماء اليهود .. في دين محمد .. واصبروا على الاستمسك بوثنيتهن .. والاعتصام بأصنامهم .. ولبوا رغبة اليهود في الاعداد لغزو المدينة .. بعد أن استوثقوا أن اليهود سيكونون معهم .. ضد محمد واصحابه .

ثم خرج أولئك النفر من اليهود من مكة .. وذهبوا الى غطفان .. فدعوههم الى حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعاهدوا معهم على نصرهم .. واخبروهم أن قريشا تابعوهم على ذلك .. فاجتمعوا معهم فيه .. ثم طافوا في قبائل العرب .. يدعونهم الى ذلك .. فاستجاب لهم الكثير منهم .

وكان خروج الاحزاب الى المدينة .. في شهر شوال من العام الخامس للهجرة .

ثلاث شروة - أحد - في شهر شوال سنة ثلاث .. وواعد أبو سفيان رسول الله في العام القابل في شوال سنة أربع .. ولكن ابا سفيان عاد بجيشه بحجة جذب السنة .. - كما ذكرنا من قبل - فلما كانت السنة الخامسة تجمع الاحزاب .. على حرب المسلمين للقضاء عليهم .

خرجت قريش بقيادة ابي سفيان بن حرب .. ومعهم من تابعهم من كنانة وأهل تهامة . وخرجت غطفان : - بنو فزارة - يقودهم عينة بن حصن - وبنو مرة - يقودهم الحارث بن عوف المرى - وأشجع - يقودهم مسعود بن ربيعة بن نيرة .. كما وافاهم بنو سليم بعد الظهران .

وكان عدد الاحزاب يريد على العشرة آلاف مقاتل .

وعلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنحزب العرب .. وتجمعهم لحربه .. فعرض الأمر على أصحابه - يستشيرهم - فأشار سلمان الفارسي - رضى الله عنه - بحفر الخندق حول المدينة .. ليعوق هجوم العدو .. في الاماكن التى لم تكن حصينة .

وقد اقتبس سلمان هذه الفكرة من قومه الفرس .. في حروبهم .. قال سلمان :

يا رسول الله .. كنا بفارس .. اذا حوصرنا .. خندقنا حولنا .. وكلمة خندق : فارسية الاصل -

واشترك رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بنفسه في حفر الخندق .. بعد أن حدده وقسمه .. اربعين ذراعا بين كل عشرة .

وقد اختلف المهاجرون والانصار .. في سلمان .. قال الانصار : سلمان منا .. وقال المهاجرون : سلمان منا .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « سلمان منا آل البيت » .

ويعاود المنافقون تثبيت الهضم .. يستثقلون
الفعل .. وينصرفون بدون إذن رسول الله ..
فلم يعرفهم المسلمون أى اهتمام .

وكان في حفر الخندق من الآيات والعلامات
.. ما تواترت به الأنبياء .. وصدقته الأحاديث
والأحداث .. ذكرها أحمد والنسائي عن
البراء :

فبينما جماعة من المسلمين يحفرون نصيبهم
.. ومعهم - سلمان الفارسي - اذ ظهرت صخرة
بيضاء مروة (١) .. فشقت عليهم .. وكسرت
معاولهم .. فقالوا : يا سلمان .. اصعد الى
رسول الله .. فأخبره خبر تلك الصخرة ..
فنحن لا نحب أن نجاوز خطه (٢) .

فاتى سلمان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وهو جالس تحت قبة تركية .. فقال :
يا رسول الله .. ظهرت صخرة مروة في الخندق
.. كسرت معاولنا .. وشقت علينا .. حتى
ما تكسر منها قليلا ولا كثيرا .. فمرنا بأمرك ..
فانا لا نحب أن نجاوز خطك ..

فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع
سلمان .. وأخذ منه معوله .. فقال :
« بسم الله » ثم ضربها .. فنثر ثلثها ..
وخرج منها نور .. أضواء ما بين لابتها ..
- يعنى لابتى المدينة - فقال : « الله أكبر .. »
أعطيت مفاتيح الشام .. والله انى لأبصر قصورها
الحمر .. السليمة من مكاني » .

ثم ضرب الثانية .. فقطع ثلثا أخسر ..
فبرقت برقة أضواء ما بين لابتها .. فقال :
« الله أكبر .. أعطيت مفاتيح فارس ..
وانى والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن » ثم
ضرب الثالثة فقطع بقية الصخرة .. وخرج نور
أضواء ما بين لابتى المدينة .. حتى كأنه مصباح
في جوف ليل مظلم .. فقال : « الله أكبر .. »

أعطيت مفاتيح اليمن .. والله انى لأبصر أبواب
صنعاء من مكاني الساعة .. فأبشروا بالنصر »
فسر المسلمون وكبروا .

كما جاء في صحيح البخارى .. عن جابر -
رضي الله عنه .

« انا يوم الخندق نحفر .. فعرضت كديته
شديدة (١) .. فجاءوا النبي - صلى الله عليه
وسلم - فقالوا : هذه كديته .. عرضت في
الخندق .. فقال : « انا نازل » .. ثم قام
وبطنه معصوب بحجر .. لبثنا ثلاثة أيام
لا ندوق ذواقا - أى طعاما .. فأخذ النبي
المعول .. فضرب به الكدية .. فعادت بكثيبا
أهيل - أى رملا سائلا -

كان حفر الخندق امام جبل - سلع -
ليكون الجبل خلف ظهور المسلمين .. والخندق
بينهم وبين المشركين .

واقبلت قریش .. حتى نزلت بمجتمع
السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم
من بنى كنانة وأهل تهامة .. ونزل عيينه بن حصن
في غطمان ومن تبعهم من أهل نجد الى جانب
أحد .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في ثلاثة آلاف رجل .. فحارب معسكره ..
وجعل - سلع - خلف ظهور المسلمين ..
والخندق امامه .. بينهم وبين القوم .

وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة ..
ولواء الانصار بيد سعد بن عباد .. واستخلف
على المدينة ابن أم مكتوم .. وطليب من النساء
والدراري .. ان يكونوا في اطام المدينة .. فوق
سطوح المنازل .. ومعهم النبل .

وكان كعب بن أسد القرظي .. سيد يهود
بنى اقريظة .. قد عاهد النبي .. ضد قریش
.. فتسلل عدو الله حبي بن الخطب .. وهو

(١) المروا حجارة بيضاء وبراقة تفوح منها النار - مختار الصحاح - مروا -

(٢) الخط الذي رسمه لهم الرسول في الحفر . (١) قطعة لا تعمل فيها المعاول .

أحد اليهود الذين حزبوا الأحزاب .. والبوا
العرب على المسلمين .. تسلل حياً إلى كعب
ليلاً .. فأطلق كعب دونه باب حصنه .. ولم
يمكنه من الدخول عليه .. ولكن حياً صار
يلح عليه .. حتى فتح له .. ومازال يستميله
ويغريه .. حتى نقض كعب عهد رسول الله .

وانقلب يهود بنى قريظة مع الأحزاب ضد
المسلمين .

وكان هذا أول بلاء هدد المسلمين .. وحرك
الخوف في نفوسهم .

واشتد الخوف والجزع بينهم .. بعد أن
نقض بنو قريظة عهدهم .. وانضمامهم إلى
أعدائهم .. وهم معهم في داخل المدينة .

زاغت الأبصار .. وبلغت القلوب الحناجر
.. وظنوا بالله الظنون .

يقول تعالى : حول هذا المقام :

(إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم
فذاذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا) (١) .

فالذين جاءوا من فوقهم يهود بنى قريظة ..
والذين جاءوا من أسفل منهم قريش وغطفان .
ثم يقول تعالى :

(.. هناك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً
إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض
ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) (٢) .

هذه العبارة الأخيرة .. التي يشير إليها قول
الله - تبارك وتعالى - عن قول بعض المنافقين
(ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) .. قالها
معتب بن قشير .. أخو بنى عمرو بن عوف .
وسببها .. أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - لما بلغه نقض بنى قريظة لعهد .. أرسل
مسعد بن معاذ .. وسعد بن عباد .. وهما سيदा
الأوس والخزرج .. ومعهما بعض الأنصار ..

وطلب منهم أن ينظروا حال بنى قريظة ..
أحق ما يقال عن نقضهم العهد .. أم لا ؟ ..
فإن كان حقاً .. رمزوا له رمزا يعرفه .. حتى
لا يفتوا في أعضاد المسلمين .. وإن كانوا على
وفائهم وعهدهم .. فليجهروا به للناس .

فخرجوا حتى اتوهم .. ووجدوهم على
أخبث ما بلغهم عنهم .. حيث قالوا : عن
رسول الله ؟ .. لا عهد بيننا وبين محمد
ولا عقد .. فشاتهم السعدان وشاتمهم .

وأقبلوا على رسول الله .. فسلموا عليه ..
ثم قالوا : عضل وقارة .. أى مثل عضل وقارة
بأصحاب الرجيع : خبيب وأصحابه .. فقال
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« الله أكبر .. أبشروا يا معشر المسلمين » .
ولكن الحقيقة .. انتشرت بين المسلمين ..
وعرفوا أن بنى قريظة قد نقضوا عهدهم ..
وعظم ذلك على المسلمين .. واشتد البلاء ..
ونجم النفاق .. حتى قال معتب بن قشير :
كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر
.. فإذا الواحد منا اليوم .. لا يأمن على نفسه
أن يذهب إلى الغائط .

وقال بعض بنى حارثة .. ومنهم أوس بن
قيظي : يا رسول الله .. بيوتنا عورة .. وأنزل
الله تعالى فيه :

(ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن
بيوتنا عورة وما هي بعورة أن يريدون

الافرار) (٣)
كما قال البعض منهم : يا أهل يثرب ..
لا مقام لكم فارجموا إلى دياركم .

وهكذا زاد البلاء .. وتبلبت الأفكار ..
واضطربت الخواطر .. ورأى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - رأياً .. فبعث إلى
عيينه بن حصن بن حذيفة .. وإلى الحارث بن
عوف المري .. وهما قائدا جيوش غطفان ..

على : لكنى والله أحب أن اقتسلك .. فحمى
عمرو عند ذلك .. فنزل عن فرسه .. وضرب
وجهه - أى وجه الفرس .. ثم أقبل على ..
فتنازلا .. وتجاولا .. فقتله على .. وخرجت
خيلهم منهزمة .. حتى عبرت الخندق هاربة .
وكان شعار المسلمين يومئذ : حم ..
لا ينصرون .

وبعد أن قتل على عمرو بن ود .. برز من
المشركين نوفل بن عبد الله بن المغيرة . فقتله
الزبير

وفى هذا الحصار - رمى سعد بن معاذ ..
بسهم قطع منه الأكل - وهو الشريان التاجي -
ونقل سعد إلى خيمة - رفيعة - وهى امرأة
تداوى الجرحى فى المسجد .. وكان قد سأل
الله ألا يموت .. حتى يرى انتصار المسلمين
على يهود بنى قريظة .. لنقضهم عهد رسول
الله - صلى الله عليه وسلم .

ولا يفوتنا أن نشير إلى موقف المسلمين ..
فى تلك الغزوة .. فقد قمن بكثير من البطولات ..
وعلى رأسهن صفية بنت عبد المطلب .. تقول:

كنا فى فارغ - حصن حسان بن ثابت ..
وكان حسان معنا فيه .. مع النساء والصبيان .
قالت صفية .. فمر بنا رجل من اليهود ..
فجعل يطيف بالحصن .. وقد حاربت بنو قريظة
.. وقطعت ما بينها وبين رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - .. وليس بيننا وبينهم أحد
يدفع عنا .. ورسول الله والمسلمون فى نحور
عدوهم .. لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم
.. ان اتانا آت .

قالت : فقلت يا حسان .. ان هذا اليهودى -
كما ترى - يطيف بالحصن .. وائى والله
ما آمنه .. أن يدل على عورتنا من وراءنا من
اليهود .. وقد شغل عنا رسول الله وأصحابه
.. فانزل إليه فاقتله .

فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ..
والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا .

يفاوضهما على ثلث ثمار المدينة .. على أن
يرجعا بجيوشهما عنه وعن أصحابه .. وتمت
المفاوضات بينهم على هذا .. ورضيا به ..
فلما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أن يكتب لهما كتابا بذلك .. بعث إلى سعد
بن معاذ .. وسعد بن عباد .. يستشيرهما
فيه .. فقالا له : يا رسول الله .. ان كان الله
أمرك بهذا فسمعنا وطاعة .. وان كان شيئا
تصنعه لنا .. فلا حاجة لنا فيه .. لقد كنا نحن
.. وهؤلاء القوم على الشرك بالله .. وعبادة
الأوثان .. وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة
الا قرى أو بيعا .. فحين أكرمنا الله بالإسلام
.. وهدانا له .. وأعزنا بك .. نعطيهام أموالنا
.. والله لا نعطيهام الا السيف .. فوافقهما على
رأيهما .. وقال :

« انما هو شئ أصنعه لكم .. لما رأيت
العرب قد رمتكم عن قوس واحدة » .

كانت مدة تلك الغزوة .. ما يقرب من
الشهر .. ولم يكن بينهم قتال .. الا رميا
بالنبيل .. وكان لدى المسلمين من التهاميين
ما يكفيهم أكثر من عام .

الا أن فوارس من قريش منهم : عمرو بن
ود بن أبى قيس .. وعكرمة بن أبى جهل ..
وهبيرة بن أبى وهب .. وضرار بن الخطاب
الشاعر .. أقبلوا نحو الخندق .. فلما وقفوا
عليه .. قالوا : ان هذه مكيدة .. ما كانت
العرب تعرفها .. ثم اختاروا مكانا ضيقا من
الخندق .. فضربوا خيلهم .. فاقتحمت منه ..
فجالت بهم خيلهم فى السبخة بين الخندق
وسلع .. ونادوا المبارزة .. وكان عمرو بن
ود .. من شجعان المشركين وأبطالهم .. فبرزه
على بن أبى طالب .. فى نفر من المسلمين ..
حتى أخذوا عليهم الثغرة التى اقتحموها ..
ثم قال على لعمرو .. انى ادعوك الى الله
ورسوله .. وإلى الاسلام .. قال : لا حاجة لى
بذلك .. قال : فانى ادعوك الى النزال .. فقال
له : يا ابن أخى ما أحب أن اقتلك .. قال له

قالت : فاما قال ذلك لى .. وام ار عنده
شبيثا .. اخذت عمودا .. تم نزلت من الحصن
اليه .. فضربته بالعمود حتى قتله .. فلما
فرغت منه .. رجعت الى الحصن .. فقلت
يا حسان .. انزل اليه فاسلبه .. فانه لم
يمنعنى من سلبه .. الا انه رجل .

قال : مالى بسلبه من حاجة .. يا بنت عبد
المطلب .. فكانت صفيية .. اشجع من حسان (١)

وفى البخارى : دعا رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - على الأحزاب .. فقال :
« اللهم منزل الكتاب .. سريع الحساب ..
اهزم الأحزاب .. اللهم اهزمهم وزلزلهم » وقد
استجاب الله لرسوله - ودبر لهم امرا ..
فالله هو المدير .. ونسأله دائما .. الا يكلنا الى
تدبير أنفسنا طرفه عين .

ساقى الله - عز وجل - رجلا من غطفان ..
الى رسول الله .. وهو نعيم بن مسعود بن عامر
.. فقال يا رسول الله .. انى قد أسلمت ..
ولم يعجز قومي باسلامى .. فمرنى بما شئت
فقال له : « انما انت رجل واحد .. فخلد عنا
ما استطعت .. فان الحرب خدعة » فذهب
من فوره .. الى يهود بنى قريظة .. وكان عشيرا
لهم فى الجاهلية .. فدخل عليهم .. وهم
لا يعلمون باسلامه .. فقال : يا بنى قريظة ..
انكم قد حاربتم محمدا .. وان قريشا ان
اصابوا فرصة انتهزوها .. والا عادوا الى بلادهم
.. وتركوكم لمحمد .. فانتقم منكم .

قالوا : فما العمل يا نعيم ؟

قال : لا تقابلوا معهم حتى يعطوكم رهائن .

قالوا : قد اشرت بالرأى .

ثم مضى الى قريش .. وقال لهم : تعلمون
مدى ودى معكم .. ونصحى لكم ؟ ..

قالوا : نعم . قال : بلغنى ان اليهود ارسلوا
الى محمد ليصالحوه .. على ان يأخذوا منكم
رهائن .. يدفعونها اليه .. ثم يوالونه عليكم
.. فان سألوكم رهائن فلا تعطوهم .. ثم ذهب
الى قومه - غطفان - وقال لهم : يا معشر
غطفان انكم اصلى وعشيرتى واحب الناس الى ..
ولا اراكم تتهموننى .. قالوا : صدقت ..
ما انت عندنا بمتهم .. قال : فاكنموا عنى ..
قالوا : نفعل فما امرك ؟ .

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش .. وحذرهم
ما حذرهم .

واراد الله عز وجل - تنفيذ امره فى هزيمة
الأحزاب .

ففى ليلة السبت الاخير من شوال .. سنة
خمس .. بعد نجاح نعيم بن مسعود فى خدعته
.. ارسل ابو سفيان ورؤساء غطفان .. عكرمة بن
ابى جهل فى نفر من قريش وغطفان الى اليهود
.. يهود بنى قريظة .. فقالوا لهم :

انا لسنا بأرض مقام .. وقد هلك الخافر
والخف .. فانهضوا معنا غدا .. حتى نناجز
محمدا .. فارسل اليهود اليهم .. ان اليوم
يوم السبت .. وهو يوم لا نعمل فيه .. وقد
علمتم ما اصاب من قبلنا .. حين احدثوا فيه
.. يقصدون اصحاب السبت .. الذين اشعار
اليهم القرآن الكريم فى قوله تعالى :

(واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة
البحر اذ يعدون فى السبت) (٢) .

ثم قالوا لهم : .. ومع هذا .. فانا لا نقاتل
معكم .. حتى تبعثوا الينا رهائن من ابناء
اشرافكم .

فلما جاءتهم رسلهم بذلك .. قالت قريش .
صدقكم والله نعيم .. فارسلوا الى اليهود ..

(١) تاريخ الطبرى .

(٢) ١٦٣ - الاعراف .. وقد ذكرنا هذا الحادث فى كتابنا (من انباء الرسل .. من نبا داود) .

انا والله لا نرسل اليكم احدا .. فاخرجوا معنا .. حتى نناجز محمدا .. فقال بنو قريظة : صدقكم والله نعيم .. وتخاذل الفريقان .

وارسل الله - تعالى - على المشركين جندا من الريح .. قوضت خيامهم .. وكفأت قدورهم .. وقلعت اطنابهم (١) .. وجندا من الملائكة زلزلت اركانهم .. والقت في قلوبهم الرعب والفرع ..

وانتهى الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما اصابهم في تلك الليلة الليلاء .. فارسل حديفة بن اليمان .. لينظر ما فعل القوم .

قال حديفة : فذهبت فدخلت في القوم .. والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل .. لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء .

فقام ابو سفيان .. فقال : يا معشر قريش .. لينظر كل امرئ من جلسه ؟ .

قال حديفة : فاخذت بيد الرجل الذي كان الى جانبي .. فقلت : من انت ؟ .. قال : فلان بن فلان .

ثم قال ابو سفيان :

يا معشر قريش - انكم والله ما اصبحتم بدار مقام .. لقد هلك الكراع والخف .. واخلفتنا بنو قريظة .. وبلغنا عنهم الذي نكروه .. ولقينا من شدة الريح ما ترون .. ما نطمئن لنا قدور .. ولا تقوم لنا نيران .. فارتحلوا فاني مرتحل .

ثم قام الى جهله وهو معقول .. فجلس عليه .. ثم ضربه فوثب به على ثلاث - فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم .. ولولا عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى .. « ألا تحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حديفة : فرجعت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه .. فلما راني ادخلني الى رجليه .. وطرح على طرف المرط (٢) .. ثم ركع وسجد واني لفيه .. فلما سلم أخبرته الخبر (٣)

وسمعت غطفان بما فعلت قريش .. فاسرعوا راجعين الى بلادهم .. وقال الله - جل شأنه - عن حرب الطبيعة ضد الاحزاب :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود .. فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها .. وكان الله بما تعملون بصيرا) الى أن قال :

(ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (٤) .

وقد قتل من المشركين ثلاثة في غزوة الخندق وهم :

منبه بن عبد العبدري : اصابه سهم فمات في مكة .. ونوفل بن عبد الله المخزومي .. وعمر بن عبد ود .

أما شهداء المسلمين .. فقد ذكر ابن اسحاق انهم ستة : ثلاثة من الأوس .. وهم : سعد بن معاذ .. وانس بن اوس .. وعبد الله بن سهيل .. وثلاثة من الخزرج .. هم : الطفيل بن النعمان .. وثعلبة بن غنمة .. وكعب بن زيد ..

هرب الأحزاب .. في تلك الليلة .. تاركين ما استثقلوه من متاعهم .. بعد أن رمتهم الريح بالحصباء .. وزلزلت أركانهم .. واسمعهم الملائكة التكبير وقعقة السلاح .. في أرجاء معسكرهم .

(١) الطنب - بفتحين - جبل الخباء .

(٢) المرط - بكسر الميم - اكسية من صوف او خز .. كان يؤتزر بها .

(٣) ٩ - ٢٥ / الاحزاب .

(٤) ابن هشام .

ورد الله أعداء رسوله بغيظهم لم ينالوا خيرا .. وكفاه الله قتالهم .. فصدق وعده .. وأعز جنده .. وهزم الأحزاب وحده .

ولما أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف مع المسلمين عن الخندق .. راجعين الى ديارهم .. فى يوم الثالث والعشرين من ذى الحجة .. فى العام الخامس من الهجرة .. وقال يومها للمسلمين : « لن تفزواكم قریش بعد عامكم هذا » . —

وتلك النبوءة علم من اعلام نبوته - صلى الله عليه وسلم - فقد صدق ما قال .

ولعل القارىء الكريم يذكر أننا اشرنا فى مطلع هذا الفصل .. الى أن الملائكة لم تضع اسلحتها بين غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة .

فقد عاد - عليه الصلاة والسلام - من غزوة الأحزاب بالمسلمين الى ديارهم بالمدينة فى الصباح .. وفى ظهر اليوم نفسه اتاه جبريل .. وهو يستحم فى بيت أم سلمة .. وكان جبريل معتجرا بعمامة من استبرق .. على بغلة عليها رحالة .. عليها قطيفة من ديباج .

فقال : اوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ .. فما وضعت الملائكة السلاح بعد .. وما رجعت الآن الا من طلب القوم .. ان الله - عز وجل - يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى قريظة .. فانى عامد اليهم .. فمزول بهم (١) .

فامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مؤذنا فى الناس : من كان سامعا مطيعا .. فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة .. وبعث مناديا ينادى : يا خيل الله اركبى .

وروى البخارى .. عن أم المؤمنين عائشة : ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رجع يوم الخندق .. ووضع السلاح واغتسل .. فاتاه جبريل .. وقد غطى رأسه الغبار .. فقال :

وضعت السلاح ؟ والله ما وضعته .. فقال رسول الله .. فاین ؟ .. قال : ههنا .. وأوما الى بنى قريظة .. قالت : فخرج اليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ومر رسول الله بنفر من أصحابه بالصورين (٢) .. قبل أن يصل الى بنى قريظة .. فقال :

هل مر بكم أحد ؟ .. قالوا : يا رسول الله .. مر بنا دحية بن خليفة الكلبي .. على بغلة بيضاء .. عليها رحالة .. عليها قطيفة ديباج .. فقال رسول الله : ذلك جبريل .. بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم .. ويقذف الرعب فى قلوبهم .

وتلاحق الناس برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتى رجال منهم بعد العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر .. لقول رسول الله « لا يصلين أحد العصر الا فى بنى قريظة » فشغلهم ما لم يكن منه بد فى حربهم .. وأبوا أن يصلوا العصر .. فضلوه بعد العشاء الآخرة .. فما عابهم الله بذلك .. ولا عتفهم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعمل رسول الله على المدينة - ابن أم مكتوم - وقدم على بن أبى طالب برأيته .. فسار بها على .. حتى دنا من حصونهم .. فسمع منهم أذى فى حق رسول الله .. فرجع الى النبی قائلا : يا رسول الله .. لا عليك أن تدنو منهم .. فانهم أخابك .. قال : لم ؟ .. أظنك سمعت منهم لى أذى .. قال : نعم يا رسول الله .. قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا .. فلما دنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حصونهم ..

قال : يا أخوة القردة .. هل أخراكم الله .. وأنزل بكم نعمته ؟ .

قالوا : يا أبا القاسم .. ما كنت جهورا .

وبلغ عدد المسلمين .. ثلاثة آلاف .. ومعهم ستة وثلاثون فرسا +

(٢) موضع قرب المدينة .

(١) جميع كتب السيرة - تقريبا .

وقد حاصر المسلمون بنى قريظة .. خمسة وعشرين يوما .. وكان سعد بن عبادة يرسل التمر لهم كل يوم .. طعاما للجيش .

ولما أجهد الحصار اليهود .. وعلموا الا مناص من حرب المسلمين .. ولا قدرة لهم على حربهم .. وقف فيهم سيدهم كعب بن أسد .. قال :

يا معشر اليهود .. قد نزل بكم من الامر ما ترون .. واني عارض عليكم امورا ثلاثة .. فخذوا ايها شئتم .. قالوا : ما هي ؟ ..

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه .. فوالله لقد تبين لكم انه لنبي مرسل .. وانه للذي تجدونه مكتوبا في كتابكم .. فتأمنون على دماءكم واموالكم وابنائكم ونسائكم .. قالوا : لا نفارق حكم التوراة ابدا .. ولا نستبدل به غيره .

قال : فاذا ابيتتم .. فلنقتل ابنائنا ونساءنا .. ثم نخرج على محمد واصحابه رجالا مصليتين السيوف .. لم نترك وراءنا ثقلا .. حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .. فان نهلك .. نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه .. وان نظهر فلعمري لنجدن النساء والابناء ..

قالوا : تقتل هؤلاء المساكين .. فما خير العيش بعدهم ؟ .

قال : فان ابيتتم .. فان الليلة ليلة السبت .. وانه عسى أن يكون محمد واصحابه قد آمنوا فيها .. فلنهمج عليهم .. قالوا : نفسد سبتنا علينا .. ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا .. الامن قد علمت .. فاصابهم ما لم يخف عليك من المسيح ؟ .

ثم أرسلوا الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعث اليهم ابا لبابة بن عبد المنذر ليستشروه في امرهم .. وكان ابو لبابة اخا للأوس .. وهم حلفاء الأوس .. فأرسله رسول الله اليهم .. فلما راوه .. قام اليه رجالهم .. ولقيه نساؤهم وصبيانهم بالبكاء والنحيب .. فرق لحالهم .. فقالوا له : يا ابا لبابة .. اترى

ان نزل على حكم محمد ؟ .. قال : نعم .. وأشار بيده الى حلقه يقول : انه الذبح .

يقول ابو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني خنت الله ورسوله بافشاء سره .

فمضى ابو لبابة على وجهه .. ولم يرجع الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى اتى مسجد المدينة .. فربط نفسه بسارية المسجد .. وحلف الا يحله الا رسول الله بيده .. والا يدخل ارض بنى قريظة ابدا .

واستبطاه رسول الله .. فسأل عنه .. فأخبروه خبره .. فسأل : اما وانه لو جاءني لاستغفرت له .. فاما اذ قد فعل ما فعل .. فما انا بالذي اطلقه حتى يتوب الله عليه .

ونزل اليهود على حكم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واستسأموا -

تقول أم سلمة رضي الله عنها :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من السحر وهو يضحك .. فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ .. قال : « تيب على ابي لبابة » .. قالت : قلت : افلا ابشره يا رسول الله ؟ .. قال : « بلى ان شئت » . فقامت على باب حجرتها .. فقالت : يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك .. فثار الناس اليه ليطلقوه .. فقال : لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده .. فلما مر - عليه السلام - خارجا الى صلاة الصبح اطلقه .. وقد لبث ابو لبابة مربوطا سنت ليال .. تأتيه امراته في كل وقت صلاة .. فتحله للصلاة .. ثم يعود فيربط بالجدع .

ونعسود الى بنى قريظة .. لنشهد ما حدث لهم :

فقد توافيت الأوس .. لما استسلم حلفاؤهم بنو قريظة .. وقالوا : يا رسول الله .. لقد شفع عندك عبد الله بن ابي .. في يهود بنى قينقاع .. وهم حلفاء الخزرج .. فوهبتهم له .. وهؤلاء حلفاؤنا وموالينا .. فأحسن اليهم .. فقال

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهم : الا ترضون يا معشر الأوس .. ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ .. قالوا : بلى .. قال : فذاك الى سعد بن معاذ .. وسعد سيد الأوس .. فاتى القوم سعدا .. وهو مريض يتطيب فى خيمة - وفيدة الأسلمية - بعد ان اصابه سهم قطع منه الشريان التاجى .. فى غزوة الأحزاب - كما قدمنا -

فحملوه على حمار .. فوق وسادة من ليف
.. وكان وسيما جسيما .. وهم يقولون له : يا ابا عمرو .. احسن فى مواليك .. فان رسول الله انما اختارك لتحسن فيهم .. وهو ساكت .. فلما اكثروا عليه .. قال : لقد آن لسعد الا تاخذه فى الله لومة لائم .. فلما سمعوا منه ذلك .. رجع بعضهم الى المدينة .. وقد فهموا من كلامه انه سيحكم ضد بنى قريظة .

وانتهى سعد الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. فقال - عليه السلام - للصحابه :
« قوموا لسيدكم » فلما انزلوه .. قالوا : يا سعد .. ان رسول الله .. قد ولاك امر مواليك بنى قريظة .. لتحكم فيهم .

فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه .. ان الحكم فيهم لما حكمت ؟ .. قالوا : نعم ..

قال : وعلى من ههنا ؟ .. مشيرا الى الناحية التى فيها رسول الله .. وهو معرض عن رسول الله - اجلالا له .. فقال رسول الله : نعم يا سعد .. ففسال : انى احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال .. وتسبى الدرارى والنساء .

فقال - عليه الصلوة والسلام - « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات » .

ثم استنزلوا من حصونهم .. فحبس النبى النساء والدرية .. فى دار بنت الحارث .. وهى امرأة من بنى النجار .. والاسرى فى دار اسامة بن زيد .

ثم بعث اليهم يأتون ارسالا .. وامر بضرب عنق كل من نبئت لحيته .. حتى افناهم جميعا فى الخنادق .. ثم اهل عليهم التراب .

وكان عددهم بين ستمائة وسبعمائه . وقد سال بعضهم سيدهم كعب بن اسد .. قبل قتله .. قالوا : يا كعب .. ما تراه يصنع بنا ؟ .. قال : فى كل موطن لا تعقلون ؟ .. الا ترون الداعى لا ينزع .. وانه من ذهب به منكم لا يرجع .. هو والله القتل .

وكان منهم - حبي بن اخطب - الذى بقى معهم فى حصونهم .. وفاء منه لكعب .. بعد ان اغراه بنقض عهد رسول الله .. فلما اتوا به - مجموعة يداه الى عنقه .. وعليه حلة من الوشى .. قد شقها من كل ناحية .. حتى لا تسلب .. لما نظر الى رسول الله .. قال : اما والله ما لمت نفسى فى عداوتك .. ولكنه من يخلد الله يخلده .. ثم اقبل على الناس .

فقال : ايها الناس .. انه لا باس بامر الله .. كتاب وقدر .. وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل .. ثم جلس .. فضربت عنقه .

ولم يقتل من المسلمين فى غزوة بنى قريظة .. غير خلاد بن سويد .. قتلتها امرأة من اليهود .. بان القت عليه الرحى فقتلته .. وهى بنانة امرأة الحكم القرظى .. طليب منها زوجها .. ان تفعل ذلك .. حتى لا تعيش بعده .. ويتزوجها غيره .. ولم يقتل من نساء بنى قريظة غيرها .

تقول عنها ام المؤمنين - عائشة :

لم يقتل من نسايتهم .. الا امرأة واحدة .. قالت : والله انها لعندى تتحدث معى وتضحك ظهرا لبطن - ورسول الله صلى الله عليه وسلم - يقتل رجالهم بالسوق .. اذ هتف هاتف باسمها : اين فلانة .. قالت : انا والله .. قلت : ويلك مالك ؟ .. قالت : اقتل .. قلت : ولم ؟ .. قالت : حدث « احديثه .. قالت .. فانطلق بها .. فضرب عنقها » .

وكانت عائشة - رضى الله عنها تقول :

عجبا منها .. طيب نفس .. وكثرة ضحك .. وقد عرفت انها ستقتل !!!

وأعجب من هذه المرافة اليهودية .. موقف رجل من اليهود .. اسمه - الزبير بن باطا القرطبي .. كان له فضل على ثابت بن قيس .. في الجاهلية .. اخذه يوم بعث .. فجز ناصيته .. ثم خلى سبيله .. فاتى ثابت .. يوم بنى قريظة على الزبير .. وهو شيخ كبير .. وقال له : هل تعرفنى ؟ .. قال : وهل يجهل متلى مثلك ؟ .. قال :

انى اريد ان اجزيك بفضلك القديم عندى .. قال : ان الكريم يجزى الكريم . ثم اتى ثابت بن قيس .. رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

يا رسول الله .. ان الزبير على فضلا .. واحب ان اجزيه به .. فهب لى دمه .. فقال رسول الله : هولاك .. فانه فقال له : ان رسول الله قد وهب لى دمك .. فهو لك .. قال : شيخ كبير .. لا اهل له ولا ولد .. فما يصنع بالحياة ؟

فعاد ثابت الى رسول الله .. وقال : بابى انت وامى يا رسول الله .. هب لى امراته وولده .. قال : هم لك .. فانه وقال له : وهب لى رسول الله اهلك وولدك فهم لك .. فقال الزبير : اهل بيت فى الحجاز : لا مال لهم .. فما بقاؤهم على ذلك ؟

فاتى ثابت رسول الله .. فقال : يا رسول الله .. ما له ؟ قال : هولاك .

ولما عاد ثابت الى الزبير بحقه فى ماله .. بعد اهله وعياله .. قال الزبير : اى ثابت .. ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية .. يتراءى فيها عذارى الحى .. كعب بن اسد ؟

قال : قتل .. قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى - حبيب بن اخطب ؟ .. قال : قتل .

قال : فما فعل قائدنا اذا شددنا .. وحامينا اذا فررنا .. عزال بن سموعل ؟ .. قال : قتل . قال : فما فعل المجلسان ؟ .. يعنى بنى كعب

بن قريظة .. وبنى عمرو بن قريظة .. قال : قتلوا .

قال : فانى اسالك يا ثابت - بيدى عندك .. الا الحقننى اليوم بالقوم .. فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير .. فما انا بصابر لله فتلة .. ولو ناضح (١) .. حتىلقى الاحبة .

فقدمه ثابت .. فضرب عنقه .

ومن المنافسة بين الأوس والخزرج ..
فى عمل الخير .. ان ابا رافع .. سلام بن ابى الحقيق النضرى .. كان ممن الب الاحزاب على رسول الله .. ولم يقتل مع بنى قريظة .. كما قتل صاحبه - حبيب بن اخطب .. ولكنه هرب الى خيبر .. فرغبت الخزرج فى قتله .. مساواة للأوس فى قتلهم كعب بن الاشرف .. فابن ابى الحقيق .. هو الذى يساوى ابن الاشرف فى الشرف والمنزلة .. وذلك ليتساوى اجرهم عند الله ورسوله .. مع اجر الأوس .

فاستأذنت الخزرج رسول الله فى قتل ابن ابى الحقيق .. فأذن لهم .. فخرج له رجال من الخزرج مع اميرهم عبد الله بن عتيك .. ومعهم عبد الله بن انيس .. وابو قتادة وغيرهم . فاتوه فى داره بخيبر ليلا .. فقتلوه .. وعاد كل منهم يدعى انه هو الذى قتله ..

فقال لهم - صلى الله عليه وسلم - ارونى سيوفكم .. فلما راها .. قال لسيف عبد الله ابن انيس - هذا الذى قتله - ارى فيه اثر الطعام .

وكان هذا الحادث فى رمضان من السنة السادسة .

وغنم المسلمون من بنى قريظة الفا وخمسمائة سيف .. وثلاثمائة درع .. والفى ربح وخمسمائة ترس وجحفة - نوع من التروس - ووجدوا عندهم اثنا كثيرا .. وانية فاخرة .. وجمالا نواضح - اى يسقى عليها الماء - وشياها كثيرة .. فخمس ذلك مع النخل والسبى .. ثم قسم

(١) أى مفقد ما تخرج به الدلو من البئر .. والناضح : الجبل .

على الغانمين .. وكان عدد الاسهم ٣٠٧٢ سهما .. لان الرجال ثلاثة آلاف .. والخيل ست وثلاثون فرسا .. للفرس سهمان .. ولصاحبه سهم .

ثم بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سعد بن زيد الانصارى بسببايا من سبايا بنى قريظة الى نجد .. فباعها .. واشترى بثمانها خيلا وسلاحا .

واصطفى - صلى الله عليه وسلم - لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو بن جنانة .. عرض عليها الزواج ويضرب عليها الحجاب .. ولكنها ابت الا اليهودية .. فعزلها .. وبينما هو في اصحابه .. اذ سمع وقع نعلين خلفه .. فقال : ان هذا لشعبة ابن سعيه .. يبشرني باسلام ريحانة .. فجاءه فقال : يا رسول الله .. قد اسلمت ريحانه .. فسر ذلك من امرها .

وقد توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي في مكة .

وقد استجاب الله لسعد بن معاذ .. فلم يموت .. الا بعد هزيمة بنى قريظة .. فانفجر جرحه .. ومات شهيدا .

يقول ابن اسحاق .. عن معاذ بن رفاعة الزرقاني .. قال :

ان جبريل - عليه السلام - اتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قبض سعد بن معاذ .. في جوف الليل .. معتجرا بعمامة من استبرق .. فقال يا محمد .. من هذا الميت الذى فتحت له ابواب السماء .. واهتز له العرش ؟

قال : فقام رسول الله سريعا .. يجسر ثوبه الى سعد .. فوجده قد مات ..

كما يقول بعضهم : كان سعد رجلا بدينا .. فلما حملة الناس .. وجدوا له خفة .. فقال رجل من المسلمين والله ان كان لبدينا .. وما حملنا من جنازة اخف منه .

فبلغ ذلك رسول الله فقال : ان له حملة

غيركم .. والذى نفسى بيده .. لقد استبشرت الملائكة بروح سعد .. واهتز له العرش .

وروى عن ابي سعيد الخدرى .. قال :

كنت ممن حفر لسعد قبره .. فكان يلوح علينا المسك كلما حفرنا .

ودفن سعد - رضى الله عنه - ببقيع الفرقد وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ » .

وام سعد .. هى كبيشة بنت رافع .. وهى اول من بايع رسول الله من نساء الانصار .

ونحن نعتب على بعض مؤرخى الغرب .. استغفاعهم لهذا القتل الجماعى لبنى قريظة .. فقد راينا غدوهم وخيانتهم .. ونقضهم عهدهم للرسول والمسلمين .. وفي وقت زلزلت فيه الاركان - وطاشت الاحلام .. وزاغت الابصار .. وبلغت القلوب الحناجر .. يوم الأحزاب .

فاستحقوا عدلا لا ظلما .. تنفيذ حكم الاسلام باعدامهم بتلك الصورة التى رايناها .. وان الله لا يظلم مثقال ذرة .. فالفتنة اشد من القتل .. ومن قتل نفسا .. فكأنما قتل الناس جميعا ..

واوجز الله تعالى النهاية .. فى غزوتى الأحزاب وبنى قريظة .. بقوله فى سورة الأحزاب :

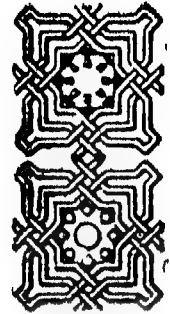
«ورد الله الدين كفروا بغيتهم لم ينالوا خيرا .. وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » .

هذا عن يوم الأحزاب .

«وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيتهم وقذف فى قلوبهم الرعب .. فريقا يقتلون وتأسرون فريقا يذوؤركم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها وكان الله على كل شى قديرا » (١) . وهذا عن بنى قريظة :

على مشارف الحديبية

ثم عاد - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة
وهو يقول : « آيبيون تأيبيون .. عابئون اربنا حامدون
.. اعوذ بالله من وعشاء السفر .. وكأبة المنقلب ..
وسوء المنظر في الأهل والمال » .



على مشارف الحديبية

بغزوة بنى قريظة .. انتهى العام الخامس
من الهجرة الشريفة .

وكان خروج النبي - صلى الله عليه وسلم -
الى الحديبية .. فى أول ذى القعدة من العام
السادس . ولكن حدثت أمور قبل الحديبية ..
منها : بعض البعوث والسرايا .. التى يجب
أن نشير إليها .. كما حدث أمر عجيب أدى الى
اسلام صحابين جليلين .. ومسيحين من
سيوف الاسلام .. هما : عمرو بن العاص ..
وخالد بن الوليد .

والعجيب فى هذا الأمر أن اسلام عمرو ..
كان على يد نجاشى الحبشة .

ولهذا نستأذن .. لنسمع معا هذا الحدث
.. من عمرو بن العاص نفسه .. يحكى لنا
كيف اسلم .. فيقول :

« لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق ..
جمعت رجالا من قريش .. كانوا يرون رأى ..
ويسمعون منى .. فقلت لهم : سلمون والله

انى ارى امر محمد يعلو الامور علوا منكرا ..
وانى قد رايت امرا .. فما ترون فيه ؟ ..
قالوا : وماذا رايت ؟ .. قلت رايت أن تلحق
بالنجاشى .. فنكون عنده .. فان ظهر محمد
على قومنا .. كنا عند النجاشى .. فانا ان
نكون تحت يديه احب الينا من أن نكون تحت
يدى محمد .. وان ظهر قومنا .. فنحن من
فد عرفوا .. فلا يأتينا منهم الا خسر ..
قالوا : ان هذا هو الرأى .

قلت فاجمعوا لنا ما نهديه له .. وكان
احب ما يهدى اليه من أرضنا - الأدم - فجمعنا
له ادما كثيرا .. ثم خرجنا حتى قدمنا عليه
فوالله انا لعنده .. اذ جاءه عمرو بن أمية
الضميرى .. وكان رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - قد بعثه اليه - أى النجاشى - فى شأن
جعفر وأصحابه .. فدخل عليه .. ثم خرج
من عنده . فقلت لأصحابى : هذا عمرو بن أمية
الضميرى .. لو قد دخلت على النجاشى ..
وسالته آياه فأعطانيه .. فضربت عنقه ..

فإذا فعلت ذلك .. رات قريش انى قد اجزأت عنها .. حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه .. فسجدت له - كما كنت اصنع - فقال : مرحبا بصديقى .. اهديت الى من بلادك شيئا ؟ .. قلت : نعم ايها الملك .. قد اهديت اليك ادما كثيرا .. ثم قربته اليه .. فاعجبه واشتياه .. ثم قلت له : ايها الملك .. انى قد رايت رجلا خرج من عندك .. وهو رسول رجل عدو لنا .. فاعطينيه فاقتله .. فانه قد اصاب من اشرافنا وخيارتنا .
فغضب النجاشي .. ثم مد يده فضرب بها انفه .. ضربة ظننت انه قد كسره .. فلو انشقت لى الارض .. لدخلت فيها فرقا منه .. ثم قلت له : ايها الملك .. والله لو ظننت انك تكره هذا .. ما سالتكه .

قال : اتسالى ان اعطيك رسول رجل ياتيه الناموس الاكبر .. الذى كان ياتى موسى لتقتله ؟ .

قلت : ايها الملك .. اكذلك هو ؟ .. قال : ويحك يا عمرو .. اطعنى واتبعه .. فانه والله لعلى الحق .. ليظهرن على من خالفه .. كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .. قلت : افتبايعنى له على الاسلام ؟ قال : نعم .. فبسط يده .. فبايعته على الاسلام .

ثم خرجت الى اصحابى .. وقد حال رأى عما كان عليه .. وكتمت عن اصحابى اسلامى . وخرجت عائدا .. الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقيت خالد بن الوليد .. وذلك قبيل الفتح - بعد الحديبية - وهو مقبل من مكة .. فقلت : الى اين يا ابا سليمان ؟

قال : لقد استقام المنسم (١) .. وان الرجل لنبى .. اذهب والله فاسلم .. فبمى متى ؟ .. **قلت :** والله ما جئت يا خالد الا لاسلم .

قال : فقدمنا المدينة .. على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتقدم خالد فاسلم وبايع .. ثم دنوت .. فقلت : يا رسول الله .. انى ابايعك على ان يغفر الله لى ما تقدم من ذنبى .. ولا اذكر ما تاخر .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا عمرو بايع .. فان الاسلام يجب ما قبله .. وان الهجرة تجب ما كان قبلها .. فبايعته ثم انصرفت (٢) .

فكان هذا امرا عجبا .. صحابى جليل .. اسلم على يد تابعى .

اما غزواته وسراياه - عليه السلام - فى العام السادس - قبل الحديبية - فاهمها - سريتان وغزوتان :

اولاهما .. سرية - القرطاء - .

والقرطاء بطن من بطون بني بكر بن كلاب .. يبعدون عن المدينة سبع ليال . ففى منتصف المحرم من السنة السادسة .. ارسل - صلى الله عليه وسلم - اليهم محمد بن مسلمة الأنصارى .. فى ثلاثين راكبا .. وأمرهم ان يسيروا ليلا .. وبكمنا نهارا .. ليباغتوهم .. ويفيروا عليهم .. ففعلوا وقتلوا منهم عشرة أو عشرين .. وهرب الباقون .. فغنموا منهم مائة وخمسين بعيرا .. وثلاثة آلاف شاة .. وعادوا الى المدينة فى اخر المحرم .. وقد اسروا معهم ثمانية بن نال الحنفى - سيد بنى جنيقة .

ولثامة هذا موقف شجاع .. يجعله من فضلاء الصحابة .

فمن أبى هريرة قال : (٣)

ان خيلا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذت رجلا .. ولا يشعرون من هو .. حتى أتوا به رسول الله - قال :

(٢) ابن هشام .

(١) الطريق .

(٣) ابن اسحاق .

« اتدرون من اخذتم : .. هذا ثمامة
بن اثال » .

وامر بربطه في سارية المسجد .. لينظر
حسن صلاة المسلمين .. واجتماعهم عليها ..
فيرق قلبه . فخرج اليه - عليه الصلاة
والسلام - فقال : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ »
قال : عندي خير يا محمد .. ان تقتل تقتل
ذا دم - اي قريب - وان تنعم تنعم على شاكر
.. وان كنت تريد المال .. فسئل تعط منه
ما شئت .

فتركه حتى كان الغد .. ثم قال له :
« ما عندك يا ثمامة ؟ » .. قال : عندي ماقلت
لك - ان تنعم على شاكر .. فتركه حتى
كان بعد الغد .. فقال : « ما عندك يا ثمامة ؟ »
.. قال : عندي ما قلت لك .. قال : « اطلقوا
ثمامة » .

فانطلق الى نخل قريب من المسجد ..
فاغتسل .. ثم دخل المسجد فقال : اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله - ثم قال :
والله يا رسول الله ما كان على وجه الارض ابغض
الى من وجهك .. وقد اصبح وجهك احب
الوجوه الى .. والله ما كان من دين ابغض الى
من دينك .. فاصبح دينك احب الدين كله الى
.. وان خيلك اخذتنى .. وانا اريد العمرة ..
فماذا ترى ؟ .. فبشره النبي بخير الدنيا
والآخرة .. وامره ان يعتصر .. فلما قدم مكة
يلبى .. وينفى الشرك عن الله .. قال له
احدهم : صبوت ؟ .. قال : لا .. ولكني
اسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله ..
ولا والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة .. حتى
ياذن فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وكانت اليمامة - ديار ثمامة - ريف مكة
.. فانصرف الى بلاده .. ومنع الحبوب من
مكة .. حتى جهدوا .

قيل انه منع عن مكة الميرة من اليمامة ..
حتى اكلت قریش « العلهز » (١) .

وكتبوا الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يسالونه بأرحامهم .. ان يكتب الى
ثمامة .. ليرسل لهم الطعام .. ففعل رسول
الله - رسول الرحمة - وطلب من ثمامة
ان يرسل الميرة الى مكة .

صار ثمامة من فضلاء الصحابة ..
ولم يرتد مع من ارتد من اهل اليمامة .. بعد
 وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - مع مسيلمة
الكذاب .. الذي ادعى النبوة .. فوقف ثمامة
فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم - حم *
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب » .

ثم قال : فآين هذا من هديان مسيلمة ؟ .
فاطاه ثلاثة آلاف من قومه .. وانحازوا
الى جيش المسلمين .

وبرغم انقضاء اكثر من عامين .. على
مذبحة القراء في بئر معونة .. بعد اغتيال
اصحاب الرجيع : عاصم بن ثابت .. وخبيب
واصحابهما .. في شهر صفر من السنة الرابعة
.. الا ان قلب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ما زال يفتقر اسي ووجدا من اجلهم
.. لانهم - كما ذكرنا - لم يكونوا محاربين ..
بل كانوا معلمين .. فقتلوا غدرا .. فأراد ان
يقتص لهم من الكفرة .. اهل نجد .

فخرج بنفسه في اول جمادى الاولى سنة
ست (٢) .. في مائتين من الصحابة .. ومعهم
عشرون فرسا . واظهر انه يريد الشام ..
حتى يأخذهم على غرة .. واستخلف على
المدينة عبد الله بن ام مكتوم .

ولعلنا نلاحظ ان الرسول - عليه الصلاة
والسلام - كان غالبا ما يستخلف على المسلمين
عبد الله بن ام مكتوم .. مع انه اعشى ..
مما يدل على ان الاهتمام بامامة المسلمين في
الصلاة - هو الركيزة في الدين والدنيا معا .

(١) الوبر والدم .

(٢) يقول بعض الرواة : كانت في ربيع الاول .

وسميت هذه الغزوة « غزوة بنى لحيان » .
فقد سلك رسول الله طريقاً جبلياً على طريق
الشام .. واستقام به الطريق على المحجة من
طريق مكة .. وأسرع السير حتى انتهى الى
بطن غوان .. وهو واد من اوديتهم .. بين
- امج وعسفان - حيث مصاب اصحابه - اهل
الرجيع - فترحم عليهم .. ودعاهم ..
وسمع بنو لحيان بقدمه .. فهربوا منه في
شعاب الجبال .. فلم يقدر منهم على احد ..
واقام بارضهم يومين .. ثم قال : لو انا هبطنا
عسفان .. لراى اهل مكة انا قد جئنا مكة ..
وسار بجنده الى عسفان .. فبعث عشرة
فوارس الى كراع الغميم .. ليفزع بها قريشا .
ثم عاد - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة
.. وهو يقول :

« ايون تائبون .. عابدون لربنا حامدون
.. اعوذ بالله من وعشاء السفر .. وكآبة المنقلب
.. وسوء المنظر .. في الامل والمال » .
وغاب في هذه الغزوة .. اربع عشرة ليلة .
وبقى ان نشير الى غزوة « الفسابة » او
« غزوة ذى قرد » .

وان كان صاحب - زاد المعاد - ذكر ان تلك
الغزوة كانت بعد الحديدية .. ولكن اصحاب
السير اثبتوا انها بعد قدومه من غزوة بنى لحيان
بليال معدودة .

فقد اغار عيينة بن حصن الفزارى على
عشرين لقحة (١) لرسول الله .. كانت ترمى
بالغابة .. اغار عليها عيينة .. في اربعين فارسا
من بنى غطفان .. فاستاقوا اللقاح .. وقتلوا
راعيها - وكان ابن ابي ذر الفزارى - واسروا
امراه .. فلما بلغ الخبر رسول الله .. نادى :
يا خيل الله اركبى .. وركب رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - مقتنعا في الحديد ..
فكان اول من قدم اليه المقداد بن عمرو .. في
الدرع والمفر .. فعقد له رسول الله اللواء في
رمحه .. وقال له : امض حتى تلحق بالخيول
.. وانا في اترك .. فخرج معه بعض الصحابة

.. وادرك سلمة بن الأكوع القوم .. وهو على
رجليه .. فجعل يرميهم بالنبل .. وهو يقول :
« خذها وانا ابن الاكوع .. واليوم يوم الرضع »
.. حتى انتهى بهم الى ذى قود .. وقد استنقلد
منهم جميع اللقاح وثلاثين بردة (٢) .

يقول ابن هشام : كان اول من نذر بهم سلمة
بن الاكوع الاسلمى .. غدا يريد الفاية ..
متوشحا قوسه ونبله .. ومعه غلام على فرسه
يقوده .. حتى اذا علائنية الوداع .. نظر الى
خيولهم .. فاشرف من ناحية سلع .. ثم
صرخ - واصباحاه - ثم خرج يشدد في اثار
القوم .. وكان مثل السبع .. حتى لحق بالقوم
.. فجعل يرميهم بالنبل ويقول اذا رمى : خذها
وانا ابن الاكوع .. فاذا وجهت الخيول نحوه
انطلق هاربا .. ثم عارضهم .. فاذا امكنه
الرمى رمى .. ثم قال خذها وانا ابن الاكوع .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في
اثرهم .. ومعه خمسمائة .. واستخلف على
المدينة ابن أم مكتوم كعادته .. وخلف سعد
بن عباد في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة .
قال سلمة : فلحقنا رسول الله والخيل عشاء

وما زالت الخيل تأتي .. والرجال على
اقدامهم وعلى الابل .. حتى انتهوا الى رسول
الله بنى قرد .. طريق خيبر .. واقام بها
يوما وليلة .

ويقول بعض الرواة : ان المسلمين استخلصوا
عشر لقاح .. وافلت القوم بعشر .

ولكن لفظ مسلم في صحيحه عن سلمة :
« حتى ما خلق الله من شيء من لقاح رسول
الله .. الا خلفته وراء ظهري .. واستلبت منهم
ثلاثين بردة » .

ثم عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى المدينة .. بعد أن غاب عنها خمسة ايام ..
وصلى بنى قرد صلاة الخوف ،

وقد هربت زوجة ابن ابي ذر من اسرهم على
ناقة من نوق رسول الله ليلا .. على حين غفلة
منهم .. فلما قدمت المدينة قالت : يا رسول

(٢) البريد : البغلة المرببة في الرباط .

(١) اللقمة : هى ذوات اللبن القريبة العهد من الولادة .

الله .. انى نذرت لله تعالى .. ان انحرها ان
نجانى الله عليها .. فقال - عليه الصلاة
والسلام - :

« بثسما جزيتها .. ان حملك الله عليها
ونجالك ان تنحريها !! انه لا نذر لاحد فى معصية
.. ولا لاحد فيما لا يملك » .

**واما السرية الثانية .. فهى سرية زيد بن
حارثة الى « العيص » .**

فقد بلغه - عليه السلام - ان عمرا قد اقبلت
من الشام .. فبعث زيد بن حارثة فى سبعين
راكبا .. فادركها واخذها بما فيها من فضة
واموال .. واسر ناسا منهم : ابو العاص بن
الربيع .. زوج زينب بنت رسول الله .. التى
هاجرت الى مكة وحدها .. وتركته على شركه .

وكان من بين الاسرى ايضا ام هالة بنت
خويلد .. اخت خديجة - رضى الله عنها ..

وكان ابو العاص تاجرا امينا .. خرج
بتجارة قريش الى الشام .. فلما وقع فى أسر
سرية رسول الله .. اقلت منها .. وذهب الى
زينب بنت رسول الله فى المدينة .. فاستجار بها
.. وسألها ان تطلب من ابيها رد ماله عليه ..
وما كان معه من اموال الناس .. فقال لها -
عليه السلام .. « اكرمى مثواه .. ولا يخلص
ليك .. فانك لا تحلين له » .

ودعا رسول الله السرية .. فقال :

« ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم ..
وقد أصبتم له ولغيره مالا .. وهو فىء الله

الذى افاء عليكم .. فشان رايتم ان تردوه
فافعلوا .. وان كرهتم فانتم وحققكم » .
فقالوا : بل نرده عليه يا رسول الله .

فردوا عليه ما اصابوا .. حتى ان الرجل
ليأتى بالشئ (١) .. والرجل يأتى بالاداة (٢) ..
والرجل بالحبل .. فما تركوا قليلا ولا كثيرا
اصابوه .. الا ردوه .

ثم خرج ابو العاص حتى قدم مكة .. فادى
الى الناس بضائعهم .. حتى اذا فرغ .. قال :
يا معشر قريش .. هل لاحد منكم
سمى « سأل لم ارده عليه » .. قالوا : لا ..
فجزاك الله خيرا .. قد وجدناك وفيا كريما ..
قال : والله ما منعنى ان اذ له قبل ان اقدم
عليكم .. الا ان تظنوا انى اسلمت لاذهب باموالكم
.. فانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله .

وعاد الى المدينة مسلما مهاجرا .. فرد عليه
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوجته
زينب .. وكان - عليه الصلاة والسلام - يصلى
وهو حامل امامه بنت زينب من ابي العاص .

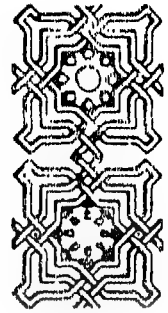
وقد ذكر موسى بن عقبة ان قصة ابي العاص
هذه .. كانت بعد هدنة الحديبية .. ولكن الاصح
ما ذكرناه .. وهو ما ذكره رجال السيرة ..
لانه بعد هدنة الحديبية لم تتعرض سرايا رسول
الله لقريش .

ولهذا زعم موسى بن عقبة .. ان الذى
اخذ اموال قريش هو ابو بصير وصحبه ..
الذين اسلموا بعد الحديبية .. واقاموا بساحل
البحر .. تنفيذا لشروط الحديبية .

فما هى هدنة الحديبية .. وما هى شروطها ؟

هُدنة الحديبية

وكان المغيرة بن شعبة واقفا خلف النبي ومعه
السيف .. فكلما أهوى عروة الى لحية النبي - وهو
يحدثه - ضرب المغيرة يده بنعل السيف وهو يقول :
آخر يدك عن لحية رسول الله .. فرفع عروة رأسه
وقال : ويحك ما أفظك وما أغلظك ! .. فتبسم
رسول الله .. فقال عروة : من هذا يا محمد ؟ قال :
« هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة » .



هدنة الحديبية

وأصحابه .. آمنين .. محلقين رءوسهم
ومقصرين . فنأدى فى المدينة وما حولها ..
انه يريد زيارة البيت الحرام بمكة معتمرا ..
لا يريد حربا .

وخرج يوم الاثنين .. هلال ذى القعدة سنة
ست من الهجرة الشريفة .. وخرج معه
الانصار والمهاجرون .. ومن أسلم من عرب
البادية .. ومن حول المدينة من الأعراب ..
يسوقون البدن للهدى عند البيت (١) .

وبلغ عددهم ألفا وخمسمائة فى أغلب الآراء
.. بخلاف ما رواه ابن اسحاق من ان البدن
كانت سبعين .. وأن الناس كانوا سبعمائة ..
فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .. فاذا صح هذا
الخبر .. يكون ذلك عددهم عند خروجهم من
المدينة .. قبل أن ينضم اليهم عرب البادية ..
وأعراب المدينة .. ومن تخلف لبعض شأنه ..
فقد ثبت فى الصحيحين عن أنس : أن النبى
— صلى الله عليه وسلم — اعتمر أربع عمر ..
كلهن فى ذى القعدة .. فذكر منها عمرة الحديبية
.. وكان معه ألف وخمسمائة .. وهكذا فى

مقام صلح الحديبية يدعوننا الى الأناة قليلا
.. عسانا نستشف ما فيها من عبر وآيات ..
وحكم وعظات .. ففيها الحكمة والسياسة ..
وفىها التروى وبعد النظر .. فكانت مقدمة
لفتح مكة .. وفتح مكة هو الفتح الأكبر
للاسلام .. الذى أشار اليه القرآن الكريم ..

فى قوله تعالى :

(اذا جاء نصر الله والفتح) .

وقال ابن عباسى .. وأنس .. والبراء بن
عازب : ان المقصود بالفتح .. فى سورة الفتح :
(انا فتحنا لك فتحا مبينا) الى آخر الآيات
هو فتح الحديبية .. ووقوع الصلح .

فقد مضت ست سنوات .. لم يزر فيها
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مكة ..
ولم يعتمر .. ولم يحج .. وهى أحب بلاد الله
الى قلبه .. فاشتاق اليها .. وحن لها حنين
الرضيع الى ثدى أمه .. بعد أن غابت عنه يوما
أو بعض يوم .

فأراه الله فى منامه .. أنه دخل البيت هو

(١) البدن : النوق والبقر التى تسمن للذبح بمكة .

الصحيحين عن جابر .

كما قال قتادة : قلت لسعيد بن المسيب : كم كانوا الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ .. قال : خمس عشرة مائة .. قال : قلت : فان جابر بن عبد الله قال : كانوا أربع عشرة مائة .. وكانت بيعة الرضوان في الحديبية .

فلما وصلوا الى ذي الحليفة .. صلى عليه السلام - بمسجدها ركعتين .. واحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه .. وليعلموا ان خروجهم لزيارة البيت تعظيما له .. وليس معهم من السلاح الا سلاح المسافر - السيوف في قربها .. وكانت معه زوجته أم سلمة - رضى الله عنها - واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم للصلاة .. كما استخلف ابا رهم لحراسة المدينة .

وانفرد ابن اسحاق بقوله : انه استعمل على المدينة - نميلة بن عبد الله الليثي - وركب عليه الصلاة والسلام - ناقته القصواء .. ووصل بأصحابه الى عسفان .. وعسفان مكان بين الجحفة ومكة .. وهى حدود تهامة .. على مرحلتين من مكة .

وهناك لقيه - عليه السلام - بشر بن سفيان الكعبي - وكان - عليه الصلاة والسلام - قد بعثه عينا له .. ليأتيه بخبر قريش .

فقال له : يا رسول الله .. هذه قريش .. قد سمعوا بمسيرك .. فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل (١) .. قد لبسوا جلود الثمور .. وقد نزلوا بلدى طوى .. يحلفون لا تدخل عليهم أندا .. كما أخبره أن خالد بن الوليد في خيلهم (٢) .. قد قدموا الى كراع الغميم - وهو موضع قريب من مكة - ثم قال : انى تركتهم وقد جمعوا لك الأجابيش .. وجمعوا لك جموعا .

فقال - صلى الله عليه وسلم - « يا ويح قريش .. قد أكلتهم الحرب .. ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب .. فان هم

أصابونى .. كان ذلك الذى أرادوا .. وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام .. وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة .. فما تظن قريش ؟ .. فوالله لا أزال أجاهدكم على الذى بعثنى به الله .. حتى يظهره الله .. أو تنفرد هذه السالفة (٣) ولينفدن الله أمره » .

واستشار النبی أصحابه قال : « اترون ان نميل الى ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم ؟ أم اترون ان نؤم هذا البيت .. فمن صدنا منه قاتلناه ؟ » .

فقال أبو بكر : « الله ورسوله أعلم .. انما جئنا معتمرين .. ولم نجىء لقتال أحد .. ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه . قال « فارحلوا » .

ونستشف هنا ان الاستشارة كانت هى اول عمل يقوم به رسول الله .. فى كل أمره .. ثم قال : « من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ »

فقال حمزة بن عمرو الاسلمى : انا يا رسول الله .. فسلك بهم طريقا وعرا .. خرجوا منه بعد ان شق عليهم .. وقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « قولوا نستغفر الله ونتوب اليه » فقالوا .. فقال « والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها » .

يقصد قول الله تعالى لبنى اسرائيل « وقولوا حطة » أى اغفر لنا .. وحط منا ذنوبنا .

وعلم خالد بميل المسلمين عن الطريق .. وقيل : كان معه من الفرسان مائتان .. منهم عكرمة بن أبى جهل .. فأسرع خالد الى قومه ليخبرهم .

ووصل المسلمون بعد ان استقام معهم الطريق الى الثنية - مهبط الحديبية من اسفل مكة .. فبركت القصواء .. فقال الناس :

(١) العوذ : النوى ذوات اللين .. والمطافيل : النوى خلفها أطفالها .. أى بنو الأمانة .

(٢) كان اسلام خالد بعد الحديبية .. كما ذكرنا .

(٣) السالفة : صفة المتق (١)

وقد تكررت معجزة الماء في الحديبية مرة
اخرى .

ففى البخارى ومسلم .. من حديث جابر
.. قال : « عطش الناس يوم الحديبية .. وبين
يدى رسول الله ركوة يتوضأ منها .. فاقبل
الناس نحوه .. فقال : « ما بالكم » ؟ قالوا :
يا رسول الله ما عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب
.. الا فى ركوتك .. فوضع يده فى الركوة ..
فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون
.. فشربنا وتوضأنا .

وقال جابر بن حيان : ان قصة الركوة
كانت قبل قصة البئر .

فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم - جاءه رجال من خزاعة .. على رأسهم
بديل ابن ورقاء الخزاعى .. فسأله عما جاء
به .. فأخبرهم انه لم يأت يريد حربا .. وانما
جاء زائرا البيت .. معظما لحرمة .. ثم قال
لهم مثل ما قال لبشر بن سفيان .. ليتركوا
ما بينه وبين العرب . وكانت خزاعة ناصحة
لرسول الله - مسلمها ومشرکہا .. ولا يخفون
عنه شيئا كان بمكة .. فعادوا الى قريش ..
فقالوا : يا معشر قريش .. انكم تعجلون على
محمد .. ان محمدا لم يأت لقتال .. وانما جاء
زائرا هذا البيت .. فاتهموهم وقابلوهم
بما يكرهون .. وقالوا : ان كان لا يريد قتالا
.. فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا .. ويتحدث
بذلك عنا العرب .

ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص ..
.. أخا بنى عامر - فلما رآه - صلى الله عليه
وسلم - مقبلا قال : « هذا رجل غادر » فلما
انتهى الى رسول الله - وكلمه فى الأمر .. قال
له كما قال لبديل الخزاعى .. فرجع الى
قريش وأخبرهم بما قال رسول الله .. فبعثوا
اليه الحليس بن علقمة .. وهو

خلأت القصواء - أى بركت من غير علة -
فقال - صلى الله عليه وسلم - « ما خلأت
القصواء .. وماذاك خلقها .. ولكن حبسها
حابس الفيل من مكة .. والذى نفسى بيده ..
لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمت الله الا
اعطيتهم اياها » ثم زجرنا قتته .. فوثبت به
.. فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية .. فنزل
على ثمد - أى مكان قليل الماء -

والحكمة ظاهرة فى حبس الناقة عند الثنية ..
حبسها الله عن دخول مكة .. كما حبس الفيل
من دخولها .. لان الصبحابة لو دخلها ..
وصلتهم قريش .. اوقع بينهم القتال وسفك
الدماء .. ولكن سبق فى عام الله انهم سيدخلون
فى الاسلام افواجا .. وسخرج من اصلاهم
مسلمون مجاهدون .. ولهذا لما رأى - عليه
الصلاة والسلام - حبس الناقة قال : (والذى
نفسى بيده .. لا يسألونى خطة يعظمون فيها
حرمت الله .. الا اعطيتهم اياها » .

**والحديبية اسم بئر .. سميت القرية
باسمها ..** وهى قرية متوسطة الحجم .. بينها
وبين مكة مرحلة (١) .. وبينها وبين المدينة
تسع مراحل .. بعضها فى الحل وبعضها فى
الحرم .

وشكا المسلمون لرسول الله قلة الماء .. بعد
ان نزحوا ما فى البئر .. وكان عددهم كبيرا ..
فاشتد بهم العطش .. فاخرج - عليه الصلاة
والسلام - سهما من كنانته .. أعطاه أحدا
أصحابه وطلب منه أن يجعله فى البئر .

يقول راوى الحديث : « فوالله مازال يجيش
بالرى حتى صدروا عنه » .

وفى رواية أخرى : « فجاش بالرواء حتى
ضرب الناس عنه بطن » .

أى حتى روى .. ورويت ابلهم .. حتى
بركت حول الماء .. لأن عطن الابل مباركها

سيد الاحابيش (١) .. فلما راه رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال : « ان هذا من
قوم يتألهون » اى يعظمون الالهة .. « فابعثوا
الهدى فى وجهه حتى يراه » .

فلما راي الهدى يسير عليه من عرض الوادى
فى قلائده .. وقد اكل اوباره من طول حبسه
من موضعه من الحرم الذى ينجر فيه .. رجع
الى قريش .. ولم يصسل الى رسول الله ..
اعظاما لما راي .. فقال لهم ذلك .. فقالوا له :
اجلس .. فانما انت اعرابى .. لا علم لك ..
فغضب الحليس وقال : يا معشر قريش - والله
ما على هذا حالناكم ولا عاقدناكم ايصد من
بيت الله من جاء معظما له .. والذى نفسى
الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له
.. او لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد ..
فقالوا له : مه .. كف عنا يا حليس .. حتى
ناخذ لانفسنا ما نرضى به .

وكان فى المجلس عروة بن مسعود الثقفى
- سيد ثقيف - فقال : يا معشر قريش ..
انى قد رايت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد
من التعنيف وسوء اللفظ .. وقد سمعت
بالذى اصابكم .. فجمعت من اطاعنى من قومى
.. ثم جئتمكم .. حتى آسيتكم بنفسى ..
قالوا : صدقت .. ما انت عندنا بمتهم .

فخرج حتى اتى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فجلس بين يديه .. ثم قال :
يا محمد .. اجمعت اوشاب العرب .. ثم
جئت بهم الى بيتك (٢) .. لتفضها بهم لا ..
انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ..
قد لبسوا جلود النمر .. يعاهدون الله
لا تدخلها عليهم عنوه أبدا .. وايم الله اكأنى
بهؤلاء - يشير الى المشركين قد انكشفوا عنك

غدا - اى تركوك - وكان أبو بكر بجانب رسول
الله .. فقال أبو بكر : « امصص بظر اللات (٣)
.. انحن ننكشف ونتركه ؟ » .. وحقره
أبو بكر - رضى الله عنه - وحقر معبوده بتلك
العبارة .

فقال : من هذا يا محمد ؟ .. قال « أبو بكر »
.. قال : اما والذى نفسى بيده .. لولايد
لك عندى يا أبا بكر لم أجرك بها .. لأجبتك (٤)
وجعل عروة يحدث رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - وكلما حادثه - اخذ بلحيته ..
وتلك عادة النظراء من العرب عندما يتحدثون ..
وكان المغيرة بن شعبه واقفا خلف النبى .. ومعه
السيف .. فكلما أهوى عروة الى لحية النبى
.. ضرب يده بنعل السيف وهو يقول : اخر
يدك عن لحية رسول الله .. فرفع عروة رأسه
.. وقال : ويحك - ما افظك واغلظك !!
فتبسّم رسول الله .. فقال له عروة : من هذا
يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه
.. قال : اى غدر .. وهل غسلت سوءتك
الا بالأمس ؟ .

اراد عروة بقوله هذا عن المغيرة : ان المغيرة
قتل ثلاثة عشر من بنى مالك من ثقيف قبل
اسلامه .. فادى عنه عروة ديتهم .

وأخبر رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
عروة أنه لا يريد حربا .. ولكنه يريد الزيادة
والعمرة ، وقد بهر عروة ما رأى من تقديس
الصحابة لرسول الله .. وشدة ارتباطهم به ..
فعاد الى قريش - فقال : يا معشر قريش ..
انى قد جئت كسرى فى ملكه .. وقيصر فى ملكه
.. والنجاش فى ملكه .. وانى والله ما رأيت
ملكا يعظمه اصحابه .. ما يعظم اصحاب محمد

(١) الاحابيش . هؤلاء قريش .. وهم بنو امية طاق .. وبنو الهون من خزيمه .

(٢) الاوشاب . الاخلاص . والبيضة : الاصل والعشيرة .

(٣) البظر . ما قطع أو ما بقى عند ختان البنت .. واللات : صنم ثقيف .

(٤) كان أبو بكر اعانه فى دبة عليه .

محمدا .. اذا ابتدرهم ابتدروا امره .. واذا
توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه .. واذا تكلم
خفضوا أصواتهم عنده .. ولا يحدون اليه
النظر تعظيما له .. وقد عرض عليكم خطة رشد
فاقبلوها .

ثم بعثت قريش أربعين رجلا منهم ..
يطيفون بمسكن المسلمين .. فرموا في المعسكر
بالحجارة والنبل .. فاخذوا اخدا .. فأتى بهم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعفا عنهم
.. وخلق سبيلهم .

وذكر ابن هشام : أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - دعا خراش بن أمية الخزاعي
.. فبعثه الى قريش بمكة .. وحمله على بعير
له .. يقال له : الثعلب .. ليبليهم أشرفهم عنه
ما جاء له .. فلما جاءهم عقروا جمل رسول الله
.. وهموا بقتل خراش .. فمنعته الاحابيش
.. وخلصوا سبيله .. فعاد الى رسول الله بما
حصل منهم .

ثم دعا عمر بن الخطاب .. ليبعثه الى مكة ..
فبليهم عنه أشرف قريش ما جاء له .. فقال
همر : يا رسول الله .. ليس بمكة احد من بني
كعب .. يقضب لى ان أؤذيت .. وقد عرفت
قريش عداوتى اياها .. وغلظتى عليها .. ولكنى
أدلك على امر بها منى - عثمان بن عفان - فان
شئركم بها .. وانه مبلغ ما أردت .

فدعا عثمان وأرسله الى قريش .. وقال
أخبرهم أنا لم نأت لقتال .. وإنما جئنا عمارا
.. وأدعهم الى الاسلام .. وأمره أن يأتى رجلا
مؤمنين .. ونساء مؤمنات .. ويبشروهم بالفتح
ويخبرهم بأن الله - عز وجل - مظهر دينه بمكة
.. حتى لا يستخفى فيها بالايمن .

فانطلق عثمان - رضى الله عنه - فمر على
بعض قريش - ببلدح .. فقالوا : اين تريد ؟ ..
قال : بعثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أدعوكم الى الله والى الاسلام - ونخبركم أنا لم
نأت لقتال .. وإنما جئنا عمارا .. فقالوا :
سمعنا .. فأنفذ لحاجتك .. وقام اليه ابان بن

سعيد ابن العاص .. فرحب به .. وأسرج
فرسه .. وحمله عليه .. وأجاره حتى جاء
مكة .

وابان بن سعد .. هو ابن عم عثمان .. وقد
أسلم فيما بعد .

وانطلق عثمان الى أبى سفيان وعظماء قريش
.. فبلغهم رسالة رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فقالوا له .. حين فرغ من رسالته ..
ان شئت فطف بالبيت .. فقال : ما كنت
لأفعل .. حتى يطوف به رسول الله .

واحتبسته قريش عندها بمكة أياما .. او
هو الذى أبطأ فى العودة الى الحديبية .

وسرى خبر بين المسلمين أن قريشا قتل
عثمان بن عفان .. فلما بلغ ذلك الخبر رسول
الله .. قال : « لا أبرح حتى نناجز القوم » أى
نحاربهم .

ودعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى البيعة تحت شجرة الرضوان .. تلك
الشجرة التى ذكرت فى قوله تعالى : (لقد رضى
الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم
فتحا قريبا) (١) .. وهى شجرة طلع فى هذا
المكان .

نادى عمر بن الخطاب فى الناس .. لمبايعة
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت
الشجرة على عدم الفرار .. اما الفتح واما
الشهادة .. فلم يتخلف احد من المسلمين .. الا
الجد بن قيس .. أخو بنى سلمة .. فكان جابر
بن عبد الله يقول :

« والله لكأنى انظر اليه - يقصد الجد بن
قيس .. لاصقا بأبط ناقتة يستتر بها من
الناس » وقيل : كان الجد يرمى بالنفاق .

وكان معقل بن يسار .. أخذوا بفصن
الشجرة .. يرفعه عن رسول الله .
وأول من بايع من المسلمين رسول الله .. أبو
سنان الأسدى .. وبايعه سلمه بن الأكوع ..

ثلاث مرات .. في أول الناس .. وأوسطهم ..
وأخبرهم .. ووضع رسول الله شماله في يمينه
وقال :

« اللهم هذه عن عثمان فإنه في حاجتك
وحاجة رسولك » .

ولعل في هذا إشارة منه - عليه الصلاة
والسلام - بأن عثمان لم يقتل .. وإنما بايع
تمشيا مع ظاهر الأشاعة .. وتجديد لروح
المسلمين .. وتثبيتا لهم .. وقد بايع عثمان
بعد عودته من مكة .

وقبل أن تغادر تلك الشجرة المباركة .. التي
تفينا ظلها لحظات مع رسول الله والمؤمنين
معه .. تطوى الزمن إلى خلافة عمر بن الخطاب
.. حيث بلغه أن الناس يتزاحمون للصلاة
تحت شجرة الرضوان .. ويطوفون حولها ..
فخاف - رضي الله عنه - من اتساع الأمر ..
فتكون بدعة .. وتعبد كالأصنام .. فأمر
بقطعها .

وبعد البيعة حضر عثمان بن عفان .. فقال
له المسلمون : اشتفتين يا أبا عبد الله من الطواف
بالبيت ؟ .. وكان المسلمون قالوا .. قبل أن
تسرى شائعة قتله : خلص عثمان قلنا إلى
البيت وطاف به .. فقال لهم رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - :

« أن عثمان لا يطوف بالكعبة حتى تطوف
معه .. ما أظننه طاف بالبيت .. ونحن
محصورون » .

فلما حضر عثمان .. وقالوا له ما قالوا ..
قال لهم : بشئ ما ظننتم بي .. والذي نفسي
بيده .. لو مكثت بها سنة .. ورسول الله
مقيم بالحديبية .. ما طفت بها حتى يطوف
بها رسول الله .. ولقد دعيتي قريش إلى الطواف
بالبيت .. فأبيت .. فقال المسلمون رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - كان أعلمنا بالله
.. واحسننا ظنا ..

ولما علمت قريش بالبيعة خافوا .. وأشار
أهل الرأي فيهم بالصلح .. على أن يرجع هذا

العام .. ويعود في العام التالي .. فيقيم بمكة
ثلاثة أيام .. وليس معه إلا سلاح المسافر -
السيوف في قربها -

وبعثوا إلى الرسول سهيل بن عمرو -
أخا بني عامر بن لؤي - للصلح .. واشترطوا
عليه ألا يقبل في صلحه إلا أن يرجع عنهم عامة
هذا .. لا يتحدثك العرب أنه دخل مكة عنوة .

فلما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
سهيلا مقبلا .. قال : « قد سهل لكم من أمركم »
وانتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم .. وتكلم فأطال الكلام .. وأملى
شروطه للصلح .. ورسول الله برأجه فيها ..
ثم يوافقه .. ثم تم الاتفاق .. على شروط
الصلح .. ولم يبق إلا الكتاب .

وأجزها في خمسة شروط :
الأول : وضع الحرب بينهم عشر سنين ..
وأن يأمن الناس بعضهم من بعض .

والثاني : أن يرجع عنهم عامهم ذلك .. حتى
إذا كان العام المقبل .. قدم بالمسلمين ..
فاقاموا بمكة ثلاثة أيام .. لا سلاح معهم إلا
السيوف في القرب .

والثالث : من أتى مرتدا من أصحاب محمد
إلى مكة لا يردوه .. ومن أتاه مسلما من مكة
رده عليهم .

فقال المسلمون : يا رسول الله نعطيه
هذا ؟ .. فقال : « من أتاهم منا فأبعده الله ..
ومن أتانا منهم فرددناه إليهم .. جعل الله له
فرجا ومخرجا » .

والرابع : وكان من نصوص تلك المصالحة
« وأن بيننا عيبة مكفوفة .. وأنه لا أسلال
ولا أغلال » « والعيبة المكفوفة » : الأمور المطوية
في صدور سليمة .. إشارة إلى نسيان الماضي من
أسباب الحرب . « ولا أسلال ولا أغلال » يعني
لا سرقة ولا خيانة .

خامسا : أنه من أحب من القبائل أن يدخل
في عقد محمد وعهده دخل فيه .. ومن أحب
أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

وتواثبت خراصة .. وقالوا : نحن في عقد محمد وعهده .

وتواثبت بنو بكر .. فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم .

وظاهر أن بعض الشروط منجحف بحق المسلمين .. واشدها أجحافا - الشرط الثالث - فحز ذلك في نفس عمر - رضى الله عنه - فلم يملك نفسه أن وثب الى أبى بكر .. فقال : يا أبا بكر .. اليس هو برسول الله ؟ .. قال : بلى .. قال : أولسنا بالمسلمين ؟ .. قال : بلى .. قال : أوليسوا بالمشركين ؟ .. قال : بلى .. قال : أولسنا على الحق .. وهم على الباطل ؟ .. قال : بلى .. قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ .. والدنية : هى الخصلة المذمومة .

فقال أبو بكر : يا عمر الزم غرضه .. فانى أشهد انه رسول الله . أى اتبع خطاه .. وأطع امره . فقال عمر : وأنا أشهد انه رسول الله .

ثم أتى رسول الله .. فقال : يا رسول الله .. السنت برسول الله ؟ قال : بلى .. قال : أولسنا بالمسلمين ؟ .. قال : بلى .. قال : أوليسوا بالمشركين ؟ .. قال : بلى .. قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ .

قال : يا عمر .. أنا عبد الله ورسوله .. ولن يضيعنى .

فكان عمر يقول : والله ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق من الذى صنعت يومئذ .. مخافة كلامى الذى تكلمت به .. حتى رجوت أن يكون خيرا .

ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بن أبى طالب .. ليكتب .. فقال :

اكتب .. بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما ندرى ما هو ؟ .. ولكن اكتب باسمك اللهم - كما نكتب - فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : **اكتب باسمك اللهم ..** ثم قال : اكتب هذا

ما قاضى عليه محمد رسول الله .. فقال سهيل : فوالله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - انى رسول الله .. وان كذبتمونى .

فقال سهيل : اكتب اسمك واسم أبىك . فقال النبى : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله

وتتابعت شروط المصالحة - على ما ذكرنا - حتى بلغوا الشرط الثالث .. برد من يأتى مسلما من مكة اليها .

وشاء الله أن يبلغ اختبار صبر المسلمين فى هذا الموقف ذروته .

فاذا بهم يفجأون بأبى جندل بن سهيل .. وابوه يكتب المصالحة مع رسول الله .. يرسف فى قيوده .. وقد خرج من أسفل مكة هاربا باسلامه .. حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين .. فلما راه أبوه .. قال : هذا يا محمد أول ما اقاضيك عليه .. على أن ترده .

فقال - عليه الصلاة والسلام - انا لم نقض الكتاب بعد .. فقال ا فوالله اذا لا اقاضيك على شىء أبدا .. فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين .. ارد الى المشركين .. وقد جئت مسلما .. الا ترون ما لقيت ؟ .. وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا .

فقام سهيل .. ف ضرب وجه ابنه .. واخذ بتلابيبه .. ثم قال :

يا محمد .. قد تمت القضية بينى وبينك .. قبل أن يأتىك هذا .. قال : صدقت . فجعل سهيل يجذبه ليرده الى مكة .. وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين .. ارد الى المشركين يفتننوني فى دينى ؟ .. وزاد ذلك المسلمين غما وخزنا .

لقد خرجوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم لا يشكون فى الفتح .. لرؤيا رآها رسول الله .. فلما راوا ما راوا من الصلح والرجوع .. وما تحمل رسول الله فى

نفسه .. دخل على الناس من ذلك امر عظيم
.. حتى كادوا يهلكون .

فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى ابي جندل .. وقال : يا ابا جندل اصبر
واحتمسب - فان الله جاعل لك ولن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا .. انا قد عقدنا
بيننا وبين القوم صلحا .. واعطيناهم على ذلك
وامطونا عهد الله .. وانا لا نغدر بهم .

فوئب عمر مع ابي جندل .. يمشى الى
جنبه .. ويقول : اصبر يا ابا جندل .. فانما
هم المشركون .. وانما دم احدهم دم كلب ..
وهو يدنى قائم السيف منه .

يقول عمر - رضى الله عنه - : رجوت أن
ياخذ السيف فيضرب به اياه .. فظن الرجل
بأبيه .. ونفلت القضية .

ولما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- من الكتاب .. اشهد عليه رجالا هم :
ابو بكر الصديق .. وعمر بن الخطاب -
ومهد الرحمن بن عوف .. وعبد الله بن سهيل
بن عمرو .. وسعد بن ابى وقاص .. ومحمد
بن مسلمة .. وعلى بن ابي طالب وهو الذى
كتب .. ومكرز بن حفص وهو يومئذ مشرك .
وكتبت نسخة أخرى من هذه المعاهدة ..
لتبقى مع المسلمين .. لان سهيلا طلب أن تكون
النسخة معه .

وقيل ان الذى كتب الثانية محمد بن مسلمة
ولم يكن احد راضيا من المسلمين بما حصل
.. غير ابي بكر .

ثم قال - عليه السلام - « قوموا فانحروا
ثم اخلقوا »

يقول راوى الحديث : فوالله ما قام من
المسلمين رجل واحد .. حتى قال ثلاث مرات
.. فلم يقم احد منهم .. فقام - عليه الصلاة
والسلام - فدخل على أم سلمة .. فذكر لها
ما لقي من الناس .. فقالت أم سلمة - رضى
الله عنها - يا رسول الله .. اتحب ذلك ؟ ..

اخرج ثم لا تكلم احدا كلمة .. حتى تنحسر
بدنك .. وتدعو خالقك فيحلقك .

فقام فخرج .. فلم يكلم احدا منهم ..
حتى فعل ذلك .. نحر بدنه .. ودعا خالقه
فحلقه .

قيل : ان خراش بن أمية الخزاعى هو
الذى حلقه .. وكان حجاما .

فلما رأى الناس ذلك .. قاموا فنحروا ..
وجعل بعضهم يحلق بعضا .. حتى كاد بعضهم
يقتل بعضا غما وهما .

فقال - عليه الصلاة والسلام - : « يرحم
الله المحلقين » قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟
قال : « يرحم الله المحلقين » قالوا :
والمقصرين يا رسول الله ؟ . قال « يرحم الله
المحلقين » .

قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ . قال
« والمقصرين » .

قالوا : لم ظهرت الترحيم للمحلقين دون
المقصرين ؟ .. قال : لم يشكوا .

أهدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
في هديه بالحديبية جملاستان لآبى جهل .. كان
في رأسه برة من فضة .. يفيظ بذلك المشركين .
وكانت البدن التى نحرها سبعين بدنة ..
وفرق لحمها على الفقراء .

ومكث رسول الله بالحديبية عشرين يوما
.. ثم رجع الى المدينة .. وبين مكة والمدينة
.. نزل عليه قوله تعالى :

(انا فتحنا لك فتحا مبينا ؎ ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك
ويهديك صراطا مستقيما ؎ وينصرك الله نصرا
عزيزا) اول سورة الفتح .

فقال عمر - رضى الله عنه - : أو فتش
« هو يا رسول الله ؟ .. قال : « نعم » .. فقال
الصحابه : هنيئا لك يا رسول الله .. فما بالنا ؟
.. فانزل الله .

(هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين)
الى آخر سورة الفتح .

تلك هي - قصة الحديدية - وعلنا فسد
راينا فيها .. وسنرى فيها الكثير من العبر ..
فقد روى موسى بن عقبة والزهرى والبيهقى ..
عن عروة بن الزبير .. قال :

أقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - راجعا
.. فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح ..
والله .. لقد صددنا عن البيت .. وصد هدينا
.. وأعاد رسول الله رجلين من المؤمنين كانا قد
خرجا .. أعادهما اليهم .. فعلم بما فال هذا
الرجل .. فقال :

« بئس الكلام .. بل هو أعظم الفتح ..
قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم
.. ويسالوكم القضية .. ويرغبوا اليكم في
الايمان .. ولقد راوا منكم ما كرهوا ..
واظفركم الله عليهم .. وردكم مأجورين .. فهو
أعظم الفتوح .. أنسيتم يوم أحد .. اذ
تصعدون ولا تلوون على أحد .. وأنا أدعوكم
في أخراكم ؟ .. أنسيتم يوم الأحزاب اذ جاءوكم
من فوقكم ومن أسفلكم .. واذا زاغت الأبصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » ؟

فقال المسلمون : صحن الله ورسوله .. هو
أعظم الفتوح .. والله يا نبي الله ما فكرنا فيما
فكرت فيه .. ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وسنرى ان صلح الحديدية .. كان كانه
خيرا للدعوة الاسلامية .. نضجت نهرته ..
وتحققت فائدته .. وهو نبت صغير .

فقد اختلط المشركون بالمسلمين ..
واختلط المسلمون بالمشركين .. فرأى هؤلاء في
دين الاسلام ما لم يكونوا يرونه من قبل ..
وفتحوا قلوبهم التي كانت مغلقة .. لمعرفة ما في
هذا الدين من حب وتسامح وترابط .. ومنطق
واقع .. فأحسوا أنهم كانوا متجنين على
محمد وعلى المسلمين .. سمعوا بصدن مفتوح
أحوال النبي .. وراوا بعين غير حاقدة ..
حسن سيرته وعظيم خلقه .. وعاشوا كثيرا من
معجزاته الباهرة .. وأعلام نبوته الظاهرة .

وسمعوا القرآن .. وذاقوا حلاوته ..
واسنسمعوا صدقه وقوته .. فمالت نفوسهم
الى الاسلام .. حتى بادر منهم خلق كثير الى
الاسلام قبل فتح مكة .

أمن الناس بعضهم بعضا .. فدخل
المسلمون مكة .. ودخل المشركون المدينة ..
زوارا لاصدقائهم وأهليهم .. والتفوا وتنافشوا
.. فكان ايمان العقلاء من المشركين من اول
جلسة يسمع فيها حديث الاسلام .

يقول ابن هشام :

دخل في هاتين السنتين في الاسلام .. مثل
ما كان في الاسلام قبل ذلك وأكثر .. وكان من
بين هؤلاء - خالد بن الوليد - وعمرو بن العاص -
وغيرهم من الزعماء والعقلاء وأصحاب الراى
وإزداد الدين لم يسلموا ميلا الى الاسلام ..
فلما كان يوم الفتح .. أسلموا كلهم برغبة
وصدق .. ودخلوا فيه افواجا .

لقد اعطى صلح الحديدية المسلمين فرصة
.. لنشر الاسلام في جزيرة العرب .. بغير
معارضة .. وهذا كسب كبير .

وأعطاهم فرصة الآخرة .. في العام القابل
.. والاقامة بمكة ثلاثة أيام .. من غير معارضة
.. وهذا كسب كبير .

وبسببه زاد عدد المسلمين زيادة كبيرة في
عامين .. فبعد ان كان عدد المسلمين في
الحديبية ألفا وأربعمائة .. او ألفا وخمسمائة
.. بلغ عددهم يوم فتح مكة عشرة آلاف ..
وهذا كسب كبير .

وقد اعترف بهذا كتاب الغرب .. وجاء
في دائرة المعارف الاسلامية :

ان محمدا - عليه الصلاة والسلام - فسان
في صلح الحديدية فوزا عظيما .

ويقول ابن قيم الجوزية .. في كتابه « زاد
المعاد » .

ان الفتح في اللغة : هو فتح الملق ..
والصلح الذى حصل مع المشركين بالحديبية ..

والتزم - عليه الصلاة والسلام - بأمر الله
 .. فلم يرد النساء بعد الامتحان .. وكان
 الامتحان .. أن نستحلف المرأة المهاجرة أنها
 ما هاجرت ناشرا .. ولا هاجرت الا لله
 ولرسوله .

فمن بين اللاتي هاجرن في تلك الفترة ..
 ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط .. كانت
 اسلمت بمكة .. وبايعت قبل هجرة الرسول
 .. ثم خرجت في مدة الصلح مهاجرة .. ماشية
 على قدميها .. من مكة الى المدينة .. وهي
 أخت عثمان بن عفان لأمه . وجاء أخوها عمار
 والوليد .. الى رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - في طلبها بالعهد .. فلم يرجعها اليهما
 .. وأخبرهما أن الله قد نهاه عن رد المسلمات
 بقوله :

(فلا ترجعهن الى الكفار) وقال لهما :
 « ان الشرط خاص بالرجال دون النساء » .
 ورضيت قريش بهذا .

**ونعود الى تنفيذ هذا الشرط بالنسبة
 للرجال .**

فقد خرج رجل من مكة مسلما ..
 اسمه - أبو بصير - وهو عتبة بن أسيد الثقفي
 .. حليف بنى زهرة .. فقدم المدينة باسلامه
 .. فأرسلوا رجلين في طلبه .. وقالوا لرسول
 الله : العهد الذي جعلت لنا .

فدفعه الى الرجلين .. فخرجا به .. حتى
 بلغوا ذا الحليفة .. فنزلوا يأكلون تمرا ..
 فقال أبو بصير لاحد الرجلين : والله اني لأرى
 سيفك هذا جيدا .. فاستله الرجل وقال :
 أجل والله انه لجيد .. لقد جريت به ثم جريت
 .. فقال أبو بصير : أرني أنظر اليه .. فأمكنه
 منه .. فضربه به .. ولفر الآخر يعلو .. حتى
 بلغ المدينة . فدخل المسجد .. فقال رسول
 الله حين رآه : « لقد رأى هذا ذمرا » .

فلما انتهى الى رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - قال : قتل والله صاحبي .. وإني

كان مسدودا مغلقا .. حتى فتحه الله .. وكان
 من أسباب فتحه .. صد رسول الله وصحبه
 عن البيت .. فكان الظاهر ضيما وظلما
 للمسلمين .. والباطن عزا وفتحا ونصرا ..
 فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرى
 العز والنصر من وراء ستر رقيق .. وكان
 يعطى المشركين كل ما سألوه من شروط .. لم
 يحتملها المسلمون .. وهو يعلم ما يحوى هذا
 المكروه من محبوب (وعسى أن تكرهوا شيئا
 وهو خير لكم) (١) .

وربما كان مكروه النفوس الى

محبوبها سببا ما مثله سبب

اما الكسب الاكبر .. فكان في تنفيذ الشرط
 الثالث .. الذي هز مشاعر المسلمين يومها
 هزا عنيفا .. وكادوا يهلكون بسببه .. وجعل
 عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول :
 والله ما شككت منذ اسلمت .. الا يومئذ ..
 وهو الشرط الذي يقضى بأن يرد رسول الله
 من يأتى مسلما من مكة .

فقد التزم - عليه الصلاة والسلام - بتنفيذ
هذا الشرط بامانة .. فكان في مدة صلحه يرد
الرجال المهاجرين باسلامهم .. قائلا لهم ..
سيوجد الله لكم فرجا ومخرجا .

وجاء نساء مؤمنات .. فأنزل الله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
 مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان
 علمتوهن مؤمنات فلا ترجسوهن الى الكفار
 لانهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم
 ما انفقوا ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اذا
 آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر)
 .. الى قوله (والله عليم حكيم) (٢) .

فطلق عمر يومئذ امرأتين .. كانتا له في
 الشرك .. تزوج معاوية احدهما .. وتزوج
 الأخرى صفوان بن أمية .

لمنتول .. فجاء أبو بصير .. فقال : يا نبي الله .. قد والله أوثق الله ذمتك .. قد رددتني اليهم .. وأنجاني الله منهم .. فقال النبي :

« ويل أمه مسعر الحرب لو كان له أحد »

فلما سمع ذلك عرف أن النبي سيرده اليهم .. فخرج حتى بلغ سيف البحر .

وكن أبو بصير في طريق الشام .. يمر به أصحاب التجارة .. واجتمع اليه جمع من المسلمين .. الذين احتبسوا في مكة .. فكأوا يتسللون اليه .

وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو .. الذي رده رسول الله يوم الحديبية .. وخرج من مكة في سبعين راكبا أسلموا .. فلحقوا بأبي بصير في ساحل البحر .. ولم يذهبوا الى رسول الله .. لعلمهم انه يردهم الى اهليهم .. وانضم اليهم مسلمون جدد من غفار .. وأسلم .. وجهينة .. حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل .. فقطعوا على قريش مرورهم وتجارتهم .. ولا يظفرون منهم بأحد الا قتلوه .. ولا نمر بهم غير الا أخذوها .

ووقعت قريش في حيرة من أمرها .. فكتبت الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسأله بالأرحام الا آواهم .. ولا حاجة لهم في هذا الشرط .

فكتب - عليه الصلاة والسلام - الى أبي بصير وأبي جندل أن يأتياه بالمدينة .. وأن ينصرف المسلمون الذين معهم الى اهليهم .. ولا يتعرضون لأحد من قريش ولا لعيرهم .

ووصل كتاب رسول الله .. وأبو بصير في سكرات الموت .. وما ان قرأ أبو جندل الكتاب حتى لفظ أبو بصير نفسه الأخير .. فدفنه أبو جندل في مكانه .. وجعل عند قبره مسجدا .. ثم أقدم المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع بعض أصحابه .. ورجع

الباقون الى اهليهم .. وأمنت قريش على عيرهم .

وصدق رسول الله .. في قوله يوم الحديبية .. حول هذا الشرط :

« من اتاهم منا فقد أبعد الله .. ومن اتانا منهم فرددناه اليهم .. جعل الله له فرجا ومخرجا » .

لقد اشترط المشركون هذا الشرط لحربهم .. وهم لا يشعرون .. فدلوا من حيث طلبوا العز .. وقهروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والقلبة .. وعز المسلمون من حيث ذلوا انفسهم لله .. واحتملوا الضيم لله .. فانعكس الامر .. وانقلب العز بالباطل ذلا .. وانقلب الدل لله عزا .. وظهرت حكمة الله وآياته ونصره رسوله بطريقة تعجز العقول عن ادراكها .

وبهذا ازداد المؤمنون ايمانا .. حيث انقادوا مع رسول الله على ما يكرهون .. ورضوا بقتضاء الله .. فأنزل السكينة في قلوبهم .. في حال تزعزع لها الجبال .. فاطمأنت بها قلوبهم .. وقويت أرواحهم .. وجعل بيعتهم له سبحانه فقال :

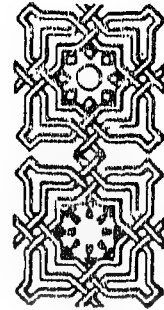
(ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) (١) .

لقد علم الله ما في قلوبهم يوم الحديبية .. من الصدق والوفاء .. وكمال الانقياد والطاعة .. وإيثار الله ورسوله على سواهما .. فأنزل السكينة والطمأنينة والرضا في قلوبهم .. وأثابهم على الرضا بحكمه والصبر لأمره :

(لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة .. فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما) (٢) .

وكان أول الفتح والمغانم بعد - صلح الحديبية - هو فتح خيبر .. ومغانمها الكثيرة .

فتح خير



حمل مرحب على على وضربه فطرح ترسه من
يده .. فتناول على باب الحصن فتتربس به عن نفسه
.. فلم يزل في يده وهو يقاتل .. حتى فتح الله عليه
الحصن .. ثم ان عليا ضرب مرحبا - فوقع السيف
على ترسه ففده .. وشق الحجر والمفر .. وفلق
هامته .. حتى اخذ السيف بأفراسه +

- ٤٨ -

فتح خيبر

والنخيل .. وقد وفروا فيها كل أنواع الأسلحة ..
.. التى استحدثت فى جيوش الفرس والرومان .
ويكفى أن نعلم أن جيش اليهود فى خيبر ..
كان عشرة آلاف مقاتل .. كلهم أهل حرب
وخبث ومكر .. وقد انضم اليهم فيها يهود
بنى النضير .. الذين اجلاهم رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - من المدينة - كما قدمنا - .
وكان فيها ثلاثة حصون رئيسية متفرقة
.. هى :
- حصون النطاة : وفيها حصون - الناعم -
والصعب - وبقلة .
- وحصون الشق : وفيها حصون - ابنى -
والبرى - والقموص .
- وحصون الكتيبة : وفيها حصون - الكتيبة
- والوطيح - والسلام .
فكانت خيبر مركزا لدسائس اليهود ..
الذين وترهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
- وهاجروا اليها .. وقد اكل الحقد قلوبهم ..
لخروج النبوة من بنى اسرائيل .
كانت غزوة خيبر .. فى شهر المحرم ..
على رأس السنة السابعة من الهجرة الشريفة

● ذكرتنى الكتابة عن غزوة خيبر بعبارة
قالها - موسى ديان - الذى كان وزيرا للدفاع
الاسرائيلى .. عندما وقف على الشاطئ
الشرقى لقناة السويس .. بعد أن غزا اليهود
شبه جزيرة سيناء .. من ارض مصر عام
١٩٦٧ .. حيث قال :

- يوم بيوم خيبر - عبارة قالها .. ملأت
اسماع الدنيا .. وتناقلتها وكالات الأنباء ..
ورددتها موجات اليرق فى كل مكان ..

عبارة تدل على الأثر العميق .. الذى تركته
غزوة خيبر .. فى نفوس اليهود .. فظلت
ندوبه فى قلوبهم .. لم تمح آثارها أربعة عشر
قرنا من الزمان .

وخيبر مدينة كبيرة .. تبعد عن مدينة
الرسول ثمانية برد شمالا .. جهة الشام
.. والبريد : اثنا عشر ميلا .. أى أنها من
المدينة على مسافة تقرب من مائة ميل
.. يسكنها اليهود من قديم الزمان .

وهى مدينة غنية بمزارعها ونخيلها ..
قوية بحصونها المنيعه المتفرقة بين المزارع

.. وإن كان بعض الرواة ينسبها إلى السنة السادسة .. ولكن لا خلاف في الشهر .. وإنما الخلاف مبنى على أول التاريخ الهجري .. هل هو شهر ربيع الأول .. شهر قدومه - عليه السلام - إلى المدينة .. أو يحتسب التاريخ الهجري من المحرم .. من أول السنة ؟ ..
أخذ بالرأى الأول : أبو محمد بن حزم .. فيكون عنده فتح خيبر قبيل نهاية العام السادس .

ولكن الجمهور على أن شهر المحرم .. هو أول التاريخ .. فتكون خيبر في أول العام السابع .

وأول من أرخ بالهجرة .. يعلى بن أمية باليمن .. كما رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح وقيل عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - هو الذى أرخ بالهجرة سنة ست عشرة من الهجرة . انصرف - عليه السلام - بعد صلح الحديبية .. فانزل الله عليه سورة - الفتح - وأعطاه الله - عز وجل - فيها خيبر : (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) (١) .. يقصد خيبر .. فمكث فى المدينة شهر ذى الحجة .. ثم سار إلى خيبر .. فى شهر المحرم .. بعد أن استخلف على المدينة - سباع بن عرفة .. أو نميلة بن عبد الله الليثى - وأخذ من أمهات المؤمنين معه أم سلمة .. التى كانت معه فى الحديبية .

وظاهر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرص على أن يكون معه فى خيبر كل الذين كانوا معه فى الحديبية .. لأنهم أصحاب الحق فى غنائم خيبر .

فلم يتخلف منهم غير جابر بن عبد الله .. وجعل له - عليه السلام - سهماً من غنائمها .. وكان جيش المسلمين ألفاً وبيتمائة مجاهد .. منهم مائتا فارسي بخيولهم .

ولعلنا نلاحظ .. أن عدد الخيل فى عنده

الغزوة زاد إلى مائتى فارس .. ولم يكونوا يتجاوزون الثلاثين .. فى الغزوات السابقة .. مما يدل على أن رسول الله قد اهتم أخيراً بالخيل .. وكان يعد نفسه لغزو خيبر .. باعتبارها أكبر معقل للعدو .. ويخشى منه على الدعوة الإسلامية .. فى الجزيرة العربية .

وتحرك جيش المسلمين .

يقول سلمة بن الأكوع : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى خيبر .. فسرنا ليلاً .. فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع .. ألا تسمعنا شيئاً من هنيهاتك ؟ .. وكان عامر شاعراً .. فنزل يحدو بالقوم بقوله :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينتنا علينا
وثبت الأقدام اذ لا قيما

فقال - عليه الصلاة والسلام - من هذا السائق ؟ .. قالوا : عامر .. فقال : « رحمه الله » .. فقال رجل من القوم : وجبت .. لعامر يا رسول الله .. لولا امتعتنا بها ؟ .. وفى البخارى عن أنس : « أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أتى خيبر ليلاً .. فنام هو وأصحابه دونها .. ثم ركبوا إليها بكرة .. فصبحوها بالقتال .. ونزل - عليه الصلاة والسلام - بواد يقال له - الرجيع - بين غطفان وخيبر .. وهذا تخطيط عسكري رائع .. فقد كان غطفان حلفاء لليهود .. مظاهرين لهم ضد رسول الله .. فخشى أن يمدوهم بالسلاح والجيش .. وكان أهل غطفان فوارس فعلا .. وقصدوا خيبر لمساعدة اليهود لولا موقع نزول المسلمين .. حيث سمعوا أصواتاً فطنوا أن المسلمين خلفوهم فى ذرايعهم .. فجمعوا وأقاموا لولا أهل خيبر .

وقد - عليه السلام - فى هذا الموضع مسجداً سلى فيه مدة إقامته بخيبر -

مسلمة .. ألقى عليه مرحب اليهودي رحي
فقتله .

واخذ المسلمون يقطعون نخيل النطاة

.. حتى قطعوا أربعمائة نخلة .. ثم نهاهم
الرسول أن قطع النخيل .. فما قطع من نخيل
خيبر غيرها .

ودامت الحرب في هذا الموقع ستة أيام ..
امام حصن النطاة .. يحارب امام حصونهم ..
لأنهم يخشون الحرب في الميدان .. فاذا انهزموا
دخلوا حصونهم واغلقوها دونهم .

وفي الليلة السابعة .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله
ورسوله .. ويحبه الله ورسوله - يفتح الله على
يديه » فبات الناس يفكرون أيهم يعطاها ..
فلما أصبحوا غدوا على رسول الله .. كلهم
يرجو ان يعطاها .. فقال : « أين على بن أبى
طالب » ؟ .. فقالوا : يا رسول الله .. هو
يشتكى عينيه .. قال « فارسلوا اليه » فأتى
به .. فتفنن - عليه السلام - في عينيه ثلاثا
.. فبرئ كان لم يكن بها ألم .. قال على :
فما رمدت عيني بعدها . ثم دعا لعل بقوله :
« اللهم اكفه الحر والبرد » .. قال على : فما
وجدت بعد ذلك حرا ولا بردا .. البس في الحر
الشديد القباء المحشو .. وفي البرد الشديد
الثوب الخفيف .. فلا أحس حرا .. ولا أخشى
بردا .

فاعطاه الراية .. وكانت بيضاء .. فقال
على : أقاتلهم يا رسول الله حتى يكونوا مثلنا ؟
.. قال : « أنفذ على رسلك - أى على مهلك -
حتى تنزل بساحتهم .. ثم ادعهم الى الاسلام
.. وأخبرهم بما يجب عليهم في حق الله ..
فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا .. خير
من أن يكون لك حمر النعم .. - أى خيرات
الدنيا - فان لم يطيعوا فقاتلهم » .

وسار الرسول بأصحابه .. بعد أن دفع رايته
العقاب الى الحباب بن المنذر .. ودفع راية
أخرى الى سعد بن عباد .

فلما أشرف على الحصون .. وقف بالمسلمين
.. ثم قال :

« اللهم رب السماوات وما أظللن .. ورب
الأرضين وما أقللن .. ورب الشياطين وما
أضلللن .. ورب الرياح وما ذرين .. فإنا
نسألك خير هذه القرية .. وخير أهلها ..
ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ..
أقدموا باسم الله » .

وخرجت اليهود في الصباح الى مزارعهم
وبساتينهم بمساحيهم ومكاثلهم .. خرجوا وهم
لا يعلمون .. فلما راوا الجيش .. قالوا :
محمد والله . محمد والخميس - الجيش -
فرجعوا هاربين الى مدينتهم .. فقال - عليه
الصلاة والسلام - .

« الله أكبر - خربت خيبر - الله أكبر
.. خربت خيبر .. أنا اذا نزلنا بساحة قوم
فساء صباح المنذرين » .

وكان اليهود قد ادخلوا اموالهم وعيالهم في
حصون الكتيبة .. وجمعوا المقاتلة في حصون
النطاة .. لأنها أول الحصون في مواجهة جيش
المسلمين .

ونزل - عليه الصلاة والسلام - قريبا من
حصن النطاة .. فأشار عليه الحباب بن المنذر
بالتحول عن هذا المكان .. قائلا ان له معرفة
بأهل النطاة .. ليس قوم أبعد منهم مدى ..
ولا أصوب منهم رميا .. وهم مرتفعون ..
والارتفاع لصالحهم في الرمي .. فمال بالجيش
الى مكان أكثر امانا .

وقد قاتل - عليه الصلاة والسلام -
في هذا اليوم بنفسه قتالا شديدا .. وعليه
درع وبيضنة ومغفر .. وهو على فرس يقال
له - الظرب - في يده قناة وترس .. وكان
الحر شديدا .. وقتل في هذا اليوم محمد بن

وخرج على - كرم الله وجهه -
فركز الراية تحت الحصن .. فخرجوا اليه -
اول من خرج اليه منهم - الحارث ابو مرحب
- وكان مشهورا بالشجاعة .. فقتله على ..
وانهزم اليهود الى حصن الناعم من حصون
النظاة .

ثم خرج اليه - مرحب - لايسا درعين ..
ومتقلدا سيفين .. ومعتما بمعامتين ولبس
فوق عمامتيه مغفرا وحجرا ثقبة قدر البيضة
.. ومعه رمح .

وكان اشجعهم في الحرب .. فبرز له على
- كرم الله وجهه - .

يقول الرواة : خرج مرحب وهو يقول :
انا الذي سمعنى امي مرحب .. شاكى
السلح بطل مجرب .. اذا الحروب اقبلت
تلتهب .. فبرز اليه على وهو يقول :

انا الذي سمعنى امي حيدر .. كليث غابات
كرية المنطرة .. اوفيهو بالصاع كيل السندرة
ثم حمل مرحب على على .. وضربه فطرح ترسه
من يده .. فتناول على باب الحصن فتترس به
من نفسه .. فلم يزل في يده وهو يقاتل .. حتى
فتح الله عليه الحصن .. ثم ان عليا ضرب مرحبا
فوقع السيف على ترسه ففقد .. وثبق الحجر
والغفر .. وعلق هامته حتى اخذ السيف
بأضراسه .

ويقول بعض الرواة : ان عليا خلع باب
خيبر .. ولا يحركه سبعون رجلا الا بعد
الجهد (١) .

ولياذن لى القارىء .. فى الوقوف لحظة امام
هذا الحدث .. لنستفيد فى حياتنا الدنيا من
مثل تلك المواقف .

فيعد على .. لم تزد على انها يد بشر ..
محدودة القوة والقدرة .. فكيف تنزع بابا من
الحديد .. لا يحركه هذا العدد الكبير الا بعد
الجهد ؟ .

انها ليست يد على .. وانما هى يد الله ..
الذى يقول فى حديثه القدسى المعروف :

« من عادى لى وليا اذنته بالحرب .. »
وما تقرب الى عبدى بشئ احب الى مما افترضته
عليه .. ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى
احبه .. فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع
به .. وعينه التى يبصر بها .. ويده التى
يبطش بها .. الى آخر الحديث

وقال بعض الرواة : ان محمدا بن مسلمة هو
الذى قتل مرحبا اليهودى .. انتقاما
لاخيه محمود .. ولكن الصحيح المتفق عليه بين
اكثر رجال السيرة والحديث .. ان على بن ابي
طالب هو الذى قتله .. فقد جاء فى صحيح مسلم
« ان عليا قتل مرحبا » ثم خرج ياسر - اخو
مرحب - يطلب المبارزة .. وكان ياسر ايضا من
اشهر أبطال اليهود وشجعانهم .. فخرج اليه
الزبير وقتله .. فقال له - عليه الصلاة
والسلام : « فذاك عم وخال .. لكل نبى حوارى
وحوارى الزبير » .

وكان اول حصن فتحه المسلمون .. هو حصن
الناعم .. من حصون النظاة .. على يد
على بن ابي طالب .. واستمر القتال بين الفريقين
حتى فتح المسلمون حصونهم .. حصنا حصنا
.. وكان آخر الحصون التى فتحت بالحرب -
حصن القموص - وبقيت حصون الكتيبة :
الوطيح والسلام - فحاصروهم - عليه السلام -
فيهما .

وقتل من اليهود فى تلك الحرب ثلاثة وتسعون
.. واستشهد من المسلمين فيها خمسة عشر
شهيدا .. فى طبقات ابن سعد .. والنهاى ..
وغيرهما .. اما ابن هشام فقال : استشهد
عشرون .

ومن اجمل ما قرأت فى حرب خيبر ..
ما قال موسى بن عقبة :

قال : دخل اليهود حصنا منيعا لهم .. يقال
له : القموص .. فحاصروهم رسول الله بها قريبا

من مشرين ليلة .. وكانت أرضا وخمة .. شديدة
الحر .. فجهد المسلمون جهدا شديدا ..
وجاعوا حتى ذبحوا الحمر الأهلية .. فنهاهم -
عليه السلام - عن أكلها فرمواها .

وذكر البخاري .. ان النبي امرهم برميها
مطبوخة .. كما امرهم بغسل القدور التي
طبخت فيها . جيدا .

. وجاء عبد اسود حبشي .. من اهل خيبر ..
كان في غنم لسيدة .. فلما رأى اهل خيبر قد
أخذوا السلاح .. سألهم : ما تريدون ؟ ..
قالوا : نقاتل هذا الذي يزعم انه نبي .. فوقع
في نفسه ذكر النبي فأقبل بغنمه الى رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ماذا
تقول ؟ .. وما تدعو اليه ؟ .. قال :

« **أدعو الى الاسلام .. وان تشهد ان لا اله الا**
الله .. واني رسول الله .. وألا تعبد الا الله »
قال العبد : فما لي ان شهدت وآمنت بالله ؟ ..
قال : « لك الجنة ان مت على ذلك » . فأسلم
.. ثم قال : يا نبي الله ان هذه الغنم عندي أمانة
- ونلاحظ هنا ان الجيش في اجهاد وجوع -
وتلك اغنام يهودى عدوا محارب - ولكنه - عليه
السلام - اقال له : اخرجها .. وارمها بالحصى
.. فان الله سيؤدى عنك امانتك .. ففعل ..
فرجعت الغنم كاملة الى صاحبها اليهودى ..
فعلم اليهودى ان غلامه قد أسلم .

فلما التقى الجيشان .. قتل العبد الاسود
.. فimen قتل .. وأقبل ان رسول الله اقبل على
أصحابه وقال « لقد أكرم الله هذا العبد ..
وساقه الى الجنة .. ولقد رأيت عند رأسه اثنتين
من الحور العين ولم يصل الله سجدة واحدة
كما أتى رسول الله رجلا .. فقال : يا رسول
الله انى رجلا اسود .. قبيح الوجه .. منتن
الريح .. لا مال لي .. فان ثألت هؤلاء حتى
أقتل .. أدخل الجنة ؟ قال : « نعم » .. فتقدم
فقاتل حتى أقتل .. فأتى عليه النبي عليه
السلام وهو مقتول .. فقال : « لقد احسن
الله وجهك .. وطيب ريحك .. وكثر مالك » ..

ثم قال « **لقد سأيت زوجتيه من الحور العين ..**
.. ينزعان جيبته عنه .. يدخلان فيما بين جلده
وجيبته » (١) .

وأجمل منها ما روى عن شداد بن الهاد :
جاء رجل من الاعراب الى النبي - صلى الله
عليه وسلم - فأمن به واتبعه .. فقال : اهاجر
معك .. فأوصى به بعض اصحابه .. فلما كانت
غزوة خيبر .. فبم رسول الله شيئا فقسمه ..
وقيسم للاعرابي .. وأرسل نصيبه اليه ..
وكان يراقب ظهورهم .. فقال : ما هذا ؟ ..
قالوا : قسم قسمة لك رسول الله .. فأخذه
وجاء به الى النبي .. فقال ما هذا يا رسول
الله ؟ قال : « قسم قسمته لك » .. قال :
ما على هذا أتبعك .. ولكن أتبعك على ان
أرملى ههنا - وأشار الى حلقه - بسهم .. فاموت
.. فأدخل الجنة .. فقال : « ان تصدق الله
يصدقك » ؟ .. ثم نهضوا الى قتال العدو ..
فأتى به الى رسول الله وهو مقتول فقال « اهو
هو » ؟ .. قالوا : نعم .. قال « صدق الله
فصدقه » ..

فكفنه رسول الله في جيبته .. ثم قدمه
فصلى عليه .. وكان من دعائه له :

« اللهم هذا عبدك .. خرج مهاجرا في
سبيلك .. قتل شهيدا .. وانا عليه شهيد » .

واصاب المسلمين مجاعة .. قبل فتح حصن
الصعب .. فلما فتحوه وجدوا فيه طعاما
كثيرا .. وجدوا شعيرا وتمرا وودكا - أى
سمنا - وزيتا وشحما ومتاعا وماشية .. وكان
فيه خمسمائة مقاتل .. وكان حصنا منيعا ..
فأمر النبي المسلمين ان ياكلوا ويعلفوا ..
ولا يخرجوا به الى بلادهم .

وقد تركنا اليهود محاصرين في حصن :
الوطيخ والسلاط .. وهى حصن ابن أبى الحقيق
.. تحصن أهله أشد التحصن .. وجاءهم كل
مهموم من حصون النطاة والشق .

.. فحاصروهم المسلمون أربعة عشر يوما ..
لم يخرج منهم أحد .. وكان - عليه السلام -
قد وجد الكثير من الاسلحة الحديثة .. فى

وكان هذا الموقف من الرسول الكريم .. محل
اعجاب كتاب الغرب .

فقال - ولفنسن - في كتابة - تاريخ اليهود :

« ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في

نفس رسول الاسلام من المكانة العالية ..

مما جعل اليهود يشيرون الى النبي بالبنان ..

ويحفظون له هذه اليد .. حيث لم يتعرض

لصحفهم المقدسة .. ويذكرون ازاء ذلك ما فعله

الرومان حين تغلبوا على اورشليم وفتحوها

سنة سبعين قبل الميلاد .. اذ احرقوا الكتب

المقدسة .. وداسوها بأرجلهم .. وما فعله

المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد

اليهود في الاندلس .. حيث احرقوا ايضا

صحف التوراة .

هذا هو البون الشاسع بين الفاتحين من

ذكرنا .. وبين رسول الاسلام » - اه -

وسبى رسول الله صلى الله عليه وسلم -

نساءهم وذرايرهم بالنكت الذي نكثوا .. وصارت

صفية بنت حبي من نصيب دحية بن خليفة الكلبي

.. وكانت حسناء .. فتنافس الناس فيها ..

فجاء رجل الى النبي - عليه السلام - وقال :

يا نبي الله .. اعطيت دحية صفية بنت حبي ..

سيدة بنى قريظة والنضير .. لا تصالح الا لك

.. فقال : ادعوه بها .. ثم قال لدحية : « خذ

جارية من السبى غيرها » .. فأخذ أخت كنانة

ابن الربيع بن أبي الحقيق .. وكان كنانة زوجة

لصفية .. وقتله محمد بن مسلمة - كما ذكرنا -

وعرض عليها الاسلام فأسلمت .. فأصطفاها

لنفسه وأعتقها وتزوجها وحمل عتقها صداقها .

وصفية بنت حبي .. من سبط هارون أخى

موسى .

يقول رواية السيرة : ان صفية - رضى الله

عنها - لما تزوجها رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قالت : يا رسول الله .. رأيت قبل

قدومك علينا .. كأن القمر زال من مكانه وسقط

حصن الصعب تحت الأرض .. منها المنجنيق

فبدأ ينصب عليهم المنجنيق .. ليضربهم به ..

فلما ايقنوا بالهلاك .. سألوا رسول الله الصلح

.. وأرسل ابن أبي الحقيق الى رسول الله ..

يطلب الاذن له ليكلمه .. فأذن له .. فنزل

ابن أبي الحقيق .. فصالح محمدا - رسول

الله - على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة

.. وترك الدرية لهم .. يخرجون من خيبر

وأرضها بابنائهم .. ويخلون بين رسول الله

وبين ما كان لهم من مال وأرض .. الا ثوبا على

ظهر كل انسان .. فقال رسول الله : « وبرئت

منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كنتم منى شيبا »

فصالحوه على ذلك .

ولكن لا وفاء لهم .. فالغدر والكذب ونقض

العهد صفات متشعبة الجذور في أعماقهم ..

فقد عاهدوا الرسول على الا يكتموه شيئا ..

فسألهم عن مسلم حمار - جلده - فيه كنز بنى

النضير .. حمله حبي بن أخطب .. عند جلاء

بنى النضير عن المدينة .. فأنكروا وجوده ..

فأتى رسول الله رجل من اليهود .. فقال :

انى رأيت كنانة وأخيه الربيع .. وهما ابنا

ربيع بن أبي الحقيق .. بطيفان بهذه الخربة

كل غداة .. فأخرج رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - الكنز متهما .. وأمر بقتل ابني أبي

الحقيق .. لنكتهما عهده .. دفع كنانة الى محمد

بن مسلمة .. فضرب عنقه بأخيه محمود بن

مسلمة .

وقد وجد في كنز بنى النضير اساور ودمالج

وخلابيل وأقربة وخواتم وعقود الجواهر

والزمرد .. وعقود اظفار مجدع بالذهب .

ووجد في الحصنين المذكورين مائة درع

وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس

عربية بجعبانها .

كما وجد صحائف كثيرة من التوراة .. جاء

اليهود بطلبونها .. فدفعها اليهم .

(١) زاد المعاد ص ١٥٢ ج ٢ .. والنهاية ص ٩٨ .

في حجرى .. ولا والله ما اذكر من شأنك شيئا .. فقصصتها على زوجى كنانة فلطم وجهى وقال : تتمنين هذا الملك الذى بالمدينة ؟ (١) .

وكان سنها فى هذا الحين سبعة عشر عاما .. وكان اسمها — زينب — فسمها الرسول صفية .

وقد بنى الرسول بها فى طريق العودة من خيبر .. وأولم عليها .. ولما قدم ليحملها على الرجل .. ابت أن تضع قدمها على فخذه — فوضعت ركبته على فخذه ثم ركبته .

ولما بنى بها بات أبو أيوب ليلته قائما قريبا من قبة رسول الله .. آخذا بقائم سيفه حتى أصبح .. فلما رأى رسول الله خارجا من قبائه .. كبر أبو أيوب .. فسأله .. عليه السلام — مالك يا أبا أيوب ؟ .. فقال له : ارقت ليلتى هذه يا رسول الله .. لما دخلت بهذه المرأة .. وذكرت أنك قتلت أباه وأخوها وزوجها وعامة عشيرتها .. فخفت أن تنالك .. ففعلت .. رسول الله .. وقال له خيرا .

وقدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يوم فتح خيبر .. جعفر بن أبى طالب ومعه جماعة من المسلمين .. عائدين من الهجرة الى الحبشة .. فعانقه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقبل جبينه .. وقال :

« ما ادرى بأيهما أفرح .. بفتح خيبر .. أم بقدوم جعفر » .. ثم قال له :

« أشبهت خلقى وخلقى » .. فرقص جعفر من شدة فرحه .. ولم ينكر عليه رقصه .

وكان مع جعفر — عبد الله بن قيس — وأبو موسى الأشعرى — وأخواه : أبو رهم وأبو بردة وغيرهم ، كما كان معهم أيضا أسماء بنت عميس .

يقول أبو موسى الأشعرى :

رافقنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين فتح خيبر .. فأسهم لنا .. وما قسم

لأحد غاب عن فتح خيبر شيئا .. إلا لمن شهد معه .. إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معنا .. وكان ناس يقولون : سبقناكم بالهجرة .. قال : ودخلت أسماء بنت عميس على حفصة فدخل عليها عمر فقال من هذه ؟ .. قالت : أسماء فقال عمر — سبقناكم بالهجرة .. نحن أحق برسول الله منكم .. فغضبت أسماء وقالت : يا عمر .. كلا والله .. لقد كنتم مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يطعم جائعكم .. ويعطى شاهدكم .. وكنا فى أرض البعداء والبغضاء .. وذلك فى الله وفى رسوله .. وأيم الله لا أطعم طعاما .. ولا أشرب شربا .. حتى أذكر ما قلت لرسول الله .. ونحن كنا نخاف ونؤذى .. وسأذكر لرسول الله .. والله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد على ذلك فلما جاء النبى — صلى الله عليه وسلم — قالت : يا رسول الله .. ان عمر قال كذا وكذا .. فقال — عليه السلام — « فما قلت له » ؟ .. قالت : قلت له كذا وكذا .. فقال :

« ليس بأحق بى منكم .. له ولاصحابه هجرة واحدة .. ولكم انتم اهل السفينة هجرتان » وكان أبو موسى .. وأصحاب هجرة الحبشة يأتون أسماء أرسالا .. يسألونها عن هذا الحديث .. ما من شيء فى الدنيا .. هم أفرح ولا أعظم فى أنفسهم .. بما قال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

وقد قسم الله غنائم خيبر .. فأعطى الرجل سهما .. والفارس ثلاثة أسهم .. سهم له وسهمان لفارسه .

وقيل قسم نصف الغنائم .. وأبقى النصف لحاجة المسلمين عامة .. على اعتبار أن نصف خيبر فتح عنوة .. وفتح النصف الثانى صلحا بغير قتال .

وأنكر ابن قيم الجوزية هذا الراى وفنده (٢) ترك الأرض لأهل خيبر .. يعملون فيها

(٢) زاد المعاد ص ١٦٢ ج ٢ .

(١) زاد المعاد ص ١٣٢ ج ٢ والتهانى ص ٩٨ .

بنصف ما نتج من زرع وثمر .. واشترط عليهم
ان يخرجهم منها اذا شاء ..

وقد استنصر على ذلك الى خلافة عمر ..
حيث خانوا بعض المسلمين .. وغدروا بهم
فاستشار عمر اصحابه .. واجلاهم منها الى
الشام .

وروى البخارى عن ابي هريرة .. قال :

لما فتحت خيبر .. واطمان - عليه السلام
بعد فتحها .. اهديت للنبي شاة فيها سم ..
اهدتها اليه يهودية .. اسمها زينب بنت الحارث
.. امرأة سلام بن مشكم .. واخت مرحب ..
انتقاما لمقتل ابيها وزوجها واخويها .. فلاك منها
مضغة .. ثم لفظها .. واوردت بشر بن البراء
لقمة .. فقال - صلى الله عليه وسلم - « ارفعوا
أيديكم » .. وارسل الى اليهودية .. فقال لها :
« هل سممت هذه الشاة » فقالت : من أخبرك ؟
.. قال : « أخبرتنى هذه التى فى يدي » مشيرا
الى ذراع الشاة .. قالت نعم .. قال لها :
« وما حملك على ذلك » قالت : ان كنت نبيا
يطاعك الله .. وان كنت كاذبا فأريح الناس منك
.. وقد استبان لى انك صادق .. وانا أشهدك
ومن حضر معك انى على دينك .. وأن لا اله
الا الله وأن محمدا عبده ورسوله .. فغفا عنها
.. ولم يعاقبها .

وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه - بشر
ابن براء - واحتجهم رسول الله - صلى الله عليه
وسلام - على كاهله .. من أجل الذى أكل من
الشاة .

وقال بعض الرواة : ان النبى كان قد عفا
عن اليهودية .. فلما مات بشر من السم أمر
بقتلها .. وهؤلاء يقولون انها لم تسلم .

وانصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
راجعا الى المدينة .. فلما كان ببعض الطريق فى
آخر الليل .. قال : من رجل « يحفظ علينا
الفجر .. لعلنا ننام ؟ » قال بلال : أنا يا رسول
الله .. فنزل النبى .. ونزل الناس فناموا ..
وقام بلال يصلى .. فصلى ما شاء الله .. ثم
استند الى بعيره يرقب الفجر .. فغلبته عينه

فنام .. فلم يوقظهم الا مس الشمس .. فزع
- عليه السلام - أول من فزع .. فقال : ماذا
صنعت بنا يا بلال ؟ .. قال : يا رسول الله ..
أخذت بنفسى الذى أخذ بنفسك .. قال : صدقت
.. ثم اقتاد بعيره غير كثير .. ثم اتاخ فتوضأ
وتوضأ الناس .. ثم صلى سنة الفجر .. ثم
أمر بلالا فأقام الصلاة .. وصلى بالناس ..
ثم قال : « يا أيها الناس .. ان الله قبض ارواحنا
.. ولو شاء لردنا اليها فى حين غير هذا .. فاذا
نام احدكم عن الصلاة .. أو نسيها فليصلها كما
كان يصليها فى وقتها » .

وفى الطريق استقبله أهل فدك .. وفدك
قرية يهودية .. قريبة من خيبر .. خافوا بعد
هزيمة أهل خيبر .. فصالحوا الرسول على
نصف ما تنتج أرضهم .. فقبل ذلك منهم ..
فكانت فدك خالصة لرسول الله .. لأنه لم يوجف
عليها بخيل ولا ركاب .. يتفق ما يرد منها على
أبناء السبيل .. وعلى أطفال بنى هاشم ..
وزواج بناتهم .

ولما انتقل رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - الى الرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة
.. طلبت منه فاطمة الزهراء .. أن يجعل لها
نصفها فأبى .. وقال لها : ان رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - قال : « انا معشر الأنبياء
لا نورث .. ما تركناه صدقة » .

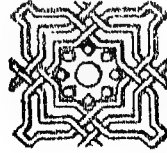
ونزل - عليه الصلاة والسلام - فى وادى
القرى .. مع غروب الشمس .. وهو واد بين
تيماء وخيبر .. فيه قرى كثيرة .. نزلها اليهود
.. وزرعوا أرضها .. فدعاهم الى الاسلام
فامتنعوا .. فحاصروهم اربعة أيام .. وقتل منهم
احد عشر رجلا .. وفتحها عنوة .. وغنم منها
اموالهم .. واصاب أثاثا ومتاعا كثيرا .. قسمه
بين أصحابه . وترك الأرض والنخيل بأيدي
اليهود .. وعاملهم عليها .. وولى عليهم أحد
أصحابه .. وهو عمرو بن سعيد بن العاص .

كما صالحه أهل تيماء على الجزية ..
وولاهها يزيد بن أبى سفيان .

الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
واتنا بهم فتحة فرياً. * ومغانم كثيرة باخذوها
وكان الله عزيزاً حكيماً * وعدكم الله مغانم كثيرة
ناخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ويهسيديكم صراطاً
مستقيماً (١) .

حقاً لقد كانت هدنة الحبشية فتحة مبيهاً .

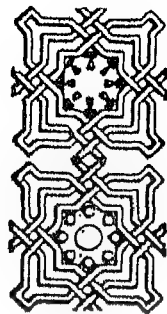
وكان اسلام يزيد في هذا اليوم .
وتيماء على سبع مراحل من المدينة .
ثم رجع الى المدينة . . بعد ان بسط نفوذه
على اليهود . . شمالي المدينة . . ووصل المدينة
في آخر صفر من السنة السابعة .
وبزغ النجم القرآني متلألاً :
(لقد رضى الله من المؤمنين اذ يبايعونك تحت



الدعوة تشرق خارج الجزيرة

قال : فقامت من عنده وانا اضرب احدي بدي
بالاخرى .. واقول اى عباد الله .. لقد امر ابن
أبى كبشة - اى عظم امره - اصبح ملوك بنى الاصف
يهابونه فى سلطانهم بالشام .

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله .. فاحد
الكتاب فجعله بين فغذيه وخاصرته .



الدعوة تشرقي خارج الجزيرة

تتزعزع أمامه رواسخ الجبال .. وصبر، يفوق
ما يخطر بالبال من قوة الاحتمال .

حياة تلك، صراع وكفاح .. ونضال وجهاد
.. ليس من أجل دنيا يصيبها .. أو ملك
يحققه .. وإنما لتكون كلمة الله هي العليا ..
ولتُعرف اعلام لا اله الا الله .. خفاقة تملأ الدنيا
بالحب والخير والسلام .

وها قد بدأت الرحلة تؤتي ثمارها ..
وتفيض بخيراتها .. ترفرفت اعلام الاسلام في
أغلب أنحاء الجزيرة العربية .. ووقفت فيها
شُرور اليهودية ودسائسها وخبثها عند حدها
بعد فتح خيبر .

ولكن محمداً - عليه الصلاة والسلام -
لم يرسله الله للعرب وحدهم .. ولم يبعثه
للجزيرة العربية وحدها .. فكل رسول قبله ..
كان الله عز وجل - يرسله الى قومه .. أما
محمداً - خاتم الرسل - فقد أرسله الله للناس
كافة .. الى الابيض والاسود .. الى العربي
والاعجمي .. الى الفارسي والرومي والحبيشي :

● والله انها لأسمى وأعظم وأجل رحلة ..
انها رحلة العمر بل رحلة الانسانية .. بل
رحلة الكون كله .. تلك الرحلة التي صحبناه
فيها - عليه الصلاة والسلام - من عالم الأمر
.. حيث كان أول من لبي ربه في عهد النذر قبل
خلق الأكوان .

الى قلبه وانتقاله من الاصلاب الطيبة الى
الأرحام الطاهرة .. مصفى مهذباً .. لا تشعب
شعبتان الا كان في خيرهما .

الى بزوغ نجمه .. واشراقه شمسته .. على
كوكب الأرض بشرا سويا .

ثم صحبناه في طفولته وصباه .. محوطا
بسياج الرحمة الالهية .. مقرونا بالرعاية
القدسية .

الى شهادته المثالي .. الذي ضرب به المثل
في صدقه وأمانته .

الى حملته الزمالة .. وأدائه إياها في عزم

((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا
ونذيرا)) (١) .

فكان العام السابع الهجرى .. بعد فتح
الحديبية .. مبدءا لنشر الدعوة .. خارج الجزيرة
العربية .. فأرسل رسله .. يحملون رسائله
الى الولا والامراء .. يبلغون دعوته .. وينشرون
رسالته .

وقبل ان نصحب هؤلاء الرسل .. الى الملوك
ورؤساء الدول .. يقتضينا الوقف ان نستعرض
فى عجلة سريعة حالة الممالك والسدول التى
سنصحب هؤلاء الرسل اليها .

وان التاريخ .. ليفف خاشعا امام عظمة
هؤلاء الفتية .. الذين خرجتهم الجامعة المحمدية
العليا .. من بلاد العرب الجدداء ..
لا سلاح معهم غير سلاح الايمان .. فيواجهون
بسلاحهم هذا قوتين عظيمتين .. لا ينكر التاريخ
قوتها وعظمتها .. هما الامبراطورية الفارسية
.. وقد ضمت تحت سلطانها النصف الشرقى
من الكرة الارضية .. والامبراطورية الرومانية ..
وقد امتد سلطانها فغطى النصف الغربى منها .

واستطاع هؤلاء الفتية بسلاح الايمان وهذه
.. فى اقصر زمن عرفه التاريخ .. ان تطا سنايك
خيولهم ايوان كسرى وعرش قيصر فى وقت
واحد .

وان يقيموا الامبراطورية الاسلامية الكبرى
.. من الصين فى مطلع الشمس الى جبال
البرانس - على المحيط الاطلسى .. فى مغربها .

وفى تلك الفترة الوجيزة من الزمن .. التى
ظهرت فيها دعوة محمد ورسالته .. كان
الصراع قائما على أشده بين تلكما الدولتين
العظيمتين .

فقبل هجرة الرسول من مكة الى المدينة
بعام واحد .. اى فى سنة ٦٢١ م .. وهو فى
قمة صراعه مع قريش .. انتصرت جيوش الفرس

على الرومان .. وتمدت الفرس سلطانها الى
الشام ومصر وآسيا الصغرى - تركيا -
وهددوا مدينة القسطنطينية عاصمة الرومان .

ففرحت قريش .. بانتصار الفرس على
على الرومان .. لان الفرس مجوس وتنيون على
سائلتهم .. وقالوا لمحمد وصحبه .. لننتصر
عليكم .. كما انتصر اخواننا الفرس على
اخوانكم الروم .. يقصصون ان الرومان
مسيحيون اهل كتاب مثل المسلمين .

فانزل الله تعالى :

((ألم * غلبت الروم * فى ادنى الأرض وهم
من بعد عليهم سيفليون * فى بضع سنين لله الأمر
ما قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر
الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)) (٢) .

فلما انزل الله تعالى ذلك .. قال ابو بكر
رضى الله عنه - للمشيرين : والله لينصرن الروم
على الفرس فى بضع سنين .. والبضع ما بين
الثلاث الى العشر .. فقال له ابنى بن خلف
كذبت .. فراهنه على عشر نوق .. وجعل
الأجل ثلاث سنين .

ولما اخبر ابو بكر رسول الله بملك المراهقة ..
قال له - عليه الصلاة والسلام :

« زد فى الخطر .. وابعد فى الأجل » اى زد
فى عدد النوق .. وزد فى عدد السنين .. لاني
الثلاثة أصغر البضع .

فجعلها مائة ناقة .. الى تسع سنين .
ومات ابنى .. من ضربة ضربها له رسول الله
فى غزوة احد - كما ذكرنا - وصلى الله عليه ..
وعقق قوله .. فاستطاع هرقل قيصر الروم ..
بعد مد وجزر بين قواته وقوات الفرس .. ان
ينتصر على الدولة الفارسية .. انتصارا تاما فى
أول ديسمبر سنة ٦٢٦ ميلادية .. فى هوقعة
نينوى .. بعد خمس سنين من وعد الله لرسوله
فى سورة الروم .

فأنهزمت جيوش الفرس .. وفر كسرى الى
عاصمة ملكه .

وكانت نهاية كسرى في شهر فبراير سنة
٦٢٨ م .. حيث قتله ابنه - شيرويه - بعد فتح
الحديبية بزمين يسير .. وعقد صلحا مع الرومان
.. على أن تعود الحدود الى ما كانت عليه .

فاخذ أبو بكر المراهنة من ذرية أبي ..
فقال له - عليه الصلاة والسلام - تصدق بها

يقول قتادة : كان ذلك قبل تحريم - القمار
ولكن مذهب أبي حنيفة استدل من هذا الحادث
على جواز العقود الفاسدة .. كعقد الربا والمقامرة
وغيرها في وقت الحرب .

وكانت تلك الآية دليلا لا يقبل النقاش ..
على صدق رسول الله .. وعلى أن القرآن الكريم
منزل من عند الله .. ففيه أخبار بالغيب ..
محدود الزمن .

ولما رجع - عليه الصلاة والسلام
من صلح الحديبية .. وجد أن الأوان قد آن
لعمرة الناس كافة .. في جميع دول الأرض الى
الاستسلام ..

واختار رسله من تجار المسلمين .. الذين
يعرفون مسالك تلك الدول والبلاد .. وسبق
وحيلهم إليها .. ويعرفون لغة أهلها .

واعد لهذا الأمر - خاتمه الشريف - وقد
كتب فيه اسمه .. من أسفل الى أعلى .. محمد
صلى .. ورسول صلى .. والله سطر .. ليكون
لخط الجلالة في أعلى الخاتم .

فكان يختم به كتبه التي يحملها سفراؤه الى
الملوك والأمراء ورؤساء الدول .

وقد بقى هذا الخاتم .. بعد وفاته - عليه
الصلاة والسلام - في يد أبي بكر .. ثم في يد
صه .. ثم في يد عثمان .. حتى وقع في بشر
« أريس » .. في السنة التي قتل فيها عثمان ..
فبحثوا عنه ثلاثة أيام فلم يجدوه .

- ١ - الى هرقل قيصر الروم

بعد يوم الحديبية .. في نهاية العام السادس
من الهجرة .. كتب رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - كتابا الى هرقل - قيصر الروم ..
هذا نصه .. كما ورد في الصحيحين عنه - عليه
السلام - « بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد
رسول الله .. الى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى - أما بعد ..

فاني ادعوك بدعاية الاسلام .. اسلم تسلم ..
يؤتك الله أجرك مرتين .. فان توليت فان عليك
اثم الأريسيين (١) . ويأهل الكتاب تعالوا الى
كلمة سواء بيننا وبينكم : ألا نعبد الا الله ..
ولا نشرك به شيئا .. ولا يتخذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله .. فان تواوا فقولوا أشهدوا
بأننا مسلمون » .

ثم ختم الكتاب بخاتمه .. وبعث به دحية بن
خليفة الكلبي .. وأمره أن يذهب الى الحارث ملك
غسان - بالشام - وهو تابع لحكم الرومان ..
ليوصله الى هرقل .

وكان هرقل قد نذر لله أن يحج الى المقدس ..
ماشيا على قدميه .. شكرا لله .. اذا نصره على
كسرى .. فخرج في هذا الوقت .. خريف ٦٢٨ م
.. في السنة السابعة من الهجرة .. وفاء بنذره
.. ووصله كتاب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وهو في القدس .. في شهر المحرم من
السنة السابعة للهجرة .

وأما في رواية لابن عباس - رضى الله عنه -
رأيت الا أحرم القارئ الكريم منها .. لما فيها
من طرافة وجدة .. وما فيها من شهادة أعداء
رسول الله .. والفضل ما شهدت به الأعداء .

قال عبد الله بن عباس : حدثني أبو سفيان بن
حرب .. قال : كنا قوما تجارا .. وكانت
الحرب بيننا وبين رسول الله .. لم نأمن الا نجد
أمننا .. فخرجت في نفر من قريش تجار الى

(١) الأريس : الفلاح .

الشام.. وكان وجه متجربا منها غرة.. فقدمناها حين ظهر هرقل على من كان بأرضه من فارس وأخرجهم منها.. وانتزع له منهم صليبه الأعظم.. وكانوا قد استلبوه إياه.. فلما بلغ ذلك منهم.. وبلغه أن صليبه قد استنقلد له.. وكانت حمص منزله.. فخرج منها يمشى على قدميه.. متشكرا لله حين رد عليه ما رد.. ليصلى في بيته المقدس.. وتبسط له البسط.. وتلقى عليه الرياحين.. فلما انتهى إلى إيلياء - المقدس - وقضى فيه صلاته.. ومعه بطارقته وأشراف الروم.. أصبح ذات غداة مهموما يقلب طرفه إلى السماء.. فقال له بطارقته: والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموما.. قال: أجل!.. أريت هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر..

قالوا: أيها الملك.. ما نعلم أمة تختن إلا اليهود.. وهم في سلطانك وتحت يدك.. فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك.. فمره فليضرب أعناق كل من تحت يده من اليهود.. واسترح من هذا الهم.. فوالله أنهم لفى ذلك من رأيهم يدبرونه.. إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب يقوده.. وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها.. فقال: أيها الملك.. أن هذا الرجل من العرب.. من أهل الشتاء والابل.. يحدث عن أمر عجب.. حدث ببلادهم.. فسله عنه..

فلما انتهى به رسول صاحب بصرى إلى هرقل.. قال هرقل لترجمانه: سله ما كان من هذا الحدث الذي ببلاده.. فسأله.. فقال: خرج من بين أظهرنا رجل يزعم أنه نبي.. قد اتبعه ناس وصدقوه.. وخالفه ناس.. وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة.. فتركهم على ذلك.. قال: فلما أخبره الخبر.. قال: جردوه من ثيابه.. فجردوه.. فإذا هو مخنون.. فقال هرقل: هذا والله الذي أريت.. لا ما تقولون..

أعطوه ثيابه.. ثم دعا صاحب الشرطة.. فقال له: قلب الشام ظهرا وبطنا.. حتى تأتى برجل.. من قوم الرجل - يعنى الثبى -

فقال أبو سفيان: هو الله أنا لفى غرة.. إذ هجم علينا صاحب شرطته.. فقال: أنتم من قوم هذا الرجل الذى بالحجاز؟.. قلنا نعم.. قال: انطلقوا بنا إلى الملك.. فانطلقنا معه.. فلما انتهينا إليه.. قال: أنتم من - رهط هذا الرجل؟.. قلنا: نعم.. قال: فأيكم أمس به رحما؟.. قلت: أنا.. قال أبو سفيان: فأقعدنى بين يديه واقعد أصحابى خلفى.. ثم قال: انى سأسأله.. فان كذب فردوه عليه.. فوالله لو كذبت ما ردوا على.. ولكنى كنت أمرا سيدا أكرم عن الكذب.. وعرفت أن أيسر ما فى ذلك أن كذبت.. أن يحفظوا ذلك على.. ثم يحدثوا به عنى.. فلم أكذبه..

فقال: أخبرنى عن هذا الرجل.. الذى خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى..

قال: فجعلت أزهد له شأنه.. وأصغر له من أمره.. وأقول له: أيها الملك ما يهمك من أمره؟.. أن شأنه دون ما يبلفك.. فجعل لا يلتفت إلى ذلك..

ثم قال: أنبئنى عما أسألك عنه من شأنه.. قلت: سل عما بدالك..

قال: كيف نسبه فيكم؟.. قلت محض أوسفلنا نسبا..

قال: فأخبرنى.. هل كان من أهل بيته يقول مثل ما قال؟ فهو يتشبه به؟.. قلت: لا..

قال: فأخبرنى عن أتباعه منكم.. من هم؟

قلت: الضعفاء والمساكين والأحداث والغلمان والنساء.. وأما ذوو الشأن والشرف من قومه فلم يتبعه منهم أحد..

قال: أخبرنى ممن أتبعه.. أيحبه ويلزمه.. أم يقلبه ويفارقه؟..

قلت: ما أتبعه رجل ففارقه..

قال: أخبرنى.. كيف الحرب بينكم وبينه؟

قلت: سجال.. يدال علينا.. وندال عليه..

قال : فأخبرني .. هل يغدر ؟

قال أبو سفيان : فلم أجد شيئا مما سألني عنه أغمره فيه غيرها ..

قلت : لا .. نحن منه في هدنة .. ولا نأمن قدره .

قال : فوالله ما التفتت اليها منى .. ثم كر على الحديث .

قال : سألتك .. كيف نسبه فيكم ؟ .. فرعيت أنه محض من أوسطكم نسباً .. وكذلك يأخذ الله النبي .. إذا أخذه .. لا يأخذه إلا من أوسط اقومه نسباً .

وسألتك .. هل كان أحد من أهله يقول بقوله .. فهو يتشبه به .. فرعيت أن لا .

وسألتك .. هل كان له فيكم ملك فاستلبتموه منه .. فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ .. فرعيت أن لا .

وسألتك عن اتباعه ؟ فرعيت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء .. وكذلك اتباع الأنبياء في كل زمان .

وسألتك عن يتبعه .. أيجبه ويلزمه .. أم يقلبه ويفارقه ؟ .. فرعيت أن لا يتبعه أحد فيفارقه .. وكذلك حلاوة الإيمان .. لا تدخل قلبها فتخرج منه .

وسألتك هل يغدر ؟ فرعيت أن لا .

فلئن كنت صدقتني عنه .. ليغلبن على ما تحت قدمي هاتين .. ولوددت أني عنده فأهسل أقدميه .. أنطلق لشأنك .

قال : فقامت من عنده .. وأنا أضرب إحدى

يدي بالأخرى .. وأقول : أي عباد الله لقد أمر امر ابن أبي كبشة (١) .. أي عظم أمره - أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام .

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذ الكتاب .. فجعله بين فخذه وخاصرته .

ولما قرىء له الكتاب .. غضب ابن أخيه غضباً شديداً .. وقال : أرني الكتاب .. فقال له : وما تصنع به ؟ .. قال : أنه بدأ بنفسه .. وسماك صاحب الروم .. فقال له عمه : والله أنك لضعيف الرأي .. تريد أن أرمي كتاب رجل يأنس التاموس الأكبر ؟ .. لئن كان رسول الله .. أنه لاحق أن يبدأ بنفسه .. وقد صدق .. أنا صاحب الروم ثم أمر بانزال دحية وأكرامه .

وفي البخاري :

أن قيصر الروم - هرقل - لما صار إلى حمص .. أذن لعظماء الروم في دسكرة له .. ثم أمر بآبوابها فغلقت .. ثم أطلع فقال :

يا معشر الروم .. هل لكم من الفلاح والرشد .. وأن يثبت لكم ملككم .. فتتابعوا هذا النبي .. فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب .. فوجدوها قد أغلقت .. وقالوا : اتدعوننا أن نترك النصرانية .. ونصير عبيد الأعرابي ؟ .

فلما رأى نفرتهم .. وأيس من إيمانهم .. قال : ردوهم على .. وقال : أني قلت مقاتلي .. اختبر بها شدتكم على دينكم .. فقد رأيتم فسجدوا له .. ورضوا عنه .. فلم يسلم هرقل .

(١) أبو كبشة : جد أمية - أم الرسول .. كان يكنى أبا كبشة .. خالف قريشا في عبادة الأصنام .. فشبهوا به النبي .

٢ - الى ابرويز - كسرى فارسى -

وكتب الى كسرى - ابرويز بن هرمز - كتابا .. هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد رسول الله .. الى كسرى عظيم فارس .

سلام على من اتبع الهدى .. وآمن بالله ورسوله .. وشهد أن لا اله الا الله .. وحده لا شريك له .. وأن محمدا عبده ورسوله .. ادعوك بدعاية الله - عز وجل - فانى رسول الله الى الناس كافة .. لأتذر من كان حيا ويحيى القول على الكافرين .. أسلم تسلم فان توليت فعليك اثم الجوس » .

ثم ختمه بخاتمه .. وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهيمى .. وكان ابن حذافة كثريرا ما يتردد على كسرى .

فمزق كسرى كتاب رسول الله .

وبلغ ذلك رسول الله .. فقال : « مزق ملكه » .

وجاء فى كتاب - الاموال - لصاحبه ابي عبيد .. قال :

كتب - عليه السلام - الى كسرى وقيصر .. فأما كسرى .. فلما قرأ الكتاب مزقه .. وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « أما هؤلاء فيمزقون .. وأما هؤلاء فسيكون لهم بقية »

ثم كتب كسرى الى - باذان - أميره فى اليمن .. أبعث الى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جليدين .. فليأتياى به .

فبعث باذان رجلين .. هما « بأبويه » و « خرخرسة » وكتب معهما الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى .

فقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش بالطائف .. فسالاها عنه .. فقالوا : هو

بالمدينة .. وفرح القرشيون .. وأكالوا لبعضهم .. أبشروا فقد نصيب له كسرى ملك الملوك .. وكفيتم الرجل .. فخرجا حتى قدما على رسول الله .. فكلمه بأبويه .. فقال : أله شاهنشاه ملك الملوك - كسرى - قد كتب الى الملك باذان .. يأمره أن يبعث اليك من يأتيه بك .. وقد بعثنى اليك .. لتتعلق معي .. فإن فعلت .. كتب فيك الى ملك الملوك ينفعك .. ويكف عنك .. وإن أبيت فهو من قد علمت .. فهو مهلكك .. ومهلك قومك .. ومخرب بلادك .

دخل على رسول الله .. وقد خلقا لحاهما .. وأعفيا شواربهما .. فكره النظر اليهما .. ثم أقبل عليهما .. فقال : « ويلكما .. من أمركما بهذا » .. قالا : ربنا - يعنينا كسرى - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لكن ربى أمرنى بأعفاء لحيتى وكص شاربى » .

ثم قال لهما : أرجعا حتى تأتياى غدا .

وأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من السماء .. أن الله قد سلط على كسرى ابنه - شيرويه - فقتله فى ساعة كذا .. من ليلة كذا .. من شهر كذا .

قال الواقدي : فعل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين من جمادى الأولى من سنة سبع .. لست ساعات مضت منها .

فدعاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاخبرهما .. فقالا : هل تدري ما تقول ؟ أنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا .. أفعتبت هذا منك .. ونخبره الملك ؟ .

قالا : « نعم أخبراه ذلك عني .. وقولا له أن دينى وسلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى .. ويذهب الى منتهى الخلف والحافر .. وقولا له : أنك أنت أسلمت أعظمتك ما تحب بذلك .. وملكك على قومك من الإنساء .. ثم أعطى - خرخرسة - منطلقا فذهب ذهابا .. ففضه .. كان أهذاها له بعض الملوك .

فخرجنا من عنده .. حتى إقدا على باذان ملك اليمن .. فقال : والله ما هذا بكلام ملك .. واني لأرى الرجل نبيا كما يقول .. ولنتظرون ما قد قال .. فلئن كان هذا حقا ما فيه كلام انه لنبي مرسل .. وان لم يكن .. فسئري فيه رأينا .

ووصل « باذان » كتاب من « شيرويه » فيه : « وبعد » فاني إقتلت كسرى .. ولم أقتله الا غضبا لفارس .. لما كان استحل من قتل اشرافهم .. وتجميرهم في ثغورهم .. فاذا جاءك كتابي هذا .. فخذ لي الطاعة من قبلك .. وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه اليك .. فلا تهجه حتى ياتيك امرئ فيه .

فقال - باذان - ان هذا الرجل لرسول .. وأسلم .. وأسلم من كان معه باليمن من فارس . فكانت حمير تقول لخرخسرة « ذا المعجزة » لان المنطقة بلغتهم اسمها معجزة .

ومازال أبناؤه الى اليوم ينسبون اليه فيقولون - أبناء ذئ المعجزة -

وقد قال - بابويه - لباذان : ما كلمت رجلا قط أهيب عندي منه .. فقال لباذان : هل معه شرطة ؟ .. قال : لا .

ولما أسلم باذان .. ولاه النبي - عليه السلام - على مخاليف اليمن .. وكان مقره صنعاء - دار مملكة التبابعة - وبقي حتى مات بعد حجة الوداع .. قولى النبي ابنه « شهر » ابن باذان على صنعاء .. وولى على كل جهة واحدا من الصحابة .

وملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنها وأموالهم .. في خلافة عمر .. ومزقهم الله كل ممزق .. وتحققت دعوة الرسول عليهم .

ومن الغريب أن يخرج المؤرخ الأوربي « نورث » فيقول في كتابه - موجز من الاسلام - طبعة ١٩٣٤ م .. ان رسول الله لم يرسل كتابا

الى كسرى .. ولم يرسل كتابا الى قيصر الروم .

وهذا القول - كما ترى - لا يستحق شرف النقاش .. لانه لم يصدر عن اقتناع .. فتلك حقائق تاريخية ثابتة .. وانما صدر عن قلب مليء بالحق .. مغم بالغل والكراهية .

- ٣ - الى اصحمة نجاشي الحبشة :

وكتب - عليه الصلاة والسلام - كتابا الى - اصحمة - نجاشي الحبشة .. قال فيه : (١)

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله .. الى النجاشي ملك الحبشة .. اسلم انت فاني أحمد الله اليك .. الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن .. واشهد ان عيسى بن مريم .. روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول .. الطيبة الحصينة .. فحملت بعيسى .. فخلقه من روحه .. ونفخه كما خلق آدم بيده .

واني ادعوك الى الله وحده .. لا شريك له .. والمودة على طاعته .. وان تتبعني وتؤمن بالذي جاءني .. فاني رسول الله .. واني ادعوك وجنودك الى الله تعالى .. وقد بلغت ونصحت .. واقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرا .. ومعه نفر من المسلمين .. والسلام على من اتبع الهدى « ثم ختمه بخاتمة .. وبعثه مع عمرو بن أمية الضمري .

وزاد ابن اسحاق دون غيره من الرواة :

ان عميرا الضمري .. قال للنجاشي : يا اصحمة .. انك كانك في الرقة علينا .. وكانا في الثقة بك منك .. لانا لم نظن بك خيرا قط الا لنناه .. ولم نخفك على شيء قط الا أمناه .. وقد اخذنا الحجة عليك من فيك .. الانجيل بيننا وبينك شاهدا لا يرد .. وقاض لا يجور .. وفي ذلك الموقع الحر واصابة الفصل .. والا فانت من هذا النبي الأمي .. كاليهود من عيسى بن مريم .. وقد فرق النبي - عليه الصلاة والسلام -

(١) هكذا في كتب السيرة .. الا التبهاني .. فذكر هنا - اما بعد - .

رسله الى الناس .. فرجلك ما لم يرجهم له ..
وامنك على ما اخافهم عليه بخير سالف ..
واجر ينتظر .

**وانفق الرواة على ان النجاشي قال بعثه ان
قرا الكتاب - كتاب رسول الله :**

اشهد بالله انه النبي الامي .. الذي ينتظره
اهل الكتاب .. وان بشاره موسى براكب الحمار
.. كبشارة عيسى براكب الجمل .. وان
العيان ليس بأشقى من الخبر .

**ثم كتب النجاشي كتابا الى رسول الله ..
قال فيه :**

« بسم الله الرحمن الرحيم .. الى محمد
رسول الله .. من النجاشي اصحمة بن الأبحر .
سلام عليك يا رسول الله .. ورحمة الله ..
وبركات الله .. الذي لا اله الا هو .. الذي
هداني للإسلام - اما بعد -

فقد بلغني كتابك يا رسول الله .. فما ذكرت
من أمر عيسى .. فورب السماء والأرض .. ان
عيسى لا يزيد على ما ذكرت تفروفا (١) .. انه كما
ذكرت .. وقد عرفنا ما بعث به إلينا . فاشهد
انك رسول الله صادقاً مصداقاً .. وقد بايعت
وبايعت ابن عمك .. واسلمت على يديه لله رب
العالمين .. وقد بعثت اليك بابني .. وان
شئت أن آتيك بنفسى فعلت يا رسول الله ..
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » (٢) .

**ثم أرسل ابنه - أرها - بن اصحمة بن الأبحر
.. في ستين نفساً .. في أثر من أرسله من عنده
مع جعفر بن أبي طالب .. وكان مع جعفر
سبعون رجلاً .. عليهم ثياب الصوف .. منهم
اثنتان وستون من الحبشة .. وثمانية من أهل
الشام .**

**فقرأ عليهم - عليه الصلاة والسلام - « سورة
يس الى آخرها » .. فبكوا حين سمعوا**

القرآن وآمنوا .. وقالوا : ما أشبه هذا بما كان
ينزل على عيسى .

وفيهم أنزل الله تعالى (ولتجدن أقربهم مودة
للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم
قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون * واذا
سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا
فاكتبنا مع الشاهدين) (٣) . لأنهم كانوا من العباد
اصحاب الصوامع .

وقال ابن اسحاق :

« ذكر لي ان النجاشي بعث ابنه في ستين
من الحبشة في سفينة فرقت بهم في البحر
وهلكوا » فاذا صح هذا الخبر .. فيكون
الرسول عليه الصلاة والسلام .. قد قرأ - يس -
على اصحاب جعفر في سفينته .. الاحباش
والشوام .

**وفي صحيح البخاري عن جابر - رضى الله
عنه - قال .. قال النبي صلى الله عليه وسلم
حين مات النجاشي : « مات اليوم رجل صالح ..
فقوموا فصلوا على أخيك اصحمة » .**

**وفي شرح البخاري للقسطلاني « فصلوا
على أخيك في الاسلام » .**

**ويحاول بعض الكتاب الغربيين .. أن يشكك
في اسلام النجاشي اصحمة :**

ولعل هؤلاء يتجاهلون أن اصحمة كان
مسيحياً نسطورياً .. كما قرر ذلك « ايرفنج » في
كتابه - حياة محمد - وكما قرره أيضاً مستر
« موير » في كتابه .

ومعروف أن مذهب نسطور .. يقوم على
التوحيد .. وينكر الوهية المسيح .. ومن ذلك
قول نسطور بالنص : « لا تقولوا مريم أم الله ..
لأنها من البشر .. ويستحيل أن يولد الإله من
البشر » .

وكان لنسطور اتباع كثيرون في المسيحية ..
منهم الكثير من القسيسين والرهبان .. وكان

(٢) كل كتب السيرة .

(١) الثغوف : علاقة ما بين نواة البلعة وقلمها .

(٢) ٨٢ - ٨٣ / المائدة .

منهم بحيرا الراهب .. الذى اكرم النبى وهو غلام
.. وعرفه بعلامات فيه - كما قدمنا -

ولنسطور مكانة رفيعة فى الديانة المسيحية
فقد كان بطريرك القسطنطينية من عام ٤٢٨ -
٤٣١ هـ .. كما ورد فى دائرة المعارف
الانجليزية .

ولكنه اضطهد ونفى بسبب عقيدته تلك فى
عبودية عيسى - عليه السلام .

فما ان سسمع النجاشى قراءة جعفر بن ابى
طالب عندما هاجر الى الحبشة .. وطلبه
النجاشى ليسأله عن دينه .. وقرأ له جعفر قول
عيسى فى القرآن من سورة - مريم - قال :

(قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى
نبيا) الى قوله تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول
الحق الذى فيه يمترون) .. فهو ليس ابن الله
.. كما يعتقد غير النسطوريين من المسيحيين ..
حتى وجد فى هذا القول حلاوة الايمان .. واحس
انه وما جاء به موسى وعيسى يخرج من مشكاة
واحدة .. ولمس فيه تأييدا لعقيدته النسطورية
.. فبادر بالاسلام .

وقد رأينا النجاشى يبايع عمرو بن العاص -
وهو مشرك - ودعاه الى الاسلام على يديه
وقلنا : صحابى جليل يسلم على يد تابعى .

ولا يفوتنا هنا ان نشير الى زواج رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين - أم حبيبة
بنت أبى سفيان .. وهى فى الحبشة .

وذلك ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم
- أرسل الى النجاشى ليزوجه - أم حبيبة - بنت
أبى سفيان .. ويرسلها اليه مع من عنده من
المسلمين .

وهى - رملة - اخت معاوية .. كانت من
أوليات المسلمين .. هاجرت الى الحبشة مع
زوجها - عبيد الله بن جحش - فولدت بها ابنتها
حبيبة .. التى كنيت بها .. وقد اعتنق زوجها

عبيد الله النصرانية .. وهو فى الحبشة ..
ومات بها نصرانيا .

وبقيت أم حبيبة على اسلامها .. حتى
تزوجها - عليه الصلاة والسلام -

يقول محمد بن عمر :

أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى النجاشى .. ليزوجه - أم حبيبة - فأرسل
النجاشى جارية له .. يقال لها - أبرهة - الى
أم حبيبة .. يخبرها بخطبة رسول الله اياها ..
فأعطتها أوضاحا لها وفتحا (١) .. سرورا بذلك
الخير .. وأمرها أن توكل من يزوجهها .. فوكلت
خالد بن سعيد بن العاص .

فخطب النجاشى عن رسول الله .. وخطب
خالد .. فأنكح أم حبيبة .. ثم دها النجاشى
بأربعمائة دينار صداقها .. فدفعها الى خالد
بن سعيد .. فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير
.. جاءت بها الجارية - أبرهة - فأعطتها خمسين
مثقلا .. وقالت : كنت أعطيتك ذلك وليس بيدي
شئ .. وقد جاء الله عز وجل بهذا .. فقالت
أبرهة قد أمرنى الملك أن لا آخذ منك شيئا ..
وان أرد اليك الذى أخذت منك .. وأنا صاحبة
دهن الملك وثيابه .. وقد صدقت محمدا رسول
الله .. وآمنت به .. وحاجتى اليك .. أن تقرئيه
منى السلام .. قالت : نعم .

وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن اليك بما
عندهن من عود وعنبر ..
فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يراه عليها وعندها .. فلا ينكره .

وقالت أم حبيبة - رضى الله عنها :

فخرجنا فى سفينتين .. وبعث معنا النواتى
.. حتى قدمنا الحار .. ثم ركبنا الظهر الى
المدينة .. فوجدنا رسول الله بخير .. فخرج
من خرج اليه .. واقمت بالمدينة .. حتى قدم
رسول الله .. فدخلت اليه .. فكان يسألنى
عن النجاشى .

(١) الوضوح : الخللخال . والفتحة : خاتم من فضة .. لا فص فيه .. كان يلبسه النساء فى الجاهلية .. فى أصابع
القدمين .

وقرات عليه من الجارية - أبرهة - السلام
.. فرد الرسول عليها .

ولما علم أبو سفيان بزواج النبي من أم حبيبة
.. قال :

« ذلك الفحل لا يقرع أنفه » .

ولعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
أراد من زواج أم حبيبة بثت أبي سفيان .. أن
يستميل أباهما إلى دينه ..

وتوفيت - أم حبيبة - في سنة ٤٤ هجرية .

- ٤ - إلى المقوقس عظيم القبط في مصر :

وكتب - صلى الله عليه وسلم - إلى المقوقس
- عظيم القبط في مصر .. كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. من محمد عبد
الله ورسوله .. إلى المقوقس عظيم القبط .

سلام على من اتبع الهدى - أما بعد -

فإني أدعوك بدعاية الاسلام (١) .. أسلم
تسلم .. وأسلم يؤتك الله أجره مرتين .. فان
توليت فان عليك اثم أهل القبط (يا أهل الكتاب
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا
الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا
من دون الله فان تولوا فقلوا اشهدوا بأننا
مسلمون) » .

ثم ختم الكتاب بخاتمة .. وبعث به مع حاطب
ابن أبي بلتعة .

وهذا الكتاب محفوظ بدار الآثار الاسلامية
.. في الاستانة بتركيا .. قيل عثر عليه عالم
فرنسي في دير بمصر قرب أخميم .. في أيام سعد
باشا .

فلما دخل حاطب على المقوقس .. قال له :
انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الأعلى ..
- يقصد فرعون موسى - فأخذه الله نكال الآخرة
والأولى .. فانتقم به .. ثم انتقم منه .. فاعتبر
بغيرك .. ولا يعتبر غيرك بك .

فقال : ان لنا ديننا .. لن ندعه الا لما هو خير
منه .

فقال له حاطب : ندعوك إلى دين الاسلام ..
الكافي به الله عن غيره .. ان هذا النبي دعا الناس
.. فكان أشدهم عليه قريش .. وأعداهم له
اليهود .. وأقربهم منه النصاري .. ولعمري
ما بشارة موسى بعيسى .. الا بشارة عيسى
بمحمد .. وما دعاؤنا إياك إلى القرآن .. الا كدعائك
أهل التوراة إلى الانجيل وكل نبي أدرك
قوما .. فهم أمته .. فالحق عليهم أن يطيعوه
.. وأنت ممن أدركه هذا النبي .. ولسنا ننهالك
عن دين المسيح .. ولكننا نأمرك به .

فقال المقوقس : اني قد نظرت في أمر هذا
النبي .. فوجدته لا يأمر بمزهود فيه .. ولا ينهى
عن مرغوب فيه .. ولم أجده بالساحر الضال ..
ولا الكاهن الكاذب .. ووجدت معه آية النبوة
بإخراج الخبء .. والأخبار بالنجوى ..
وسأنظر (٢) .

وأخذ كتاب النبي .. فجعله في حق من عاج
.. وختم عليه .. ودفعه إلى جارية له (٣) .

ثم دعا كاتبه يكتب بالعربية .. فكتب إلى
رسول الله كتابا .. هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .. لمحمد بن عبد
الله .. من المقوقس عظيم القبط .

سلام عليك .. أما بعد .

فقد قرأت كتابك .. وفهمت ما ذكرت فيه
.. وما تدعو إليه .. وقد علمت أن نبيا بقي ..
وكنت أظنه يخرج بالشام .. وقد أكرمت
رسولك .. وبعثت إليك بجاريتين .. لهما مكان
عظيم في القبط .. وبكسوة .. وأهديت إليك
بفلة لتركبها .. والسلام عليك ..

ولم يزد على هذا .. ولم يسلم .

والجاريتان : هما مارية سيرين .. والبفلة
دلال - وبقيت هذه البفلة إلى زمن معاوية .

(٢) ابن قيم الجوزية - زاد المعاد - .

(١) دعاية الاسلام : الشهادة .

(٣) كل كتب السيرة .

ولنا وقفة صغيرة .. امام موقف المقوقس
 حيال كتاب رسول الله .. والهدايا التي ارسل بها
 اليه .. لان على رأس تلك الهدايا .. السيدة -
 مارية .. التي أحبها رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - وولدت له ابنه - ابراهيم - ولم ينجب
 من غيرها بعد - خديجة - رضى الله عنها .
 فقد كانت السيدة مارية .. كبيرة الوصيفات
 في القصر الملكي بمصر .. كانت متفكحة في دينها
 المسيحي .. دارسة متعمقة في التوراة والانجيل
 .. كثيرة التحدث مع سيدها المقوقس .. عن
 البشريات الواضحة .. والايات البينة .. التي
 تدل على قرب ظهور تمام الرسالات - ويذوق
 نجم آخر الانبياء .. فما أن وصله كتاب رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تيقن من
 صدق نبوءة مارية .. وبعد نظرها .. وثاقب
 فكرها .

ولهذا رايناه يخاطب حاطبا بما قال .. كما
 رايناه يضع الكتاب في حق من العاج .. ثم
 يختمه بخاتمه .. ويدفعه الى مارية .. كما
 أجمعت على ذلك كل كتب السيرة .

بادر المقوقس مارية فائلا لها .. وقد انفرجت
 شفتاه عن بسملة عريضة : يا مارية .. لقد
 ظهر ما كنت تتنبئين به .. فقلت : ماذا ؟ ..
 قال : ظهر نبي جديد في الجزيرة العربية .. من
 الشرق كما كنت تتوقعين .. يدعو الى دينه
 الجديد .. وها هو ذا كتابه الذي بعث به الى ..
 لقد صدقت نبوءتك .. وتحقق أملك .. واسمه
 - محمد - فأخذت منه حق الصاج الذي فيه
 الكتاب .. وفد خفق قلبها اضطرابا .. وكأنه
 يريد أن ينطلق من صدرها .. ليسبقها الى
 حيث يوجد هذا الذي بشرتها به كتب السماء ..
 ثم قالت : وماذا أنت صانع معه يا مولاي ؟ ..
 قال : ساكرم رسوله .. وارسل الكثير من
 الهدايا .. فقالت : أرجو أن أكون من بين تلك
 الهدايا ؟ ..
 فقال : لك ذلك يا مارية .

وجاء في الحديث الشريف :

« أهدى المقوقس الى النبي - مارية - من
 حفن من - رستاق أنصنا » (١) .
 وهي مارية بنت شمعون .. وأما رومية .
واكرم المقوقس حاطب بن أبي بلتعه .. وارسل
 معه من الهدايا غير السيدة مارية اختها سيرين
 .. وبفلة أصيلة شهباء .. وعسلا من عسل
 بنها .. وعشرين ثوبا من قباطى مصر .. وطيبا
 وعودا ومسكا .. كما قيل انه ارسل من بين
 الهدايا طيبيا مصريا .
 وذكر المرحوم - حفنئى ناصف - من هدايا
 المقوقس للرسول .. غير ما ذكرنا :

جارية سوداء لخدمة مارية اسمها - بريرة -
 وغلاما أسود اسمه - هابو - وفرسا ملجما
 اسمه - ميمون - ومربعة فيها مكحلة ومراة
 ومشطا وقارورة دهن ومقصا وسواكا .. والف
 مثقال من الذهب .

وقد قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم
 - هذه الهدايا .. فأخذ مارية لنفسه .. وأهدى
 سيرين لحسان بن ثابت الشاعر .. وهى أم
 عبد الرحمن بن حسان - ودعا بالبركة في
 عسل بنها .. أما الطبيب .. فقال له - صلى الله
 عليه وسلم - :

« أرجع الى أهلك .. نحن قوم لا ناكل حتى
 نجوع .. وإذا أكلنا لا نشبع » .

واسلمت مارية وسيرين .. قبل وصولهما
 الى المدينة .. على يد حاطب بن أبي بلتعه .. وقد
 وطأها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالملك
 وكانت حسنة الدين .. كريمة الخلق -
 جميلة الخاق .. وكان عليه الصلاة والسلام -
 يؤثرها بحبه .. ويعجب بنظامها وحسن ترتيبها
 .. حتى دبت الغيرة في قلوب نسائه منها ..
 وانزل الله في شأنها قرآنا في سورة - التحريم -
 وولدت له ابنه ابراهيم .. فى ذى الحجة
 .. سنة ثمان من الهجرة .. ففرح به رسول

(١) قرية أثرية .. على الضفة النيل الشرقية .. قبالة قرية اشمونين - محافظة أسيوط . واسمها الآن : ما قوسة
 .. تابعة الآن لمحافظة المنيا .

الله .. وعق عنه بشاة .. يوم السابع من ولادته .. وحلق راسه فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين .. وامر بدفن شعره .

وكانت قابلة مارية - سلمى - مولاة رسول الله .. فخرجت سلمى واخبرت زوجها ابا رافع بان ماريه قد ولدت لرسول الله غلاما .. فجاء ابو رافع الى رسول الله فبشره .. فوهب له عبدا .

وتنافست فيه نساء الانصار .. ايتهن ترضعه .. فدفعه رسول الله الى ام بردة بنت المنذر - من بني النجار - وزوجها البراء بن اوس .. فكاتب ترضعه .

ومات ابراهيم صغيرا .. مات في ربيع الاول في العام العاشر الهجري .. وعمره ستة عشر شهرا .

وفد حزن - عليه السلام - لموته حزنا شديدا . دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو معتمد على عبد الرحمن بن عوف .. وابراهيم يجود بنفسه .. فلما مات دمعت عينا رسول الله .. فقال له عبد الرحمن :

اي رسول الله .. هذا الذي تنهى الناس عنه .. مني يراك المسلمون يبكي يبكى - فلما سريت عنه عبره .. قال :

« انما هذه رحمة .. وان من لم يرحم لا يرحم .. انما تنهى عن ليساحه .. وان يندب الرجل بما ليس فيه .. انا عليه لمحزونون .. تدمع العين .. ويحزن القلب - ولا نقول ما يسنخه الرب .. وفضل رصاعه في الجنة »

وانكسفت الشمس يوم مات ابراهيم .. فاذاغ الناس : ان الشمس كسفت حربا على موت ابراهيم .. فقال - عليه السلام - :

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله .. لا ينكسفان لموت احد » .

هكذا كان يتكلم الصديق والحقيقة .. ولم يستغل تلك الشائعة .. ويتركها تتردد على السنة المسلمين .

ولهذا بقول مسيو - درمنجيم - في كتابه عن محمد .. بمناسبة هذا الحادث :

« ان محمدا كان واسع العقل .. فرد على هذه الحرافة الجميلة بقوله :

« ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد » .. وهذه كلمات لا يقولها محادع » - اه -

وتوفيت السيدة مارية - رضى الله عنها - في خلافة عمر سنة ١٦ - هـ ودفنت في البقيع .. وكان عمر يجمع الناس بنفسه .. لشهود جنازتها .. وصلى عليها .

- ه - الى المنذر بن ساوى امير البحرين :

وكتب عليه السلام - الى المنذر بن ساوى كتاب يدعو فيه الى الاسلام .

ولم يستدل احد من رجال السيرة .. على نص الكتاب الاول .. الذى بعثه الرسول الى المنذر .. وانما ذكرت كتب السيرة .. م فانه الوعدى باسناده عن عمره .. قال : وجدت كتابا .. في كتب ابن عباس بعد موته .. فنسخه فادا فيه :

« بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - العلاء بن الحضرمي .. الى المنذر بن ساوى .. وكتب اليه كتابا .. يدعو فيه الى الاسلام .. فكتب المنذر الى الرسول - اما بعد - يا رسول الله .. فاني فرأت كتابك على اهل البحرين .. فمهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه .. ومنهم من كرهه .. وبارضى مجوس ويهود .. فاحدث الى في ذلك امرك »

فكتب اليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله .. الى المنذر بن ساوى :

سلام عليك .. فاني احمد اليك الله .. الذى لا اله الا هو .. واشهد ان لا اله الا الله .. وان محمدا عبده ورسوله - اما بعد -

فاني اذكرك الله - عز وجل - فانه من نصيح انما ينصح لنفسه .. وانه من يقطع رسلى ..

ويتبع امرهم .. فقد اطاعنى .. ومن نصح لهم
فقد نصح لى .. وان رسلى قد اثروا عليك خيرا
.. وانى قد شفعتك فى قومك .. فاترك للمسلمين
ما اسلموا عليه .. وعفوت عن اهل الذنوب
فاقبل منهم .. وانك مهما تصالح فلم تعزلك عن
عملك .. ومن اقام على يهودية او مجوسية -
فعليه الجزية - » .

ولم يعرف نص الكتاب الاول .

وجاءت فى كتاب - اسد الغابة - ان المنذر
سار من البحرين .. حتى وفد على رسول الله -
صلى الله عليه وسلم -

كما ذكر الطبرى : ان المنذر بن ساوى ..
مات قريبا من وفاة رسول الله .. وقدم عليه
عمرو بن العاص .. وحضر وفاته .

- ٦ - الى ملكى عمان باليمن :

وكتب - صلى الله عليه وسلم - الى ملكى
عمان (١) باليمن كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد عبد
الله ورسوله .. الى جيفر وعبد ابى الجندى .
سلام على من اتبع الهدى - اما بعد

فانى اداءوكما بدعاية الاسلام .. اسلما تسلما
.. فانى رسول الله الى الناس كافة .. لانذر
من كان حيا ويحق القول على الكافرين .. انكما
ان اقررتهما بالاسلام وايكما .. وان ابيتما ان
تقرا بالاسلام .. فان ملككما زائل عنكما .. وخيلى
تحل بساحتكما .. وتظهر نبوتى على ملككما » .

ثم ختم الكتاب بخاتمته .. وبعثه مع عمرو
ابن العاص .. ولستمع معا الى عمرو يحكى لنا
بنفسه ما حصل بينه وبينهما .. وهو حديث
شيق حقا .

فيقول عمرو بن العاص :

خرجت حتى انتهيت الى عمان .. فلما
قدمتها عمدت الى عبد .. وكان احلم الرجلين
.. واسهلها خلقا .. فقلت : انى رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - اليك والى اخيك ..

فقال : اخى المقدم على بالسسن والملك .. وانا
اوصلك اليه حتى يقرأ كتابك .. ثم قال : وماذا
تدعو اليه ؟ . قلت ادعوك الى الله وحده
لا شريك له .. وتخلع ما عبد من دونه .. وتشهد
ان محمدا عبده ورسوله .

قال : يا عمرو انت ابن سيد قومك .. فكيف
صنع ابوك ؟ .. فان لنا فيه قدوة .

قلت : مات ولم يؤمن بمحمد - عليه السلام -
ووددت انه اسلم وصدق به .. وقد كنت انا على
مثل رايه .. حتى هدانى الله للاسلام .

قال : فمتى تبعته ؟ .. قلت قسريا .
فسالنى اين كان اسلامك ؟

قلت : عند النجاشى .. واخبرته ان النجاشى
قد اسلم .

قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ .. قلت :
اقروه وانبعوه .. قال : والاساقفة والرهبان
تبعوه ؟ .. قلت : نعم .. قال انظر يا عمرو
ما تعمل .. انه ليس من خصلة فى رجل افصح
له من الكذب .. قلت : ما كذبت وما نستحل في
ديننا .

قال : ما ارى هرقل علم باسلام النجاشى ..
قلت : بلى .. قال : باى شيء علمت ذلك ؟

قلت : كان النجاشى يخرج له خرجا .. فلما
اسلم وصدق بمحمد .. قال : لا والله لو سألنى
درهما واحدا ما اعطيته .. فبلغ هرقل قوله
.. فقال له - النياق - اخوه : اتدع عبدك
لا يخرج لك خرجا .. ويدين بدين غيرك ديننا
محدثا ؟ .. قال هرقل : رجل رغب فى دين ..
فاختاره لنفسه .. ما اصنع به ؟ .. والله لولا
الضن بملكى لصنعت كما صنع .

قال : انظر ما تقول يا عمرو .. قلت : والله
قد صدقتك .

قال عبد : فاخبرنى ما الذى يأمر به وينهى
عنه ؟ ..

قلت : يأمر بطاعة الله - عز وجل - وينهى
عن معصيته .. ويأمر بالبر وصلة الرحم ..

(١) عمان . بضم العين باليمن .. اما عمان .. بفتح العين وتشديد الميم فانها بالشام .

وينهى من الظلم والعدوان .. وعن الزنا ..
وعن الخمر .. وعن عبادة الحجر والوثن
والصنم والصليب ..

قال : ما أحسن هذا الذى يدعو اليه .. لو
كان أخى يتابعنى عليه .. لركبنا حتى تؤمن
بمحمد ونصدق به .. ولكن أخى أضل سلكه من
أن يدمه .. ويصير ذنباً .

قلت : انه ان أسلم ملكه رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - على قومه .. فأخذ الصدقة من
غنيهم .. فبردها على فقيرهم .

قال : ان هذا لخلق حسن .. وما الصدقة ؟
.. فأخبرته بما فرض الله ورسوله فى الصدقات
والأموال .. حتى انتهيت الى الأبل .

قال : ياعمرو .. وتؤخذ من سوائهم
مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه ؟ ..
فقلت : نعم .

فقال : والله ما أدرى قوماً فى بعد دارهم ..
وكثرة عددهم .. يطيعون لهذا .

قال : فمكثت ببانه أباما .. وهو يصل الى
أخيه .. فيخره كل خرى .. ثم انه دعانى
يوماً .. فدخلت عليه .. فأخذ أعوانه بضبعى -
عضد الذراع - فقال : دعوه .. فأرسلت ..
فذهبت لأجلس .. فأبوا أن يدعوني أجاس ..
فتنظرت اليه .. فقال : تكلم بحاجتك .. فدفعت
اليه الكتاب مختوماً .. ففرض خاتمه وقرا ..
حتى انتهى الى آخره .. ثم دفعه الى أخيه ..
فقرأ مثل قراءته .. الا انى رأيت أخاه أرق منه
.. قال : الا تخبرنى عن قرش كيف صنعت ؟
.. فقلت : تبعوه .. اما راعب فى الدين .. واما
مقهور بالسيف .. قال : ومن معه ؟ .. قلت :
الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره
.. وعرفوا بعقولهم .. مع هدى الله إياهم ..
انهم كانوا فى ضلال .. فما أعلم أحداً بقى غيرك فى
هذه الخرجة .. وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه
.. توطنك الخيل .. وتبيد خضراك .. فأسلم
تسلم .. ويستعملك على قومك .. ولا تدخل
عليك الخيل والرجال .

قال : دعنى يومى هذا .. وارجع الى غدا .
فرجعت الى أخيه .. فقال : ياعمرو انى
لأرجو أن يسلم .. ان لم يضمن بملكه .

حتى اذا كان الغد أتيت اليه .. فأتى أن يأذن
لى .. فأنصرفت الى أخيه فأخبرته انى لم أصل
اليه .. فأوصلنى اليه .

فقال : انى فكرت فيما دعوتنى اليه .. فإذا
انا أضعف العرب .. ولن تبلغ خيله ههنا .. وان
بلغت خيله .. لاقت قتالا ليس كقتال من لاقى .
قلت : وأنا خارج غدا .

فلما اتقن بمخرجه .. خلا به أخوه ..
فقال : ما نحن فيما ظهر عليه .. وكل من أرسل
اليه قد أجابه ؟

فأصبح فأرسل الى .. وأحاط الى الاسلام
.. هو وأخوه جميعاً وصدقا النسي - صلى الله
عليه وسلم - وخلياً بينى وبين الصدقة .. وبين
الحكم فيما بينهم وكانا لى عوناً على من خالفنى .
٧ - الى هوزة بن على - صاحب اليمامة :

وكتب - صلى الله عليه وسلم - كتاباً الى
صاحب اليمامة - هوزة بن على - .

واليمامة بلاد شرقى مكة .. كثيرة النخيل
.. على بعد ست عشرة مرحلة من مكة .. أى
ما يقرب من مائة وخمسين ميلاً .. وهوزة
رئيسهم .. وهم مسحيون يسمون بنو حنيفة
.. وهذا نص الكتاب :

((بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد
ورسول الله .. الى هوزة بن على :

سلام على من اتبع الهدى .. وأعلم أن دينى
سيظهر الى منتهى الخف والحافر .. فأسلم
تسلم وأجعل لك ما تحت يدك)) .

ثم ختمه بخاتمه .. وبعث به مع سليط
ابن عمرو العامرى .

وقدم سليط بكتاب رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - على هوزة .. فرحب به .. وأكرمه
بعد أن قرأ له الكتاب .. وأعطاه جائزة قيمة ..
وكساه أثواباً من نسيج هجر المشهور .

وكتب كتابا الى رسول الله قال فيه :

« ما احسن ما ندعو اليه واجمله .. وانا شاعر قومي وخطيبهم .. والعرب تهاب مكانى .. فاجعل لى بعض الامر اتعك » .

ونقلت كتب السيرة عن الواقدي : ان اركون دمشق الروحى .. من عظماء النصارى .. كان عند هوزة .. فقال له هوزة : جاءنى كتاب من النبى .. يدعونى الى الاسلام .. فلم اجه .. فقال الاركون : لم لم تجب ؟ .. قال : ضمنت بدننى .. وانا ملك قومى .. وان تبعته لم املك .

قال : لى .. والله ان اتبعته ليملكنك .. فان الخيرة لك فى اتباعه .. وانه للنبي العربى .. الذى شر به عيسى بن مريم .. وانه مكتسوب عندنا فى الانجيل :

« محمد رسول الله » (١) .

واركون هذا اسام على بد خالد بن الوليد .. فى خلافة ابي بكر .

وعاد سايط بكتاب هوزة .. الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقراه عليه .. فلما وحد فى نهايته - فاجعل لى بعض الامر اتعك - وكانه يريد للمشاركة فى النبوة او الخلافة بعده .. قال - عليه الصلاة والسلام - :

« والله لو سألنى سبابة من الارض ما فعلت .. ناد وناد ملكه » .

وكان سن هوزة مائة وخمسين عاما .

فلما انصرف - عليه الصلاة والسلام - من فتح مكة .. جاءه جبريل بان هوزة مات ..

فقال : اما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يدعى النبوة .. يقتل بعدى » .

فقتل قاتل : يارسل الله .. من يقتله ؟

قال : « انت واصحابك » .. فكان كذلك .

٨ - الى الحارث بن ابي شمر الفسائى - امير دمشق :

وكتب - صلى الله عليه وسلم - كتابا .. الى الحارث بن ابي شمر الفسائى .. وكان اميرا على دمشق .. من جهة فيصر الروم .. هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله .. الى الحارث بن ابي شمر .

سلام على من اتبع الهدى .. وآمن بالله وصدقته .. وانى ادعوك الى ان تؤمن بالله وحده .. لا شريك له .. ببقى لك ملكك » .

ثم ختمه بخاتمه .. وارسله مع شجاع ابن وهب . قال شجاع : فانتهمت فوجدته مشغولا بتهبئة الضبافة لقبصر وقصد جاء من حمص الى ابياء - بيت المقدس - حيث كشف الله عنه جنود فارس شكر الله تعالى .

قال شجاع : فاقمت على بابه يومين او ثلاثة .. فقلت لحاجه :

الى رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال حاجه : لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا .. وجعل حاجه سألنى عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وما يدعوا اليه .. فكنت احدثه فيرق .. حتى يغلبه الكاء .. ويقول :

انى قرأت فى الانجيل .. وانى اجد صفة هذا النبى بعينه .. وكنت اظنه يخرج بالشام فآراه قد خرج بارض القرظ (٢) .. فانا اؤمن به واصدقه .. وانا اخاف من الحارث بن ابي شمر ان يقتلنى .. وكان هذا الحاجب روميا اسمه - مرى -

قال شجاع : وكان بكرمنى .. وبحسن ضيافتى .. وبخبرنى بالياس من الحارث .. ويقول وهو يخاف القيصر .

قال : فخرج الحارث يوما .. فوضع التاج على راسه .. فاذن لى عليه .

(١) هذا بالنص المريح فى انجيل برنابا - وبالرمز الواضح فى باقى الاناجيل .

(٢) اى ارض العرب - والقرظ . شجر .

الأرض .. وكلمة - لا اله الا الله - تسرى مع موجات الاثير .. تملأ الدنيا بالعدل والحق والخير والسلام .. جس بها رسول الله نبض الملوك والأمراء .. ومدى استعدادهم لقبول دعوة الاسلام .. وهى تدل دلالة واضحة .. على مدى الثقة التى كان يتمتع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى قوة رسالته .. وبقينته من نصر الله له .

فأسام بسبب تلك الكتب أغلب أهل اليمن والبحرين وعمان .. وكثير من أنحاء الجزيرة العربية ..

كما اسلم نجاشى الحبشة .. واظهر المقوقس الود لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأرسل له الهدايا .

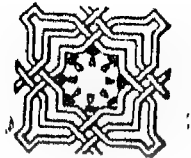
كانت ربحا كبيرا للاسلام .. علا بها شأنه .. وارتفعت مكانته السياسية بين دول العالم .. قبل ان يفتح الله لرسوله مكة .

لدفعت اليه الكتاب .. فقرأه .. ثم رمى به .. وقال : من ينتزع منى ملكى .. أنا سائر اليه .. ولو كان باليمن جثته .. على بالناس .. فلم يزل جالسا حتى الليل .. وأمر بالخيول أن تنعل .. ثم قال : أخبر صاحبك بما ترى .. وكتب الى قيصر يخبره بخبرى .. فصادف قيصر بايلياء .. وعنده دحية الكلبي .. بكتاب رسول الله الى قيصر .. فلما قرأ قيصر كتاب الحارث .. كتب اليه الا يسير اليه .. والله عنده - اى تشاغل عنه - ووافنى بايلياء .

ولما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبره .. قال « باد ملكه » .

تلك كتب ثمانية .. كتبها - عليه السلام - الى الملوك والأمراء .. شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .. بين الفتحين : فتح الحديبية .. وفتح مكة .. يدموهم فيها الى دعوة الاسلام .. فيها الهدى والنور .. وفيها الرغبة والرهبة .

ولاشك انها كانت ذات اثر بعيد المدى .. جعلت اعلام الاسلام ترفرف على كثير من بقاع



عَوْدَةٌ إِلَى الْحَرَمِ

قال عمرو بن العاص لخالده بن الوليد : يا ابا
سليمان — اين تريد ؟ قال : والله لقد استنقمت
الميسم .. وان هذا الرجل لنبي .. فاذهب فاسلم
.. فمتى متى ؟ .. قال خالد : وانا والله ما جئت
الا لاسلم .. فاصطحبنا جميعا .



عودة الى الحرم

فكان يسير الليل ويكمن النهار .. فأتى الخبر الى هوازن فهربوا .. ودخل عمر منازلهم .. فلم يلق منهم احدا .. فانصرف راجعا الى المدينة .

فقال له الدليل : هل لك في جمع من خثعم جاءوا سائرين .. وقد أجذبت بلادهم ؟ ..

فقال عمر : لم يأمرنى رسول الله بهم .. ولم يتعرض لهم .

٢ - سرية ابي بكر الصديق : الى فزارة .. ناحية ضرية .. فسبى منهم جماعة وقتل آخرين .

٣ - سرية بشير بن سعد الانصارى : الى بنى مرة - بفدك - ومعه ثلاثون رجلا .. فلحق هناك رعاء الأنعام .. فاستاق انعامهم وعاد بها .. ولكنهم ادركوه ليلا .. فبات المسلمون يرمونهم بالنبل .. حتى فنى نبل بشير واصحابه .. فولى من المسلمين من ولى .. وأصيب من أصيب .. وقاتل بشر قتالا شديدا .. ورجع القوم بأنعامهم .. واستطاع بشر ان يعود الى رسول الله .

فى العام السابع الهجرى .. تم اتصال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالملوك والأمراء - كما ذكرنا فى الموضوع السابق .. كما تمت فى نفس العام - عمرة القضاء - أول عمرة أداها رسول الله .. بعد أن صدده المشركون عن أدائها فى ذى القعدة سنة ست بالحديبية .. فخرج للقضاء مع المسلمين فى ذى القعدة سنة سبع .. فسميت لذلك - عمرة القضاء - وتسمى أيضا - عمرة القصاص - لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اقتصر من المشركين بدخول مكة فى ذى القعدة .. فى الشهر الحرام .. الذى صدوه فيه فى العام السادس .

ولكن المقام يقتضينا ان نلمح الماحة خفيفة عن خمس سرايا .. بعثها - عليه السلام - فى تلك الفترة من العام السابع .. قبل ان نعتمر معه - عليه السلام - فى عمرة القضاء .. منها ثلاث سرايا .. كانت فى شهر شعبان من العام السابع .. هى :

١ - سرية عمر بن الخطاب : الى هوازن .. فى ثلاثين راكبا .. ومعه دليل من بنى هلال ..

٤ - وفي رمضان من نفس العام السابع بعث سرية : غالب بن عبد الله الليثي - الى الميعة بناحية نجد .. تبعد قريبا من مائة ميل من المدينة .. في مائتين وثلاثين رجلا .. منهم أسامة ابن زيد .. فهجموا عليهم في ديارهم .. وقتلوا من تعرض لهم .. واستاقوا انعامهم الى المدينة .. وفي هذه السرية .. قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس .. بعد أن قال لا آله الا الله .. ولامه رسول الله على ذلك لوما شديدا .

ففي البخارى .. عن ابي ظبيان .. قال : سمعت أسامة بن زيد يقول :

فصحبنا القوم فهزمناهم .. ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم .. فلما فشيناه قال : لا اله الا الله .. فكف الانصارى عنه .. وطعنته برمحى حتى قتلتته .. فلما قدمنا بلغ النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : « يا أسامة أقتلتته بعد أن قال لا اله الا الله » ؟ قلت : كان يقولها متعوذا من القتل يا رسول الله .. فما زال يكسرها حتى تمنيت لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم .. ثم قال - عليه السلام - « الا شققت عن قلبه فتعلم اصادق أم كاذب » ؟ فقال أسامة : لا اقاتل احدا يشهد أن لا اله الا الله .

٥ - اما السرية الخامسة في العام السابع .. قبل عمرة القضاء .. فهي سرية : بشير بن سعد أيضا .. بعثه - عليه السلام - الى يمن وجناب .. وهى أرض لغطفان .. أرسله في شهر شوال .. ومعه ثلاثمائة رجل .. لتأديب جمع كبير .. أعددهم عينية بن حصن ليغير بهم على المدينة .. فلما علموا بمسير بشير اليهم هربوا .. وأصاب لهم انعاما كثيرة فغنمها .. وأسر رجلين .. وقدم بهما الى المدينة .. وأسلما على يد رسول الله .

تلك خمس سرايا بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في العام السابع .. قبل عودته الى الحرم معتمرا .

ويقول الواقدي : في العام السابع .. رد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنته زينب على زوجها ابي العاص بن الربيع .. في شهر المحرم .. أول العام .. بعد أن هاجر الى المدينة مسلما - كما قدمنا -

وفي هذا العام أيضا .. قدم حاطب بن ابي بلتعة من عند المقوقس بمارية وما معها من الهدايا .

ويقول الرواة : ان الرسول في هذه السنة .. اتخذ منبره بالمسجد .. وجعله من درجتين ومقعد .. الا ان الطبرى يقول : ان المنبر صنع سنة ثمان .

ومن حقنا الآن أن نستأنف الرحلة .. في رحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المسجد الحرام بمكة .

ففى شهر ذى القعدة سنة سبع .. خرج - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين لاداء عمرة القضاء .. التى صدره المشركون عنها في نفس الشهر من العام السابق .. وخرج معه كل من صد عن البيت في الحديبية .. لم يتخلف منهم الا من استشهد في خيبر .. أو مات خلال هذا العام .. كما خرج غيرهم .. فكان عدد المسلمين الفين .. وساقوا معهم ستين بدنة .. وحملوا السلاح والدروع والرماح .. ومعهم مائة فرس .. وهى ليست من الغزوات .. ولكن اعداد المسلمين كان خشية فدر المشركين وخيانتهم .

وقد استخلف - عليه السلام - على المدينة عوف بن الاضبط الديلى .. وقلة من قالوا انه استخلف اباهم الغفارى (١) .

ولما وصل المسلمون الى ذى الحليفة .. قدم رسول الله الخيل امامه .. بقيادة محمد ابن مسلمة .. وقدم السلاح مع بشير بن سعد وأحرموا ولبوا .. ومضى محمد بن مسلمة بالخيل الى مر الظهران .. فلقى جمعا من قريش .. فسألوه .. فأخبرهم ان رسول الله سيصل

(١) النبهانى - الانوار المحمدية .

الى هذا المكان غدا ان شاء الله .. فاتوا قريشا
فاخبروهم .. ففزعوا وخافوا .. وخرجوا الى
رعوس الجبال .

ونزل - صلى الله عليه وسلم - بمن الظهران
.. وقدم السلاح الى بطن ياجج - بكسر
الجيم - وهو موضع قريب من مكة .. واستخلف
على السلاح اوسى بن خيلى الانصارى فى مائتى
رجل .

وقدم رسول الله الهدى امامه .. الى
ذى طوى .. وخرج على راحته القصواء ..
والمسلمون متوشحون السيوف .. محدقون
برسول الله .. تدوى تلييتهم فى اجواز الفضاء
.. ويتردد صداها فى ارجاء الصحراء .. فدخل
من الثنية التى تفضى الى الحجون .. وعبد الله
ابن رواحة متوشحا سيفه .. يأخذ بزمام
راحته - عليه السلام - وهو ينشد ويقول :

خلوا بنى الكفار عن سبيله
قد انزل الرحمن فى تنزيله
فى صحف تتلى على رسوله
يارب انى مؤمن يقبله
انى رأيت الحق فى قبوله
اليوم تقرىكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقليه
ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر : يا ابن رواحة .. بين يدي
رسول الله تقول شعرا ؟ .. فقال - عليه
السلام .

« خل عنه يا عمر .. فلهى أسرع فيهم من
نضح النبال » .

وكانت قريش قد تحدثت فيما بينها .. ان
محمدا واصحابه فى عسرة وجهد وشدة .. وان
حمى يثرب قد نهكتهم .. فاصطفوا عند دار
الندوة ليروا حال المسلمين .

فتقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
مضطجعا برأده .. والاضطجاع : ان يدخل الرداء
تحت ابطه الايمن .. ويرد طرفه على منكبيه
الايسر .. فيكون المنكب الايمن مكشوقا ..

والايسر مغطى .. ثم قال : « رحم الله امرا اراهم
اليوم من نفسه قوه » ثم استلم الركن ..
وخرج يهروا .. والمسلمون يهرولون معه ..
ثم استلم الركن اليمانى .. ومشى حتى استلم
الحجر الاسود .. ثم هروا كذلك ثلاث اطواف
.. والمسلمون يطوفون معه .. ثم سعى بين
الصفاء والمروة على راحته .

وبعد فراغه نحر الهدى عند المروة .. وحلق
هناك .. وكذلك فعل المسلمون .

وامر - عليه السلام - مائتين من المسلمين
.. ان يذهبوا الى اصحابه ببطن ياجج ..
فيقيموا على السلاح .. ويأتى الآخرون فيقضوا
نسكهم .. ففعلوا .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قد بعث بين يديه جعفر بن أبى طالب الى ميمونة
بنت الحرث بن حزن العامرية .. ليخطبها اليه
.. فوكلت عن نفسها زوج أختها العباس
ابن عبد المطلب - عم الرسول - وكانت أم الفضل
زوجة العباس أختها .. فزوجها العباس رسول
الله .. وصدقها عنه أربعمئة درهم .

ولبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بمكة ثلاثة ايام .. كما هو شرط قريش فى هدنة
الحديبية .

وفى ظهر اليوم الرابع .. جاءه حويطب
ابن عبد الغرى .. وسهيل بن عمرو .. فصاح
حويطب : ننشدك العهد .. الا ما خرجت من
ارضنا .. فرد عليه سعد بن عباد : كذبت ..
لا ايم لك .. ليست بأرضك .. ولا أرض آبائك
.. فأسكتته - عليه السلام - وناداهما قائلا :
« انى قد تزوجت منكم امرأة .. فما يضركم ان
أدخل بها .. ونصنع وليمة .. فنأكل وتأكلون
معنا » ؟

فقالوا : ننشدك الله والعهد الا خرجت عنا
.. فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالرحيل .. وركب مع المسلمين حتى نزل بطن
سرف وهو مكان قريب من مكة .. وخلف ابارقع
مولاه .. ليحمل ميمونة اليه حين يمسى .. فأقام

حتى قدمت ميمونة - رضى الله عنها - ومن معها .. فبنى بها بسرف .

وجاء في البخارى من حديث البراء :
« فلما دخلها - أى مكة - ومضى الأجل - الأيام الثلاثة .. أتوا عليا - رضى الله عنه - فقالوا : قل لصاحبك اخرج عنا .. فقد مضى الأجل .. فخرج رسول الله » .

وعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمسلمين الى المدينة في شهر ذى الحجة .

وميمونة رضى الله عنها .. هى آخر امرأة تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهى آخر من توفي من أزواجه .. وقدر الله أن يكون قبر ميمونة - رضى الله عنها - بسرف - حيث بنى بها رسول الله .

وعلق مؤرخوا الغرب على هذا الحديث - زواج ميمونة - فقال « ايرفنج » فى كتابه - حياة محمد - :

« ان النبى لم يتزوج بميمونة بنت الحارث .. الا سياسة .. يريد بها استمالة رجلين قويين .. لان ميمونة كانت أرملة مسنة .. تبلغ من العمر احدى وخمسين سنة .. وهذان الرجلان هما : خالد بن الوليد ابن أخت ميمونة .. وهو فى هذا الوقت هو البطل المشهور .. الذى حارب محمدا فى غزوة أحد .. ولما أسلم سمى سيف الله .. وصديقه عمرو بن العاص - 1 هـ - وقد أسلم خالد وعمرو بن العاص بعد زواج الرسول من ميمونة مباشرة .. حيث صادف هذا الوقت عودة عمرو بن العاص من الحبشة .. بعد مبايعة النجاشى على الاسلام .. ولقائه مع خالد .. وذهابهما الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليسلما - كما ذكرنا من قبل .

ومادام الحديث قد تطرق الى اسلام خالد .. فلا يفوتنا أن نشير اليه :

فهو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن مخزوم .. وأمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية .. أخت ميمونة - زوج النبى -

كان أحد أشراف قريش فى الجاهلية .. وكانت اليه القبة واعنة الخيل .

ولما أراد الاسلام .. قدم على رسول الله .. هو وعمرو بن العاص .. وعثمان بن طلحة ابن أبى طلحة العبدري .. فلما رأهم - عليه السلام - قال لأصحابه : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » . ولنستمع الى خالد .. يروى لنا بنفسه قصة اسلامه .. كما تعودنا مع أبطال سيرتنا هذه .

قال خالد بن الوليد :

لما أراد الله - عز وجل - بى ما أراد من الخير .. قذف فى قلبى الاسلام وحضر لى رشدى .. وقلت : قد شهدت المواطن كلها على محمد .. فليس موطن أشهده الا انصرف .. وأنا أرى فى نفسى أنى فى غير شىء .. وأن محمدا يظهر .. فلما جاء لعمرة القضاء .. تغيبت ولم أشهد دخوله .. فكان أخى - الوليد بن الوليد - دخل معه .. فطلبنى فلم يجدنى .. فكتب الى كتابا .. فلذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم - اما بعد -

فانى لم أر أعجب من ذهاب رايك وعقلك عن الاسلام .. وهل مثل الاسلام يجعله أحد ؟ قد سألنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنك .. فقال : « أين خالد ؟ » فقلت يأتى الله به .. فقال : « ما مثله يجهل الاسلام .. ولو كان يجعل نهايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له .. ولقد مناه على غيره » فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة .

فلما جاءنى كتابه .. نشطت للخروج .. وزادنى رغبة فى الاسلام .. وسرنى مقالة رسول الله عنى .. ورايت فى منامى كائى فى بلاد ضيقة جدبة .. فخرجت الى بلاد خضراء واسعة .

فلما أجمعت على الخروج الى المدينة .. لقيت صفوان بن أمية .. فقلت : يا أبا وهب .. أما ترى أن محمدا ظهر على العرب والعجم .. فلو قلنا منا عليه واتبعناه .. فان شرفه شرف لنا .

فقلت : انى اشهد ان لا اله الا الله .. وانك رسول الله .. قال : « الحمد لله الذى هدانا لهذا .. قد كنت ارى لك عقلا رجوت الا يسلمك الا الى الخير » قلت : يا رسول الله .. ادع الله لى .. ومات خالد بحمص سنة ٢١ هـ - وقال وهو يموت قولته المشهورة :

« حضرت بضعا وسبعين غزوة .. وما فى جسدى موضع شبر .. الا وفيه طعنة رمح او ضربة سيف .. وها انا ذا اموت على فراشى كما يموت العير .. فلا نامت اعين الجبناء » مات رضى الله عنه - فى خلافة عمر بن الخطاب .. وعمره بضع واربعون سنة .

ومع بداية العام الثامن الهجرى .. بعد عمرة القضاء .. بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمس سرايا .. نوجزها فيما يلى .. قبل ان نواجه جيوش الروم فى غزوة - مؤته - حتى لا يفوتنا شيء .. من تلك السيرة العطرة .

١ - فبعث رسول الله ابن ابي العوجاء السلمى الى بنى سليم .. فى ذى الحجة فى السنة السابعة .. فى خمسين رجلا .. فحاصر الكفار المسلمين .. وامطروهم وابلا من النبل .. واحدقوا بهم من كل ناحية .. وقاتل المسلمون قتالا شديدا .. حتى قتل عامتهم .. واصيب ابن ابي العوجاء .. ولكنه تحامل .. حتى وصل الى الرسول .

٢ - ثم بعث غالب بن الليثي الى بنى الملوح بالكديد .. فى صفر من السنة الثامنة .. وعادت هذه السرية غائمة .

٣ - ثم بعث غالبا الليثي مرة ثانية فى نفس الشهر الى مكان مصاب اصحاب بشير بن سعد بفدك التى اشرنا اليها قبل عمرة القضاء ..

فقال : لو لم يكن يبقى غيرى ما تبعته ابدا . فقلت فى نفسى : هذا رجل قتل ابوه واخوه بيدى .. فلقيت عكرمة بن ابي جهل .. فقلت له مثل ما قلت لصفوان .. فقال مثل الذى قال صفوان .

قلت : فאתم ذكرو ما قلت لك .. قال : لا اذكره .

ثم لقيت عثمان بن طلحة ..

قلت : هذا لى صديق .. فأردت ان اذكر له .. ثم ذكرت قتل ابيه طلحة وعمه عثمان واخوته الأربعة : مسافع والحلاس والحارث وكلاب .. فانهم قتلوا كلهم يوم احد .. فكرهت ان اذكر له .. ثم قلت له : انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر .. لو صعب فيه ذنوب من ماء لخرج .. ثم قلت له : ما قلت لصفوان وعكرمة .. فأسرع الاجابة .. وواعدنى ان سبقنى اقام بمحل كذا .. وان سبقته اليه انتظرتة . فلم يطلع الفجر .. حتى التقينا .. فعدونا حتى انتهينا الى - الهدة - اسم مكان - فوجدنا عمرو بن العاص بها .

فقال : مرحبا بالقوم .. فقلنا : وبك .. قال : اين مسيركم ؟

قلنا : لدخول الاسلام .. قال : وذلك الذى اقدمنى .

وفى رواية : قال عمرو لخالد : يا ابا سليمان اين تريد ؟ قال : والله لقد استقام الميسم (١) .. وان هذا الرجل لنبى .. فاذهب فأسلم .. فمتى متى .. قال عمرو : وأنا والله ما جئت الا لاسلم .. فاصطحبنا جميعا فوصلوا المدينة .

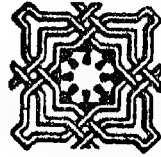
قال خالد : فلبست من صالح ثيابى .. ثم عمدت اليه - عليه السلام - فلقيت اخى .. فقال : أسرع .. فان رسول الله قد سر بقدمكم .. وهو ينتظركم .. فأسرعنا المشى .. فاطلعت عليه .. فما زال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتبسم حتى وقفت عليه .. فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق ..

(١) اى : بين الطريق وظهert الحقيقة .

ومعه مائتا مقاتل .. فأغاروا عليهم مع الصبح ..
وقتلوا منهم الكثير .. وغنموا نعما كثيرة .

٤ - ثم بعث شجاع بن وهب الأسدي ..
الى بنى عامر .. فى ربيع الأول سنة ثمان ومعه
اربعة وعشرون رجلا .. بعثهم - عليه السلام -
الى جمع من هوازن .. وامر اميرهم ان يغير
عليهم .. فكان يسير الليل .. ويكمن النهار ..
حتى اغار عليهم صباحا - بالسيء - وهو مكان
يبعد عن المدينة اربعة وعشرون ميلا .. فاصابوا
نعما كثيرة .. ساقوها الى المدينة .

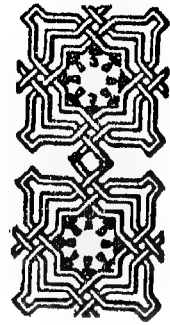
٥ - واخيرا بعث كعب بن عمير الغفارى ..
فى ربيع الأول - ايضا - من العام الثامن .. الى
- ذات اطلاق - وهى من ارض الشام .. على
حدود شرق الأردن .. ومعه خمسة عشر رجلا
.. فلقوا جمعا كبيرا .. فقاتلهم الصحابة -
رضى الله عنهم - أشد قتال .. حتى قتلوا جميعا
.. ولم ينج غير رجل جريح .. قيل انه
اميرهم .. فلما برد عليه الليل .. تحامل حتى
اتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبره
الخبر .. فشقق ذلك عليه .. وهم بارسال
جيش اليهم .. فبلغه انهم ساروا .. فتركهم .



حَرْبُ الرُّومِ

وَنَادَى رَسُولُ اللَّهِ الْجَيْشَ فَعَالَ يَوْصِيهِمْ :

« أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ .. وَبِمَنْ مَعَكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
خَيْرًا .. أَغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ كُفْرٍ بِاللَّهِ ..
لَا تَغْدَرُوا .. وَلَا نَقْلُوا .. وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا امْرَأَةً
وَلَا كَبِيرًا وَلَا فَانِيًا وَلَا مَنَعَزًا بِصُومَعَةٍ .. وَلَا تَقْرَبُوا
نَخْلًا .. وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا .. وَلَا نَهْدِمُوا بِنَاءً » .



حرب الروم

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم من دينكم ان استطعوا) (٢) .

(يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) (٢) .

ولو عدنا الى تاريخ تلك الفترة .. التي ظهر فيها الاسلام .. نجد ان الفساسة - ملوك الشام - يمثلون النصرانية في الشرق .. منذ ان عين الامبراطور « جستنيان » الحارث بن جبلة حوالى ٥٢٠ - ٥٦٩ م اميراً على جميع القبائل العربية في سوريا .. ومنحه لقب - فيلارك - يعنى امير .. ثم منحه لقب - طريق - وهو ارفع لقب في الدولة .. بعد الامبراطور .

وكان الحارث نصرانياً يعقوبياً .. حامياً للكنيسة الشرقية .. فلما مات الحارث عام ٥٦٩ م خلفه ابنه المنذر .. وساعد الروم في حربهم ضد فارس .. وذهب في عام ٥٨٠ م الى القسطنطينية

جاء الاسلام لينشئ مجتمعاً جديداً .. ويسن نظاماً سامية تفضى على النظم الفاسدة .. سواء بين العرب المشركين .. او لدى اهل الكتاب من اليهود والنصارى .

قد تبين لليهود والنصارى ان هذا هو الدين الحق .. ولكنه الحقد والحسد :

(ود كثير من اهل الكتاب او يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شئ قدير) (١) .

فاعفوا واصفحوا .. دائماً يأمر الاسلام بالتسامح والعفو والصفح .. ان الاسلام لم يحارب حبا في الحرب او السلطان .. ولكنه يحارب لتكون كلمة الله هي العليا .

واعداء الاسلام هم الذين اتخذوا الحرب وسيلة لاطفاء نوره ما وجدوا الى الحرب سبيلاً :

.. عاصمة الدولة الرومانية .. فاحتفى به
القيصر « طيباريوس » والبسه التاج .

فكان طبيعيا أن يناوئ الفسادنة الاسلام
.. ويحاربون الدعوة اليه .. لا لانه يفاير
مقيدتهم المسيحية فحسب .. بل لانه يقضى على
سلطانهم السياسى .. ونفوذهم الدينى .

وهذا ايضا هو موقف الدولة الرومانية ..
حرصا منها على سلطانها ونفوذها .. فكنيسة
القسطنطينية .. التى يتبعها كنائس الشرق
كله .. هى الكنيسة .. الارثوذكسية ..
ويسمونها الملكانية .. أو الشرقية .. ورئيسها
الاعلى هو الامبراطور .. فى مقابل الكنيسة
الكاثوليكية .. التى تعرف بالكنيسة الغربية ..
ومقرها روما ورئيسها البابا .

فليس من المعقول أن تطبق الكنيسة الشرقية
دين الاسلام .. وهو دين ينكر عقيدة التثليث ..
ويذيع فى الناس أن الله واحد احد .. فرد
صمد .. لم يلد ولم يولد .. ولم يكن له كفوا
أحد .. ولا يعترف بما لرجال الدين من سلطان
ووساطة بين العبد وخالقه .

مع أن الكنيسة الشرقية تحارب من يخالفها
فى عقيدتها من المسيحيين أنفسهم .

فى العام الثامن الهجرى ٦٢٩ م قتلوا
جميع المسلمين الخمسة عشر .. الذين كانوا فى
سرية كعب الغفارى .. وكان رسول الله قد
ارسلهم اليهم ليدعوهم الى الاسلام .. ولم
ينج منهم غير أمير السرية - كما ذكرنا من قريب

وفى السنة نفسها أُرسل النبي كتابا الى
الحارث بن أبى شهر الغسانى - كما قدمنا -
ورأينا صلفه وكبره وغروره .. حتى قال عنه -
عليه الصلاة والسلام - « باد ملكه » .

وارسل - عليه السلام بعدها .. الحارث بن
عمير الأزدي بكتاب الى ملك بصرى بالشام فلما
نزل الحارث - مؤنة - عرض له شر حبل بن
عمرو الغسانى فقتله .. ولم يقتل لرسول الله
- صلى الله عليه وسلم - رسل غيره .

وكان هذا الحادث سببا فى غزوة مؤتة .

غزوة مؤتة :

الغزوة .. هى التى يخرج فيها - عليه
السلام - بنفسه .. أما السرية أو البعث ..
فهى التى لم يخرج فيها .

ومؤتة - سماها البخارى غزوة .. مع أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يخرج
فيها .. وذلك لكثرة عدد جيش المسلمين بها .
وكانت تلك المعركة .. هى أول معركة
حارب فيها المسلمون جيشا مسيحيا .. من
اعظم جيوش العالم .. فى هذا الحين .

فى شهر جمادى الأولى .. من العام
الثامن الهجرى .. أعد رسول الله جيشا من
ثلاثة آلاف .. بقيادة مولاة - زيد بن حارثة -
وفى هذا من معانى عظمة الاسلام ما فيه .. عبد
عتيق يقود جيشا فيه جعفر بن أبى طالب ..
وفيه خالد بن الوليد .. وفيه عبد الله بن رواحة
.. وغيرهم من قادة العرب وسادتهم .

هكذا يقضى الاسلام على العنصرية ..
والفوارق الاجتماعية .. ويعلمها قوية تماث
اسماع الدنيا .. « لا فضل لعربى على عجمى ..
ولا لعجمى على عربى .. الا بالتقوى » .

أعد رسول الله - عليه السلام - هذا
الجيش لتأديب الروم .. بعد أن اجترا
شر حبل بن عمرو الغسانى - أميرهم بالشام -
على قتل رسوله الحارث بن عمير الأزدي .

وبعد أن تم اعداد الجيش .. سلم لواءه
الأبيض زيد بن حارثة .. ثم قال :

« أن أصيب زيد .. فليحمله جعفر بن أبى
طالب .. فان أصيب جعفر .. فليحمله عبد الله
ابن رواحة .. فان أصيب عبد الله .. فليتحمله
المسلمون على رجل من بينهم يحملونه قائدا
للجيش . وكان من بين الحاضرين يهودى
اسمه - النعمان - فقال : يا محمد ان كنت
سميت من سميت أصيبوا جميعا .. ثم قال
لزيد أوص يا زيد .. فأنت لا ترجع الى محمد
ان كان نبيا .. قال زيد : أشهد أنه رسول
صادق بار .

وامر زيدا بأن ينزل بجيشه الى الموقع ..
الذى قتل فيه الحارث بن عمير .. ويدعو من
فيه الى الاسلام .. فان لم يقبلوه فالقتال ..
ودائما الاسلام يبدأ بالسلم .. ولا يلجأ الى
الحرب الا مضطرا .. لاعلاء كلمة الله .

وعسكر المسلمون بالجرف .. على بعد
ثلاثة أميال .. شمال المدينة .

ولما تم اعداد الجيش .. خرج رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - يدعوهم الى ثنية الوداع
والناس معه .

وبكى عبد الله بن رواحة .. فقالوا : ما
يبكيك ؟ .. قال : أما والله ما بى حب الدنيا ..
ولا صباة بكم .. ولكنى سمعت رسول الله يقرأ
اية من كتاب الله .. يذكر فيها النار :

(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا) (١) .. فلست أدري كيف لى بالصدور
بعد الورود ؟ .. فدعا لهم المسلمون بالسلامة
والنصر .. فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى اسأل الرحمن مفسرة
وضربة ذات قرع تقذف الزيدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبد
حتى يقال اذا مروا على جدثي
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ونادى رسول الله الجيش .. فقال يوسيههم:

« أوصيكم بتقوى الله .. وبمن معكم من
المسلمين خيرا .. اغزوا باسم الله فى سبيل الله
من كفر بالله .. لا تغدروا ولا تغلوا .. ولا تقتلوا
وليدا ولا امرأة ولا كبيرا ولا فاتيا ولا منعزلا
بصومعة .. انها حكم بالغة .. وآيات ناصعة
.. وانسانية فى أسمى مراتبها .. يجب ان
تكتب بأحرف من نور فى صدور السجلات
الحربية .. لتكون شعارا بارزا .. أمام قواد
الجيوش فى جميع انحاء العالم .. فى عصرنا
الحديث .. الذى ندعى فيه أن للانسانية كرامتها

وحقوقها وأدميتها .. بينما تنتهك فيه الحرمات
.. وترتكب الموبقات .. وتداس الكرامات ..
بدون وازع من ضمير .. أو رادع من شعور .

فليدبروا تلك الوصية .. الصادرة من قلب
ملؤه الرحمة .. وملاكه الانسانية .. فلا يقتل
الصغير ولا النساء ولا الشيوخ ولا رجال الدين
.. ولا تقطع الأشجار .. ولا تهدم البيوت ولو
كانت بيوت الأعداء .

هكذا جاء قانون الاسلام .. بما يحفظ
للانسانية قدسيته .. وللاذمية كرامتها .

وانطلق جيش المسلمين بقيادة زيد بن
حارثة .. حتى نزل معان من ارض الشام ..
وتجمع الروم لحرب المسلمين .. فجمعوا أكثر
من مائة ألف من الرومان .. وانضم اليهم من
العرب جميع القبائل الموالية لهم .. من لخم ..
وجدام .. وبلقين .. وبهراء .. وبللى .

وقال بعض الرواة : ان جيش الكافرين ..
كان يقرب من مائتى ألف مقاتل .. نزلوا
باللقاء .. واللقاء من أعمال - دمشق - فيها
قرى كثيرة .. ومزارع واسعة .. يضرب بها
المثل بجودة قمحها .

وكان جيش الرومان بقيادة « اتودور » اخى
هرقل .

وبلغ المسلمين أن هرقل نفسه يقود جيشا
ضخما .. يضم مالا قبل لهم به من العدد
والسلاح والخيول وآلات الحرب .

فتزلوا بمعان ليلتين يتشاورون فى امرهم ..
وقالوا : نكتب الى رسول الله .. فنخبره بعدد
عدونا .. فاما أن يمدنا بالرجال .. واما ان
يأمرنا بأمره فنمضى له .

فوقف عبد الله بن رواحة .. وقال :

يا قوم .. والله ان التى تكرهون للتى خرجتم
تطلبون الشهادة .. ونحن لا نقاتل الناس بعدد
ولا قوة ولا كثرة .. ما نقاتلهم الا بهذا الدين ..
الذى اكرمنا الله به .. فانطلقوا فانما هى احدى
الحسينيين : اما ظهور .. واما شهادة .

فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

فانطلقوا .. حتى اذا كانوا بتخوم البلقاء ..
لقيهم جموع هرقل .. من الروم والعرب ..
ودنا منهم العدو .. فانحاز المسلمون الى مؤته
.. وهى مدينة معروفة بالشام .. على بعد
ستة عشر ميلا .. من بيت المقدس .. جنوب
شرق البحر الميت .

والتقى الجيشان .. وبالحال من نسبة رهبة
**.. ثلاثة الاف .. يقاتلون مائتى الف من اعظم
جيوش العالم فى ديارهم !!**

وتعيا المسلمون .. فجعلوا على ميمنتهم رجلا
من بنى عذرة .. يقال له - قطبة بن قتادة -
وعلى يسرتهم رجلا من الانصار .. يقال له -
عبادة بن مالك .

وقاتل المسلمون قتالا قاسيا .. فقاتل زيد
بن حارثة براية رسول الله .. على رجليه حتى
سال دمه .. واستشهد برماح القوم .

فاخذ الراية جعفر بن ابي طالب .. وظل
يقاتل بها على فرس له شقراء .. حتى ارهقه
القتال عليها .. نزل عن فرسه وعقرها .. ثم
قاتل القوم حتى استشهد .. فكان جعفر اول
من عقر فرسه فى الاسلام عند القتال .. قطعت
يمينه .. فاخذ الراية ببساره فقطعت يساره
فاحتضن الراية بعضديه .. حتى قتل وسنة
ثلاث وثلاثون سنة .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
ان الله ابد له يديه جناحين يطير بهما فى الجنة
.. قتل جعفر .. فوجدوا فى جسمه بضعا
وسبعين ضربة بسيف وطعنة برمح .

ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة .. وتقدم
بها .. وهو على فرسه .. فجعل يستنزل نفسه
ويتردد بعض التردد .. ثم نزل .. فأتاه ابن عم
له بعرق من لحم .. فقال : شد بها صلبك فقد
لقيت فى أيامك هذه ما لقيت .. فأخذها فانتش
منها نেশة .. ثم سمع وقع القتال فى الناس ..
فقال لنفسه : وانت فى الدنيا يا ابن رواحة ؟ ..
ثملقى اللحم من يده .. وتقدم بسيفه ..
فقاتل حتى استشهد .

**وهكذا استشهد الثلاثة .. الذين حددهم
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفس
الترتيب .. كما ذكر لهم قبل خروجهم .. وقد
دفن الثلاثة فى قبر واحد .**

فاستلم الراية نابت بن أقدم العجلانى ..
وهو يقول : يا معشر المسلمين .. اتفقوا على
رجل منكم .. قالوا : أنت .. قال : ما انا بفعل
.. فاتفقوا على خالد بن الوليد .

وفى الصحيح : « حتى اخذ الراية سيف من
سيوف الله » .

وذلك أول معركة يحارب فيها خالد مع
المسلمين .. حيث لم يمض على اسلامه غير ثلاثة
شهور .

استلم خالد الراية .. وقاتل قتالا مريرا ..
ابلى فيه بلاء حسنا .. فقد تفرق المسلمون بعد
قتل ابن رواحة .. فجمعهم خالد .. واستعمل
الحيلة فى انقاذ الموقف .. فجعل الميمنة مسرة
.. والميسرة ميمنة .. فظن الكفار أن المسلمين
قد جاءهم مدد من المدينة .. حيث رأوا وجوها
جديدة .. وأثخنهم خالد قتالا .. حتى انحاز
بالمسلمين .. وانحاز الكفار بجيشهم .. وعاد
بالمسلمين الى المدينة .

يقول ابن سعد : هزم المسلمون .
وفى صحيح البخارى : أن الهزيمة كانت على
الروم .

والصحيح ما ذكره ابن اسحاق : أن كل فئة
انحازت عن الأخرى .. بعد حرب دامت سبعة
أيام . وهى نصر كبير للاسلام من غير شك ..
ويكفى ثبات ثلاثة الاف .. أمام هذا الجيش
الكبير .. وكان المفروض قتلهم جميعا .

ولم يذكر ابن اسحاق غير اثنى عشر قتيل
من المسلمين - بينما لا يمكن حصر قتلى
المشركين لكثرة عددهم .

وقد أخبر النبى - صلى الله عليه وسلم -
اصحابه فى المدينة .. بما حدث فى ساحة
القتال .. قبل عودة خالد بالجيش الى المدينة
.. فبنادى فى الناس : « الصلاة جامعة » ..

ثم سعد المنبر .. وعيناه تدرقان .. وقال :

« يا أيها الناس .. باب خير .. باب خيم ..
أخبركم عن جيشكم هذا الفأزي .. أنهم أنفقوا
فلقوا العدو .. فقتل زيد شهيدا .. فاستغفروا
له .. ثم أخذ الراية جعفر .. فشده على القوم
حتى قتل شهيدا .. فاستغفروا له .. ثم أخذ
الراية عبد الله بن رواحة .. وأثبت قدميه حتى
قتل شهيدا .. فاستغفروا له .. ثم أخذ اللواء
خالد بن الوليد .. ولم يكن من الأمراء .. هو
أمير نفسه .. ولكنه سيف من سيوف الله ..
فأب نصره » .

فمن يومئذ .. سمى خالد بن الوليد -
سيف الله -

وقد أخطأ بعض الرواة - كابن هشام ..
عندنا قال :

لما دنا جيش المسلمين من المدينة .. جعل
الناس يحثون على الجيش التراب .. ويقولون :
يا فرار .. فررتم من سبيل الله .

ولكن الحقيقة إن طائفة قليلة من الجيش ..
في تلك الفزوة .. فروا لما رأوا جموع الروم ..
ومادوا إلى المدينة .. فصار أهل المدينة يقولون
لهم : أنتم الفرارون .. ولقوا تعنتنا شديدا ..
حتى أن الرجل منهم كان يجرى إلى أهل بيته
يدق الباب .. فلا يفتحون له .. ويقولون : هلا
تقدمت مع أصحابك فقتلت ؟ .. وجلس بعضهم
في بيوتهم استحياء من مواجهة المسلمين .

ولكن الرسول .. صاحب القلب الكبير ..
كان يرسل إليهم رجلا رجلا .. ويقولون لهم :
بل أنتم الكرارون أن شاء الله تعالى .

كان أول من جاء بخبر الجيش إلى المدينة -
يعلى بن أمية - فلما قدم .. قال له النبي -
عليه السلام - « ان شئت فأخبرني .. وان
شئت أخبرتك » .. قال : فأخبرني يا رسول
الله .. لأزداد يقينا .. فأخبره رسول الله الخبر
كله .. ووصف له ما كان .. فقال : والذي
بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا
.. وان أمرهم لكما ذكرت .

وعن أسماء بنت عميس - زوج جعفر بن أبي
طالب - قالت : دخل على رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يوم أصيب جعفر .. فقال :
انثنى ببني جعفر .. فأثبته بهم فشمهم وذرفت
عيناه .. فقلت يا رسول الله .. بأبي أنت وأمي
.. ما يبكيك ؟ .. أبلغك من جعفر وأصحابه
شيء .. قال : نعم - أصيبوا هذا اليوم ..
فالت فقامت أصيح .. واجتمع على النساء ..
.. وجعل - عليه السلام - يقول لى :
« يا أسماء لا تقولى هجرا .. ولا تضربى
خدا .. اللهم قدمه إلى أحسن الثواب .. واخلفه
في ذريته بأحسن ما خلفت أحدا من عبادك في
ذريته » .

وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
إلى أهله .. فقال :

« لا تغفلوا عن آل جعفر .. أن تصنعوا لهم
طعاما .. فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم » كما
قيل : أنه دخل على فاطمة .. وهى تقول :
يا عماء .. فقال : « على مثل جعفر فلتبك
البواكى » .

وبعد تلك الفزوة صلب الرومان - فروة بن
عامر الجذامي - وكان فروة عاملا للرومان
بمعان .. فأسلم .. وأرسل للنبي فرسا وعباءة
وأقمصة .. فحاول الرومان أن يردوه عن
الاسلام فأبى وحبسوه وصلبوه على ماء لهم
يقال له - عفرى - بفلسطين .. وقال شعرا :

ألا هل أتى سلمى بأن حليها

على ماء عفرى فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها

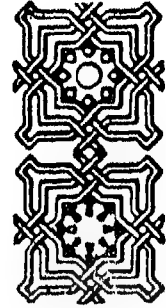
مشدبة أطرافها بالمنجل

وقال ابن اسحاق عن الزهرى :

أنهم لما قدموه ليقتلوه .. قال :

بلغ سراة المسلمين بأننى

سلم لربى أعظمى وبنانى



على مشارف الفتح الأعظم

وخرج أبو قتادة ومن معه .. فلقوا عامر بن
الأصبط فسلم عليهم بتحيةة الاسلام .. فقتله محم
بن جثامة . فانزل الله تعالى (ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلام لست مؤمنا) .. فجاء محم بن جثامة
.. فجلس بين يدي رسول الله ليستغفر له .. فقال
رسول الله « لا غفر الله لك » . حتى لا يتهاون الناس
في قتل النفس المؤمنة .

على مشارف الفتح الأعظم

فاراد أبو عبيدة أن يؤم الناس .. ولكن عمرو بن العاص .. قال له : انما قدمت على مددا وأنا الأمير .. فاطاع أبو عبيدة وقال : أن رسول الله امرنا أن نتطاول .. فانا اطيع امر رسول الله .

وفي تلك السرية .. احتلم أمير الجيش عمرو ابن العاص .. وكانت ليلة باردة .. فخاف على نفسه من الماء .. وصلى الصبح بأصحابه .. فذكروا ذلك للنبي .. فقال : « يا عمرو صليت بأصحابك وانت جنب » ؟ .. فأخبره بالذي منعه من الاغتسال .. وقال : انى سمعت الله يقول : (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيمًا) (١) .

فضحك - عليه الصلاة والسلام - ولم يقل شيئاً .

وسار الجيش .. حتى وطئ بلاد قضاعة .. فدوخها .. حتى اتى الى أقصى بلادهم .. والتقوا هناك جميعاً .. فحمل عليهم المسلمون .. فهربوا في البلاد وتفرقوا .

لم يحصل بعد - مؤته - في العام الثامن الهجرى معارك ذات بال .. وانما بعث - عليه السلام - أربع سرايا .. قبل فتح مكة :

اولاها : « سرية ذات السلاسل » . بقيادة

عمرو بن العاص .

وذات السلاسل موقع على بعد عشرة ايام

من المدينة .

ففى جمادى الآخرة .. سنة ثمان .. بلغه أن جميعاً من قضاعة .. قد تجمعوا للاغارة على المدينة .. فبعث عمرو بن العاص .. وعقد له لواء أبيض .. وجعل معه راية سوداء .. بعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار .. ومعهم ثلاثون فرساً .

فساروا ليلاً .. وكمثوا نهارة .. فلما قرب عمرو منهم .. بلغه أنهم كثيرو العدد .. فأرسل الى رسول الله يستتمده .. فأرسل اليه أبا عبيدة بن الجراح .. وبعث معه مائتين .. منهم أبو بكر وعمر .. وأمره أن يلحق بعمرو .. وان يتحدا ولا يختلفا .

(١) ٢٩ - النساء .

وذكر ابن اسحاق .. انهم نزلوا .. على ماء بجدام .. يقال له - السلسل - قال : وبذلك سميت ذات السلاسل .

وثانيها : « سرية الخبث » بقيادة ابي عبيدة بن الجراح .

وسماها البخاري : « سرية سيف البحر » .. وكانت في رجب في العام الثامن . بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى حى من جهينة .. مما يلي ساحل البحر .. وبينها وبين المدينة خمس ليال .

خرج ابو عبيدة في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والانصار .. منهم عمر بن الخطاب .. فاصاب المسلمين فيها جوع شديد .. حتى اكلوا - الخبث - وهو ورق شجر السلم .. فخرج لهم حوت من البحر .. فاكلوا من لحمه .

وجاء في الصحيحين عن جابر .. قال :

خرجنا ونحن ثلاثمائة .. نحمل زادنا على رقابنا .. ففنى زادنا .. حتى كان الرجل يأكل ثمرة تمر .. وابتاع قيس بن سعد جزورا نحرها لهم .. واخرج الله لهم من البحر دابة تسمى - العنبر - فاكلوا منها وتزودوا ورجعوا .. ولم يلقوا كيدا .

وزاد في رواية : « فلما قدمنا المدينة .. اتينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرنا ذلك له .. فقال : « هو رزق اخرج الله لكم .. فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا » قال : فارسلنا الى رسول الله منه فاكل .

وثالثها « سرية خضرة » .. بقيادة ابي قتادة الانصارى . وخضرة ارض - محارب - بنجد بعثها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

في شعبان من العام الثامن .. في خمسة عشر رجلا الى غطفان .. فقتلوا من برز منهم .. وسبوا سبيا كثيرا .. واستاقوا نعما وفيرة .. فكانت الابل مائتي بعير .. والغنم الفى شاة .. وغابوا عن المدينة خمس عشرة ليلة .

اما السرية الاخيرة فهي « سرية اضم » بقيادة ابي قتادة ايضا .

واضم على بعد اربعة وعشرين ميلا من المدينة .. ارسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ثمانية رجال .. في اول شهر رمضان من السنة الثامنة .

وذلك انه - عليه السلام - لما هم ان يفروا اهل مكة .. لتقضهم عهد الحديبية - كما سندر قريباً - بعث قتادة .. ليوجه نظر الناس اليه .. حتى يفاجيء قريشا على غير استعداد منهم لحربه ..

وخرج ابو قتادة .. ومن معه .. فلقوا عامر ابن الاضبط .. فسلم عليهم بتحية الاسلام .. فقتله محلم بن جشامة .. فأنزل الله تعالى :

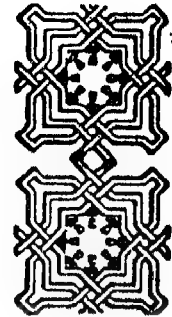
« ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا » (١) .

فجاء محلم بن جشامة في بردين .. فجلس بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستغفر له .. فقال له - عليه السلام - « لا غفر الله لك » زجرا له .. حتى لا يتهاون الناس في قتل النفس المؤمنة .. فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه .. فما مضت سبع ليال حتى مات .. فلفظته الأرض .. ثم عادوا به .. فلفظته الأرض عدة مرات .. فالتقى بين جبلين .. وجعلوا عليه الحجرة الثقيلة .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ان الأرض لتقبل من هو اشر منه .. ولكن الله اراد ان يريكم آية في قتل المؤمن »

الفتح الأعظم



فاخذ - عليه الصلاة والسلام - بعضا منى الباب
.. وهم تحتته .. وقال : ((لا اله الا الله وحده
لا شريك له .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وهزم
الاحزاب وحده .. الا نل مائره او دم او مال يدعى
فهو تحت قدمي هاتين .. الا سدانة البيت وسعابة
الحاج .. الا وقتل الخطا مثل العبد - الس-وط
والعصا - ففيه الدية مغالطة مائة من الابل .. اربعون
منها في بطونها اولادها .

يا معشر قريش .. ان الله قد اذهب عنكم غرور
الجاهلية .. وتعظيها الآباء .. الناس من آدم وادم
من تراب « .

الفتح الأعظم

.. حتى قتلوا من خزاعة أكثر من عشرين رجلا
غيلة .. وهم عند ماء - الوثير - ليلا .
وبهذا نقضوا عهدهم مع رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - .

فخرج عمرو بن سالم الخزاعي - سيد
خزاعة - حتى قدم المدينة .. ودخل على النبي
وهو في المسجد بين أصحابه .. وقال :

يارب انى ناشد محمدا
حلف ابينا واييه الاتلدا
قد كنتموا ولدا وكنا والدا
ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصر ابا
وادع عباد الله ياتوا مددا
في فيلق كالبحر يجرى مزبدا
ان فريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تدعو احدا
هم بيتونا بالوثير هجدا
وقتلونا ركما وسجدا

حقا ان فتح مكة .. هو الفتح الأعظم ..
بصر الله به عبده .. واعز جنسده .. وحفظ بيته
.. وثبت دينه .. به تحطمت الأصنام .. وعلت
كلمة الرحمن .. وزلزلت اركان الشرك .. وتلاشت
اعاصير التنسك .. وبعده دخل الناس في دين
الله أفواجا .

وقد تركنا حول مكة في عام - صلح
الحديبية - قبيلتين كبيرتين .. كانت بينهما
حروب وتارات .. هما بنو بكر وخزاعة .. دخلت
بنو بكر في عهد فريش وعهدهم .. ودخلت خزاعة
في عهد محمد وعقده فقد كان من شروط الحديبية
.. ترك الحرية لقبائل العرب .. من شاء منهم
الدخول في عهد فريش دخل .. ومن شاء
الدخول في عهد محمد دخل .

ولكن لا وفاء لشرك .. فقد عدت بنو بكر على
خزاعة .. وساعدت فريش حلفاءها بالسلاح ضد
خزاعة حلفاء محمد .. واشترك كثير من رجال
فريش مع بنو بكر في الحرب سرا .. منهم :
صفوان بن أمية .. وعكرمة بن أبي جهل ..
وشيبة بن عثمان .. وسهيل بن عمرو .. وغيرهم

وقال : قتلنا قريش ونحن مسلمون .

فقال - عليه الصلاة والسلام - « نصرت يا عمرو بن سالم » ودمعت عيناه .

وفي بعض الروايات : قام رسول الله وهو يجر رداءه .. ويقول :

« لانصرت ان لم انصركم بما انصر به نفسي » .. ورأى سحلة في السماء .. فقال :

« ان هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب » .

وتقول عائشة - رضى الله عنها - : لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غضب مما كان من شأن بنى كعب .. غضبا لم أره غضبه من زمان .

ثم قال لعمرو واصحابه .. وكانوا نحو الاربعين راكبا من خزاعة :

« ارجعوا وتفرقوا في الاودية » .

ولعله - عليه السلام - كان يقصد بتفرقهم اخفاء امر مجيئهم .

كما خرج بديل بن ورقاء .. في نفر من خزاعة .. حتى قدموا على رسول الله في المدينة فأخبروه بما اصابهم من بنى بكر بمساعدة قريش ونقضهم العهد .. فطلب منهم العودة الى مكة .. واخفاء امرهم .

ثم قال للناس : « كأنكم بابى سفيان قد جاءكم ليشد العقد .. ويريد في المدة .. وصدقت نبوءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ..

أبو سفيان يفاوض :

وقد خرج أبو سفيان مبعوثا من قريش .. الى رسول الله .. بعد أن أحسوا بخطئهم في نقض العهد وخافوا مما صنعوا .. ولقى أبو سفيان - بعسفان - بديل بن ورقاء .. وهو قادم من المدينة .. فقال له : من أين أقبلت يا بديل ؟ .. قال : سرت في خزاعة .. في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي .. قال : أو ما أتيت محمدا ؟ .. قال : لا .

ولكن بعد عودة أبى سفيان من رحلته .. عمد الى مبرك ناقة بديل .. فأخذ من بعدها .. وفته بين أصابعه .. فعرف فيه اثر نوى بلح المدينة .. فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمدا .. وتلك من فراصة العرب .

واستمر أبو سفيان في طريقه الى المدينة .. بعد أن ترك بديلا عند عسفان .. فلما قدمها .. دخل على ابنته حبيبة - أم المؤمنين - وأراد أن يجلس على فراش رسول الله .. لكنها اسرعت فطوته عنه .. فقال : يا بنية .. والله ما أدري .. أرغبت بى عن هذا الفراش .. أم رغبت به عني ؟ .. قالت : بل هو فراش رسول الله .. وأنت مشرك نجس .. ولا أحب أن تجلس على فراش رسول الله .. قال : والله لقد أصابك بعدى شر .. فقالت : بل هدى الله تعالى للاسلام .. وأنت تعبد الحجر .. الذى لا يسمع ولا يبصر .. وأعجا منك يا أبت .. وأنت سيد قريش وكبيرها !! .. فقال : انا أترك ما كان يعبد آتائى .. وأتبع دين محمد ؟ .

ثم خرج .. حتى أتى رسول الله .. فكلمه في تجديد العقد .. وزيادة مدة الهدنة .. فأعرض عنه - عليه السلام - ولم يرد عليه بشيء .

فذهب الى أبى بكر .. ليكلم رسول الله في هذا .. فقال : ما انا بفاعل .

ثم أتى عمر بن الخطاب .. فكلمه .. فقال عمر : أنا اشفع عند رسول الله ؟ .. فوالله لو لم أجد الا الدر .. لجاهدتكم به .

ثم خرج فدخل على أبى بن أبى طالب .. وعنده فاطمة - بنت رسول الله - وانه الحسن .. وهو غلام يدب بين يديهما .. فقال : يا على .. انك أمس القوم بى رحما .. وإنى جئت في حاجة .. فلا أرجعن كما جئت خائبا .. فاشفع لى الى صهرك .. فقال : ويحك يا أبا سفيان .. والله لقد عزم رسول الله على امر ما نستطيع أن نكلمه فيه .

فالتفت الى فاطمة .. فقال : يا بنت محمد .. هل لك أن تأمرى ابنك هذا فيجهر بين الناس

.. فيكون سيد العرب .. الى آخر الدهر ؟
قالت : والله ما بلغ اننى ذلك ان يجير بين الناس
.. وما يجير احسد على رسول الله .. قال :
يا ابا الحسن .. انى ارى الامور .. قد اشدت
على .. فانصحنى .. قال : والله ما أعلم لك
شيئا يغنى عنك شيئا .. ولكنك سيد بنى كنانة
.. فقم فاجر بين الناس .. ثم الحق بأرضك ..
قال : او ترى ذلك مغنيا عنى شيئا ؟ .. قال على :
لا والله ما اظنه .. ولكن لا اجد لك غير ذلك .

فقام أبو سفيان في المسجد .. فقال : ايها
الناس .. انى قد أجرت بين الناس .. ثم ركب
بعيره فانطلق .

وقد ظلم كتاب الفسرب انفسهم .. عندما
قالوا : ان اتفقا سربا .. حصل بين محمد وبين
أبي سفيان لفتح مكة سلما .

لم يحدث هذا .. فنحن نرى ابا سفيان ..
لما رجع الى قومه .. وسأله : ما وراءك ؟ ..
قال : جئت محمدا .. فكلمته .. فوالله ما
رأيت شيئا .. ثم جئت ابن ابي فحافة .. فلم
اجد فيه خيرا .. ثم جئت ابن الخطاب ..
فوجدته ادنى العدو .. ثم جئت عليا .. فوجدته
الين القوم .. وقد اشار على شىء صنعته ..
فوالله ما ادرى هل يغنى ذلك شيئا .. ام لا ؟

قالوا وبم امرك ؟ .. قال امرنى ان اجير بين
الناس .. ففعلت .

قائلا : فهل اجاز ذلك محمدا ؟

.. قال : لا .

قالوا : وبلك .. والله ما زاد الرجل على ان
لعب بك .. فما يغنى عنك ما قالت .

قال : والله ما وجدت غير ذلك .

كما ظلم كتاب الغرب ايضا انفسهم ..
لما ادعوا ان رسول الله .. كان يتحين الفرص
لفتح مكة .. وانه احتج بالاعتداء على خزاعة ..
فتظاهر بالغضب .. وتوعد قريشا بالثار .

وتلك مغالطة منطقية .. فاعتداء نبي بكر
على حلفائه المسلمين .. وقتلهم اكثر من عشرين
من خزاعة .. نقض صريح للعهد .. وكيف

لا بغضب .. والقتلى مسلمون .. وهم
حلفاؤه .. وفدايت وفودهم نستنصره .. وهو
من هو .. فى الوفاء بالعهد ؟ .

الاعداد للخروج :

أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالجهاز الخروج .. أمر أهله أن يجهزوه ..
فدخل أبو بكر على ابنته عائشة .. وهى تحرك
بعض جهاز الرسول ..

فقال : اى نية .. هل امركم رسول الله ان
يجهزوه ؟ ..

قالت : نعم .. فتجهز يا ابنى ..

فقال : فأين ترينه يربد ؟ .. قالت : والله
ما ادرى .

وبدا - عليه السلام - يستشير اصحابه
سرا .. فاخبر ابا بكر وعمر .. انه يريد قريشا
.. فاشار ابو بكر .. بعدم السير اليهم .. او
حربهم .. وقال : هم قومك يا رسول الله .

ولكن عمر قال : افعل يا رسول الله .. هم
راس الكفر .. زعموا انك ساحر .. وانك كذاب .
وذكر له كل سوء كانوا يقولونه عليه .. ثم قال :
وايم الله لا تلل العرب حتى يذل اهل مكة .
فعندئذ ذكر رسول الله ان ابا بكر كابراهيم ..
وكان فى الله الين من اللين .. وان عمر كنوح ..
وكان فى الله اشد من الحجر .. وان الامر امر
عمر .

ثم امر الناس بالجهاز .. واخفى عنهم الجهة
التى يريدونها .. وارسل الى اهل البادية .. ومن
حواله من المسلمين فى كل الجهات .. يقول لهم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .. فليحضر
رمضان بالمدننة » .. فقد كان الوقت فى اول
رمضان .. من العام الثامن للهجرة .. ثم قال :

« اللهم خذ على اسماءهم وابصارهم فلا يرونا
الا بغتة .. ولا يسمعون بنا الا فلتة » .

وقد حصل موقف غريب من حاطب بن ابي
بلتعمة .. وحاطب هو رسول الله الى المقوقس
عظيم القبط فى مصر .. وهو الذى اسلمت السيدة

مارية واختها سيرين على يديه .. وحضر بهما الى رسول الله ..

فقد كتب حاطب كتابا الى قريش .. يخبرهم فيه ان رسول الله سيفزوهم .. وارسل الكتاب مع امرأة استأجرها بعشرة دنائير .. وكساها بردا .. وقال لها : اخفيه ما استطعت .. ولا تمرى بالطريق العام .. فقد جعل الرسول فيه حراسا ..

فجعلت الكتاب في ضفائرها .. ثم خرجت به .. وسلكت طرقا غير مطروقة ..

ونزل خبر السماء .. بخبر محمدا - صلى الله عليه وسلم - بما صنع حاطب .. فبعث على ابن ابي طالب والزيبر .. وقال لهما : « ادركا امرأة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتععة الى قريش .. يحذرهم مما عزمنا عليه .. فخذوه منها واخلوا سبيلها .. وارشدوهم الى طريقها .. فادركاها بمكان اسمه - الخليقة - فاستنزلاها .. وبحثا عن الكتاب في رحلها فلم يجدا شيئا .. فقال لها على - كرم الله وجهه - اني احلف بالله .. ما كذب رسول الله .. ولا كذبنا .. ولنخرجنا لنا هذا الكتاب .. او لنكشفنك .. فلما رأت الجد منه .. قالت : اعرضنا عنى .. فاعرضنا عنها .. فحلت ضفائرها .. فاستخرجت الكتاب منها ..

فدفعته الى على .. الذى اوصله الى رسول الله .. فوجد الكتاب موجها الى ثلاثة من زعماء قريش : سهيل بن عمرو .. وصفوان بن امية .. وعكرمة بن ابي جهل .. ونصه - اما بعد -

« يا معشر قريش .. فان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جاءكم بجيش عظيم .. يسير كالسيل .. فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله .. وانجز له وعده .. فانظروا لانفسكم .. والسلام » . وواضح ان فيه افشاء لسر امر رسول الله بكتمانه .. وسأل ربه ان يعمى ايضا ابصار قريش .. ويصم اذانهم عنه .

فاستدعى - عايه السلام - حاطبا .. وقال له : ما حملك على هذا ؟ ..

فقال : يا رسول الله .. اما والله انى لمؤمن بالله ورسوله .. ما غيرت ولا بدلت .. ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من اصل ولا عشيرة .. ولى بين اظهرهم ولد واهل .. فصانعتهم عليهم لتكون يدا لى عندهم .

فقال عمر : يا رسول الله دعنى اضرب عنقه .. فان الرجل قد نافق .. فقال - عليه السلام - « وما يدريك يا عمر .. لعل الله قد اطلع الى اصحاب بدر يوم بدر .. فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وكان حاطب من اهل بدر .

فدرفت عينا عمر .. وقال : الله ورسوله اعلم .. فانزل الله فى حاطب :

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة .. وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الى قوله تعالى (ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير) (١) .

لبنى نداء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من حوله من العرب : اسلم ونفار ومزينة وجهينة واشجع وسليم .. فحضروا الى المدينة .. واستجابوا لرسول الله فى الخروج معه .

فخرج صائما .. والمسلمون صائمون معه .. فى عصر اليوم العاشر من رمضان فى السنة الثامنة - اول يناير سنة ٦٣٠ م .

لم يتخلف عنه أحد من المهاجرين والانصار .. فكان من المدينة وحدها عشرة آلاف .. ومن اهل البادية الفان .. فصار عدد الجيش فى اغلب الروايات اثنى عشر الفا . وان كانت السيرة الحلبية قد ذكرت عددا اقل من هذا .. وكان عدد الخيل الفا .

واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن خاف الغفارى .

غير أن الحافظ الدمياطى يقول انه استخلف
عبد الله بن أم مكتوم .

وخرج معه - عليه الصلاة والسلام من نسائه :
أم سلمة وميمونة - رضى الله عنهما .. ولم
يزل رسول الله صائما .. حتى وصل بأصحابه
الى الكديد بين عسفان وأميج .. فأفطر رحمة
بالمسلمين .. وقد رأى مشقتهم فى الصيام ..
فأستوى على راحلته بعد العصر .. ودعا بأناء
فيه ماء .. وقيل فيه لبن .. فشرب ثم ناوله
لرجل بجانبه فشرب .. فقيل له بعد ذلك : ان
بعض الناس صام .. ولأنه قال للصحابة لما دنوا من
العدو : « انكم قد دنوتم من عدوكم .. والفطر
اقوى لكم » .. ولم يزل رسول الله يفطر حتى
انتهى شهر رمضان .

ثم جعل لكل قبيلة راية تضمها .. أعطى
س عليه السلام - لبنى سليم لواء وراية .. ولبنى
غفار راية .. ولأسلم لواءين .. ولبنى كعب
راية .. ولزينة ثلاثة ألوية .. ولجهينة أربعة
الوية .. ولجماعة أسلموا من بكر لواء ..
ولاشجع لواءين .

وبلاحظ ان الزحف كان سريعا ..
وصل الظهران فى سبعة ايام .. وبين الظهران
ومكة مرحلة واحدة .

نزل بها وقد أخفى الله نباه عن قريش .. وهم
وجلون خائفون .

وكان العباس - عم النبى - قد خرج بأهله
وعياله مسلما مهاجرا .. فلقي رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فى الجحفة .. وكان قبل
ذلك مقيما بمكة على سقايته .. والنبى عنه
راض .

وممن لقي الرسول ايضا فى الطريق ..
أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب .. ابن عم
رسول الله وأخوه من رضاع حليلة السعدية ..
ومعه ابنه جعفر .

وكان أبو سفيان هذا صديقا له - عليه
السلام - قبل الرسالة .. فلما بعث عاداه

وهجاه .. فقد كان شاعرا مطبوعا .. هجا رسول
الله .. وعارضه حسان بن ثابت بقوله :

الا ابلغ ابا سفيان عنى
مغلغلة فقد برح الخفاء
هجوت محمدا فأجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجراء

وقالوا : يشبه النبى - صلى الله عليه
وسلم - أربعة :

جعفر بن أبى طالب .. والحسن بن على ..
.. وقثم بن العباس .. وأبو سفيان بن الحارث

لقى أبو سفيان بن الحارث رسول الله فى
الطريق قبل مكة .. ومعه ابنه جعفر .. ومعه
ايضا عبد الله بن أمية المخزومي بن عاتكة بنت
عبد المطلب - عمه الرسول - لقوه - عليه
السلام - « بنىق العقاب » بين مكة والمدينة ..
فالتمسا الدخول عليه .. فكلمته أم سلمة -
رضى الله عنها - فيهما .. قالت : يا رسول الله
.. ابن عمك وابن عمتك .. قال : « لا حاجة لى
بهما .. أما ابن عمى فقد هتك عرضى .. وأما ابن
عمتى فهو الذى قال بمكة ما قال » .. يعنى
قوله له قبل الهجرة : والله لا آمنت بك حتى
تتخذ سلما الى السماء .. فتعرج فيه وأنا انظر
.. ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان
الله أرسلك .

فقالت له أم سلمة : يا رسول الله .. لا يكن
ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك .

فلما خرج اليهما الخبر بذلك .. قال أبو
سفيان : والله لياذن لى .. أو لأخذن بيد ابنى
هذا .. ثم لنذهبن فى الأرض - حتى نموت
عطشا وجوعا .. فرق لهما رسول الله .. وأذن
لهما .. فقال على لأبى سفيان ابن عمه : ادخل
عليه من قبل وجهه .. وقل له ما قال أخوة
يوسف ليوسف :

(تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين)
.. فانه لا يرضى ان يكون احد احسن منه - قولا
.. ففعل ذلك أبو سفيان .

فقال - عليه الصلاة والسلام - (لا تشرب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين) ثم قال : « رحم الله من علمك » .. فاسلما ..
وانشد ابو سفيان مرتجلا :

لعمرك انى حين احمل راية
لتقلب خيل اللات خيل محمد
لكالمذبح الحيران اظلم ليله
فهذا اوانى حين اهدى فاهتدى
هدانى هاد غير نفسى ودلى
على الله من طردته كل مطرد
فحضر رسول الله صدره وقال : « انت
طردتنى كل مطرد » ؟

وحسن اسلامه بعد ذلك :
ويقال : انه ما رفع رأسه الى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - منذ اسلم حياء منه ..
وكان رسول الله يحبه .. وشهد له بالجنة ..
وقال ارجو ان يكون خلفا من حمزة ..
ولما حضرته الوفاة .. قال : لا تبكوا على ..
فوالله ما نطقت بخطيئة منذ اسلمت ..
اسلام ابى سفيان :

ولنعد الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - وقد نزل بجند الله في الظهران على مرحلة
من مكة .. فامر الناس ان يوقدوا النيران ..
فاوفدوا عشرة الاف نار .. وجعل على الحرس
عمر الخطاب ..

وركب العباس تلك الليلة .. بقلعة رسول الله
البيضاء .. وخرج يلتمس احدا يخبر قريشا
ليخرجوا فيستامنوا رسول الله قبل ان يدخل
مكة عنوة ..

وفي نفس الوقت خرج ابو سفيان بن حرب
.. وحكيم بن حزام .. وبديل بن ورقاء من مكة
يتلصصون الاخبار .. فقد استولى الرعب على
قلوب قريش كلها .. خوفا من اغارة المسلمين
عليهم .. وسار ابو سفيان وصحبه .. حتى
اشرفوا على مر الظهران من بعد .. وراوا نيران
المسلمين ولتستمع الى العباسي - رضى الله عنه
.. يحكى لنا ما حصل في تلك الليلة :

يقول العباسي :
والله انى لأسير على بقلعة رسول الله ..
اذ سمعت كلام ابى سفيان .. وبديل بن ورقاء
.. وهما يتراجعا .. وابو سفيان يقول :
ما رايت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا .. ويقول
بديل : هذه والله خراعة خمشتها الحرب ..
فيفول ابو سفيان : خراعة اقل واذل من ان تكون
هذه نيرانها وعسكريها .. قال العباسي : فعرفت
صوته .. فقلت : ابا حنظلة لا .. فعرف صوتي
.. فقال : ابا الفضل ؟ .. قلت : نعم .. قال :
مالك فذاك ابى وامى ؟ .. قلت : هذا رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - في الناس .. واصباح
قريش والله .. قال : فما الحيلة .. فذاك ابى
وامى .. قلت : والله لئن ظفرك ليضربن
عنقك .. فاركب في عجز هذه البغلة .. حتى ابنى
بك رسول الله .. فاستامنك لك .. فركب
خلفى .. ورجع صاحبا ..

قال : فجئت به .. فكلما مرت به على نار
من نيران المسلمين .. قالوا : من هذا ؟ .. فاذا
راوا بقلعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وانا عليها .. قالوا : عم رسول الله على بقلته ..
حتى مررت بنار عمر بن الخطاب .. فقال : من
هذا ؟ .. وقام الى .. فلما راي ابو سفيان على
عجز الدابة .. قال : ابو سفيان عدو الله ؟ ..
الحمد لله الذى امكن منك بغير عقد ولا عهد ..
ثم خرج يشتد نحو رسول الله .. وركضت
البغلة فسبقت .. فاقتحمت عن البغلة ..
فدخلت على رسول الله ودخل عليه عمر ..
فقال : يا رسول الله .. هذا ابو سفيان ..
فدعنى أضرب عنقه .. فقلت : يا رسول الله ..
ابى قد اجرته .. ثم جلست الى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فاخذت براسه .. وقلت
في نفسى : والله لا يتاجيه الليلة رجل دونى ..

فلما اكثرت عهرا في شأن ابى سفيان .. قلت :
مهلا يا عمر .. فوالله لو كان من بنى عدى بن
كعب .. ما قلت هذا .. ولكنك عرفت انه من
بنى عبد مناف .. فقال عمر : مهلا يا عباس ..
فوالله لاسلامك يوم اسلمت .. كان احب الى

من اسلام الخطاب لو اسلم .. وما بى الا انى
قد عرفت ان اسلامك كان احب الى رسول الله
من اسلام الخطاب لو اسلم .

فقال - عليه السلام - اذهب به يا عباس
الى رحلك .. فاذا أصبحت فاتنى به .. فذهبت
به الى مرحلى .. فبات عندى .. فلما أصبح
غدوت به الى رسول الله .. فلما رآه رسول الله
.. قال : « ويحك يا ابا سفيان .. ألم يأن لك
ان تعلم انه لا اله الا الله ؟ » قال : بأبى انت
وامى .. ما احلمك واكرمك واوصلك .. والله
لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره .. لقد
اغنى عنى شيئا بعد .

قال : « ويحك يا ابا سفيان .. ألم يأن لك
ان تعلم انى رسول الله » ؟ .

قال : بأبى انت وامى .. ما احلمك واكرمك
واوصلك .. اما هذه والله فان فى النفس منها
حتى الآن شيئا .

فقال له العباس : ويحك .. اسلم واشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله .. قبل
ان تضرب عنقك .

فشهد شهادة الحق .. فاسلم .

قال العباس : قلت يا رسول الله .. ان ابا
سفيان رجل يحب الفخر .. فاجعل له شيئا .
قال : « نعم .. من دخل دار ابى سفيان
فهو آمن .. ومن اطلق عليه بابه فهو آمن ..
ومن دخل المسجد فهو آمن » .

فلما ذهب لينصرف .. قال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - يا عباس .. احبسه
بمضيق الوادى .. عند حطم الجبل .. حتى
تمر به جنود الله فيراها .. ففعل .

فمرت به القبائل على راياتها .. كلما مرت
به قبيلة قال : يا عباس .. من هذه لا فأقول :
سليم .. فيقول : مالى وسليم .. ثم تمر به
القبيلة .. فيقول : يا عباس .. من هؤلاء ؟

فأقول : مزينة .. فيقول : مالى ولمزينة .. ثم
تمر به غفار وجهينة .. حتى مرت به القبائل
كلها .. ما تمر قبيلة الا سألنى عنها .. فاذا
اخبرته .. قال : مالى ولبنى فلان . حتى مر به
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى كنيسته
الحصراء .. فيها المهاجرون والانصار .. لا يرى
منهم الا الحدق من الحديد .. قال : : سبحان
الله يا عباس .. من هؤلاء ؟ .. قلت : هذا
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى المهاجرين
والانصار .. قال : ما لاحد بهؤلاء قبل ولاطاته ..
ثم قال : والله يا ابا الفضل .. لقد أصبح ملك
ابن احيك اليوم عظيما قلت : يا ابا سفيان انها
النبوة .. قال : فنعم اذا .. قلت : النجاء الى
قومك يا ابا سفيان .

وكانت راية الانصار مع سعد بن عباد ..
فلما مر بأبى سفيان .. قال : اليوم يوم الملحمة
.. اليوم تستحل الحرمه .. اليوم اذل الله
قريشا .

فلما حاذى رسول الله ابا سفيان .. قال :
يا رسول الله .. ألم سمع ما قال سعد ؟ ..
قال : وما قال ؟ .. فقال : قال كذا وكذا .

فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول
الله .. ما نأمن ان يكون لسعد فى قريش صولة
.. فقال رسول الله : « بل اليوم يوم الرحمة ..
يوم تعظم فيه الكعبة .. اليوم اعز الله فيه
قريشا » .

ثم اردى الى سعد فنزع منه اللواء .. ودفعه
الى ابنه قيس بن سعد .

ومضى ابو سفيان .. حتى اذا جاء قريشا ..
صرخ بأعلى صوته :

يا معشر قريش .. هذا محمد قد جاءكم
فيما لا قبل لكم به .. فمن دخل دار ابى سفيان
فهو آمن .

فقامت اليه زوجته .. هند بنت عتبة ..
فاخذت بشاربه .. فقالت :

اقتلوا الحميت الدسم الاحمش الساقين (١)
.. قبح من طليعه قوم (٢) .

(١) الحميت . وفى السمن . الاحمش : الشديد اللحم .. تشبهه بالزق لسمنه .

(٢) طليعة القوم : حارسهم .

قال : ويلكم .. لا تغرنكم هذه عن انفسكم ..
فانه قد جاءكم مالا قبل لكم به .. فمن دخل دار
ابى سفيان فهو آمن .

قالوا : فانتك الله .. وما تغنى عنا دارك ؟
قال : ومن اغلق عليه بابه فهو آمن .. ومن
دخل المسجد فهو آمن .

فتفرق الناس الى دورهم .. والى المسجد .
دخول مكة :

لما وصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى ذى طوى .. وقف على راحلته معتجرا ..
يعنى معتما - بشقة برد حبرة حمراء .. وطاقا
راسه - حمدا لله -

روى البخارى .. عن عبد الله بن عمر -
رضى الله عنه - : انه صلى الله عليه وسلم - اقبل
يوم الفتح .. من اعلى مكة .. على راحلته -
القصواء .. مردفا اسامة بن زيد خلفه .. ودخل
واضعاً راسه الشريف على راحلته - تواضعا لله
تعالى - حين رأى ذلك الفتح العظيم .. وكثرة
المسلمين .. وهو يقول « اللهم ان العيش عيش
الآخرة » معتجرا بشقة برودة حيرة حمراء .. وكان
دخوله يوم الاثنين .. العشرين من رمضان في
العام الثامن للهجرة .. ولواؤه ابيض .. ورايته
سوداء .. تسمى - العقاب - وكانت من برد
هائشة .. وهى التى كانت بخيبر .. وقد اغتسل
- عليه الصلاة والسلام - لدخول مكة .

وفرق رسول الله بجيشه .. من ذى طوى
.. امر الزبير بن العوام على المهاجرين .. وامره
ان يدخل من كداء .. باعلى مكة .. وامره ان
يغزو رايته بالحجون .. ولا يبرح حتى ياتيه .

وامر خالد بن الوليد .. فى قبائل قضاعة
وسليم وغيرهم .. وامره ان يدخل من اسفل
مكة .. وان يغزو رايته عند ادنى البيوت .

وامر سعد بن عباد .. فى كتيبة الانصار ..
فى مقدمة رسول الله .

وامر الجميع ان يكفوا ايديهم .. ولا يقاتلوا
الا من قاتلهم .

واندفع خالد بن الوليد .. حتى دخل من

اسفل مكة .. وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث
بن عبد مناف .. وناس من هزيل ومن الاحابيش
الذين انتصرت بهم قريش فى الماضى .. ومعه
صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن ابى
جهل .

فقاتلوا خالدا فى مكان اسمه - الخندمة -
فقاتلهم .. فانهزموا .. وقتل من بنى بكر
عشرون رجلا .. ومن هذيل ثلاثة او اربعة ..
حتى انتهى بهم القتل الى باب المسجد .. فدخلوا
الدور .. وهربت منهم طائفة الى الجبال ..
وصاح ابو سفيان من دخل داره .. واغلق بابه
.. فهو آمن .

ونظر - عليه السلام - وقال : ما هذا ؟ ..
وقد نهيت عن القتال .. فقالوا : ان خالدا قاتل
.. وبدى بالقتال .. فلم يكن له بد من ان
يقاتلهم .. فقال رسول الله لخالد : لم قاتلت
وقد نهيتك عن القتال ؟ .. فقال : هم بدأونا ..
وقد كففت يدي ما استطعت .. فقال : « قضاء
الله خير » .

وقد حصل فى تلك المناوشة .. موقف
لطيف لحماس بن قيس بن خالد .. من بنى بكر
.. كان يعد سلاحا .. قبل دخول رسول الله
مكة .. فقالت له امراته : لماذا تعد هذا
السلاح ؟

قال : لمحمد واصحابه .. قالت : والله
ما اراه يقوم لمحمد واصحابه شيئا .

قال : والله انى لأرجو ان اخدمك بعضهم .
لم شهد - الخندمة - مع صفوان وسهيل
وعكرمة .

فلما لقيهم المسلمون .. من اصحاب خالد بن
الوليد .. ناوشوهم شيئا من قتال .. فقتل من
المسلمين : كرز بن جابر .. وخنيس بن خالد
بن ربيعة .. كانا فى خيل خالد بن الوليد ..
فشدا عنه .. فسلخوا طريقا غير طريقه ..
فقتلوهما .

وقتل خالد من المشركين من قتل .. وهزموا
.. نخرج حماس بن قيس سلهما حتى دخل

بيته .. ثم قال لامراته : اغلقى الباب على ..
فقلت له : فإين ماكنت تقول ؟ ..
فقال :

انك لو شهدت يوم الخندمة
اذ فر صفوان وفر عكرمة
لهم نهيت (١) خلقتنا وهمهمه
لم تنطقى باللوم ادنى كلمة

وكان شعار المسلمين المهاجرين عند دخولهم
مكة : يا بنى عبد الرحمن .. وشعار الخزرج :
يا بنى عبد الله .. وشعار الاوس : يا بنى
عبيد الله .

وكان هذا شعارهم ايضا يوم حنين ويوم
الطائف بعد الفتح .
وركزت راية رسول الله بالحجون عند مسجد
الفتح ..

ثم نهض رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله ..
حتى اذا دخل المسجد .. اقبل الى الحجر
الاسود فاستلمه .. ثم طاف بالبيت وفي يده
قوس .. وحول البيت وعليه ثلاثمائة وستون
صنما .. فجعل يطعنهما بالقوس وهو يقول « جاء
الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ..
يبدى الباطل وما يعيد » .. والاصنام تتساقط
على وجوهها .

وكان طوافه - عليه السلام - على راحلته
.. ولم يكن ذلك محرما .. فاقتصر على الطواف
.. فلما اكمله .. دعا عثمان بن طلحة .. صاحب
مفتاح الكعبة .. فاخذ منه المفتاح .. وأمر بها
ففتحت .. فدخلها .. فرأى فيها الصور
والرسوم .. رأى فيها صورة ابراهيم واسماعيل
.. يستقسمان بالازلام ..

فقال : قاتلهم الله .. والله ما استقسما بها
قط .. كما رأى حمامة من عيدان فكسرها بيده
.. وأمر بالصور فمحيت .. ثم اغلق عليه الباب
.. ومعه أسامة بن زيد .. وبلال بن رباح .

فاستقبل الجدار الذى يقابل الباب .. بين
العمودين اليمانيين .. حتى اذا كان بينه وبين
الجدار .. قدر ثلاثة أذرع .. وقف وصلى هناك
.. ثم دار فى البيت .. وكبر فى نواحيه .. ووحد
الله .. ثم فتح الباب .. وقريش قد ملأت
المسجد صفوفا .. ينتظرون ماذا يصنع ..
فاخذ - عليه السلام - بعضادنى الباب ..
وهم تحته وقال :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له .. صدق
وعده .. ونصر عبده .. وهزم الأحزاب وحده
.. الا كل مائرة أو دم أو مال يدعى .. فهو تحت
قدمى ما بين .. الاسدانة البيت وسقاية الحاج
.. الا وقتل الخطا مثل العمد .. السوط والعصا
.. ففيه الدية مغلظة مائة من الابل .. اربعون
منها فى بطونها اولادها .

يا مشعر قريش .. ان الله قد اذهب عنكم
نخوة الجاهلية .. وتعظمها الآباء .. الناس من
آدم وآدم من تراب » .

ثم تلا قوله تعالى :

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند
الله اتقاكم ان الله عليم خبير) (٢) .. ثم قال :
« يا معشر قريش ما ترون انى فاعل بكم » ؟
.. قالوا : خيرا اخ كريم وابن اخ كريم ..

قال : « فانى اقول لكم كما قال يوسف
لاخوته : (لا تشرب عليكم اليوم) .
« اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وارتجت مكة تكبرا .. وشرب من زمزم ..
وتوضأ منها مع المسلمين ..
هل كان العفو عاما :

بمناسبة هذه العبارة الاخيرة .. التى ختم
بها - عليه الصلاة والسلام - كلمته لقريش :
« اذهبوا فانتم الطلقاء » نريد أن نشير الى
الذين استثناهم الرسول من هذا العفو .. وأهدن

(١) التهيت : صوت الصدر وحشرجه .

(٢) ١٣ - الحجرات .

دمهم .. وهم خمسة عشر مابين رجل وامرأة ..
وهم :

١ - عبد الله ابن ابي السرح بن الحارث
العامري - اخو عثمان من الرضاة .

٢ - عبد الله بن خطل .

٣ - عكرمة بن ابي جهل .

٤ - الحويرث بن نفيد .

٥ - مقيس بن صبابه .

٦ - هبء بن الأسود بن المطلب .

٧ - كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني .

٨ - الحارث بن هشام المخزومي - شقيق

ابي جهل .

١٠ - زهير بن امية المخزومي - اخو ام

سلمة .

١١ - وحشى بن حرب قاتل حمزة .

هؤلاء من الرجال .. واربع نساء هن :

١ - تريبسة - امة كانت عند عبد الله بن

خطل .

٢ - زميلتها - فرتنا .

٣ - سارة - مولاة لبنى المطلب بن عبد

مناف .

٤ - هند بنت عتبة - زوج ابي سفيان -

ام معاوية .

واكثر هؤلاء اسلموا .. ولم يقتل منهم الا

اربعة .. هم :

١ - عبد الله بن خطل : وكان ممن قدم المدينة

قبل الفتح .. واسلم .. وكان اسمه عبد العزى

.. فسماه النبي عبد الله .. وبعثه لآخذ الصدقة

.. وارسل معه رجلا مسلما من الانصار يخدمه

.. فنزل منزلا .. وامره ان يجهز له طعاما ونام

.. فلما استيقظ لم يجده قد اعد الطعام ..

فقتله وارعد مشركا .. وكان شاعرا يهجو النبي

.. وكانت له جاريتان تفنيان بهجاء النبي ..

وهما الجاريتان اللتان اشرنا اليهما .. اهدر

الرسول - عليه السلام - دمهما مع سيدهما .

فلما كان يوم فتح مكة .. ركب فرسه ..

ولبس درعه .. واخذ بيده قوسا .. وصار

يقسم : لا يدخلها محمد عنوة .. فلما رأى خيل

المسلمين .. خاف وذهب الى الكعبة .. و«علق

بأسنارها .. فوجده رسول الله عند طوافه ..

فقال : « اقتلوه فان الكعبة لا تعيد عاصيا ..

ولا تمنع من اقامة حد واجب » .

فقتل ولم اهدأ الى من هو قاتله .

٢ - اما جريثاه .. فقد قتلت تريبسة ..

واستؤمن رسول الله لفرتنا فأمناها فأسلمت .

٣ - وثالث القتلى : الحويرث بن نفير ..

كان ينشد هجاء الرسول .. ويكثر في اذاه ..

وهو بمكة .. وقد شارك هبار بن الأسود في نخس

جمل زينب - بنت رسول الله - لما هاجرت الى

مكة .. فقتله على .

٤ - ورابعهم مقيس بن صبابه .. كان قد

اسلم .. ثم قتل مسلما من الانصار .. وكان

الانصارى قتل اخاه هشام بن صبابه - خطأ -

في غزوة - ذى قرد - ظنا منه انه من الاعداء ..

فجاء مقيس .. واخذ دية اخيه .. ولكنه قتل

الانصارى .. ثم ارتد .. ورجع الى قريش ..

فأهدر رسول الله دمه .. فقتله نميلة بن عبد الله

الليثي .. وهو رجل من قومه .

هؤلاء الاربعة .. الذين قتلوا .. في فتح

مكة ..

واعترف بهذا كتاب الغرب .. ومنهم -

الأستاذ صوير - قال : ان الذين قتلوا فعلا اربعة

فقط :

اما الباقيون .. فقد شفع عثمان .. لعبد

الله بن ابي السرح - اخيه من الرضاة - فأمنه

رسول الله .. فاسلم وحسن اسلامه .

وشفعت ام حكيم - وهى من فضليات

المسلمات - لزوجها - عكرمة بن ابي جهل - فقال

لها - عليه السلام : « هو آمن » فأدركته ..

وهو يريد الانتحار .. فرجع معها .. واسلم

امام رسول الله .. وكان بعدها من فضلاء

الصحابة .

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الهند مساول
وهنا كشفه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - .. وقال له :

((بل قل يا كعب : من سيوف الله مساول)) .

قالت : والله انى كنت لاصيب من مال ابى
سفيان الهنة والهنة .. وما ادرى اكان ذلك حلالا
.. ام لا ؟ .. فقال ابو سفيان - وكان واقفا -
اما ما اصببت فيما مضى .. فانت منه فى حل .

فقال رسول الله : « انك لهند بنت عتبة » .
فقالت : انا هند بنت عتبة .. فاعف عما
سلف .. عفا الله عنك .

قال : « ولا تزينين » .

قالت هند : هل تزنى الحرة يا رسول الله ؟ .

قال : ولا تقتلن اولادكن » .

قالت : قد ربهناهم صغارا .. وقتلتهم يوم
بدر كبارا .

فضحك عمر بن الخطاب .. من قولها .
فقال - عليه الصلاة والسلام - « ولا تانيين
ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن » .

قالت : والله ان ايسان البهتان لقبيح ..
ولبعض امثل .

قال : « ولا تعصيننى فى معروف » .

قالت : ما جلسنا هذا المجلس .. ونحن نريد
ان نعصيك فى معروف .

فقال - عليه السلام - لعمر : « بايعهن
واستغفر لهن » .

ولما اسلمت هند .. عمدت الى صنم كان فى
بينها .. وجعلت تضربه بالقدم وتقول : كنا منك
فى غرور .

وقد حضرت هند قتال الروم يوم اليرموك ..
مع زوجها ابى سفيان .. وكانت تشجع المسلمين
.. وتحرضهم على القتال .

واختفى عتبة ومعتب ابنا ابى لهب .. ثم
اسلما .

اما هبار بن الاسود .. فكان شديد الاذى
بالمسلمين .. ونخس جمل السيدة زينب - بنت
رسول الله - يوم هجرها .. فسقطت على
الصخر .. واسقطت جنينها .. وظلت مريضة
حتى ماتت .. فهرب يوم الفتح .. ثم جاء معترفا
بدنبيه لرسول الله .. فعفا عنه واسلم .

اما كعب بن زهير الشاهر الهجاء .. فكان
قد هجا اخاه - بجير بن زهير - عندما اسلم
.. وهيجا معه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فبعد الفتح قال - عليه السلام - « من راي
منكم كعب بن زهير .. فليقتله .. فقد ابحننا
دمه » .

فهرب كعب .. حتى ضاقت عليه الارض بما
رحبت .. وكان يدفع دية نفسه .. كلما حاول
الالتجاء الى احد .. حتى نفذ ماله .. وساءت
حاله .

فلم يجد بدا من الذهاب الى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فى المدينة .. بعد عودته
اليها من مكة .. واسلم .. وقدم قصيدته
اللامية المشهورة .. التى مطلعها .. بانث سعاد
فقلبي اليوم متبول .

وكان متنكرا .. فعرفه - عليه الصلاة
والسلام - وكشف تنكره .. وعفا عنه .

وقد اشار فى قصيدته .. الى سوء حاله ..
فقال فيها :

وقال كل خليل كنت آمله
لا الهينك انى عنك مشغول
وقلت خلوا سبيلى لا ابالكو
فكل ما قسدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى .. وان طالت سلامته
لا بد يوما على آله حباء محمول

الى ان قال :

وقد اتيت رسول الله معتذرا
والعذر عند رسول الله مقبول

وقال فى ختامها :

انبتت ان رسول الله اوعسنى
والعفو عند رسول الله مامول

كما أختفى أيضا سهيل بن عمرو .. وكان ابنه مسلما .. ثم أسلم سهيل بالجعرانة بين الطائف ومكة .

وبعد أن أطمأن رسول الله .. جلس في المسجد .. فقام على بن أبي طالب إليه .. ومفتاح الكعبة في يده .. فقال يا رسول الله .. اجمع لنا الحجابة مع السقاية .. يريد أن يأخذ المفتاح .. فقال - عليه السلام - أين عثمان بن طلحة .. فاتوا به .. فقال :

« هالك مفتاحك يا عثمان .. اليوم يوم بر ووفاء » .

يقول عثمان بن طلحة .. كما ذكر في طبقات بن سعد :

« كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس .. فأقبل رسول الله يوما قبل الهجرة .. يريد أن يدخل الكعبة .. فأغلظت له .. ونلت منه .. فحلم عني .. ثم قال : يا عثمان لعلك ستري هذا المفتاح يوما بيدي .. أضعه حيث أشاء .. فقلت : لقد هلك قريش يومئذ وذلت يا محمد .. فقال : بل عزت وعمدت يومئذ .. فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ .. أن الأمر سيصير كما قال .. فلما كان يوم الفتح قال : « يا عثمان أثني بالفتح » .. فأتيته به فأخذه .. ثم دفعه إلى وقال :

« خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم .. يا عثمان .. أن الله استأمنكم على بيته .. فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف » .

فلما وليت ناداني - والكلام مازال لعثمان بن طلحة - فرجعت إليه .. وقال :

« ألم يكن الذي قلت لك ؟ » .. فذكرت قوله بمكة قبل الهجرة :

« لعلك ستري هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت » .. فقلت .. بلى أشهد أنك رسول الله .

وفي عثمان هذا نزلت الآية : (ن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها (١)) .

وأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلالا أن يؤذن ظهر يوم الفتح .. على ظهر الكعبة .. وأبو سفيان بن حرب .. وعتاب بن أسيد .. والحرث بن هشام .. جالسون بفناء الكعبة .. قال بعضهم أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ وقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيدا إلا يكون سميع هذا .. فيسمع منه ما يفيظه .. وقال الحرث : أما والله لو أعلم أنه حق لا تبعته .. فقال أبو سفيان : أما والله لا أقول شيئا .. لو تكلمت لأخبرته عنى الحصياء ..

فخرج عليهم - عليه السلام - فقال لهم : « قد علمت الذي قلتم » .. ثم ذكر الحديث لهم .. فقال الحرث وعتاب : نشهد أنك رستول الله .. والله ما أطلع على هذا أحد فنقول أخبرك .

كما هم فضالة بن عمير بن الملوح .. أن يقتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يطوف بالبيت .. فلما دنا منه .. قال له - عليه السلام - « أفضالة » ؟ قال : نعم فضالة يارسول الله .. قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك » ؟ ..

قال : لا شيء .. كنت أذكر الله .. فضحك النبي .. ثم قال « استغفر الله » .. ثم وضع يده على صدره .. فسكن قلبه .. وكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى .. حتى ما خلق الله شيئا أحب إلى منه .

ويقول فضالة : فرجعت إلى أهلى .. فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها .. فقالت : هلم إلى الحديث .. فقلت :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا يابى عليك الله والاسلام

لو قد رأيت محمدا و قبيلة
بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا
والشرك يغشى وجهه الأظلام (١)
ولا يفوتنا أن نذكر قحافة .. والد أبي بكر
الصديق .. ولنسمع حديثه من أسماء بنت
أبي بكر .. فتقول :

لما وقف - عليه السلام - بذي طوى -
تقصد قبل دخوله مكة يوم الفتح - قال أبو
قحافة لابنة .. من أصغر ولده : أى بنية ..
أظهرى بى على أبى قبيس - وقد كف بصره -
فأشرفت به عليه .. فقال : أى بنية .. ماذا
ترين ؟ .. قالت : أرى سوادا مجتمعا .. قال
تلك الخيل .. قالت : وأرى رجلا يسعى بين
يدى ذلك السواد - مقبلا مدبرا .. قال : ذلك
الوازع - أى الذى يرتب الخيل ويأمرها ..
ثم قالت : قد والله انتشر السواد .. قال : اذا
دفعت الخيل .. أسرعى بى الى بيتى .

وذهب أبو بكر يوم الفتح .. وجاء بأبيه
يقوده .. وقد كف بصره .. فلما رآه - عليه
السلام - قال لأبى بكر : هلا تركت الشيخ فى
بيته .. حتى آتبه ؟ .. فقال أبو بكر : هو
أحق أن يمشى إليك .. من أن تمشى أنت إليه
- فاجلسه - صلى الله عليه وسلم - بين يديه
.. فمسح صدره .. وقال « اسلم تسلم » ..
فأسلم .. وهنأ رسول الله أبا بكر باسلام أبيه
.. يقول المسودى : توفى أبو قحافة .. فى
خلافة عمر بن الخطاب .. وهو ابن تسع
وتسعين سنة .. فى عام ١٣ هجرى .. فى
السنة التى مات فيها أبو بكر .. واستخلف
عمر بعده .

ولما كان الفد .. بعد فتح مكة - قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى الناس
خطيبا فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال :

« أيها الناس .. ان الله حرم مكة يوم خلق
السموات والأرض .. فهى حرام بحرمة الله
الى يوم القيامة .. فلا يحل لأمرئ يؤمن بالله
واليوم والآخر أن يسفك فيها دما .. أو يعصد
بها شجرا .. فان أحد ترخص لقتال رسول الله
- يقصد الذى حصل منه فى يوم الفتح -
فقولوا : ان الله اذن لرسوله ولم يأذن لكم ..
وانما احلت لى ساعة من نهار .. وقد عادت
حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس .. فليبلغ
الشاهد الغائب » .

وبدا همس الأنصار فيما بينهم .. قالوا:
أترون رسول الله .. اذ فتح الله عليه أرضه
وبلده .. أن يقيم بها ؟ .. وكان عليه الصلاة
والسلام - وقتها .. يدعو على الصفا .. رافعا
يديه - فلما فرغ من دعائه قال : « ماذا قلت » ؟
.. قالوا لا شئ يارسول الله .. فلم يزل بهم
حتى أخبروه .. فقال :

« معاذ الله .. المحيا محياكم .. والممات
مماتكم » .

واسلمت قريش كلها .. وحطموا كل ما فى
بيوتهم من اصنام .. استجابة لأمر رسول الله
.. حيث نادى منادى الرسول بمكة : « من كان
يؤمن بالله واليوم الآخر .. فلا يدع فى بيته
صنما الا كسره » .

ويعث - عليه السلام - خالد بن الوليد
الى - العزى - فى الخامس والعشرين من
رمضان وهو بمكة ليحطمها .. فخرج اليها فى
ثلاثين فارسا من أصحابه .. حتى انتهوا اليها
فهدمها .. ثم رجع الى رسول الله - فأخبره
.. فقال له : « هل رأيت شيئا » ؟ .. قال :
لا .. قال : « فانك لم تهدمها » .. فارجع
اليها فاهدمها .. فرجع خالد وهو مفتاظ ..
فجرد سيفه .. فخرجت اليه امرأة عريانة
سوداء ثائرة الشعر .. فضربها خالد - فقتلها

(١) زاد المعاد .. والأنوار المحمدية .. ولكن محمد ربما نسب هذه الإبيات الى راشد بن حقم .

(١) زاد المعاد ص ١٨٦ - والتهانى ص ١١٥ .. وغيرهما

بائنتين .. ورجع الى رسول الله فأخبره ..
فقال : « نعم .. تلك العزى .. وقد أيسست
أن تعبد في بلادكم أبدا » .

وكانت العزى بموضع اسمه - نخلة - بين
الطائف ومكة .. تعبدوها قريش .. وجميع بنى
كنانة .. وكانت أعظم أصنامهم .. كان سدنتها
- بنى شيبان - .

كما بعث - عليه السلام - عمرو بن العاص
ليهدم - سواع - صنم هذيل .. على ثلاثة
أميال من مكة .

يقول عمرو : فانتبهت اليه .. وعنده
السادن - الخادم - فقال : ما تريد ؟ .. قلت :
أمرنى رسول الله أن أهدمه .. قال : لا تقدر
على ذلك .. فقلت : لم ؟

قال : تمنع .. فقلت : ويحك .. وهل
يسمع أو يبصر ؟ .

قال : فدنوت منه فكسرتة .. ثم قلت
للسادن : كيف رأيت ؟ .

قال : أسلمت لله رب العالمين .

كما بعث سعد بن زيد الأشهلي .. فحطم
- مناة - وكانت مناة صنما للاوس والخزرج .
حطمت تلك الأصنام .. ورسول الله بمكة
.. بعد يوم فتحها .

وأمامى الآن موقف لخالد بن الوليد .. برا
منه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكرته
كل كتب السيرة .. فقد أرسله رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - في أول شوال من السنة
الثامنة .. وهو في مكة .. قبل عودته الى
المدينة .. أرسله الى بنى جذيمة - قبيلة من
كنانة - وكانوا بأسفل مكة .. على مسافة ليلة
- ناحية يلمم .. أرسله اليهم .. داعيا لهم
الى الاسلام - ولم يرسله محاربا .. فخرج
معه ثلاثمائة وخمسون رجلا من المهاجرين
والأنصار وبنى سليم .

فلما بلغهم خالد .. قال لهم : من أنتم ؟ ..
قالوا : مسلمون - قد صلينا وصدقنا بمحمد
رسولا ونبيا .. المساجد في ساحتنا .
وفي البخاري أنهم لم يحسنوا قولهم

أسلمنا - فقالوا : صبياننا .. فقال لهم :
استسلموا للأسر .. فأستسلموا .. وأمر
بعضهم فأوثق بعضا .. ثم فرقهم في أصحابه .
فلما كان السحر .. نادى منادى خالد :
من كان معه أسير فليقتله .. فقتل بنو سليم
ما كان بأيديهم .. أما المهاجرون والأنصار ..
فأطلقوا أسراهم .

فلما بلغ النبی هذا الأمر .. قال : « اللهم
انى ابرا اليك مما صنع خالد » .. ثم طلب على
بن أبى طالب وقال له :

« أخرج الى هؤلاء القوم .. فانظر أمرهم
.. واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك » .

فخرج على .. حتى أتى القوم .. ومعه
مال قد بعث به رسول الله معه .. فدفع لهم
دية دمائهم .. وما أصيب من أموالهم .. حتى
أنه عوض عن ميلغة الكلب (١) .

وبقيت مع على بعض الاموال .. بعد ان
ودى كل دم ومال .. فقال لهم :

هل بقي لكم شيء من دم أو مال لم يود
لكم ؟ .. قالوا : لا .. قال فانى اعطيكم هذه
البقية من هذا المال .. احتياطا لرسول الله .

ثم رجع الى النبی فأخبره .. فقال :
« أصبت وأحسن » .

ثم قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
فاستقبل القبلة - قائما - شاهرا يديه .. حتى
انه ليرى ما تحت منكبیه .. بقوله :

« اللهم انى ابرا اليك مما صنع خالد بن
الوليد » ثلاث مرات .

وقد حصلت مشادة بين خالد وعبد الرحمن
بن عوف .. بسبب هذا الحادث .. فبلغ
ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال :

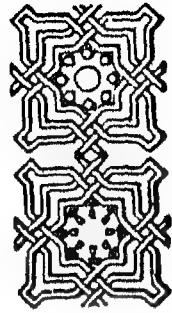
« مهلا يا خالد .. دع عنك أصحابي ..
فوالله لو كان لك مثل جبل أحد ذهبيا .. ثم
انفقت في سبيل الله .. ما أدركت غدوة أو راحة
من أصحابي » .

ومكث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بمكة بعد الفتح .. خمس عشرة ليلة .. وكان
يوم الفتح في ٢٠ من رمضان .. في السنة الثامنة
للهجرة .

(١) الميلغة : انا من خشب بلغ فيه الكلب .

يَوْمَ حَنِينٍ

قال العباس : فوالله لكان عطفهم حين سمعوا
صوتي عطفة البقر على اولادها .. يقولون : يا بيبك
يا بيبك .. فتزاجعوا الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - حتى ان الرجل منهم اذا لم يطاوعه بغيره على
الرجوع .. انحدر عنه وارساه .. ورجع بنفسه
الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .



يوم حنين

فمثلا - غزوة حنين - من الغزوات التي سجلها القرآن الكريم .. في قوله : « لقد نصركم الله في موطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » (١) .

ورواة السيرة .. يسمونها أحيانا - غزوة أوطاس - او غزوة هوازن - .

هوازن اسم قبيلة كبيرة من قبائل العرب .. فيها عدة بطون .. ظنوا أن المسلمين يعصدونهم .. لما خرجوا من المدينة لفتح مكة .. فاعدوا واستعدوا .. وقام فيهم مالك بن عوف النصري .. من بنى نصر .. يحرضهم على الاستعداد .. لقتال محمد وصحبه .. وزاد استعدادهم .. لما راوا محمدا يفتح مكة .. ويدخل أهلها في الاسلام أفواجا .

وانضم اليهم كل ثقيف من الطائف .. ومضر .. وجشم .. وبعض بني هلال .. وبني سعد ابن بكر .. وهم بطن رسول الله في الرضاع .. فكونوا جيشا ضخما .

فكان من بني سعد وثقيف وحدهم .. أربعة

لعل القارىء الكريم .. يذكر اننى قلت في نهاية الموضوع الثامن والثلاثين .. من ههنا تحت عنوان - روح الاسلام في الحرب .. قلت بالنص :

« وقصد افاض ائمتنا الكبار .. في تفصيل جميع الغزوات والبعوث والسرايا .. افاضة شكرها لهم الله .. فلم يتركوا للباحث اى مجهود في البحث من الغزوات .. والتنقيب في كل صغيرة وكبيرة .. ولهذا رفقا منى بالقارىء .. سأعرض لكثير من الغزوات بشيء من الايجاز غير المخل بالمطلوب .. مع ايفاء الغزوات الرئيسية المؤثرة حقها .. بأسلوب قد لا يبعث في النفس الملل .. وفي الوقت نفسه يشفى غلة الصادى .. ويرد لهفة الفهيم الى العلم » .

ولكن ما ان القيت بنفسى في هذا البحر الزاخر .. حتى وجدت من الدرر والأصداف .. واللالى والجواهر .. ما لم يطاوعنى قلمي على حرمان القارىء منها .

الاف مقاتل .. وانضم اليهم من سائر العرب
جموع كبيرة .. حتى بلغ جيشهم عشرين الفا ..
وفي بعض الاخبار ثلاثين الفا ..

ويشتهر هوزاه بين العرب بالرمي *

فلما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
تجمعهم هذا .. وهو بمكة .. ارسل اليهم
عبد الله بن ابي مدره الاسلمي .. ليأتيه بخبرهم
.. فمكث فيهم يوما او يومين .. ثم عاد الى
رسول الله واحبره بتجمعهم هذا ..

فخرج بجيش المسلمين من مكة .. في يوم
السبت السادس من شوال .. في العام الثامن ..
وخرج معه عشرة الاف مقاتل .. ممن اتوا
معه من المدينة .. والعمان من مكة .. فكان
جيش المسلمين اثني عشر الفا ..

وطلب رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
من صفوان بن امية سلاحا .. وهو يومئذ
مشارك - فقال صفوان : اغضب يا محمد ..
قال : بل عاريه مضمونة .. تؤديها لك .. فاعطاه
مائة درع بما يكفيها من السلاح .. وفي بعض
الاجبار اعطاه اربعمائة درع ..

كما استعمار ايضا من نوفل بن الحارث
ابن عبد المطلب - وهو ابن عمه - ثلاثه الاف رمح
.. وقال : كاني انظر الى رماحك هذه .. تقصف
ظهر المشركين ..

واستعمل - عليه السلام - على مكة عتاب
ابن اسيد .. ونوك معه معاذ بين جبل الانصاري
الحررجي .. يعلم الناس الدين .. لفقهه وعلمه ..
ولما اقترب الجيش من العدو .. ربههم
رسول الله .. ووضع الاولية والرايات ..

فاعطى علي بن ابي طالب لواء المهاجرين ..
واعطى راية لسعد بن ابي وقاص .. وراية لعمير
.. واعطى الحباب بن المنذر لواء الخزرج ..
واسيد بن حضير لواء الاوس ..

ورتب قبائل العرب .. بعد ان وزع عليهم
الاولية والرايات ..

ولبس النبي درعين والبيضة والمنفر ..
وركب بغلته البيضاء .. ثم قدم سليحا امامه ..

بقيادة خالد بن الوليد .. ولم يزل خالد في مقدمته
.. حتى وصل - الجعرانة ..

وجاء رجل فقال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -
واسلم - ان هوازن عن يكرة ابيهم بنسبائهم
وابنائهم ونعمهم وشيائهم .. اجتمعوا بحقين
فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وقال : « تلك غنيمة المسلمين هذا ان شاء الله » ..
وجاء رجل آخر .. فقال لن نفلح اليوم من
قله .. ففضب رسول الله عليه السلام -
من تلك العبارة *

نزل مالك بن عوف .. بجيش هوازن في
حنين .. وحنين : واد قرب الطائف على بعد
ثلاث ليال من مكة .. وكان معهم - دريد
ابن الصمة - رئيس بني جشم وسيدهم ..
وكان شجاعا مجريا .. لكنه قد عمى بصره ..
وبلغ اكثر من مائة وعشرين عاما .. لا ينتفع
الا برايه وخبرته ومعرفته بالحروب ..

قال دريد بن الصمة :

مالي اسمع رغاء البعير .. ونهاق الحمير ..
وبكاء الصبي .. وثغاء الشاة !! ..

قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس نساءهم
وابنائهم واموالهم ..

قال : اين مالك ؟ .. فاتوا به .. فدعاه ..
وقال : يا مالك .. انك قد اصبحت رئيس قومك
.. وان هذا اليوم كائن له ما بعده من الايام ..
مالي اسمع رغاء البعير .. ونهاق الحمير .. وبكاء
الصبي .. وثغاء الشاة ؟ ..

قال : سقت مع الناس ابنائهم ونساءهم
واموالهم : قال : ولم ؟ .. قال : اردت ان اجعل
خلف كل رجل اهلته وماله ليقايل عنه .. فقال
دريد : راى ضبان والله .. وهل يرد المنهزم
شيء ؟ .. انها ان كانت لك لم ينفكك الا رجل
بسيفه ورمحه .. وان كانت عليك فوضعت في
اهلك ومالك ..

ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ .. قال :
لم يشهدا احدا منهم .. قال : غاب الحد والحد
.. لو كان يوم علا ورفعة .. لم يغيب عنهم كعب

« الى اين ايها الناس ؟ .. هلم الى ...
انا رسول الله .. انا محمد بن عبد الله » .

انكشفت خيل بنى سليم .. مولية الأدبار
.. وتبعهم اهل مكة .. والناس من حلفهم
فرارا .. ولم يتبث معه - عليه نسلام - يومئذ
.. الا العباس بن عبد المطلب .. وعلى بن ابي طالب
.. والفضل بن العباس .. وابو سفيان بن الحارث
ابن عبد المطلب .. وابو بكر .. وعمر .. واسامة
ابن زيد .. فى ناس من اهل بيته - عليه السلام -
ومنهم ايمن ابن ام ايمن الحنينية .

قال العباس : وانا اخذ بزمام بغلته اكفها
مخافه ان يصل الى العدو .. لانه - عليه
السلام - كان يتعمد نحو العدو .. وابو سفيان
ابن الحارث .. اخذ بركابه .. فجعل النبي
يقول : يا عباس .. ناد : يا معشر الانصار ..
يا اصحاب الشجرة - يعنى شجرة بيعه الرصوان
.. التى بايعوه تحتها على الا يمرؤا عنه .. فجعل
العباس ناره ينادى : يا اصحاب الشجرة ..
وتارة ينادى يا اصحاب سورة البقرة .. وكان
العباس جمهورى الصوت .. فلما سمع المسلمون
نداء العباس .. اقبلوا كاهم الابل حجب الى
اولادها .

وفي رواية مسمل :

قال العباس : فوالله لكان عطفهم حين سمعوا
صوتى .. غطفه البعر على اولادها .. يقولون :
يا بيبك يا بيبك .. فتراجعوا الى رسول الله ..
حتى ان الرجل منهم اذا لم يطبوعه بعيره على
الرجوع .. انحدر عنه وارساه .. ورجع بنفسه
الى رسول الله .

فأمرهم رسول الله ان يصدقوا الحملة ..
فاقتتلوا مع الكفار .. فأشرف رسول الله فنظر
الى قتالهم .. فقال « الآن حمى الوطيس » ..
والوطيس هو التنور .. وهذا مثل ضربه رسول
الله لشدة الحرب .. وهو من فصيح الكلام الذى
لم يسمع من أحد قبل النبي - عليه السلام - .
وفي البخارى عن البراء .. سأل رجل :
أفررتم عن رسول الله يوم حنين ؟ ..

وكلاب .. ولوددت انكم فعلتم ما فعلت كعب
وكلاب .. فمن شهدا منكم ؟ .. قال بنو عمر
ابن عامر .. وعسوف بن عامر .. قال : ذاك
الفرعون من عامر .. ينفعن ولا يضران .. يمالك
.. ارفع قومك الى ممتنع بلادهم .. وعائىاء
قومهم .. ثم الق العدو على متون الخيل ..
فان كان لك لحق بك من وراءك .. وان كانت
عليك القاك ذلك وقد أحرزت اهلك ومالك ..
قال : والله لا افعل .. اراك قد كبرت وكبر عقلك
.. والله لتطيعنى هوازن .. او لا تكئن على هذا
السيف .. حتى يخرج من ظهري .

وكره ان يكون لدريد فيها ذكر ورأى ..
فقالوا : اطعنك .. فقال دريد :
هذا يوم لم اشهده - ولم يفتنى :

باليمنى فيها جلدع (١)

اخب فيها واضع

فقال مالك للناس : اذا رايتمونى اشد ..
فشدوا شدة رجل واحد .

وقد قالت عيون مالك له - وقد تفرقت
اوصالهم : راينا رجلا بيضا على خيل بلق ..
فلم يردده ذلك عن تنفيذ خطته .. وحبسهم حتى
لا يفتوا فى عضد جيشه .

قال ابن اسحاق عن عبد الرحمن بن جابر عن
ابيه جابر بن عبد الله .. قال :

لما استقبلنا وادى حنين .. انحدرنا فى واد
من اودية تهامة .. اجوف حطوط .. انما انحدر
فيه انحدرنا .. فى غبش الصبح .. وكان القوم
قد سبقونا الى الوادى .

فكمنوا لنا فى شعبه واجنابه ومضايقه ..
قد اجمعوا وتهيأوا واعدوا .. فوالله ما راينا
ونحن نمط الا الكتائب قد شدوا علينا شدة
رجل واحد .. وانشمر الناس راجعين لا يلوى
احدهم على شيء .

وانحاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى اليمين .. ثم قال :

فقال : لكن رسول الله لم يفر .. كان هوازن رماة .. وانا لما حملنا عليهم انكشفوا .. واكبنا على الغنائم .. فاستقبلونا بالسهم .. وهذا الموقف يذكرنا بيوم أحد .

ثم قال البراء : ولقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بقلته البيضاء .. وان ابا سفيان بن الحارث .. أخذ بزمامها .. وهو يقول :

انا النبي لا كذب

انا ابن عبدالمطلب

وتناول - عليه السلام - كفا من تراب .. ثم قال : « شأهت الوجوه » - أى قبحت - ورمى بها في وجوه المشركين .. فهزمهم الله - سبحانه - وهذا ايضا يذكرنا بيوم بدر .

وقال ابن مسعود :

جاء به - عليه السلام - بقلته .. فمال السرج فقلت : ارتفع رفعتك الله .. فقال : ناولنى كفا من تراب .. فضرب وجوههم .. وامتلات أعينهم ترابا .. وجاء المهاجرون والانصار .. سيوفهم في أيماهم .. كانها الشهب .. فولى المشركون الأدبار .

وقال عبد الرحمن الفهري :

حدثنى أبناؤهم .. من آبائهم .. قالوا : لم يبق منا واحد الا امتلات عيناه وفمه ترابا .. وسمعنا صلصلة من السماء .. كأمطار الحديد على الطست الحديد .

وحان الآن ذكر قوله تعالى عن يوم حنين .. في سورة التوبة :

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت .. ثم وليتم مدبرين . ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعلب الدين كفروا وذلك جزاء الكافرين) (١) اشتركت الملائكة في تلك الغزوة (وانزل جنودا لم تروها » . واشتد

القتال في رقاب الكافرين .. ووجد رسول الله امرأة مقتولة .. قطعها خالد .. والناس مزدحمون عليها .. فقال : ما هذا ؟ .. قالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد .. فقال - عليه السلام - لبعض من معه : « ادرك خالدا .. فقال له : ان رسول الله ينهك ان تقتل وليدا او امرأة او عسيفا » - يعنى أجيرا .

ثم قال للمسلمين : « من قتل قتيلا فله سلبه .. فاستلب ابو طلحة وحده عشرين قتيلا » واستشهد من المسلمين اربعة : منهم أيمن الحبشى .. وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا .. منهم دريد بن الصمة .

وكانت الصرخة يومئذ بالانصار .. ثم خلعت أخيرا للخزرج .. وكان الخزرج صبورا عند الحرب .

ولنا وقفة قصيرة .. مع زعماء قريش .. لما حصل فرار المسلمين .. في أول المعركة . قال ابن اسحاق : لما انهزم المسلمون .. ورأى من كان مع رسول الله من جفاة أهل مكة الهزيمة .. تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الطعن .. فقال ابو سفيان بن حرب : لا تنتهى هزيمتكم دون البحر .. وكانت الأزام معه في كنانة . وصرخ كلدة بن الجعيد : الا بطل السحر اليوم .. فقال له صفوان بن أمية وكان لم يزل مشركا : اسكت فض الله فاك .. فوالله لان يربنى رجل من قريش .. احب الى من ان يربنى رجل من هوازن .

كما ذكر سعد بن شيبه بن عثمان الحنظلي .. قال :

لما كان عام الفتح .. دخل رسول الله مكة عتوة .. قلت : أسير مع قريش الى هوازن بحنين .. فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة .. فآثار منه .. فأكون أنا الذى قمت بشار قريش كلها .. وأقول : لو لم يبق من العرب بالمعجم أحد الا اتبع محمدا .. ما أتبعته ابدا ..

وكننت مرصدا لما خرجت له .. لا يزداد الامر في
نفسى الا قوة . فلما اختلط الناس .. اقتحم
رسول الله عن بقلته .. فاصلت السيف ودنوت
اريد ما اريد منه .. ورفعت سيفى حتى كدت
اشعره اياه ... فرفع لى شواظ من نار كالبرق
كان يخشى .. فوضعت يدى على بصرى خوفا
عليه .. فالتفت الى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فنادانى : يا شيبه اذن منى .. فدنوت
منه .. فمسح صدرى وقال « اللهم اعذه من
الشیطان » قال : فوالله لهو كان ساعتئذ احب
الى من سمعى وبصرى ونفسى .. واذهب الله
ما كان بقلبى .. ثم قال : اذن فقاتل .. فتقدمت
امامه اضرب بسيفى .. الله اعلم انى احب أن
اقيه بنفسى كل شىء .. ولو لقيت تلك الساعة
ابى .. لو كان حيا - لا وقعت به السيف ..
فجعلت الزمه .. فيمن لزمه .. حتى عاد
المسلمون .. فكروا كرة رجل واحد .. وقربت
بقلة رسول الله .. فاستوى عليها .. وخرج
في اثرهم .. حتى تفرقوا فى كل وجه .. ورجع
الى معسكره .. فدخل خباءه فدخلت عليه ..
ما دخل عليه احد غيرى .. حبا لرؤية وجهه ..
وسرورا به .. فقال : « يا شيبه .. الذى اراد
الله بك .. خير مما اردت لنفسك » .

ثم حدثنى بما اضممرت فى نفسى .. ما لم
اكن اذكره لاحد قط .. فقلت : فانى اشهد أن
لا اله الا الله .. وانك رسول الله .. ثم قلت :
استغفرلى .. قال « غفر الله لك » .

وانهزم المشركون وتفرقوا .. فهرب بعضهم
الى الطائف .. ومعهم قائدهم مالك بن عوف
وتوجه بعضهم الى نملة .. وعسكر بعضهم
بأوطاس .

لقد افادت الهزيمة فى اول المعركة .. فائدتين
رئيسيتين :

الاولى : عدم اغترار المسلمين بكثرة عددهم .
والثانية : اسلام من كان على شركه فى مكة
بعد الفتح .. من يقين ثابت .. وايمان راسخ
.. لما راوا باعينهم من تأييد الله له .. فى اوقات
الشدائد ..

وارسل - عليه السلام - ابا عامر الاشعرى
.. فى طلب الفارين من هوازن .

وابو عامر هذا .. هو عم ابى موسى الاشعرى
.. وكان معه ايضا مسلمة بن الاكوع .. فلحق
ابو عامر بعضهم مجتمعين .. فقتل منهم تسعة
اخوة بالبارزة .. بعد أن يدعو كل واحد منهم
الى الاسلام .. ثم يقول اللهم اشهد عليه ..
فقال واحد منهم .. اللهم لا تشهد على .. فكف
عنه ابو عامر .. فقلت .. ثم اسلم وحسن
اسلامه . وكان - عليه السلام - اذا رآه قال :
« هذا شريد ابى عامر » .

ورمى ابو عامر فى هذا اليوم فقتل ..
وخلفه ابو موسى الاشعرى .. فقاتلهم حتى فتح
الله عليه .. وقتل قاتل عمه ابى عامر .. فقال
عليه السلام : « اللهم اغفر لابى عامر .. واجعله
من اعلى امتى فى الجنة » .

وهرب مالك بن عوف .. قائدا جيوشهم ..
فتحصن بحصن ثقيف بالطائف .

وامر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بالسبى والغنائم .. أن تجمع .. فجمعت كلها ..
ووجهت الى الجعرانة .. وكانت الغنائم كبيرة
.. وهى :

عدد السبى ستة آلاف .. والابل اربعة
وعشرون الفا .. والغنم اكثر من اربعين ألف
شاة .. غير اربعة آلاف اوقية من الفضة ..
حبسها كلها بالجعرانة .. وجعل عليها حراسا ..
حتى عاد من الطائف فوزعها .

إلى الطائف



قال للشيماء « سلى تعطى واشفعى تشفعى »
وقال لها قومها : ان هذا الرجل اخوك .. فلو سالتيه
في قومك .. لرجونا ان يحايينا .. فاستوهبتته السبى
.. وهم سنة آلاف رأس .. فوهبهم لها .. فما
عرفت مكسرة مثلها .. وما عرفت امرأة ايمن على
قومها منها .

الى الطائف

حتى نزل قريبا من الحصن .. وعسكر هناك .
وفي نفس الوقت الذي خرج فيه بجيشه
الى الطائف .. بعث الطفيل بن عمرو الأوسى ..
الى صنم اسمه - ذو الكفين - وهو صنم من
خشب .. يعبد عمر بن حمضة الدوسى وقومه
.. بعثه ليهدمه .. وأمره أن يستمد قومه
ويوافيه بالطائف .. فخرج الطفيل مسرعا الى
قومه .. فهزم ذا الكفين .. وجعل يحبس النار
في جوفه ويحرقه .. وهو يقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
انى حششت النار فى فؤادكا

وانحدر معه قومه .. أربعمائة مقاتل سراما
.. فوافوا الرسول .. بعد قدومه الى الطائف
بأربعة أيام .. وقدموا معهم بدبابة ومنجنيق (١) .
قال رجال السيرة : أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - لما نزل قريبا من حصن الطائف
.. عسكر هناك .. فرموا المسلمين بالنبل رميا
شديدا .. كأنه أرجال الجراد .. فأصيب من

أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن
يتتبع المنهزمين من حنين الى الطائف . فتدفروا
اليها .. وتحصنوا بحصنها .. وادخلت ثقيف
فيه ما يكفيهم سنة .

فلما انهزموا .. دخلوا حصنهم .. وأغلقوه
عليهم .. وتهيأوا للقتال .. ومعهم مالك ابن عوف
النصرى .. قائد هوازن - المهزوم ومن معه .

فسار رسول الله اليهم فى نفس الشهر شوال
من العام الثامن .. وقدم خالد بن الوليد ..
على مقدمته .

والطائف بلد كبير .. على ثلاث مراحل من
مكة .

ولعل القارئ الكريم يذكر .. أن رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - هاجا الى الطائف
قبل الهجرة .. فى العام الذى مات فيه عمه
أبو طالب .. وزوجته خديجة .. ولقى فيها من
الاذى ما لقى .. حتى راوده ملك الجبال على
هدمها .. فدعا لهم بالهدى . سار بجيشه ..

(١) كانت الدبابة من الجلود السمكية .. يدخل فيها الرجال .. فيدبون الى الاسوار لينقبوها .

المسلمين بالجراح الكثير .. وقتل منهم اثنا عشر رجلا .

فارتفع رسول الله .. الى موضع مسجد الطائف الآن .. وكان معه من نسائه .. أم سلمة .. وزينب - رضى الله عنهما - ف ضرب لهما قبتين .. وكان يصلى بين القبتين .. قصرا .. مدة حصار الطائف .. فقد حاصرها بضعا وعشرين ليلة (١) .

وكان من بين المصابين بسهامهم .. أبو سفيان ابن حرب .. حيث فقتت عينه .. فأتى بها رسول الله .. وهى فى يده .. فقال له - عليه السلام - : « يا أبا سفيان .. أيهما أحب اليك : عين فى الجنة .. أو ادعوا الله أن يردها عليك ؟ » . قال : بل عين فى الجنة يا رسول الله .. ورمى بها من يده .

وهكذا فاز أبو سفيان .. وانتصر على نفسه .

وقد شهد أبو سفيان بعدها حرب اليرموك ضد الروم .. وفقتت فيها عينه الأخرى .

ونصب عليهم رسول الله - المنجنيق - ورماهم به .. وهو أول مارمى به فى الاسلام . حتى اذا كان يوم يسعون - يوم الشدخة - دخل نفر من اصحاب رسول الله تحت الدبابة .. دخلوا بها تحت جدار الطائف .. ليحرقوه .. فأرسلت عليهم ثقيف أعواد الحديد محماة فى النار .. فخرجوا من تحت الدبابة .. فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجلا .

فأمر رسول الله .. بقطع اعصاب الطائف وتحريقها .. فسأله ان يدعها لله وللرحم .. فقال : انا ادعها لله وللرحم .

ثم نادى منادى رسول الله : ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا .. فهو حر .. فخرج له ثلاثة وعشرون عبدا .

وحدث أمر أزعج المسلمين وآلهم .. حيث لم ياذن الله لرسوله .. فى فتح الطائف .. وأمر عمر بن الخطاب .. فأذن فى الناس بالرحيل

.. فضج المسلمون من ذلك .. وقالوا : كيف نرحل .. ولم يفتح الله علينا للطائف ؟ .

فقال لهم رسول الله : « فأعدوا على القتال » .. ففدوا .. فأصاب المسلمين جراحات .. فقال - عليه السلام - انا راحلون أن شاء الله .. فأذعنوا وجعلوا يرحلون .. ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحك .. ثم قال لهم :

« قولوا لا اله الا الله وحده .. صدق وعده .. ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الأحزاب وحده » .. فقالوها .. فلما ارتحلوا قال :

« قولوا آيئون تائبون .. عابدون لربنا حامدون » .

فتيل له : يا رسول الله ادع على ثقيف .. قال « اللهم اهد ثقيفا واثت بهم » .

وقد أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة مسلمين .. فى رمضان من العام التاسع .. كما سيأتى ان شاء الله .

وانتهى رسول الله - عليه السلام - بالمسلمين الى الجعرانة .. ليلة الخميس .. لخمس ليال مضين من ذى القعدة سنة ثمان .. فأقام بها ثلاث عشرة ليلة .. حتى اجتمع له كل المسلمين .. ثم وزع الغنائم بينهم .

فأعطى المؤلفه قلوبهم أول الناس (٢) .. أعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أوقية ومائة من الابل .. فقال : ابنى يزيد ؟ .. فقال أعطوه مثل أبيه .. فأعطوه .. فقال : ابنى معاوية ؟ فأعطاه مثله أربعين أوقية ومائة من الابل .. وأعطى حكيم بن خزام مائة من الابل .. ثم سألته مائة أخرى .. فأعطاه وأعطى الحرث بن كلدة مائة من الابل .. والملاء بن حارثة الثقفى خمسين .. وذكر الرواة أصحاب المائة وأصحاب الخمسين .. من المؤلفه قلوبهم . وأعطى العباس بن مرداس أربعين .. فقال شعرا .. فكمل له المائة .

ثم أمر يزيد بن ثابت باحضار الغنائم

(١) ابن اسحاق وغيره .

(٢) المسلمون الجدد من قريش .

والناس .. ثم وزعها .. فكانت سهامهم لكل رجل أربعين شاة .. وأربعاً من الإبل .. ولكل فرس سهمان .. فياخذ الفارس اثني عشر بعيراً ومائة وعشرين شاة .

وهنا موقف الأنصار .. في هذا المقام .. فقد حز هذا التقسيم في نفوسهم وآلمهم . قال ابن اسحاق .. عن أبي سعيد الخدري .. قال (١) :

لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا .. الكبار من قريش .. وفي قبائل العرب .. ولم يكن في الأنصار منهم شيء .. وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم - أي حزنوا - حتى كثرت فيهم القالة .. حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه .

فدخل عليه سعد بن عباد .. فقال : يا رسول الله .. ان هذا الحي من الأنصار .. قد وجدوا عليك في أنفسهم .. لما صنعت في هذا الفء الذي أصبت .. قسمت في قومك .. وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب .. ولم يكن في الأنصار منها شيء .

قال : « فأين أنت من ذلك يا سعد » .. قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي .

قال : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة » . قال : فجاء رجال من المهاجرين .. فتركهم سعد فدخلوا .. وجاء آخرون فردهم .. فلما اجتمعوا أتى سعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار .. فاتاهم رسول الله :

فحمدوا لله وأثنى عليه بما هو أهله .. ثم قال :

« يا معشر الأنصار .. ما مقالة بلغتني عنكم .. موجدة وجدتموها في أنفسكم ؟ .. ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي ؟ .. وعالة فأغناكم الله بي ؟ .. وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ ..

قالوا الله ورسوله أمن وأفضل ..

ثم قال : « ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟

قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ .. الله ورسوله المن والفضل .

قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتكم ولصدقتكم : آتيتنا مكذباً فصدقناك .. ومخدولاً فنصرناك .. وطريداً فأوينناك .. وعائلاً فواسينناك .

أوجدتم على يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة (٢) من الدنيا .. تألفت بها قوما ليساموا .. ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ .

ألا ترضون يا معشر الأنصار .. ان يذهب الناس بالشاء والبعير .. وترجعون برسول الله في رحالكم ؟ .. فوالذي نفس محمد بيده .. لما تنقلبون به خيراً مما ينقلبون به .. ولولا الهجرة لكنت أمراً من الأنصار .. ولو سلك الناس شعباً ووادياً .. وسلكت الأنصار شعباً ووادياً .. لسلك شعب الأنصار ووادياً .. الأنصار شعاب .. والناس دنار .. اللهم ارحم الأنصار .. وأبناء الأنصار .. وأبناء أبناء الأنصار .. قال : فيكي القوم .. حتى أخضلوا لحاهم .. وقالوا : رضينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قسماً وحظاً .

ثم أنصرف رسول الله وأنصرف الناس .

ثم حصلت حادثة لطيفة :

فقد كانت الشيماء بنت الحرث بن عبد العزى .. أخت رسول الله من الرضاع .. من بين أسرى حنين .. فقدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالت له : أنا أختك يا رسول الله .. قال : « وما علامة ذلك ؟ » .. فأخبرته بعضة عضها إياها .. حين كان مسترضعاً عند أمها حليلة .. وأرته إياها .. فعرفها وتذكر ذلك .. فقام - صلى الله عليه وسلم - وبسط لها رداءه .. وقال بعض الرواة : كانت أمها حليلة معها .. وان الرسول صنع مثل ذلك معها حين جاءته أسيرة .. ودمعت عيناه .

وقال للشيماء : « سلى تعطى .. واشفعني تنسعي » .

(١) قاله ابن سعد وابن قيم الجوزية - زاد المعاد - وغيرها .

(٢) اللعامة : يئله خضرأ ناخمة .. شبه بها زهرة

وقيل ان قومها قالوا لها : ان هذا الرجل اخوك .. فلو سألتيه في قومك .. لرجونا ان يحاينا فاستوهبته السبي .. وهم ستة آلاف رأس .. فوهبهم لها .. فما عرفت مكرمة مثلها .. وما عرفت امرأة أيمن على قومها منها .

وقد خيرها رسول الله .. ان تبقى عنده مكرمة .. او ترجع الى قومها .. قالت : بل ارجع الى قومي .. فأعطاهما نعماء وشاء وغلاما اسمه - مكحول - وجارية .

وشرح الله صدرهوازن للاسلام .. فأرسلوا الى الرسول وفدا .. من أربعة عشر رجلا .. على رأسهم زهير بن صرد .. وفيهم أبو برقان .. عم رسول الله من الرضاعة من بنى سعد .

جاءوا مسلمين .. فسألوه ان يمن عليهم بالسبي .. فرضى .. رسول الله .. ورضى المسلمون بما رضى به رسول الله .. وردوا عليهم نساءهم وابنائهم .. ولا يتنافى هذا مع رد السبي اكراما لشيوخهم .

وقال رجال السيرة : ان عيينة بن حصن .. وكان من جفافة الاعراب ابنى ان يرد عجوزا صارت في يده .. من سببايا هوازن .. ثم ردها بعد ذلك .

كما وفد على رسول الله بعد ذلك .. مالك بن عوف - رئيس هوازن - فرد عليه اهله وماله .. وأعطاه مائة من الابل .. وأسلم وحسن اسلامه .. واستعمله رسول الله على من أسلم من قومه .

فلما أراد - عليه السلام - الانصراف الى المدينة .. أحرم بالعمرة من الجعرانة .. وخرج ليلة الاربعاء - الثامن عشر من ذى القعدة .. ودخل مكة معتمرا مع المسلمين .. فطاف وسعى وحلق رأسه .. ثم رجع الى الجعرانة من ليلته .. فبات بها - بعد ان استعمل عتاب بن أسيد على مكة .. وجعل له عن كل يوم درهما .

ونظهر روح الاسلام وقوته واثره في النفوس .. فهذا عتاب بن أسيد .. وما زال قريب عهد بالشرك .. كان على رأس المشركين يوم الفتح .. نراه بعد ان أسلم .. واستخلفه الرسول على مكة .. يقف في الناس خطيبا .. فيقول :

« ايها الناس .. أجاج الله كبدي من جاع على درهم .. فقد رزقني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - درهما عن كل يوم .. فليست بى حاجة الى احد .. »

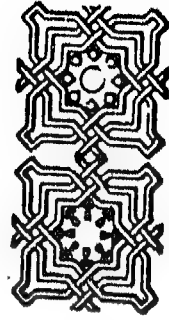
هكذا يفعل الاسلام في قلوب تابعيه .. من الرضى والزهد والقناعة .. مع العزة والانفة والشجاعة .

ثم غدا - عليه السلام - يوم الخميس .. حتى وصل - سرف - بفتح السين وكسر الراء .. وهو موضع على ستة أميال من مكة .

ثم أخذ الطريق على مر الظهران .. ثم الى المدينة .. بعد ان غاب عنها شهرين وستة عشر يوما .

عاد الى المدينة في السادس والعشرين من ذى القعدة في السنة الثامنة من الهجرة الشريفة .

إلى تبوك



كما جاءه البكاءون - وهم سبعة - يطالبون من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما - يحملهم
عليه .. والظهر قابيل .. فقال لهم : (لا اجد ما
احملكم عليه) فرجعوا باكين محزونين (تولوا واعينهم
تفيض من الدمع حزنا لا يجنوا ما ينغمون) .

الى تبوك

وبشر بن سفيان الى بنى كعب .. وابن اللثبية
الازدى الى بنى ذبيان .. وغيرهم . وتلك بداية
الاشراف .. على الولاة والامناء .. كانت هذه
البعوث لجمع الزكاة والصدقات والجزية ..
ومحاسبة الولاة والوقوف على اخبار الرعية ..
وعزل غير الامين واختيار غيره . اما السرايا :

فقد ارسل قيس بن سعد بن عباد الخزرجي
الى اليمن .. في اربعمائة فارس لقتال قبيلة صداء
فجاء زياد بن الحارث الصدائي .. وطلب من
رسول الله .. ان يرد الجيش .. ويتكفل هو
باسلام قومه وطاعتهم .. فبعث - عليه السلام -
اليهم فردهم .. وذهب الصدائي الى قومه ..
فقدموا معه الى رسول الله .. بعد خمسة عشر
يوما .. فاسلموا .

فقال رسول الله - عليه السلام - : « انك
منطاع في قومك يا اخا صداء » .. قال : بلى الله
هداهم . وامره رسول الله .. ان يؤذن في صلاة
الفجر .. فاذن .. واراد بلال ان يقيم الصلاة ..
فقال رسول الله : « ان اخا صداء اذن ..
ومن اذن فهو يقيم » .

بعودة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الى المدينة .. وبعد حنين والطائف انقضى العام
الثامن للهجرى تقريبا .. ليبدأ العام التاسع
بأحداث واحداث .

فكانت غزوة تبوك .. في شهر رجب من العام
التاسع الهجرى .

ولكن استكمالا لهذا البحث .. نرى ان
نسترجع معا في عجلة سريعة بعض سرايا بعثها
رسول الله في العام التاسع قبل غزوة تبوك .

فمع هلال المحرم .. ارسل الرسل لجمع
الزكاة :

ارسل على بن ابي طالب الى نجسران ..
ليجمع صدقاتهم .. ويقدم عليهم بجزيتهم .

وارسل عيينة بن حصن الى بنى تميم ..
ويزيد بن الحصين الى اسلم وغفار .

وعباد بن بشير الاشهل الى سليم ومزينة
.. ورافع بن مكبت الى جهينة .

وعمر بن العاص الى بنى فزاره ..
والضحاك بن ابي سفيان الى بنى كلاب .

وارسل عيينة بن حصن الفزاري ..

الى بنى تميم بالسفيا .. وهى ارض بنى تميم .
اورسله فى المخرم من العام التاسع .. فى خمسين
فارسا من العرب .. ليس فيهم احد من المهاجرين
والانصار .. فكان يسير الليل ويكمن النهار ..
فهجم عليهم فى الصحراء .. وقد حلوا وسرحوا
مواشيهم .. فلما راوهم هربوا .. فاخذوا منهم
احد عشر رجلا .. واحدى عشرة امرأة .. وثلاثين
صبيا .. فساقهم الى المدينة .. فقدم منهم وفد
من عشرة رؤساء لهم .. فلما راوا نساءهم وبنيتهم
بكوا .. وعجلوا الى رسول الله .. ينادونه من
وراء الحجرات .. وهم الذين نزل فيهم .

(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج
اليهم لكان خيرا لهم) (١) . فرد عليهم الاسارى
والسبى .. واسلموا جميعا .

كما ارسل الوليد بن عقبة .. الى بنى
المصطلق .. من خزاعة .. لاحضار صدقتهم ..
وكان بين الوليد وبينهم عداوة فى الجاهلية ..
وكانوا اسلموا .. وبنوا المساجد .. فلما سمعوا
بقدم الوليد .. قدم منهم عشرون لاستقباله
.. فرحوا به .. وتعظيما لله ولرسوله . ولكن
الشیطان اوهمه انهم يريدون قتله .. فعاد قبل
ان يلقاهاهم .. واخبر النبی انهم لاقوه بالسلاح
.. ومنعوا منه الصدقة .. فهم - عليه السلام -
ان يرسل اليهم من يغزوهم .. فى الوقت الذى
حضر فيه وفدهم .. واخبروه بما حصل ..
فنزل قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم
فاسق نبيا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة
فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (٢) .

فبعث معهم عباد بن بشر .. يأخذ صدقات
اموالهم .. ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم
القرآن .

وفى صفر .. فى العام التاسع .. ارسل -
عليه السلام - قطبة بن عامر .. الى خثعم قريبا
من تربة - من اعمال مكة - فى عشرين رجلا .

فغاروا عليهم .. واقتتلوا .. وكثر الجرحى
بين الفريقين .. وقتل منهم قطبة من قتل ..
وساق غنما .. ونعما .. ونساء .

وفى هذه القصة .. أنهم تجمعوا .. وخرجوا
فى اثره .. فارسل الله سيلا عظيما حال بينهم
وبين سرية رسول الله .. حتى اتوا بفنائهم
الى المدينة .

ثم ارسل النضاح بن سفيان بن عوف الطائى
.. فى شهر ربيع الاول .. الى بنى كلاب .. فى
موضع بنجد .. اسمه - « زج لاه » .. ومعه
جيش .. فدعاهم الى الاسلام .. فلم يستجيبوا
.. فقاتلوهم وهزموهم وغنموا اموالهم .

وكان فى جيش المسلمين الاصيد بن سلمه
.. لقى اباه سلمة .. وسلمة على فرس له فى
الغدير .. فدعا اباه الى الاسلام وله الامان ..
فسبىه وسب دينه .. ف ضرب الاصيد عرقوب
فرس ابيه .. فارتكز الرجل على رمحه فى الماء ..
فجاء احد المسلمين فقتله .. ولم يقتله ابنه .

وفى شهر ربيع الثانى .. من العام التاسع
الهجرى .. ارسل - عليه السلام - على بن أبى
طالب الى صنم طيء .. واسمها - الفلس -
لهدمه .. وبعث معه مائة وخمسين من الانصار
على مائة بعير .. وخمسين فرسا .. فهدمه ..
وغنم سبيا ونعما وشاء .

وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى ..
وقد هرب اخوها عدى بن حاتم الى الشام ..
فاطلقها رسول الله واكرمها .. فاسلمت ..
وكانت سببا فى اسلام اخيها عدى .. بعد ان
نصحته بالذهاب الى رسول الله بالمدينة .. فذهب
اليه .. واسلم على يديه .

وقد وجد على فى خزانة عدى بن حاتم ثلاثة
سيوف : رسوب .. والمخدم .. وسيف يقال له :
اليمانى .. وثلاثة دروع .. فاخذ رسول الله
رسوب والمخدم .. واخذ على اليمانى .

ومن حقنا الآن ان نصحب رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - الى غزوة تبوك .. آخر غزواته
- عليه السلام -

فقد علم ان هرقل جمع له جيشا من الروم
.. وانضم اليهم من عرب الشام لخم .. وجزام
.. وعاملة .. وغسان .. وان هرقل قد رزقهم
لمده سنة .. وابهم قدموا معدتهم الى البلقاء ..
من اعمال دمشق .

هاعلن - صلى الله عليه وسلم - عن الاعداد
للخروج الى الشام لحرب بني الاصغر - الروم -
قال يوما للجد بن قيس - احدثني سلع - « هل
لك يا جد في نزال بني الاصغر هذا العام » لا

فقال . يارسول الله .. او تأذن لي ..
ولا تعتنى .. فوالله لقد عرف قومي انه ما من
رجل باشد عجبا بالنساء مني .. واني احشى ان
رايت بنات بني الاصغر ان لا أصبر .. فاعرض
عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال .
« لقد أدلت لك » . فغضب نزلت الاية :

(ومنهم من يقول انن لن ولا نعتنى الا في
الغنى سَبَّحُوا (١) . سَبَّحُوا)

اعلن - عليه الصلاة والسلام - عن خروجه
.. في زمن عسره في الناس .. فالحر قاس ..
والجذب شديد .. لا زرع ولا صرع .. وفي الوقت
الذي بدات طيب فيه النمار .. وتنتشر الظلال
.. وقت يعز فيه على الاسنان مفارقه نماره
وظلاله .

وكان المسلمون في تلك الغزوة من شدة الحر
.. ينحرون البعير ليشربوا ما في جوفه من ماء ..
ولهذا سميت - غزوة العسرة - ونزل فيها قول
الله - تبارك وتعالى .. :

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار
الذين البعوه في ساعه العسرة من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم
رءوف رحيم) (٢) .

كان - عليه الصلاة والسلام - يكنى في كل
غزوة يخرج اليها .. فلا يخبرهم بوجهته للجرب
.. - كتمانا للسر - ولكنه في تلك الغزوة ..
اخبارهم انه ذاهب الى تبوك .. لمحاربة هرقل
الروم وجنوده .. بعد الشفة .. وشدة الزمان
.. وفوه العدو .

وتبوك في منتصف المسافة - تقريبا - بين
المدينة ودمشق .. بعد عن المدينة اربع عشرة
مرحلة .. وعن دمشق احد عشر مرحلة .

وبدا المناقون يرجفون في المدينة .. ويقولون
للناس : لا تفسروا في الحر .. فقال الله تعالى
عنهم :

(وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في
سبيل الله وقالوا لا تفسروا في الحر فل نار
جهنم اشد حرا لو تأملوا يقهون) (٣) .

وجاء المعتزون يعدرون الى رسول الله لياذن
لهم في التحلف .. ولما اتين وتماين رجلا ..
فادس لهم .. ونزل في شأنهم :

(لو كان عرسا مرييا وسعراقا صدا لاتبعوك
ولكن بعدت عليهم النشعة وسيلحلفون بالله لو
استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم
انهم تكاذبون * عفا الله عنك ثم أدت لهم حتى
يتبين لك الدين صدقوا وتعلم الكاذبين *
لا يستأذلك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان
يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين *
لما يستأذلك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر
وارتاب قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) (٤) .

كما اشار اليهم - سبحانه - بقوله :
(وجاء المعدرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا
منهم عذاب اليم) (٥) .

فقد تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - في غزوة تبوك عدد من المناقنين بغير

(١) - ٤٩ - التوبة .

(٢) - ١١٧ - التوبة .

(٣) - ٩٠ - التوبة .

(٤) - ٨١ - التوبة .

(٥) - ٩٠ - التوبة .

عذر اظهره . . او علة ذكروها . . ولكن جراءة
على الله ورسوله . . وكان على رأسهم عبد الله بن
أبي بن سلول .

كما جاءه البكاءون - وهم سبعة - يطلبون
من رسول الله ما يحملهم عليه . . والظهر قليل
. . فقال لهم : (لا أجسد ما أحملكم عليه) . .
فرجموا باكين محزونين :

(تولوا وأمينهم تفيض من الدمع حزنا إلا
يجدوا ما ينفقون) (١) .

وأرسل أبو موسى أصحابه إلى رسول الله
ليحملهم . . أي يعطيهم ركائب . . فقال : والله
لا أحملكم ولا أجسد ما أحملكم عليه . . ثم أتاه إبل
. . فأرسل إليهم . . ثم قال : « ما أنا حملتكم
. . ولكن الله حملكم . . واني والله لا أحلف يميناً
. . فأرى فيها خيراً منها إلا كفرت عن يميني . .
وأبنت الذي هو خير » .

وجاء المؤمنون بالصدقات . . للانفاق منها
على جيش المسلمين .

فأول من جاء بالصدقة أبو بكر . . جاء بماله
كله . . أربعين ألف درهم . . فقال له - عليه
الصلاة والسلام - : « هل أبقيت لاهلك شيئاً ؟
قال :

أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمر بن الخطاب ماله . . وجاء عبد الرحمن
بن عوف بمائتي أوقية . . وتصدق عاصم ابن
عدي بسبعين وسقاً من تمر - والوسق - حمل
بعير .

وجهز عثمان بن عفان ثلث الجيش وحده .
وروى عن قتادة . . انه قال : حمل عثمان
في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً .
كما روى الطبراني عن حذيفة . . أن عثمان
بعث في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار إلى
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قضيت
بين يديه . . فجعل يقول بيده . . ويقلبها فلها
لبطن . . ويقول :

« غفر الله لك يا عثمان . . ما أسرت
وما أعلنت . . وما هو كائن إلى يوم القيامة . .
ما يبالي ما عمل بعدها » .

واجتمع لرسول الله أكبر جيش ثالث في
العرب . . فبلغ عددهم ثلاثين ألفاً . . ومعهم من
الخيال عشرة آلاف فارس .
وتحرك رسول الله بهذا الجيش . . من ثنية
الوداع . . متوجهاً إلى - تبوك - في شهر رجب
من العام التاسع . . بعد أن عقد الألوية
والرايات .

فدفع لواءه الأكبر لأبي بكر . . ورايته العظمى
للزبير . . ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير
. . وراية الخزرج للحباب بن المنذر . . وجعل لكل
بطن وقبيلة لواء أو راية .

واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة . .
كما استخلف على بن أبي طالب على أهله . . وكان
استخلاف على في المدينة . . مجالاً للمنافقين . .
فقالوا : ما خلفه في المدينة إلا استثقلاً له . .
وتخففاً منه .

وتحركت في نفس على أشياء . . لما بلغه
ما يقول المنافقون . . فآخذ سلاحه . . وأدرك
الرسول . . وهو نازل بالجرف . . فقال : يا نبي
الله . . زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك
استثقلتني . . وتخففت مني . . فقال :

« كذبوا . . ولكنني خلفتك لما تركت ورائي
. . فأرجع فأخلفني في أهلي وأهلك . . أفلا ترضى
يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟
. . إلا أنه لا نبي بعدي » . . فرجع على أبي
المدينة .

ومضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
على سفره .

وتخلف عن الرسول ناس من غير شك
ولا ارتياب . . منهم :

كعب بن مالك . . ومرارة بن الربيع . .
وهلال بن أمية . . وأبو خيثمة السلمي . .
وأبو ذر الغفاري .

فأما أبو خيثمة .. فإنه رجع بعد أيام .. من رحيل الجيش .. الى اهله في يوم حار .. وكان له زوجتان .. فوجدهما وقد رشت كل واحدة منهما عريشها .. وبردت له ماء .. وهيات له طعاما .. فلما رأى هذا قام على باب العريش .. وقال : اظل وطعام وماء .. ورسول الله في كبد الصحراء .. والله ما هذا بعدل .. ثم قال : والله لا ادخل حتى الحق برسول الله .. فأخذ زاده وناقته فارتحل .

والتقى في الطريق .. بعمير بن وهب الجمحي .. يطلب رسول الله - ايضا - فترافعا .. حتى اذا دنوا من تبوك .. وقد بلغها رسول الله .. قال أبو خيثمة لعمير .. ان الى ذنبا .. فلا عليك ان تتخلف عني .. حتى آتى رسول الله .. ففعل .. فرآه المسلمون على البعد .. قالوا : هذا راكب على الطريق مقبل . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « كن ابا خيثمة » قالوا : هو والله ابو خيثمة . وأما أبو ذر .. فلم يكن يتخلفه عن الجيش .. الا لبطء بعيره .. فلما أبطأ عليه .. اخذ متاعه .. فحمله على ظهره .. ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشيا .. ونزل رسول الله في بعض منازل في الطريق .. فنظر بعض الناس في الصحراء .. ثم قال : ان هذا رجل يمشى على الطريق وحده .. فقال - عليه الصلاة والسلام -

« كن ابا ذر » .. فلما تأمله القوم .. قالوا : يا رسول الله .. انه أبو ذر .. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « یرحم الله ابا ذر .. يمشى وحده .. ويموت وحده .. ويبعث وحده » .. وقد تحقق ذلك :

فان عثمان في خلافته .. نفى ابا ذر من المدينة .. فنزل - الربرة - قرية - فوافاه قدره بها .. ولم يكن معه أحد .. الا امرأته وغلأمه .. فأوصاهما : ان غسلاني وكفناني .. ثم ضعاني على قارعة الطريق .. فأول مركب يمر بكم .. قولوا : هذا أبو ذر - صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه .. ففعلا ذلك .. فكان أول مركب يمر .. عبد الله بن مسعود .. مع ناس من العراق

.. يطلبون العمرة .. فوجدوه على الطريق .. كادت الابل تطأه .. فقال لهم الفلام : هذا أبو ذر - صاحب رسول الله - فأعينونا على دفنه .. فاستهل ابن مسعود يبكي .. ويقول : صدق رسول الله .. تمشى وحدك .. وتموت وحدك .. وتبعث يوم القيامة وحدك .

ثم نزل هو واصحابه فواروه .. وكان موته في عام ٣٢ هجرية .

ولنعد سراعا الى ركب رسول الله .. وقد مر في طريقه بالحجر - ديار ثمود - فاستقى الناس من بئرها .. فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا من مائها .. ولا تتوضأوا منها .. وما كان من عجيب عجنتموه .. فاعلفوه الابل .. ولا تاكلوا منه شيئا » .. هذا في صحيح مسلم . أما في صحيح البخاري : انه امرهم بالقساء العجين وطرحه .

وروى الشيخان : لما مر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بالحجر .. سجد ثوبه على وجهه .. واستحث راحلته .. ثم قال :

« لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا انفسهم الا وانتم باكون .. خوف ان يصيبكم ما اصابهم » **واصبح الناس ولا ماء معهم .. فشكوا ذلك الى رسول الله .. فدعا ربه .. فأرسل الله سحابة أمطرت .. حتى ارتوى الناس .. واحتملوا حاجتهم من الماء .**

تلك كلها خوارق ومعجزات .. حصلت في غزوة - تبوك - ذكرتها كل كتب السيرة .. كما ذكرنا ان ناقة رسول الله ضلت في الطريق .. فقال زيد بن لصينث القينقامي .. وكان منافقا : اليس يزعم محمد انه يخبركم عن خبر السماء .. وهو لا يدري ناقتة ؟

فقال - عليه السلام - « ان رجلا يقول كذا .. وانى والله لا أعلم الا ما علمنى ربي .. وقد دلنى الله عليها .. وهى في الوادئ .. في شعب كذا وكذا .. وقد حبستها شجرة بزمامها » فانطلقوا فاتوه بها .

واستمر الجيش .. حتى نزل تبوك .. وكان هرقل بحمص .. فلم يلق رسول الله حربا .

واتاه صاحب - أيلة - فعاهده .. ودفع له الجزية أيضا .. وأعطاهم كتباً يؤمن بها سفنهم وسياراتهم في البر والبحر .. لهم ذمة الله ورسوله .. وكذلك من معهم من أهل الشام واليمن .

وفي صحيح مسلم .. أنهم لما وصلوا تبوك .. وجدوا عينا تبض بشيء قليل من الماء .. فعرفوا منها قليلا قليلا .. حتى اجتمع منه شيء في وعاء .. ففسل رسول الله فيه وجهه ويديه .. ثم أعاده في العين .. فجرت بماء كثير .. فاستقى الناس .. ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« يؤشك يا معاذ إن طالت بك حياة إن ترى ههنا ماء قد ملأ جنانا » .

ومكث - عليه الصلاة والسلام - في تبوك عشرين ليلة .. كان يجمع فيها بين الصلاتين قصرا .

قال أبو داود .. عن معاذ بن جبل : أن النبي كان في غزوة تبوك .. إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس آخر الظهر .. حتى يجمعها إلى العصر .. فيصليهما جميعا .. وإذا ارتحل .. قبل المغرب آخر المغرب حتى يصليها مع العشاء .. وإذا ارتحل بعد المغرب .. عجل العشاء فصلاها مع المغرب .

وقبل أن نرحل عن تبوك .. لا أحرم القاريء الكريم .. من خطبة خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تبوك .. لأنها آية في البيان .. وقمة في الحكمة .. لا يدانيها نطق إنسان .. ذكرها البيهقي في الدلائل .. والحاكم من حديث عقبة بن عامر .. قال :

فأصبح تبوك .. فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله .. ثم قال :

« أما بعد .. فإن أصدق الحديث ذكر الله .. وأحسن القصص هذا القرآن .. وخير الأمور عوازمها .. وشبر الأمور محدثاتها .. وأحسن

الهدى هدى الأنبياء .. وأشرف الموت قتل الشهداء .. ولعمري العمى الضلالة بعد الهدى .. وخير الأعمال ما نفع .. وخير الهدى ما اتبع .. وشر العمى عمى القلب .. واليد العليا خير من اليد السفلى .. وما قل وكفى خير مما كثر .. والهي .. وشر المعذرة حين يحضر الموت .. وشر الندامة يوم القيامة .. ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا .. ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا .. ومن أعظم الخطايا اللسان الكاذب .. وخير الغنى غنى النفس .. وخير الزاد التقوى .. ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل .. وخير ما وقر في القلب اليقين .. والارتياب من الكفر .. والنياحة من عمل الجاهلية .. والفلول من حر جهنم .. والسكر كى من النار .. والشعر من إبليس .. والخمر جماع الائم .. وشر المأكول مال اليتيم .. والسعيد من وعظ بغيره .. والشقى من شقى في بطن أمه .. وانما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع .. والأمر إلى الآخرة .. وملاك العمل خواتمه .. وشر الرؤيا رؤيا الكذب .. وكل ما هو أت قريب .. وسباب المؤمن فسوق .. وقتاله كفر .. واكل لحمة من معصية الله .. وحرمة ماله كحرمة دمه .. ومن يأتي على الله يكلبه .. ومن يغفر له .. ومن يعف يعف الله عنه .. ومن يكظم الغيظ يآجره الله .. ومن يصبر على الرزية يعوضه الله .. ومن يتبع السمع يسمع الله به .. ومن يتصبر يضغف الله له .. ومن يعص الله يعلذه الله .. ثم استغفر ثلاثا » .

وقبل أن نصحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عودته إلى المدينة .. يقتضينا تسليرا الأحداث .. أن نمر سريعا بسرية أرسلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفس الشهر رجب من العام التاسع الهجرى إلى « دومة الجندل » .

فقد أرسل خالد بن الوليد .. في أربع مائة وعشرين فارسا إلى أكيدر - بن عبد الملك النصراني - بدومة الجندل - وكان ملكا عليها .. من قبل هرقل الروم .. وقال له : ستجده

يصيد البقر .. فانتهى اليه خالد .. وقد
خرج من حصنه في ليلة مقمرة .. الى بقر
يطاردها .. فأسره خالد .. وقتل أخاه حسان
.. وهرب من كان معهما الى الحصن .
ثم أجار خالد أكيدر من القتل .. حتى يأتى
به الى رسول الله ... صلى الله عليه وسلم -
على أن يفتح له - دومة الجندل ... وصالحه على
الغى بعير .. وثمانمائة فرس .. وأربعمائة درع
.. وأربعمائة رمح .. فمعا عنه رسول الله ..
وأطلقه وكتب له كتاب امان .

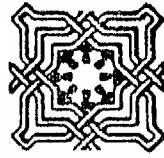
وذكر ابن اسحاق : أن أكيدر في تلك الليلة
.. رأى البقر وهو مع زوجته على سطح منزله
.. تحك قرونها بباب القصر .. فقالت له

امراته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ .. قال :
لا والله .

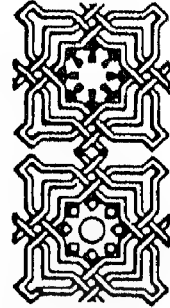
فركب هو وأخوه حسان .. وركب معهما
نفر من أهل بيتهما .. وخرجوا يطاردون البقر
.. فسقطوا في يد خالد .. وكانت على أكيدر
قبة من ديباج مخوص بالذهب .. أرسلها خالد
الى رسول الله .. قبل قدومه .

وامامى خبر لطيف عن أكيدر .. ذكره ابن
عائد :

وهو أن أكيدر قال عن البقر : والله ما رأيتها
اتتناقط الا البارحة .. ولقد كنت أضمر لها
اليومين والثلاثة .. ولكن قدر الله .



إلى أحضان طيبة وأحد



مرض عبد الله بن أبي زعيم المنافقين مرض الموت
فأرسل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يطلب منه قميصه ليكفن فيه .. فأرسل إليه قميصه
الخارجي .. فردّه .. وطلب القميص الذي يلي
جسده .. فقال عمر : لا تعط قميصك الرجس
النجس .. فقال - عليه السلام - « يا عمر إن قميصي
لا يغني عنه من الله شيئاً .. فلعل الله يدخل به ناساً
في الإسلام » .

- ٥٧ -

الى أحضان طيبة وأحد

يقول تعالى :

« والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل » وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ﴿ لا تقم فيه أبدا (١) » .

وكانوا اثني عشر رجلا من المنافقين . . يضارون به مسجد قباء . . قالوا : نبني مسجدا . . فنقيل فيه . . ولا نحضر خلف محمد . . فدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالك ابن الدخشم . . ومعه عدى بن عامر ووحشي . . وقال : انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه . . ففعلوا . . وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة . . تلقى فيه الجيف والقمامات .

أشرف موكب الرسول - عليه الصلاة والسلام - على المدينة عائدا من تبوك . . حيث بنى في طريق عودته كثيرا من المساجد . . حتى نزل - بذي اوان - وهو موضع قبيل المدينة بساعة . . وكان ذلك في رمضان سنة تسع . . فجاءه جماعة من المنافقين . . كانوا قد أتوه وهو يتجهز الى تبوك . . فقالوا : يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا للذي العلة والحاجة واليلة المطرة . . ونحب أن تأتينا فتصلى بنا فيه . . فقال لهم : « أتى على سفر ! ! وأن قدمنا ان شئاء الله أيتناكم فصلينا بكم » .

فلما نزل بذي اوان . . وهو عائد من تبوك أتوه ليصلى بهم . . في مسجدهم . . فأخبرته السماء أن هذا المسجد بنى للاضرار بالمسلمين . . وتفريق صفوفهم .

(١) ١٠٧ - ١٠٨ - التوبة .

ودخل - عليه السلام - المدينة في موكب
ضخم .. من افراح أهلها .. يدوى تكبيرهم في
اجواز الفضاء .. وتنشد فتياتهم أناشيد الغناء
طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع

فلما اشرف على المدينة .. قال : « هذه
طيبة * وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه ..
وانشد له العباس قصيدة قافية يمدحه فيها ..
منها :

وانت لما ولدت اشرفت الار
ض وضاعت بنورك الأفق
فنحن من ذلك النور في الضيا
ء وسيل الرشاد تحترق

فبدا - صلى الله عليه وسلم - بالسجدة ..
فدخله وصلى به ركعتين .. ثم جلس للناس ..
فجاءه المخلفون .. يعتذرون اليه .. ويحلفون
له .. وكانوا بضعة وثمانين رجلا .. فقبل منهم
رسول الله علانيتهم .. واستغفر لهم .. ووكل
سرايرهم الى الله .

وغزوة تبوك .. هي آخر غزواته - عليه
السلام -

وكانت غزواته .. التي خرج فيها بنفسه -
كما ذكر ابن اسحاق - سبعا وعشرين غزوة ..
وقال بعض الرواة كالطبري .. هي سنت
ومشرون .. وهؤلاء اعتبروا غزوة وادي القرى
وخيبر غزوة واحدة .. لانه لم يعد بينهما الى
مثله .

اما بعثه وسراياه .. فكانت ثمانية وثلاثين
.. من بين بعث وسرية .

مع الثلاثة الذين خلفوا :
ويعود بنا الحديث .. الى الثلاثة الذين خلفوا
الثلاثة الصادق الايمان .. وتخلفوا عن تلك
الغزوة .. وهم : كعب بن مالك .. ومرارة بن
الربيع .. وهلال بن أمية .
فلما جاءه كعب بن مالك وسلم عليه ..
تبسم - عليه السلام - تبسم المفضب .. ثم
قال له : تعال .

ولنشهد هذا الوقف .. من كعب يحكى لنا
ما حصل .. قال :

فجئت أمشي حتى جلست بين يديه .. فقال
ما خلفك ؟ .. ألم تكن قد ابتعت
ظهرك ؟ فقلت : بلى والله .. لقد علمت أن
حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به على ..
يوشك الله أن يسخطك على .. ولئن حدثتك
حديث صدق تجد على فيه .. انى لأرجو
نفع الله وعفو الله عنى .. والله ما كان لى من
عذر .. والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى
حين تخلفت عنك فقال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - أما هذا فقد صدق .. فقم حتى
يقضى الله فيك . فقامت فأثاني ناس يؤنبوننى
على عدم اعتذارى .. وكان يكفينى استغفار
الرسول لى . فقلت لهم : هل لقي هذا معى
أحد ؟ - قالوا : نعم رجلان .. قالا مثل الذى
قلت .. فليلهما مثل الذى قيل لك ..
فقلت : من هما ؟ .. قالوا : مرارة بن الربيع
.. وهلال بن أمية الواقفى .. فذكروا لى
رجلين صالحين شهدا بدرا .. فيهما أسوة
فمضيت حين ذكروهما لى .

ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
المسلمين عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلفوا
عنه .. فاجتنبنا الناس .. وتغفروا لنا .. حتى
تنكرت لى الأرض .. فما هى بالتي أعرف .

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة .. فأما صاحبى فقد استكانا .. وقعدا فى بيوتهما يبكيان .. وأما انا فكنت أشب القوم واجلدهم .. كنت اخرج واشهد الصلاة مع المسلمين .. واطوف فى الأسواق .. ولا يكلمنى أحد .. وآتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة .. فأقول فى نفسى : هل حرك شفثيه برد السلام على ام لا ؟ .. ثم اصلى قريبا منه .. فأسارقه النظر .. فاذا أقبلت على صلاتى أقبل على .. واذا التفت نحوه اعرض عنى .

حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين .. مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة - وهو ابن عمى - واحب الناس اليه . فسلمت عليه .. فوالله ما ردد على السلام . فقلت : يا ابا قتادة .. انشدك الله .. هل تعلم انى احب الله ورسوله ؟ .. فسكت .. فعدت له فنشأته فسكت .. فعدت له فنشأته فقال : الله ورسوله أعلم .

ففاضت عينائى .. وتوليت حتى تسورت الجدار .. فبينما أنا امشى بسوق المدينة .. واذا نبطى من انباط الشام .. ممن قدم بالطعام .. يبيعه بالمدينة .. يقول : من يدلنى على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له الى .. حتى اذا جاء دفع الى كتابا من ملك غسان .. فاذا فيه :

أما بعد .. فانه بلغنى ان صاحبك قد جفاك .. ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضجعة .. فالحق بنا نواسيك .

فقلت لما قرأتها : وهذا ايضا من البلاء .. فتيممت بها التنور .. فسجرتها .

حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين .. اذ رسول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتينى فقال : ان رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك .

فقلت : أطلقها .. ام ماذا ؟ قال : لا .. ولكن اعتزلها ولا تقربها .

وارسل الى صاحبى مثل ذلك .. فقلت لامراتى : الحقى بأهلك .. فكونى عندهم .. حتى يقضى الله فى هذا أمرا .

فجاءت امرأة هلال بن أمية .. فقالت يارسول الله .. ان هلال بن أمية شيخ ضائع .. ليس له خادم .. فهل تكره أن اخذمه ؟ . قال لا ولكن لا يقربك .. قالت : انه والله ما به حركة الى شيء .. والله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا .

قال كعب : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله فى امرأتك .. كما أذن لامرأة هلال بن أمية ان تخدمه ؟ .. فقلت : والله لا استأذن رسول الله فيها .. وما يدرينى ما يقول رسول الله اذا استأذنته فيها .. وأنا رجل شاب ؟ .

ولبثت بعد ذلك عشر ليال .. حتى كملت لنا خمسون ليلة .. من حين نهى رسول الله عن كلامنا . فلما صلينا الفجر .. صبح خمسين ليلة .. على سطح بيت من بيوتنا .. بينا أنا جالس على الحال التى ذكر الله تعالى .. قد ضاقت على نفسى .. وضافت على الأرض بما رحبت .. سمعت صوت صارخ .. أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك .. ابشر .. فخررت ساجدا .. فعرفت أن قبـد

جاء فرج من الله .. وآذن رسول الله بتوبة الله
 علينا حين صلى الفجر .. فذهب الناس
 يبشروننا .. وذهب قبل صاحبي مبشرون .
 وركض الى رجل فرسا .. وسعى ساع
 من اسلم .. فأوفى على ذروة الجبل .. وكان
 الصوت اسرع من الفرس .. فلما جاءني الذي
 سمعت صوته يبشرني .. نزعته له ثوبي ..
 فكسوته اياهما ببشراه .. والله ما املك وقته
 غيرهما .. واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت
 الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فتلقاني الناس فوجا فوجا .. يهنئوني بالتوبة
 .. يقولون : ليهنك توبة الله عليك .

قال كعب : حتى دخلت المسجد .. فاذا
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس
 حوله الناس .. فقام الى طلحة بن عبيد الله
 يهرول حتى صافحني وهنأني .. والله ما قام
 الى احد من المهاجرين غيره .. ولست انسها
 لطلحة .

فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - قال وهو يشرق وجهه من السرور :
 « ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك »
 قال : قلت اهو من عندك يا رسول الله ام من
 عند الله ؟ .. قال : « لا .. بل من عند الله » .

وكان عليه السلام - اذا سر استنار وجهه ..
 كأنه قطعة قمر .. وكنا نعرف ذلك منه .. فلما
 جلست بين يديه .. قلت : يا رسول الله ..
 ان من توبتي .. ان انخلع من مالي صدقة الى
 الله ورسوله .. فقال : أمسك بعض مالك ..

فهو خير لك : قلت فاني أمسك سهمي الذي
 بخير ..

ثم قلت : يا رسول الله .. ان الله نجاني
بالصدق .. وان من توبتي الا احدث الا صدقا
 ما بقيت .. فوالله ما أعلم احدا من المسلمين ابلاه
 الله في صدق الحديث .. منذ ذكرت ذلك لرسول
 الله الى يومى هذا ما ابلاني .. والله ما تعمدت
 بعد ذلك الى يومى هذا كذبا .. وأنى لأرجو ان
 يحفظنى الله فيما بقيت .. والله ما انعم الله على
 نعمة قط بعد ان هداني للاسلام .. اعظم في
 نفسي من صدقي لرسول الله ان الا اكون كذبت
 فاهلك كما هلك الذين كذبوا .. فان الله قال
 للذين كذبوا - حين انزل الوحي - شر ما قال
 لاحد .. قال :

(سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم
 لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس
 وماواهم (١) جهنم جزاء بما كانوا يكسبون *
 يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان
 الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) .

فبذلك قال الله تعالى :

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
 عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم
 وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم
 ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم * يا ايها الذين
 آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (٢) .

وقال ابن عباس .. في قوله تعالى :

(واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا
 صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان
 الله غفور رحيم) (٣) .

(١) ٩٥ - ٩٦ / التوبة .

(٢) ١١٨ - ١١٩ / التوبة .

(٣) ١٠٢ - التوبة .

قال : كانوا عشرة رهط .. تخلفوا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك .. فلما رجع رسول الله .. أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد .. فقال : « من هؤلاء » ؟ .. قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له .. تخلفوا عنك يا رسول الله .. حتى تطعمهم وتعذرهم .. فقال : « أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم .. حتى يكون الله هو الذى يطعمهم .. رغبوا عنى وتخلفوا عن الغزو .. فأنزل الله تعالى (وأخرون اعترفوا بذنوبهم) .. الى آخر الآية . فلما نزلت .. ارسل اليهم النبى فاطلقهم وعذرهم . وقبل أن نطوى صفحة تبوك .. علينا أن نطوق معها حصة شيخ المنافة بن .. عبد الله ابن أبى بن سلول .

فقد مرض بعد عودة رسول الله من تبوك .. وظل مريضا عشرين ليلة .. ثم مات في شهر ذى القعدة سنة تسع .

وقد زاره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه .. فطلب منه أن يصلى عليه اذا مات .. ويقوم على قبره .. ثم انه رُسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يطلب منه قيمته ليكن فيه .. فارسل اليه القميص الخارجى .. فردده وطلب القميص الذى يلى جسده ليكن فيه .. فقال عمر : لا تعط قميصك الرجس النجس .. فقال - عليه السلام - يا عمر .. ان قميصى لا يفنى عنه من الله شيئا .. فلعل الله يدخل به ناسا فى الاسلام .

وكان المنافقون لا يفارقون ابن أبى .. فلما راوه يطلب هذا القميص أسلم منهم كثير فلما

مات جاءه ابنه يعرفه - صلى الله عليه وسلم - بموته .. فقال لابنه : « صل عليه وادفنه » .. فقال : ان لم تصل عليه يا رسول الله .. لم يصل عليه مسلم .. فقام - عليه السلام - ليصلى عليه .. فقام عمر .. يحول بين رسول الله وبين القبلة .. لئلا يصلى عليه .

وعن عبد الله بن عباس .. قال :

سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أبى بن سلول .. ودعى رسول الله للصلاة عليه .. فقام اليه .. فلما وقف عليه يريد الصلاة .. تحولت حتى قمت فى صدره .. فقلت : يا رسول الله .. اتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى .. القاتل يوم كذا كذا ؟ .. اعدد أيامه .. ورسول الله يبتسم .. حتى اذا كثرت عليه قال : « آخر عنى يا عمر .. انى خبرت فاخترت .. وقد قيل لى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم) (١) . نلزم رسول الله ، ثم .. »

« فلو أنى أعلم انى ان زدت على السبعين غفر له .. لزدت » .

قال : ثم صلى عليه ومشى معه .. فقام على قبره .. حتى فرغ منه .. ثم قال عمر لابن عباس : اتعجب لى وجرأتى على رسول الله ؟ .. والله ورسوله أعلم .. فوالله ما كان الا يسير .. حتى نزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) (٢) .

فما صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على منافق .. ولا قام على قبره .. حتى قبضه الله .

(١) ٨٠ - التوبة .

(٢) ٨٤ - التوبة .

وفي تلك السنة التاسعة من الهجرة الشريفة
 .. خرج أبو بكر ليحج بالناس .. أرسله رسول
 الله - صلى الله عليه وسلم - في ثلاثمائة رجل
 .. ومعهم عشرون بدنة .. وأمره أن يؤذن في
 الناس يوم النحر .. أن لا يحج بعد هذا العام
 مشرك .. ولا يطوف بالبيت عريان .
 فقد أنزل الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس
 فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) (٣) .
 ثم أرسل خلفه على بن أبي طالب على
 القصواء - ناقة رسول الله - فلما لحق بأبي
 بكر ..

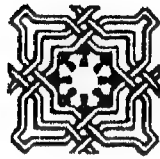
قال له أبو بكر : هل استعملك رسول الله
 على الحج ؟ .. قال : لا .. ولكن بعثني لأقرأ
 على الناس سورة - براءة - أنبذ كل ذي عهد
 مهده .. وكانت من عادة العرب .. ألا ينبد
 العهد إلا من كان قريباً ممن أراد التبد .. فلذلك
 بعث رسول الله علياً لينبذ عهوده .. وبعث أبا بكر
 ليحج بالناس .

وقد قرأ على بن أبي طالب سورة براءة على
 الناس يوم النحر .. عند الجمرة .. ونبذ كل
 عهد عهده .. وقال : لا يحج بعد هذا العام مشرك
 .. ولا يطوف بالبيت عريان .. فلم يحج مشرك
 مع رسول الله في الحجة التالية - حجة الوداع -
 وسورة براءة .. هي سورة التوبة .. وقد
 أورد صاحب تفسير الكشاف لها عدة أسماء :

براءة .. والتوبة .. والمقشقة .. والمبعثرة
 .. والمشردة .. والمخرية .. والفاضحة ..
 والمشيخة .. والحافرة .. والمنكلة .. والمدممة
 .. وسورة العذاب .

ثم عاد أبو بكر وعلى بالمسلمين إلى المدينة
 بعد الحج .. وكان على يصلى خلف أبي بكر ..
 إلى أن عادوا إلى المدينة .

ومن هذا يتضح وهم الرافضة والشيعة ..
 لما زعموا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 عزل أبا بكر عن إمارة الحج في هذا العام ..
 واستبدله بعلى .



وأسلمت ثقيف وحطمت الطاغية



كانوا يسألونه .. مع ترك اللات ان يعفهم من
الصلاة والا يكسروا اوثانهم بأيديهم .. فقال لهم :
اما كسر اوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه .. واما
الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه .

فاسلموا على ذلك .. وكتب لهم كتابهم .. وامر
عليهم عثمان بن ابي العاص .. ثم توجهوا الى ديارهم
ومعهم ابو سفيان بن حرب .. والمغيرة بن شعبة
لهدم الطاغية - اللات - .

واسامت ثقيف وحطمت الطاغية

اقول : ما ان تركهم - عليه السلام - حتى شرح الله صدر زعيمهم عروة بن مسعود الثقفي للاسلام - فسار على اثر رسول الله .. وادركه قبل دخول المدينة .. فاسلم وشهد شهادة الحق .. واستاذن رسول الله .. في الرجوع الى قومه بالاسلام .. فقال له « انهم قاتلوك » .. فقال عروة : انا احب اليهم من ابكارهم (١) .. فاذن له :

وكان عروة مطاعا محبوبا في قومه .. فعاد اليهم يدعوهم الى الاسلام .. وهو يطمع في طاعته لمنزلته فيهم .. واظهر لهم دينه .. فرموه بالنبل من كل وجه .. فاصابه سهم فقتله .

وقيل له يا عروة .. ما ترى في دمك ؟ .. قال : كرامة اكرمني الله بها .. وشهادة ساقها الله الى .. فليس في الا ما في الشهداء .. الذين قتلوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ان يرتحل عنكم .. فادفنونى معهم .. فدفنوه معهم .

وقال - عليه السلام - « ان مثله في قومه .. كمثلي صاحب يس في قومه .

واقامت ثقيف بعد قتل عروة اشهرها .. ثم راوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من

من اعماق التواريخ .. كانت قريش اما للعرب .. في جميع انحاء الجزيرة العربية .

فيهم هداتهم واسوتهم .. واهسل بيت الله الحرام .. وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم .. وقادة العرب كلهم .. لا ينكرون ذلك .

وقريش هي التي ناصبت رسول الله العداء .. تبث عيونها في كل ركن .. من اركان الجزيرة .. للتجمع لحرب المسلمين والقضاء عليهم .. ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

فلما دخلت قريش في الاسلام .. عاد العرب كلهم الى صوابهم .. وراجعوا انفسهم في امر محمد ودينه .. فدخلوا في الاسلام افواجا .. فارسلوا وفودهم الى المدينة .. يضربون اليه من كل وجه .. وفدا وفدا .. وفوجا وفوجا .

ويهمنا اول ما يهمنا من تلك الوفود وفد ثقيف .. فقد تركنا ثقيفا على كفرها بالطائف .. وعندهم صنمهم الطاغية - اللات - ولكن ما ان تركهم - عليه السلام - في حصنهم وعاد الى المدينة .. بعد ان قيل له : ادع عليهم .. فقال : « اللهم اهد ثقيفا واثت بهم » .

(١) الابكار : جيد الجمال .

من العرب الذين بايعوا واسلموا .. فاتفقوا على ارسال وفدهم الى رسول الله بالمدينة .. وذهب وفد ثقيف الى رسول الله .. فلما دنوا من المدينة .. لقيهم المغيرة بن شعبه .. وهو ثقفي .. فاسرع ليشرح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقدمهم عليه .. فلقيه ابو بكر .. فقال اقسمت عليك بالله لا تسبقني الى رسول الله .. لاكون انا البشير .. ففعل .

فدخل ابو بكر على رسول الله فاخبره بقدمهم عليه .. ثم خرج المغيرة الى اصحابه .. فروح الظهر معهم .. واعلمهم كيف يحيون رسول الله بتحية الاسلام .. فلم يفعلوا الا تحية الجاهلية .

فلما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضرب عليهم قبة في ناحية من المسجد .. وكان خالد بن سعيد بن العاص .. هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله .. حتى كتبوا كتابهم .. وخالد بن سعيد هو الذى كتبه .. وكانوا لا ياكلون طعاما ياتيهم من عند رسول الله .. حتى ياكل منه خالد .. حتى اسلموا .

اسلموا .. وكتب لهم رسول الله كتابا بعد مناقشات بين رسول الله وبينهم .

فقد سألوه ان يدع لهم الطاغية - اللات - لا يهدمها ثلاث سنين .. فأبى رسول الله .. فما برحوا بسألونه سنة .. سنة .. وأبى عليهم .. حتى سألوه شهرا واحدا بعد وصولهم الى ديارهم .. فأبى عليهم ان يدعها شيئا مسمى .

وكانوا يقصدون من ترك اللات - فيما يظهرون .. اكتفاء شر سفائهم ونسائهم وذرائعهم .. ويكرهون ان يروعوا قومهم بهدمها .. حتى يدخلوا في الاسلام .. فأصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ان يبعث معهم ابا سفيان ابن حرب .. والمغيرة بن شعبه يهدمانها .

كما كانوا يسألونه مع ترك اللات .. ان يعفيهم من الصلاة .. والا يكسروا اوثانهم بأيديهم ..

فقال لهم : اما كسروا اوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه .. واما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه .. فاسلموا على ذلك .. وكتب لهم كتابهم .. وأمر عليهم عثمان بن ابي العاص .. وكان من احدهم سنا .. الا انه كان احرصهم على التفقه في الاسلام .. وتعلم القرآن .

ثم توجهوا الى ديارهم .. ومعهم ابو سفيان بن حرب .. والمغيرة بن شعبه .

فلما قدموا الطائف .. اراد المغيرة ان يقوم ابو سفيان بهدم - اللات - فأبى عليه ابو سفيان .. وقال : ادخل انت على قومك .. فدخل المغيرة على الطاغية .. ثم علاها .. يضربها بالمعول .. فقام دونه بنو مقيث - وهم اهله - خشية ان يرمى او يصاب .. كما اصيب عروة .. ولكنه اعرض عنهم .

وخرجت نساء ثقيف حاسرات باكيات .. الا انه استمر في ضربها بالمعول .. وأبو سفيان يقول : واهأ لك واهأ لك .. حتى اتم هدمها .. وأخذ مالها وحليها من الذهب والفضة .. وسلمه لأبى سفيان .

وأمر - عليه السلام - بسداد دين كان على عروة بن مسعود .. وأخيه الأسود بن مسعود .. من مال الطاغية - اللات - اكراما لابنهما : أبى مليح بن عروة .. وقارب بن الأسود .. اللذين أسلما بعد قتل عروة .. واقاما بالمدينة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ثم بعث رسول الله ابا موسى الأشعري .. ومعاذ بن جبل الى شطرى اليمن .. وقال لهما : « يسرا ولا تعسرا .. وبشرا ولا تنفرا » .. وقال لمعاذ :

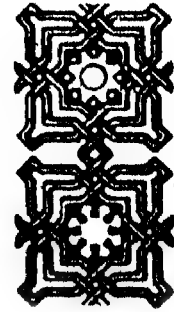
« انك ستأتى قوما اهل كتاب .. فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله .. وان محمدا رسول الله .. فان أطاعوك بذلك .. فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. في كل يوم وليلة .. فان هم أطاعوا لك بذلك .. فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم .. فان هم أطاعوا لك بذلك .. فإناك وكرائهم أموالهم .. واتق دعوة المظلوم .. فانها ليس بينها وبين الله حجاب » .

وإلى خارج معاذ من المدينة الى اليمن .. خرج - عليه الصلاة والسلام - يوصيه .. ومعاذ راكب .. ورسول الله يمشى تحت ظل راحلته .. فلما فرغ من وصيته قال :

« يا معاذ انك عسى الا تلقانى بعد عامي هذا .. ولعلك ان تمر بمسجدى وقبرى » فبكى معاذ لفراقه .

ولم يزل معاذ على اليمن .. الى ان قدم في خلافة أبى بكر .. ثم توجه الى الشام فمات بها .

وفود .. و وفود



وقدم الوفد على ديارهم .. فكان اول ما تكلم به
ضمام ان قال : بثست اللات والعزى .. قالوا :
مه يا ضمام .. اتق البرص .. اتق الجنام .. اتق
الجنون .. قال : ويلكم .. لا تضران ولا تنفعان ..
ان الله قد بعث لكم رسولا .. وانزل كتابا ..
استنقذكم به مما كنتم فيه .. واني اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له .. وان محمدا عبده ورسوله
.. وقد جئتمكم من عنده بما امركم به .. وما نهاكم
عنه ..

وفود .. وفود

وفد أبى فى وقد بنى عامر الى النبى ..
فقالوا : انت سيدنا .. وذو الطول علينا ..
فقال : « مه .. مه .. قولوا بقولكم .. »
ولا يسخرن بكم الشيطان .. السيد الله «
لما قدم على رسول الله .. وفد بنى عامر ..
فيهم عامر بن الطفيل .. وأربد بن قيس ..
وخالد بن جعفر .. وحيان بن مسلم بن مالك ..
وكان هؤلاء رؤساء القوم وشياطينهم .. فقدم
عدو الله عامر بن الطفيل على رسول الله .. وهو
يريد أن يغدر به .. فقال له قومه : يا عامر ان
القوم قد أسلموا .. فقال : والله لقد كنت آليت
الا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى .. فهل أتبع
عقب هذا الفتى القرشى ؟ .. ثم قال لأربد : اذا
قدمنا على الرجل .. فانى شافل عنك وجهه ..
فاذا فعلت ذلك .. فاعله بالسيف .. فلما
قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قال عامر : يا محمد .. خالنى - اى : أخل بى
أحادثك ..

قلنا ان العرب دخلوا فى الاسلام افواجا ..
فأرسلوا وفودهم الى المدينة .. يضربون اليها
من كل وجه .. ولو شئنا استقصاءها جميعا
.. لأفردنا لها الكتب .. ولكن ليأذن لى الفارىء
فى أن أوجز له بعضها .. مما لا غنى عنه لكل
مسلم نهم الى تثقيف نفسه ما استطاع الى ذلك
سبيلا .. وستجد ان شاء الله - تعالى - أن كل
وفد أوجز خبره لك فيه آية .. أو حكمة .. أو
قطعة أدب يزيدك علما .. ويعطيك فقهًا ..
ويمنحك إيمانا ويقينا ..

فسأنتنى لك ما فيها من درر ولآلىء
واصداف ..

١ - وفد بنى عامر :

أرسل بنو عامر وفدا منهم .. الى رسول الله
- عليه السلام - بالمدينة ..
يقول زيد بن عبد الله بن العلاء :

قال : « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » .
وكررها ثلاثا . . والنبي يابى . . فقال : أما والله
لأملأنها عليك خيلا ورجالا . . فلما ولى بفرسه
. . قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« اللهم اكفنى عامر بن الطفيل » .

فلما خرجوا من عند رسول الله . .
قال عامر لأربد . . ويحك يا أربد . . أين ما كنت
أمرتك به ؟ . . والله ما كان على وجه الأرض
أخوف عندي على نفس منك . . وأيم الله
لا أخافك بعد اليوم أبدا . . قال أربد : لا إبالك
. . لا تعجل على . . فوالله ما هممت بما أمرتني به
الا كنت أنت بيني وبينه . . أفاضرك بالسيف ؟ .
وعادوا الى بلادهم . . وفي الطريق مات عامر
بن الطفيل بالطاعون في عنقه . . في بيت امرأة من
بني سلوك .

ووفد القوم على ديارهم . . فقالوا لهم :
ما وراءك يا أربد ؟ قال : لقد دعاني الى عبادة
نهيء . . لوددت انه عندي فأرميه بنبلى هذه
حتى اقتله .

فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين . . معه
جمل يبيعه . . فأرسل الله - تعالى - عليه وعلى
جمله صاعقة أحرقتهم .
واسلم القوم بعد ذلك .

**وكان أربد أخا لبيد بن ربيعة لأمه . . فبكاه
ورثاه .**

٢ - وفد بني سعد بن بكر :

وقدم وفد بني سعد بن بكر الى رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - وفيه ضمام بن ثعلبة
. . فقدم ضمام . . وأناخ بعيره على باب المسجد
. . ثم عقله ودخل على رسول الله . . وهو جالس
في أصحابه . . وكان ضمام رجلا جلدا أشعر
ذا غدирتين . . فأقبل حتى وقف على رسول الله في
أصحابه . . فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ . .

فقال . . عليه السلام - « أنا ابن عبد المطلب » . .
قال : أمحمد ؟ . . قال : « نعم » قال :
يا ابن عبد المطلب . . اني سألك . . ومغلف
عليك في المسألة . . فلا تجدن في نفسك . . - أي
لا تغضب مني - قال : « لا أجد في نفسي . . فسل
ما بدالك ؟ » .

قال : أنشدك الله الهك واله من كان قبلك
واله من هو كائن بعدك . . آله بعثك الينا رسولا ؟
. . قال : « اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله الهك واله من كان قبلك
واله من هو كائن بعدك . . آله أمرك أن تأمرنا أن
نعبده وحده ولا نشرك به شيئا . . وأن نخلع هذه
الانداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه ؟ . . قال :
« اللهم نعم » .

قال : فأنشدك الله الهك واله من كان قبلك
واله من هو كائن بعدك : آله أمرك أن نصلى هذه
الصلوات الخمس ؟ . . قال : « اللهم نعم » .
ثم جعل يذكر فرائض الاسلام . . فريضة
فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الاسلام
كلها . . ينشده عند كل فريضة وشريعة منها . .
حتى اذا فرغ قال :

فاني أشهد أن لا اله الا الله . . وأشهد أن
محمدا عبده ورسوله . . وسأؤدى هذه الفرائض
. . واجتنب ما نهيت عنه . . ثم لا أزيد ولا أنقص
. . ثم أنصرف الى بعيره راجعا .

**فقال - عليه الصلاة والسلام - « ان صدق
ذو العقيصتين دخل الجنة » .**

وقدم الوفد على ديارهم . . فكان اول ما تكلم
به ضمام ان قال : بثت اللات والعزى . .
قالوا : مه يا ضمام . . اتق البرص . . اتق
الجدام . . اتق الجنون . . قال : ويلكم . .
انهما لا تضران ولا تنفعان . . ان الله قد بعث لكم
رسولا . . وأنزل كتابا . . اسئلكم به مما كنتم

فيه .. واني أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .. وأن محمدا عبده ورسوله .. وقد جئتمكم من عنده .. بما أمركم به .. وما نهاكم عنه .
يقول الرواة : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة الا مسلما .

٣ - وفد بنى حنيفة :

وقدم وفد بنى حنيفة .. فيهم مسيلمة الكذاب .. وكان منزلهم في دار امرأة من الانصار .. من بنى النجار .. فأتوا بمسيلمة .. يستر بالثياب .. ورسول الله جالس مع أصحابه .. في يده عسيب من سعف النخل .

فلما انتهى اليه - عليه السلام - وهم يسترونه بالثياب .. كلمه وسأله :

فقال له رسول الله : « لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك » .

فأسلموا .. ولكن مسيلمة ادعى النبوة والشركة .. مع رسول الله فيها .

بماذا سأل مسيلمة رسول الله ؟

روى ابن اسحاق : أن مسيلمة الكذاب .. كتب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

يقول : « من مسيلمة رسول الله .. الى محمد رسول الله - أما بعد -

فاني أشركت في الأمر معك .. وان لنا نصف الأمر .. ولقريش نصف الأمر .. وليس قريش قوما يعدلون .

فقدم عليه رسوله بكتاب رسول الله اليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم » من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب .

سلام على من اتبع الهدى - أما بعد -
فان الأرض لله .. يورثها من يشاء من عباده .. والعاقبة للمتقين » .

وكان ذلك .. في آخر السنة العاشرة من الهجرة .

وعن مسيلمة بن نعيم بن مسعود .. عن أبيه .. قال :

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه .. يقول لهما .. « وانتما تقولان بمثل ما يقول » ؟ .. قالا : نعم .. قال : « آمنت بالله ورسوله .. ولو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما » . فمضت السنة بان الرسل لا تقتل' .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة .. قال .. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « بينما انا نائم .. اذ أتيت بخزائن الأرض .. فوق في يدئ سواران من ذهب .. فكبرا على واهماني .. فاوحى الله الى ان انفضهما .. فنفضتهما فذهبا .. فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما : صاحب صنعاء .. وصاحب اليمامة » .
وكانت الروح التي نفخ بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي روح أبي بكر الصديق .. حيث قتل' مسيلمة .. في عهد أبي بكر - رضى الله عنه -

٤ - وفد طيء :

واقدم على رسول الله وفد طيء .. ومعهم سيدهم زيد الخيل' .

فلما انتهوا اليه - عليه الصلاة والسلام - عرض عليهم الاسلام .. فأسلموا وحسن اسلامهم .

وقال - عليه الصلاة والسلام - :

« ما ذكر لي رجل من العرب بفضل .. ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال فيه .. الا زيد الخيل .. فانه لم يبلغني كل ما فيه » .. ثم سماه زيد الخير .

فخرج من عند رسول الله .. راجعا الى قومه .. فقال - عليه السلام -

« ان ينج زيد من حمى المدينة فانه » .

فلما انتهى زيد الى ماء .. من مياه نجد ..
يقال له - قردة - اصابته الحمى بها .. فمات ..
فلما احس بالموت .. قال :

امر تحل قومي المشارق غدوة

واتسرك في بيت بقردة منجد

الا رب يوم او مرضت لعادنى

عوائد من لم يبر منهن يجهـد

وكان له ابنان :

مكثف .. وحريث .. اسلما .. وصحبا

رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وشهدا

قتال اهل الردة .. مع خالد بن الوليد .

ه - وفد كندة :

وقدم ايضا الاشعث بن قيس .. على رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - في ستين او ثمانين
راكبا من كندة .

فدخلوا على النبى - عليه الصلاة والسلام -

مسجده .. وقد رجليهم جملهم - اى شعرهم -

وتساحوا .. ولبسوا الجبرات مكففة بالحريز

.. فقال لهم : « او لم تسلموا » ؟ .. قالوا :
بلى ..

قال : « فما هذا الحريز في اعناقكم » ؟ ..

فشقوه ونزعوه والقوه .. ثم قال الاشعث :

يا رسول الله نحن بنو آكل المرار .. واثنت

ابن آكل المرار .. فضحك - عليه السلام -

ثم قال :

« نحن بنو النضر بن كنانة .. لا نقفوا امنا

.. ولا ننتفى من ابينا » .

وبنو آكل المرار من كندة .. كانوا ملوكا ..

والمرار : شجر من شجر البوادي .. واكل المرار :

هو الحرث بن عمرو بن حجر بن عمر بن

معاوية بن كندة .. وللنبى - عليه السلام - جدة

من كندة .. هي ام كلاب بن مرة .. واياها اراد
الاشعث .

٦ - وفد الاشعريين واهل اليمن :

روى عن انس - رضى الله عنه - ان النبى -

صلى الله عليه وسلم - قال :

« يقدم قوم هم ارق منكم قلوبا » .. فقدم

الاشعريون .. وهم يرتجزون :

فدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه

وجاء في صحيح مسلم .. عن ابى هريرة

قال .. سمعت رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - يقول :

« جاء اهل اليمن .. هم ارق افئدة ..

واضعف قلوبا .. والايمان يمان .. والحكمة

يمانية .. والسكينة في اهل الفهم .. والفخر

والخيلاء في اهل الوبر » .

كما جاء في صحيح البخارى :

ان نفرا من بنى تميم جاءوا الى رسول الله -

وقالوا قد قبلنا - جئنا لنتفقه في الدين ونسالك

عن اول هذا الامر .. فقال :

صلى الله عليه وسلم :

« أبشروا يا آل تميم » فقالوا : بشرتنا فاعطنا

.. فتغير وجه الرسول - عليه الصلاة والسلام -

وجاء نفر من اهل اليمن .. فقال : « اقبلوا

البشرى .. اذ لم يقبلها بنو تميم » .. قالوا :

قد قبلنا - جئنا لنتفقه في الدين ونسالك عن

اول هذا الامر ، فقال :

« كان الله ولم يكن شئ غيره .. وكان عرشه

على الماء .. وكتب في الذكر كل شئ » .

٧ - وفد الأزد :

قال علقمة بن يزيد بن سويد الأزدى : حدثنى

ابى عن جدى سويد ابن الحرث .. قال : وفدت

سابع سبعة من قومي .. على رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - فلما دخلنا عليه وكلمناه
.. أعجبه ما رأى من سمئتنا وزينا .. فقال :
« من أنتم » ؟

قلنا : مؤمنون .. فتبسم - عليه السلام -
وقال « ان لكل قول حقيقة .. فما حقيقة قولكم
وايمانكم » ؟ .. قلنا : خمس عشرة خصلة :
خمس منها أمرتنا رسولك أن نؤمن بها ..
وخمس أمرتنا أن نعمل بها .. وخمس تخلقنا
بها في الجاهلية .. فنحن عليها الآن .. الا أن
تكره منها شيئا .

**فقال - عليه السلام - « وما الخمس التى
أمرتكم بها رسلى .. أن تؤمنوا بها » ؟ .**
قلنا : أمرتنا أن نؤمن بالله .. وملائكته ..
وكتبه .. ورسله .. والبعث بعد الموت .
قال : وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا
بها « ؟ .

قلنا : أمرتنا أن نقول لا اله الا الله محمد
رسول الله .. وتقيم الصلاة .. ونؤتي الزكاة
ونصوم رمضان .. وتحج البيت الحرام من
استطاع اليه سبيلا .
فقال : « وما الخمس التى تخلقتم بها في
الجاهلية » ؟ .

قلنا : الشكر عند الرخاء .. والصبر عند
البلاء .. والرضا بمر القضاء .. والصدق في
موطن اللقاء .. وترك الشماتة بالأعداء .
فقال : عليه الصلاة والسلام - : « حكماء
علماء .. كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء » .
ثم قال : « وانا أزيدكم خمسا .. فتتم لكم
عشرون خصلة .. ان كنتم كما تقولون :
فلا تجمعوها .. ولا تاكلون .. ولا تبنوا
مالاتسكنون .. ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه ١١٤
تزولون .. واتقوا الله الذى يرجعون وعليه

تعرضون .. وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه
تخلدون » .

فانصرف القوم من عند رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - وقد حفظوا وصيته ..
٨ - وفد نجران :

عن ابي عبد الله الحاكم .. عن الاصم : كتب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى اهل
نجران - وكانوا نصارى - يدعوهم الى الاسلام
.. قال :

**« بسم الله الرحمن الرحيم .. باسم اله
ابراهيم واسحاق ويعقوب - اما بعد -**

فانى ادعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد
.. وادعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد ..
فان أبيتم فالجزية .. فان أبيتم فقد آذنتكم
بحرب .. والسلام » .

**فلما أتى الاسقف الكتاب وقراه .. فزع
وذعر .. وبعث الى رجل من اهل نجران يقال له
شرحبيل بن وداعة .. كان من همدان .. فدفع
اليه الاسقف كتاب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فقرأه .. فقال الاسقف : يا ابا مريم
ما رأيك ؟ .. فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد
الله ابراهيم .. في ذرية اسماعيل من النبوة ..
في النبوة رأى .. لو كان من امر الدنيا .. أشرت
عليك فيه برأى .. وجهدت لك فيه .**

ثم سأل الاسقف بعده .. عبد الله
ابن شرحبيل .. وهو من حمير .. وجيار
ابن فيس من بنى الحرث بن كعب .. فكان ردهما
عليه كرد شرحبيل بن وداعة .. واجتمع رأيهم
على هذا .. فقرروا بعث وفد الى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - بعد أن جمع الاسقف
أشراف قومه .. من ثلاث وسبعين قرية .

قال ابن اسحاق :

وفد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وفد نصارى نجران بالمدينة .. ودخلوا عليه
مسجده بعد العصر .. فحانت صلاتهم .. فقاموا
يصلون في مسجده .. فأراد الناس منعهم ..
فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« دعوهم » .

فاستقبلوا المشرق .. فصلوا صلاتهم .

قال ابن اسحاق .. عن كرز بن علقمة :

وفد نصارى نجران ستون راكبا .. منهم
أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم .. وفيهم ثلاثة
نفر .. اليهم يؤول أمرهم :

أولهم : العاقب .. أمير القوم .. وذو رايتهم
.. وصاحب مشورتهم .. واسمه عبد المسيح .
ثانيهم : أبو حارثة بن علقمة .. أخو بني بكر
ومجتمعهم .. واسمه : الأيهم .

وثالثهم : أبو حارثة بن علقمة .. أخو بني بكر
ابن وائل .. وكان أسقفهم وحبرهم وأمامهم ..
وصاحب مدارسهم .. وكان ملوك الروم قد
شرفوه ومولوه وأخدموه - وبنوا له الكنائس ..
وبسطوا عليه النعمة .. لما علموا من علمه
واجتهاده في دينهم .

فلما توجه الوفد .. ركب أسقفهم أبو حارثة
على بقله له .. وإلى جنبه أخوه كرز بن علقمة
يسايسره .. إذ عثرت بقله أبي حارثة .. فقال له
كرز : تعس الأبعد .. يريد رسول الله .. - صلى
الله عليه وسلم - فقال له أبو حارثة : بل أنت
تعست .. فقال : ولم يا أخى ؟

فقال : والله انه النبی الامی .. الذي كنا

ننتظره .. فقال له كرز : فما يمنعك من اتباعه
وانت تعلم هذا ؟ .. فقال : يمنعني ما صنع بنا
هؤلاء القوم .. شرفونا ومولونا واکرمونا .. لو
فعلت .. نزعوا منا كل ما ترى .. فأضمر عليها
أخوه كرز بن علقمة .. حتى أسلم بعد ذلك .

وانطلق الوفد .. حتى بلغوا المدينة ..

فوضعوا ثياب السفر عنهم .. ولبسوا حلالهم
يجرونها - من الحبرة - وخواتيم الذهب .. فلم
يكلّمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى
أشار عليهم على بن أبي طالب - كرم الله وجهه -
بان يضعوا حللهم وخواتيمهم .. ففعلوا .. فرد
عليهم - عليه السلام - وحادثهم .. ودارت بينه
وبينهم مناقشات ومساءلات .. حتى قالوا له :
ما تقول في عيسى ؟ .. فاستمهلهم رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - حتى يأتيه الرد من السماء
.. فأنزل الله تعالى عليه :

(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون ﴿ الحق من ربك
فلا تكن من الممترين ﴾ فمن حاجك فيه من بعد ما
جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (١) .

وتلك هي قضية المباهلة .. يجتمع الخصمان
.. اذا لم يتفقا على رأى .. فيبتهلان الى الله
ليصب لعنته على الكاذب منهما .

فعرض - عليه السلام - على الوفد المباهلة
.. فاستمهلوه الى الصباح .

فلما أصبح .. أقبل - عليه الصلاة والسلام -
مشتعلا على الحسن والحسين .. في خميل له ..
وفاطمة تمشي عند ظهره .. للمباهلة - الملاءنة -
فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى ..

انى لأرى وجوها .. لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه بها لازاله .. فلا تباهلوا فتهلكوا .. ولا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر الا هلك .

فقال له اصصحابه : فما رأى ؟ .. فقد وضعتك الامور على ذراع .. فهات رأيك .. فقال : رأى أن احكمه .. فانى أرى رجلا لا يحكم شططا .. فقالوا له : انت وذاك .

فقال للرسول : راينا أن نترك على دينك .. ونثبت على ديننا .. قال :

« فاذا أبيتم المباهلة فاسلموا .. يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم » .. فابوا ..

قال : « فانى انا جزكم » - أحاربكم - فقالوا : ما لنا بحرب العرب طاقة .. ولكن نصالحك على أن لا تغزونا .. ولا تخيفننا .. ولا تردنا عن ديننا .. على أن نؤدى اليك كل عام الفى حلة .. الفا فى صفر .. والفا فى رجب .. وثلاثين درعا - عادية - من حديد .. فصالحهم على ذلك .. وقال : « والذى نفس بيده .. أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران .. ولو لاعتسوا لمسخوا قردة وخنازير .. ولا اضطرم عليهم الوادى نارا .. ولا ستأصل الله نجران وأهله .. حتى الطير على رءوس الشجر .. ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا » .

وكتب لهم كتابا هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد النبى .. الى الاسقف أبى الحارث .. وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بيعهم ورقيتهم وملتهم وسواطتهم .. وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير .. جوار الله ورسوله .. لا يغير أسقف من أسقفته .. ولا راهب من رهبانيته .. ولا كاهن من كهنته .. ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم .. ولا مما كانوا عليه .. على ذلك

جوار الله ورسوله أبدا ما نصحوا وأصلحوا غير متقلبين بظلم ولا ظالمين » .

كتبه المغيرة بن شعبه .. وشهد عليه ابو سفيان بن حرب .. وغيلان بن عمر .. ومالك ابن عوف .. والاقرع بن حابس الحنظلى . فلما أخذ الاسقف الكتاب .. استأذن فى الانصراف الى قومه ومن معه .. فأذن لهم فانصرفوا .

تلك ثمانية وفود .. أوجزتها للقارىء الكريم .. غير وفد ثقيف .. وغيرها وفود ووفود .. لا يسمح المقام بذكرها .. فمنها غير ما ذكرنا :

وفد عبد قيس من ربيعة .. ومعهم الجارود بن العلاء .. وكان نصرانيا .. فأسلموا ، ووفد الأزد .. ومعهم صرد بن عبد الله الأزدي .. فأسلموا .. وحسن اسلامهم .. وحاربوا جرش وخثعم .. فقتلوا منهم عددا كبيرا .

ووفد بنى الحرث بن كعب .. ومعهم قيس بن الحصين - ذو القصة -

قال لهم - عليه الصلاة والسلام - بم كنتم تغلبون فى الجاهلية ؟ ..

قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق .. ولانبدأ أحدا بظلم .. قال : « صدقتم » .. وأسلموا . وقدم وفد همدان .. ومعهم مالك بن النمط .. الذى جاء يرتجز بين يدى رسول الله :

اليك جاوزنا سواد الريف

فى هبوات الصيف والخريف

مخطمات بحبال الليف

فأسلموا .. وحسن اسلامهم .

كما قدم وفد مزينة فى أربعمائة رجل .. معهم النعمان بن مقرن .. الذى يقول :

فلما أردنا أن نصرف .. قال رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - :

أجر ؟ .. قال « نعم .. وكلّ معروف صنّعه الى غنى او فقير فهو صدقة » .

قال : يا رسول الله .. ما وقت الضيافة ؟
.. قال : « ثلاثة أيام .. فما كان بعد ذلك فهو صدقة .. ولا يحل للضيف ان يقيم عندك فيخرجك » .

قال : يا رسول الله .. أرايت الضالة من الغنم .. أجدها في فلاة من الارض ؟

قال : « هي لك أو لأخيك أو للذئب » ..
قال : فالبعير ؟ قال : « مالك وله .. دمه حتى يجده صاحبه » .

قال رويفع :

ثم قاموا فرجعوا الى منزلي .. فاذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى منزلي يحمل تمرا .. فقال :

« استعن بهذا التمر » .. وكانوا يأكلون منه ومن غيره .. فاقاموا ثلاثا .. ثم ودعوا رسول الله .. وأجازهم .. ورجعوا الى بلادهم .

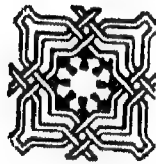
وكذلك أقبل على المدينة وفد ذى مرة ..
وفد خولان .. وفد محارب .. وفد صداة ..
وفد غسان .. وبني عيسى .. وغامد ..
وبني المنتفق .. وفد النخع .

« يا عمر زود القوم » .. فقال عمر : ما عندي الا شيء من تمر .. ما أظنه يقع من القوم موقعا .. قال : « انطلق فزودهم » قال : فانطلق بنسا عمر .. فادخلنا منزله .. ثم اصعدنا الى عليه .. فلما دخلنا فاذا فيها من التمر .. مثل الجمل الاورق .. فاخذ القوم منه حاجتهم .. قال النعمان : فكنت في آخر من خرج .. فنظرت فما انقد موضع تمره من مكانها .

كما قدمت وفود اخرى كثيرة .. منها : وفد قضاة .. وبني فزارة .. وبني اسد .. ووفد بهران .. ووفد عذرة .. ووفد بلى .

وهذا الوفد الأخير .. كان في السنة التاسعة .. وانزلهم رويفع البلوى عنده .. وقدم بهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال : هؤلاء قومي .. فقال له :

« مرحبا بك وبقومك » .. فاسلموا وحسن اسلامهم .. فقال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « الحمد لله الذي هداكم للاسلام .. فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار » .. فقال له ابو الضبيب - شيخ الوفد - : يا رسول الله انى رجل لى رغبة في الضيافة .. فهل لى في ذلك



الوداع .. وليس بوداع



وقال : « لعلى لا أحج بعد عامى هذا » وأمر
بالنبيغ عنه وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع ..
وانزل المهاجرين عن يمين القبلة .. والأنصار عن
يسارها .. والناس حولهم .. وفتح الله له أسماع
الناس .. حتى سمعها أهل منى في منازلهم قال فيها
« اعبدوا ربكم .. وصوموا شهركم .. واطيعوا إذا
أمركم .. تدخلوا جنة ربكم » ..

ثم ودع الناس .. فسميت حجة الوداع . قال
عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل يومئذ عن شيء إلا قال :
« افعلوا ولا حرج » .

الوداع .. وليس بوداع

وسننه .. فنزل بلدى الحليفة .. حيث صلى
العصر ركعتين .. ثم بات بها .. وصلى بها
المغرب .. والعشاء .. والصبح .. والظهر ..
وكان نساؤه كلهن معه .

ولما كان بسرف .. قال لأصحابه :

« من لم يكن معه هدى .. فأحب ان يجعلها
عمرة فليفعل .. ومن كان معه هدى فلا » .

ولما مر - عليه السلام - بوادى عسفان ..
قال : « يا ابا بكر .. اى واد هذا » لا .. قال :
وادى عسفان .. قال : « لقد مر به هود وصالح
.. على بكرين أحمرين .. خطامهما الليف ..
وأزرهما العباء .. وأرديتهما النمار .. يلبسون
بالحج .. يحجون البيت العتيق » . رواه أحمد .
والنمار : جمع نمرة .. بردة من صوف يلبسها
الأعراب .

وفى رواية مسلم .. عن ابن عباس :

لما مر - صلى الله عليه وسلم - بوادى
الأزرق .. قال : « كائى أنظر الى موسى هابطا
من الثنية .. واضعا اصبعيه فى اذنيه .. مارا

عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - قال
.. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
« من ملك راحلة وزادا يبلغه الى بيت الله
الحرام .. فلم يحج .. فلا عليه ان يموت يهوديا
او نصرانيا » .. رواه الترمذى .

ولا خلاف فى أن رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - لم يحج بعد الهجرة .. سوى حجة
الوداع .. سنة عشر من الهجرة .

فقد أعلن - عليه الصلاة والسلام - انه عزم
على الحج .. فتجهز الجميع للخروج معه ..
وسمع بذلك العرب حول المدينة .. فقدموا اليه
يريدون الحج .. ووافاه بالطريق خلائق لا تحصى
.. فكانوا بين يديه .. ومن خلفه .. وعن يمينه
.. وعن شماله مد البصر .

فيل خرج من المدينة تسعون الفا .. خلاف
من انضم اليهم من اهل اليمن .. واهل مكة .

خرج بعد صلاة الظهر - لست بقين من ذى
القعدة سنة عشر .. يسوق الهدى معه .. بعد
ان خطبهم خطبة علمهم فيها الاحرام وواجباته

بهذا الوادى .. وله جؤار الى الله بالتلبية ..
 ووصل هذا الركب الضخم .. مع رسول الله
 - صلى الله عليه وسلم - الى ذى طوى ..
 ومكانه الآن عند آبار الزاهر .. فبات بها ليلة
 الأحد .. الرابع من ذى الحجة .. فلما أصبح
 .. صلى الغداة .. ثم اغتسل - رواه البخارى -
 ثم دخل مكة من الثنية العليا .. يقال لها :
 كداء والحجون .. ودخل المسجد الحرام ضحى
 من باب عبد مناف .. وهو الآن باب بنى شيبه
 .. لأن باب الكعبة يواجه هذا الباب .

ولما نظر عليه الصلاة والسلام - البيت .. قال :

« اللهم أنت السلام .. ومنك السلام ..
 حينما ربنا بالسلام .. اللهم زد هذا البيت
 تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً .. وزد من
 حجه تعظيماً وتشريفاً وبراً ومهابةً » .

ولم يركع - عليه السلام - تحية المسجد ..
 انما بدا بالطواف .. لان الطواف تحية البيت .

فلما حاذى الحجر الأسود استلمه ..
 وسار عن يمينه جاعلاً الكعبة عن يساره ..
 حتى اذا كان بين الركنين قال « ربنا آتينا فى الدنيا
 حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » ..
 ثم رمل (١) فى طوافه هذا ثلاثة الاشواط
 .. وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه .. وهو
 مضطجع بردائه .. فجعله على احد كتفيه ..
 وكشف كتفه الآخر ومنكبه .. وكلما حاذى
 الحجر الاسود اشار اليه .. واستلمه بمحجنه .
 ولما فرغ من الطواف .. اتى حلف المقام
 .. ثم قال : « واتخذوا من مقام ابراهيم
 مصلى » .. ثم صلى فيه ركعتين .. قرأ فى
 الاولى : بعد الفاتحة سورة « الكافرون » ..
 وفى الثانية « الصمد » ثم عاد الى الركن ..
 واستلم الحجر .. خرج من الباب المقابل للصفى
 .. فلما قرب منه قال « ان الصفا والمروة
 من شعائر الله » انما بدا به الله .. ثم رقى
 عليه .. حتى رآى البيت .. فاستقبل القبلة
 .. ثم وحد الله وكبره قال :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له .. له
 الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ..
 لا اله الا الله وحده .. انجز وعده .. ونصر
 عبده .. وهزم الأحزاب وحده » .. ثم نزل
 الى المروة يمشى .. فلما انتصبت قدماه فى بطن
 الوادى .. سمى حتى اذا جاوز الوادى وأصعد
 مشى .. فكان السعى فى كل مرة مشيين فى أول
 السعى وآخره .. وهذا هو الصحيح .. كما
 قال جابر فى الصحيحين .

ولكنى قرأت فى صحيح مسلم .. عن ابى
 الطفيل .. قال : قلت لابن عباس : اخبرنى عن
 الطواف بين الصفا والمروة راكباً .. هل الركوب
 سنة ؟ .. ان قومك يزعمون أنه سنة .. قال :
 صدقوا وكذبوا .. قلت : ما قولك صدقوا
 وكذبوا ؟ .. قال : ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم - كثر عليه الناس يقولون : هذا
 محمد .. حتى خرج عليه العوانق من البيوت
 .. وكان رسول الله .. لا يضرب الناس بين يديه
 .. فلما كثروا عليه ركب .. والمشى افضل .
 ورويت احاديث كثيرة على أنه - عليه
 السلام - طاف حول البيت على بعيره - ويستلم
 الحجر بمحجنه ثم يقبله .

ويقول ابن قيم الجوزية : هذا والله اعلم
 فى طواف الافاضة .. لا فى طواف القدوم ..
 لان جابراً حكى عنه - الرمل - فى الاشواط
 الثلاثة الاول .. والهرولة لا تكون الا مع المشى .
 وكانت مدة اقامته - صلى الله عليه وسلم -
 بظاهر مكة .. اربعة ايام .. قبل خروجه الى
 منى .. وكان يقصر الصلاة فيها .
 وفى تلك الاثناء .. وصل الى مكة على بن ابى
 طالب .. وكان رسول الله قد ارسله الى اليمن
 ليجمع الصدقات والجزية من نجران .. قبل
 خروجه الى الجح .. واخبره ان يلحقه بمكة
 .. فقال له : « بم اهللت يا على » ؟ .. قال :
 اهللت بما اهل به رسول الله .. فقال : « لولا

ان معى الهدى لاحتلت « . رواه الشيخان ..
من حديث انس .

وجاء يوم التروية - الثامن من ذى الحجة -
وكان يوم الخميس .. فركب ضحى هذا اليوم
.. وتوجه بالمسلمين الى منى .. وقد احرم
بالحج .. ثم مكث قليلا .. حتى طلعت الشمس
.. وامر بقبة من شعر .. فضربت له بنمرة
- مكان من عرفة - فلما بلغها نزل بها .. حتى
اذا زالت الشمس .. امر بالقصواء فجهزت
له .. فركب حتى اتى بطن الوادى من عرفات
.. فخطب الناس وهو على راحلته .

قال ابن اسحاق : ثم مضى رسول الله على
حجه .. فأمر الناس مناسكهم .. وأعلمهم
سنن الحج .. وخطب الناس خطبته التى بين
فيها ما بين .

فحمد الله .. وأثنى عليه .. ثم قال :
« ايها الناس .. اسمعوا قولى .. فانى
لا ادرى لعلى لا القاكم .. بعد عامى هذا ..
بهذا الموقف ابدا .

ايها الناس .. ان دماءكم واموالكم عليكم
حرام الى ان تلقوا ربكم .. كحرمة يومكم هذا
.. وكحرمة شهركم هذا .. وانكم ستلقون
ربكم .. تيسالكم عن اعمالكم .. وقد بلغت
.. فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه
عليها .. وان كل ربا موضوع .. ولكن لكم
رءوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .. قضى
الله انه لا ربا .. وان ربا العباس بن عبد المطلب
موضوع كله .. وان كل دم كان فى الجاهلية
موضوع .. وان اول دماكم اضع دم عامر بن
ربيع بن الحارث بن عبد المطلب .. وكان
مسترضعا فى بنى ليث .. فقتلته هذيل ..
فهو اول دم ابدا به من دماء الجاهلية - اما بعد -
ايها الناس .. فان الشيطان قد يشس من ان
يعبد بأرضكم هذه ابدا .. ولكنه ان يطع فبما

ستوى ذلك .. فقد رضى به مما تحقرون من
اعمالكم .. فاحذروه على دينكم .

ايها الناس .. انما النسيء زيادة فى الكفر
يفضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه
عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله
ويحرموا ما أحل الله ..

وان الزمان قد استدار .. كهيئته يوم خلق
الله السماوات والأرض .. وان عدة الشهور
عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ..
ثلاثة متوالية .. ورجب مضر الذى بين جمادى
وشعبان - اما بعد .

ايها الناس .. فان لكم على نسايتكم حقا
.. ولهن عليكم حقا .. لكم عليهن الا يوطئن
فراشكن احدا تكرهونه .. وعليهن الا يأتين
بفاحشة مبينة .. فلن فعن فان الله اذن لكم
ان تهجروهن فى المضاجع .. وتضربوهن ضربا
غير مبرح .. فان انتهين فلن رزقهن وكسوتهن
بالمعروف .. واستوصوا بالنساء خيرا ..
فانهن عندكم عوان .. لا يملكن لانفسهن شيئا
.. وانكم اخذتموهن بأمانة الله .. واستحللتم
فروجهن بكلمات الله .. فاعقلوا ايها الناس
قولى .. فانى قد بلغت .. وقد تركت فيكم
ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا ابدا .. امرا
بيننا .. كتاب الله وسنة نبيه .

ايها الناس .. اسمعوا قولى واعقلوا ..
تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم .. وأن المسلمين
اخوة .. فلا يحل لا مريء من اخيه الا ما اعطاه
من طيب نفس منه .. فلا تظلمن أنفسكم .

اللهم هل بلغت ؟ ... » .

يقول ابن اسحاق : فذكر لى ان الناس
قالوا : نعم .. فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم - « اللهم اشهد » - ا ه -

ثم انزل الله عليه :

(اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) (١) .

خطب الناس خطبة واحدة .. ولم تكن
خطبتين جلس بينهما .. فلما اتتهما .. أمر بلالا
فأذن .. ثم أقام الصلاة .. فصلى الظهر ركعتين
.. أسر فيهما بالقراءة .. وكان يوم الجمعة ..
فدل هذا على أن المسافر ليست عليه جمعة ..
ثم أقام للصلاة فصلى العصر ركعتين أيضا ..
ومعه أهل مكة .. وصلوا بصلاته قصرا وجمعا
بلا ريب .

ولم يأمرهم - عليه السلام - بالاتمام ..
ولا بترك الجمعة .
وقد ادعى البعض أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم - قال لهم : « اتموا صلاتكم فانا
على سفر » .

قال ابن القيم الجوزية .. انه قال لهم ذلك
يوم الفتح بجوف مكة .. حيث كانوا في ديارهم
مقيمين .

واخذ بعضهم من هذا أن سفر القصر
لا يتحدد بمسافة معلومة .. ولا أيام معلومة فلما
فرغ - عليه الصلاة والسلام - من صلاته ..
ركب حتى أتى الموقف .. واستقبل القبلة ..
ودعابه .. وتواتر من دعواته في عرفة .. مارواه
الطبراني .. من حديث ابن عباس : « اللهم انك
تسمع كلامي .. وترى مكاني .. وتعلم سري
وعلايتي .. لا يخفى عليك شيء من أمري ..
انا البائس الفقير .. المستغِيث المستجير ..
والوجل المشفق .. المقر المعترف بذنوبه ..
اسالك مسألة المسكين .. وأبتهل اليك ابتهاج
المدنّب الدليل .. وادعوك دعاء الخائف الضريب
.. من خضعت لك رقبته .. وفاضت لك عبرته
.. وذل لك جسمه .. ورغم لك انفه .. اللهم
لا تجعلني بدعائك رب شقيا .. وكن بي رءوفا
رحيما .. يا خير المسؤولين .. ويا خير
المعطين » .

وقد جاءه - عليه السلام - ناس من نجد -
وهو بعرفة - فسألوه : كيف الحج ؟ فامر
مناديا ينادي « الحج عرفة .. من أدرك قبل صلاة
الصبح .. فقد أدرك الحج .. أيام منى ثلاثة

أيام التشويق .. فمن تعجل في يومين فلا اثم
عليه .. ومن تأخر فلا اثم عليه » .
ثم وقف بعرفة .. وقال : « وقفت ههنا ..
وعرفة كلها موقف » .

ولما غربت الشمس .. بحيث ظهرت صفرتها
قليلا .. بعد غياب القرص .. أفاض - صلى الله
عليه وسلم - من عرفة .. وأردف خلفه أسامة
بن زيد .. وقد ضم اليه زمام ناقته .. حتى
ان رأسها ليصيب مورك رجله .. ويقول بيده
اليمنى : « أيها الناس .. السكينة السكينة »
حتى نزل بالمزدلفة .. فصلى بها المغرب والعشاء
.. كل واحدة منها باقامة .. ولم يقيم الليل في
تلك الليلة .. بل نام حتى أصبح .

وقد قرأت حديثا .. عن عباس بن مرداس :
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم - دعا لأمته
عشية عرفة بالمغفرة .. فأجيب : اني قد غفرت
لهم .. ما خلا الظالم .. فاني آخذ للمظلوم منه
.. قال « أي رب ان شئت اعطيت المظلوم من
الجنة .. وغفرت للظالم » .. فلم يجب عشيته
.. فلما أصبح بالمزدلفة .. أعاد الدعاء ..
فأجيب الى ما سأل .. قال .. فضحك - علبه
السلام - أو قال : ابتسم .. فقال أبو بكر
وعمر : ما الذي اضحكك يا رسول الله ..

قال : ان عدو الله ابليس .. لما علم ان الله
قد استجاب دعائي .. وغفر لأمتي .. أخذ
التراب .. فجعل يحشوه على رأسه .. ويدعو
بالويل والنبور .. فأضحكني ما رايت من جرحه .
رواه ابن ماجه وأبو داود .

وجاء في بعض الروايات .. ان المراد من
الأمة .. من وقف بعرفة .

كما قال الطبري : انه محمول بالنسبة
الى الظالم .. على من تاب وعجز عن وفائه .
وقال الترمذي .. في الحديث الصحيح :

« من حج فلم يرفث ولم يفسق .. خرج
من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

وهو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحقوق
الله تعالى خاصة .. دون حقوق العباد

ولما عاد الى منزله بمنى .. دعا بالحلاق
فحلق رأسه .

ثم ركب الى مكة ظهر يوم النحر .. فطاف
طواف الافاضة .. ولم يسع معه .. ثم اتى زمزم
بعد طوافه وهم يسقون .. فقال : « لولا ان
يغلبكم الناس لنزلت فسقيت معكم » ثم ناولوه
الدوا .. فشرب وهو قائم .. ثم عاد الى منى
فبات بها .

وفي ظهر اليوم الثانى .. مشى حتى رمى
الجمرات الثلاث .. وهكذا فى اليوم الثالث ..
حيث بقى بمنى لىالى التشريق .

وقد خطب الناس فى منى خطبة .. اعلمهم
فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله
.. وحرمة مكة .. وأمر بالسمع والطاعة لمن
قادهم بكتاب الله .. وقال :

« لعلى لا أحج بعد عامى هذا » .. وعلمهم
مناسكهم .. وأنزل المهاجرين والانصار منازلهم
.. وأمر الناس الا يرجعوا بعده كفارا .. يضرب
بعضهم رقاب بعض .. وأمر بالتبليغ عنه ..
وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع .. وأنزل
المهاجرين عن يمين القبلية .. والانصار عن يسارها
.. والناس حولهم .. وفتح الله له اسماع الناس
.. حتى سمعها اهل منى فى منازلهم .. قال
فيها :

« اعبدوا ربكم .. وصلوا خمسين مرة ..
وصوموا شهركم .. وأطيعوا اذا امركم ..
تدخلوا جنة ربكم » .

ثم ودع الناس .. فسميت حجة الوداع .
وسئل ممن حلق قبل أن يرمى الجمرات ..
وعمن ذبح قبل أن يرمى .. فكان يقول :
« لا حرج » .

قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل يومئذ
عن شيء الا قال : « افعلوا ولا حرج » .

وقال ابن عباس : انه قيل له فى الذبح
والحلق والرمى .. والتقديم والتأخير ..
قال : « لا حرج » .

وفى الصباح غداة يوم النحر .. طلب من
الفضل بن العباس .. ان يلتقط له حصيات
الرمى .. سبع حصيات لكل رمية .. ولا يجوز
ان يكسر الحصى من الصخر .. وانما يلتقط
الحصى الرفيع .. فالتقط له الفضل سبع
حصيات .. فجعل ينفضهن فى كفه .. ويقول :
« أمثال هؤلاء فارموا .. وإياكم الغلو فى الدين
.. فانما اهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين »

وفى طريقه - عليه السلام - الى منى ..
مرضت له امرأة جميلة من خنعم .. فسألته
من الحج عن أبيها .. لانه شيخ كبير ..
لا يستمسك على راحلته .. فأمرها أن تحج عنه
.. وجعل الفضل ينظر اليها .. وهى تنظر اليه
.. فوضع - عليه السلام - يده على وجه الفضل
.. وصرفه الى الشق الآخر .. وكان الفضل
وسيعا .

قالوا : صرف وجهه عن نظرها اليه .. وقيل
صرفه عن نظره اليها .. والحقيقة أنه فعل هذا
للأمرين .. لأن فى القصة « جعل ينظر اليها وتنظر
اليه » .

وفى رواية لجابر : فلما أتى - صلى الله عليه
وسلم - الى بطن محسر .. حرك ناقته وأسرع
السير .. لأن محسر موضع بين المزدلفة ومنى ..
وهو المكان الذى نزل فيه العذاب على أصحاب
الفيل .

ولم يزل رسول الله يلبى .. حتى رمى جمرة
العقبة .. ثم سلك الطريق الوسطى .. التى
تخرج على الجمرة الكبرى .. حتى انتهى ..
فرمى بسبع حصيات .. يكبر مع كل حصاة
رماتها .

ثم انصرف - عليه السلام - الى المنحر ..
فنحر ثلاثا وستين بدنة .. ثم أعطى عليا ..
فنحر ما بقى وأشركه فى هديه .. نحر رسول
الله عدد سنين عمره .. ثم أمسك .

قال فى عرفة « كل عرفة موقف » .. وقال
فى المزدلفة « كل المزدلفة موقف » .. ثم لما نحر
بالمنحر بمنى قال « كل منى منحر » .

تم أفاض - صلى الله عليه وسلم - ظهر يوم
الثلاثاء من منى .
فعن أنس :

« أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى
الظهر والعصر . . والمغرب والعشاء . . ثم رقد
رقدة بالمحصب . . ثم ركب إلى البيت . . وطاف
به طواف الوداع » رواه البخاري .

ثم ارتحل - عليه السلام - راجعا إلى
المدينة . . فخرج من كدى . . حتى إذا وصل
لدى الحليفة بات بها . . ثلثا يدخل المدينة ليلا

.. فلما رأى المدينة .. كبر ثلاثا .. وقال « لا إله
إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير آيرون تائبون عابدون ..
ساجدون لربنا حامدون .. صدق الله وعده ..
ونصر عبده .. وأعز جنده .. وهزم الأحزاب
وحده » .

ثم دخل المدينة نهارا .. عن طريق المعرس
.. وهو مكان معروف .. وهو الشجرة التي
بات تحتها في ذهابه إلى مكة .. على ستة أميال
.. من المدينة .

إلى الرفيق الأعلى



نعم طاشت العقول .. فمنهم من خبل .. ومنهم
من أقعد فلم يطق القيام .. ومنهم من أخرس فلم
يستطع الكلام .. ومنهم من أضنى •

أخبل عمر .. وأخرس عثمان .. واقعد على ..
وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا ..

وكان اثبتهم أبو بكر الصديق .. رضى الله عنهم
جميعا •

الى الرفيق الأعلى

وتقول أم سلمة - رضى الله عنها - كان -
عليه السلام - فى آخر امره .. لا يقوم ولا يقعد
.. ولا يذهب ولا يجيىء .. الا قال « سبحان
الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه » فقلت له :
أنك تدعو الله بدعاء لم تكن تدعوه به من قبل ..
فقال « ان ربي أخبرنى انى سارى علما فى امتى
.. وانى اذا رايتنه اسبح بحمده واستغفره »
ثم تلا (اذا جاء نصر الله والفتح ...) الى آخر
السورة .

رواه ابن جرير .. وغيره .

عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
بعد حجة الوداع الى المدينة .. فاقام بها بقية ذى
الحجة والمحرم .. وفى آخر صفر من العام الحادى
عشر .. امر بتجهيز الجيش .. ليعثه الى
الشام .. وأمر عليهم أسامة بن زيد - موله -
وامره ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ..
من أرض فلسطين .. حيث قتل أبوه زيد ابن

روى الطبرانى عن ابن عباس قال : لما نزلت
(اذا جاء نصر الله والفتح) نعت الى رسول الله
نفسه .. فاخذ بأشده ما كان فط . اجتهدا فى
الآخرة .

وهذه السورة « سورة النصر » هى آخر
سورة نزلت من القرآن الكريم .. نزلت يوم
النحر فى منى .. فى حجة الوداع .
وللطبرانى من حديث جابر : لما نزلت هذه
السورة .. قال النبى - صلى الله عليه وسلم -
لجبريل « نعت الى نفسى » فقال له جبريل
- عليه السلام -

(وللآخرة خير لك من الأولى) .

وعاد - عليه الصلاة والسلام - الى المدينة
بعد حجة الوداع .. فأكثر من العبادة استعدادا
للقاء الله .

يقول ابن رجب .. فى كتاب - اللطائف - :
انه - عليه السلام - تعبد حتى صار كالشحن
البالى (١) .

(١) القرية القديمة .

حارثة .. وهى آخر سرية امر رسول الله
بتجهيزها .

وتجهز الناس .. فعسكر بهم أسامة بالجرف
.. وانضم اليهم المهاجرون والانصار .. منهم
ابو بكر وعمر - رضى الله عنهما - والجرف على
مسافة فرسخ من المدينة .

وفى الوقت نفسه .. بدا مرض رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وكان فى بيت زوجته
ميمونة .. ولما اشتد مرضه .. استأذن زوجته
.. فى أن يمرض فى بيت عائشة ..

وقال : « ما زلت أجد ألم الطعام الذى اكلت
فى خيبر » .

وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما .. فى
اغلب آراء الرواة .

وفى البخارى .. قالت عائشة - رضى الله
عنها :

« لما ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
واشتد به وجعه .. استأذن أزواجه أن يمرض فى
بيتى - فأذن له - فخرج وهو بين رجلين ..
تخط رجلاه فى الأرض .. بين العباس بن عبدالمطلب
وبين رجل آخر - تعنى على بن أبى طالب - ولم
تصرح عائشة باسم على لشيء فى نفسها منه ..
من يوم حديث الافك .. لما قال لرسول الله :
النساء غيرها كثير .

واستبظ رسول الله الناس .. فى الخروج
مع أسامة .. وهو فى مرضه .. فخرج عاصبا
راسه .. حتى جلس على المنبر .. وقد كان
الناس قالوا فى امرة أسامة : أمر غلاما حدثا على
جلة المهاجرين والانصار .. وكان أسامة فى
العشرين من عمره .

فحمد الله واثنى عليه بما هو أهله .. ثم
اشتدت الحمى برسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال :

(١) اناء يغسل فيه .

ارايها « هريقوا على سبع قرب من آبار شقي ..
فلعمري لئن قلتم فى امارته .. لقد قلتم فى اماره
أبيه من قبل .. وانه لخليق للامارة .. وان كان
أبوه لخليقالها » .

شقي « هو يقيوا على سبع قرب من آبار شقي ..
حتى اخرج الى الناس .. فاعهد اليهم .

تقول عائشة : « فاقعدناه فى مخضب (١)
لحفصة بنت عمر .. ثم صببنا عليه الماء .. حتى
طفق يقول : حسبكم حسبكم » .

ثم خرج عاصبا رأسه .. حتى جلس على
أسفل مرقاة المنبر .. فكان أول ما تكلم به أنه
- صلى الله عليه وسلم - صلى على أصحاب
أحد .. واستغفر لهم .. فأكثر الصلاة عليهم
.. ثم قال .. كما روى الشيخان من حديث
أبى سعيد الخدرى .. ان رسول الله قال ..
وهو جالس على المنبر :

« ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة
الدنيا ما شاء .. وبين ما عنده .. فاختر
ما عنده »

فبكى أبو بكر .. وقال : يا رسول الله ..
فدينك بآبائنا وامهاتنا .

قال : فمجبنا له .. وقال الناس : انظروا
الى هذا الشيخ .. يخبر رسول الله عن عبد
خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء
وبين ما عنده .. وهو يقول :

فدينك بآبائنا وامهاتنا . !!

قال : فكان - عليه السلام - هو المخير ..
وكان أبو بكر أعلمنا به .

فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : « ان
امن الناس على فى صحبتته وماله أبو بكر .. ولو

كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً .. لاتخذت
أبا بكر خليلاً .. ولكن أخوة الإسلام .. لا يبقين
في المسجد خوذة إلا خوذة أبي بكر »

وقال في خطبته تلك :

« أيها الناس .. بلغنى أنكم تخافون من
موت نبيكم .. هل خلد نبي قبلى فيمن بعث إليه
.. فأخلد فيكم ؟ .. ألا وانى لاحق بربى .. ألا
وانكم لاحقون بى .. فاوصيكم بالمهاجرين الأولين
خيراً .. واوصى المهاجرين فيما بينهم .. فان الله
نعالي يقول :

(والعصر ان الانسان لفى خسر ❦ الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر) (١) ..

وان الأمور تجري باذن الله تعالى ..

فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله .. فان
الله - عز وجل - لا يعجل بعجلة أحدكم .. ومن
غالب الله قلبه .. ومن خادع الله خدمه :

(فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في
الأرض وتقطعوا أرحامكم) (٢) ..

واوصيكم بالانصار خيراً .. فانهم الذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلكم .. ان تحسنوا
اليهم .. الم يشاطروكم في الثمار ؟ .. الم
يؤسسون لكم في الديار ؟ .. الم يؤثرونكم على
انفسهم وبهم الخصاصة ؟ .. الا فمن ولى ان
يحكم بين رجلين .. فليقبل من محسنهم ..
وليتجاوز عن مسيئهم .. الا ولا تستأثروا عليهم
.. الا وانى فرط لكم .. واسم لاحقون بى ..
.. الا وان موعدكم الحوض .. الا فمن احب ان يردّه
على غدا فليكيف يده ولسانه الا فيما ينبغى .

يا أيها الناس .. ان الذنوب تغير النعم ..

وتبدل القسّم .. فاذا بر الناس برهم ائمتهم
.. واذا فجروا عقوهم » .

فكانت هذه آخر خطبة خطبها .

يقول الرواة : ثم انه هبط عن المنبر .. فما
رؤى عليه حتى الساعة .

ولما تعدر عليه الخروج .. قال : « مروا
أبا بكر فليصل بالناس » .

قالت عائشة .. قلت : يا نبي الله ان أبا بكر
رجل رقيق .. ضعيف الصوت .. كثير
البكاء اذا قرأ القرآن .. قال : « فمروه فليصل
بالناس » .

قالت : فعدت بمثل قولى .. فقال : « انكن
صواحبات يوسف .. مروا أبا بكر فليصل
بالناس » .

رواه الشيخان .

قالت عائشة : - رضى الله عنها - فوالله
ما اقول ذلك .. الا انى كنت احب ان يصرف
ذلك عن ابي بكر .. وعرفت ان الناس لا يحبون
رجلاً قام مقام رسول الله .. وان الناس
سيتشاءمون به في كل حدث كان .. فكنت
احب ان يصرف ذلك عن ابي بكر .

وصلى ابو بكر بالناس .. سبع عشرة صلاة
.. اولها : عشاء الجمعة .. وآخرها صبح
الاثنين .

وفي تقديم ابي بكر للصلاة .. اشارة الى
حالته بعده .. حيث قال المسلمون :
ان النبی رضیہ لدیننا .. افلا نرضاه
لدنیانا ؟

وروى ان النبی - صلى الله عليه وسلم -
كان عنده في مرضه .. سبعة دنائير .. فكان
يامرهم بالصدقة بها .. ثم يغمى عليه ..

فيشتغلون بوجعه .. فدعا بها .. فوضعها في كفه وقال . « ما ظن محمد بربه .. لو لقي الله وعنده هذه » .. ثم تصدق بها كلها .

رواه البيهقي .

وروى البخارى .. عن عائشة .. قالت :

« دعا النبى - عليه السلام - فاطمة في شكواه الذى قبض فيه .. فسارها بشيء فبكّت .. ثم دعاها فسارها فضحكت .. فسالناها عن ذلك .. فقالت : سارنى النبى انه يفض في وجعه هذا فبكيت .. ثم سارنى فأخبرنى انى اول امله يتبعه فضحكت » .

وفي رواية اخرى عنها - رواها مسروق - قالت : ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن .. فسالتها عن ذلك فقالت : ما كنت لافشى سر رسول الله .. قال : ان جبريل كان يعارضنى القرآن الكريم كل سنة مرة .. وانه عارضنى هذا العام مرتين .. ولا اراه حضر اجلى .. وانك اول اهل بيتى لحاقا بى » .

كانت فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - احب الناس الى قلب رسول الله .

روى ابو داود وغيره عن عائشة ايضا .. قالت :

« ما رايت احدا اشبه سمنا وهديا ودلا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قيامها وقعودها من فاطمة » .

والل هنا : السكنينة والوقار وحسن السيرة والطريقة .. واستقامة النظر والهيبة . وكانت اذا دخلت على النبى - صلى الله عليه وسلم - قام اليها وقبلها .. واجلسها في مجلسه .. فلما مرض دخلت عليه .. فاكبت عليه وقبلته .

وصدقت نبوءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فاطمة .. فكانت هى اول من مات من اهل بيته بعده .

كما روى البخارى .. ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تغشاه الكرب .. قالت فاطمة : واكرب ابتاه .. فقال - عليه السلام - « لا كرب على ابيك بعد اليوم » .

كما كان على رسول الله خميصة سوداء .. حين اشتد به وجعه .. فهو يضعها مرة على وجهه .. ومرة يكشفها عنه ويقول :

« قاتل الله قوما اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر من ذلك امته .

وفي يوم الاحد .. اشتد المرض برسول الله .. فنزل اسامة من معسكره .. ليعود رسول الله .. فدخل عليه وهو مغمور .. فطاطا اسامه فقبله .. ورسول الله لا يتكلم .. فجعل يرفع يديه الى السماء .. ثم يضعهما على اسامة .. قال اسامة : فعرفت انه يدعو لى .. فرجع اسامة الى معسكره .

وجاء فجر الاثنين ١٢ من ربيع الاول سنة ١١ هـ - الموافق ٧ يونيو سنة ٦٣٢ م .. وحين وقت صعود روحه الشريفة الى الرفيق الاعلى .

ذكر البخارى من حديث انس :

« ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين .. وابو بكر يصلى بهم .. لم يفجأهم الا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كشف حجرة عائشة .. فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة .. قال انس : وهم المسلمون ان يفتنوا في صلاتهم .. فرحا برسول الله .. فأشار اليهم بيده .. ان اتموا صلاتكم .. ثم دخل الحجرة وارخى الستر » .

تقول عائشة : وما رايت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - احسن هيئة منه تلك الساعة

.. ثم رجع وانصرف الناس .. وهم يرون أن رسول الله قد برئ من مرضه .. فرجع أبو بكر إلى أهله .

قالت عائشة - رضي الله عنها - رجع رسول الله في ذلك اليوم حين دخل من المسجد .. فاضطجع في حجرى .. فدخل على رجل .. من آل أبى بكر .. وفي يده سواك أخضر .. فنظر رسول الله إليه نظرا عرفت أنه يريد .. وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا .

فقلت يا رسول الله .. اتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ .. قال : نعم .. فأخذه .. فمضغته له حتى لينته .. ثم أعطيته إياه .. فاستن به كأشد ما رأيت يستن بسواك قط .. ثم وضعه .

ووجدت رسول الله يثقل في حجرى .. فذهبت أنظر في وجهه .. فاذا بصره قد شخص .. وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة .. فقلت : خيرت فاخترت .. والذى بعثك بالحق .

قالت : وقبض رسول الله .. بين سحرى ونحرى .. فوضعت رأسه على وسادة .. وقمت التدم مع النساء .. وأضرب وجهى » .

والسحر : هو الصدر .. فكانت رأسه بين عنقها وصدرها .

يقول الواقدي : أن أول كلمة تكلم بها النبى .. وهو مسترضع عند حليلة : الله أكبر .. وآخر كلمة تكلم بها : الرفيق الأعلى .

ولما توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طاشت العقول .. واضطربت الأفكار .. فقام عمر بن الخطاب .. مشهرا سيفه .. فقال : أن رجلا من المنافقين يزعمون أن رسول الله .. قد توفى .. وأن رسول الله والله ما مات .. ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران .. فقد

غاب عن قومه أربعين ليلة .. ثم رجع إليهم .. بعد أن قيل قد مات .. والله ليرجعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما رجع موسى .. فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم .. زعموا أن رسول الله مات .

نعم .. طاشت عقول المسلمين .. فمنهم من خبل .. ومنهم من أقعد فلم يطق القيام .. ومنهم من أخرس فلم يستطع الكلام .. ومنهم من أضنى .

فكان عمر ممن أخبل .. فقال ما قال .. وكان عثمان ممن أخرس يذهب ويجيء ولا يستطيع كلاما .. وكان على ممن أقعد فلم يستطع حراكا .. وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا .

وكان أثبتهم أبو بكر الصديق .. لما بلغه الخبر .. جاء وعيناه تهلان .. وزفراته تتردد .. وغصصه تتصاعد وترتفع .. فدخل على النبى - صلى الله عليه وسلم - فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه .. وقبل جبهته .. وقال : طيت حيا وميتا .. وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء .. فعظمت عن الصفة .. وجللت عن البكاء .. ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس .. أذكرنا يا محمد عند ربك .

وروى البخارى والطبرانى : لما توفى رسول الله .. قالت فاطمة :

يا ابتاه .. أجاب ربا دعاه .. يا ابتاه .. من جنة الفردوس مأواه .. يا ابتاه .. من إلى جبريل ننعاه .

وقد عاشت فاطمة - رضي الله عنها - بعده ستة أشهر .. فما ضحكت تلك المدة .

ثم خرج أبو بكر على الناس .. وعمر مازال يحلف على عدم موت النبى .. فقال :

أيها الحالف على رسلك .. فلما تكلم أبو بكر ..
جلس عمر ..

فحمد الله .. وأثنى عليه .. ثم قال :
« ألا من كان يعبد محمدا .. فان محمدا قد مات ..
ومن كان يعبد الله .. فان الله حي لا يموت »
.. ثم تلا قوله تعالى :

(انك ميت وانهم ميتون) (١) .. وقوله :
(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب
على عقبيه فلن يضر الله شيئا) (٢) .. فنشج
الناس سيكون .. رواه البخارى ..

فكان أشد الناس جزعا عمر .. فلما سمع
قول أبي بكر .. قال : فوالله لكأنى لم أتل تلك
الآية قط ..

وهذا دليل قوى .. على شجاعة أبي بكر
وحكمته .. ورباطة جأشه عند الكرب .. وضبط
نفسه .. لأن الشجاعة هي الثبات عند حلول
المصائب .. ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله
— صلى الله عليه وسلم —
وكان بلال يؤذن قبل دفنه — عليه السلام —
فاذا قال : أشهد الا اله الا الله .. وأشهد ان
محمدا رسول الله — ارتج المسجد بالبكاء
والنحيب ..

وقد ترك بلال الاذان بعد دفنه — عليه
السلام —
ولما أرادوا غسل رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — اختلفوا فيه :

فقالوا : والله ما ندري .. أنجرد رسول
الله من ثيابه .. كما نجرد موتانا ؟ ..

فالتقى الله عليهم النوم .. حتى ما منهم من
رجل الا ذقنه في صدره .. ثم كلمهم هاتف من
ناحية البيت .. لا يدرون من هو .. ان اغسلوه
في ثيابه ..

فأسنده على بن أبي طالب الى صدره ..
وكان العباس بن عبد المطلب .. والفضل
ابن العباس .. وقثم بن العباس .. يقبلونه معه
.. وكان أسامة بن زيد .. وشقران مولى
رسول الله هما اللذان يصبان الماء عليه .. وعلى
يفسله .. قد أسنده الى صدره .. وعليه
قميصه يدلكه به من ورائه لا يفضي بيده الى
رسول الله — عليه الصلاة والسلام — ويقول :
بابي انت وامى يا رسول الله .. ما أطيبك حيا
وميتا ..

وكان ماء الغسل من بشر غرس التي بقاء ..
ولم ير من رسول الله — صلى الله عليه
وسلم — شيء مما يرى من الميت ..

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب : ثوبين صحاريين (١)
.. وبرد حبره .. ادرج فيها ادراجا .. كانت
كلها بيضاء من القطن .. ليس فيها قميص
ولا عمامة .. وفرشت عليه قطيفة كان يلبسها ..
ويقرشها ..

فلما فرغوا من جهازه .. وضع على سريره
في بيته .. ثم دخل الناس عليه افواجا .. يصلون
عليه .. صلى عليه الرجال .. حتى اذا فرغوا
ادخلوا النساء .. حتى اذا فرغ النساء ادخلوا
الصبيان .. ولم يؤم الناس على رسول الله احد ..
ثم اختلفوا في مكان قبره .. فقال قائل :
ندفنه في مسجده .. وقال آخر : ندفنه مع
اصحابه .. فقال أبو بكر : لقد سمعته — عليه
الصلاة والسلام — يقول :

« ما قبض نبي الا دفن حيث قبض » .. وقال
على : « سمعت منه ذلك ايضا » ..

(٢) ١٤٤ — آل عمران ..

(١) ٢٠ — الزمر ..

(٢) نسبة الى صحارى (بضم الصاد) بلد باليمن ..

فرفع فراشه الذى توفى عليه .. ثم حفر له
تحتة .. وبأشر الحفر أبو طلحة زيد بن سهل
الأنصارى .. حفر له لحدا فى موضع فراشه ..
حيث قبض .

ونزل فى قبره الشريف عمه العباس وعلى
والفضل وقثم ابنا العباس .. ورش بلال قبره
الشريف بقربة ماء من قبل رأسه .. وجعلوا عليه
من الحصباء حمراء وبيضاء .. ورفع قبره عن
الأرض قدر شبر .

توفى - عليه الصلاة والسلام - يوم الاثنين
.. فى شهر ربيع الاول بلا خلاف .. فى مثل اليوم
الذى دخل فيه المدينة مهاجرا .. وهو نفس
اليوم الذى ولد فيه بمكة .. ودفن يوم الثلاثاء
.. ليلة الأربعاء .. فكانت حياته يوما واحدا من
أيام دنيا .. وكانت سنة يوم ذاك ثلاثا وستين
سنة قمرية .

توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله
.. وما ترك دينار ولا درهما .. ولا شاة ولا بعيرا .
تقول عائشة - رضى الله عنها - « مات وما فى
بيتنا شىء يأكله ذو كبد .. الا شطر شعير فى رف
لى .. فأكلت منه حتى طال على .. فأكلته ففنى
.. فيا ليتنى لم أكله » .

توفى ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير
.. وما ترك الا سلاحه وبغلقته وأرضا جعلها
لابن السبيل صدقة .

وكان المغيرة بن شعبه يقول :

انه أحدث الناس عهدا برسول الله - عليه
السلام - فيقول : أخذت خاتمي فألقيته فى القبر
.. وقلت ان خاتمي سقط منى .. وإنما طرحته
عهدا .. لأمس رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - فأكون أحدث الناس عهدا به .

اما حالة المسلمين بعد وفاته - عليه السلام -
فقد بلغت غايتها من الاضطراب .. المزوج بالأسى
والحزن .

فقد أخرج ابن مساكى .. عن أبى ذؤيب
الهللى .. قال :

بلغنا ان النبى - صلى الله عليه وسلم -
عليل .. فأوجس أهل الحى خيفة .. وبت ليلة
طويلة .. حتى اذا كان قرب السحر .. نمت
فهتف بى هاتف .. وهو يقول :

خطب اجل اناخ بالاسلام
بين النخيل ومقعد الاطام
قبض النبى محمد فعيوننا

تبدى الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومى فزعا .. فعلمت ان النبى
قبض .. وانه الآن ميت .. فقدمت المدينة ولاهها
ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام
.. فقلت ماذا ؟ فقليل قبض رسول الله .

وجاءت فادامة بعد دفنه .. فقالت : كيف
طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب ..
وأخذت من تراب القبر الشريف .. ووضعت على
عينيه .. وأنشأت تقول :

ماذا على من شمس تربة أحمد
الا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها
صبت على الأيام عدن لياليا

وفى رواية الدارمى .. قال انس :

ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوا من يوم
دخل علينا فيه رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - المدينة .. وما رأيت يوما كان أقبح
ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله .

وفى رواية الترمذى - عنه أيضا :

لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله
المدينة .. أضاء منها كل شىء .. فلما كان اليوم
الذى مات فيه أظلم منها كل شىء .. وما نفضنا
أيدينا من التراب .. وأنا لفى دفنه .. حتى
انكرنا قلوبنا .

وقد رثاه أبو بكر .. بقصيدة منها :

يا عين فابكى ولا تسامى
وحق البكاء على السيد
وصلى الملك ولى العباد
ورب البلاد على أحمد
فكيف الحياه لفقد الحبيب
وزين المعاشر فى المشهد
فليت المات لنا كلنا
وكننا جميعا مع المهتدى

كما رثاه شعرا .. كعب بن مالك واروى بنت
عبد المطلب .. وعائكة بنت المطلب .. وصفية ..
وهند بنت الحارث .. وحسان بن ثابت وغيرهم .
ومما قال حسان :

كنت السواد لناظرى
فعمى عليك النساظر
من شاء بعدك فليمت
فعليك كنت احاذر

اما عمر بن الخطاب .. فقال وهو يبكى :

بابى انت وامى يارسول الله .. لقد كان لك
جدع تخطب الناس عليه .. فلما كثروا اتخذت
منبرا لتسمعهم .. فحن الجدع لفراقك .. حتى
جعلت يدك عليه فسكن .. فامتك اولى بالحنين
عليك حين فارقتهم .

بابى انت وامى يارسول الله .. لقد باغ من
فضيلتك عند ربك .. ان جعل طاعتك طاعته
.. فقال « من يطع الرسول فقد اطاع الله » (١) .

بابى انت وامى يارسول الله .. لقد بلغ من
فضيلتك عنده .. ان بعثك آخر الانبياء .. وذكرك
فى اولهم .. فقال تعالى :

« واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم » (٢) .
بابى انت وامى يارسول الله .. لقد بلغ من

فضيلتك عنده .. ان اهل النار يودون ان يكونوا
اطاعوك .. وهم فى اطباقها يعذبون .. يقولون :
« ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول » (٣) .

وروى ابو داود والحاكم .. من طريق القاسم
ابن محمد بن ابي بكر قال :

دخلت على ام المؤمنين - عائشة - فقلت :
يا امه .. اكشفى لى عن قبر النبى - صلى الله
عليه وسلم - فكشف لى عن ثلاثة قبور ..
لا مشرفة ولا واطئة .. مبطوحة ببطحاء العرصة
الحمراء » .

وزاد الحاكم « فرأيت رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - مقدما .. وابو بكر راسه بين
كتفى النبى .. وعمر راسه عند رجلي النبى -
صلى الله عليه وسلم - وكان هذا فى خلافة
معاوية .

كانت القبور مسطحة .. ورفعت جدرانها فى
امارة عمر بن عبد العزيز .

ونقل اصحاب السير .. عن سعيد بن المسيب
قال :

بقى فى الحجرة موضع قبر .. فى السهوة
الشرقية .. يدفن فيها عيسى بن مريم .. ويكون
قبره الرابع .

والسهوة : بيت صغير منحدر فى الارض
قليلا .. شبيه بالمخدع .

وفى المنتظم لابن الجوزى .. عن عمر .. ان
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« ينزل عيسى بن مريم فى الارض .. فيتزوج
ويولد له .. ويمكث خمسا واربعين سنة ..
ثم يموت .. فيدفن معى فى قبرى .. واقوم انا
وعيسى بن مريم من قبر واحد بين ابي بكر وعمر .

من محاسن أخلاقه



كان - صلى الله عليه وسلم - إذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه .. وكان إذا أصابه غم أو كرب يقول :

« حسبى الرب من العباد .. حسبى الخالق من المخلوقين .. حسبى الرازق من المرزوقين .. حسبى الذى هو حسبى .. حسبى الله ونعم الوكيل .. حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » ..

من محاسن أخلاقه

على الفصاحة .. مفلج الشنايا .. قوى الاسنان
 .. ضخم الكراديس - رعوس العظام - غليظ
 الكتفين واسمعهما ناعمهما .. شثن الكفين
 والقدمين - اى غليظهما - بين كتفيه خاتم النبوة
 وخاتمه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة .. غليظ
 الاصابع من غير قصر ولا خشونة .. واسم
 الصدر .. سهل البطن .. غليظ القدمين ..
 سبابة اقدمه اطول من الوسطى .. اشعر
 الذراعين والمنكبين واعلى الصدر .. طويل
 الزندين .. لم يكن بالطويل ولا القصير وهو الى
 الطول اقرب .. شديد سواد الشعر .. شعره
 وسط بين الجعودة والسبوط .. اذا التفت
 التفت جميعا .

كان نقي الثوب .. لين الكلام .. حسن
 الصوت فويه .. لا يقول هجرا .. ولا ينطق
 هدرا .. يخاطب كل انسان على قدر عقله ..
 يكلم كل قبيلة بما تعرفه .. واسع الاطلاع بلغات

قال - عليه الصلاة والسلام - :

« ان الله قسم بينكم اخلاقكم .. كما قسم
 بينكم ارزاقكم .. وان الله يعطى الدنيا من احب
 ومن لم يحب .. ولا يعطى الدين الا من احبه » .

فكان - صلى الله عليه وسلم - اوسع الخلق
 نصيبا .. واوفرهم حظا فى الخلق والخلق معا .
 كان ابيض مشربا بحمرة .. واسع الجبين ..
 عظيم الراس من غير افراط .. حسن الجسم ..
 عظيم الجبهة .. دقيق الحاجبين مقرونهما ..
 كانت الفرجة التى بين حاجبيه يسيرة لا تبين
 الا لمن دقق النظر .. اهدب الاشفار .. ادمج
 العينين - اى فى بياضهما حمرة - وكانت فى
 الكتب القديمة من علامات نبوته .. اقنى الانف
 .. واضح الخدين ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع ..
 كث اللحية اسودها .. عرقه فى وجهه .. واسع
 الفم من غير افراط .. والعرب تمنح به كدليل

العرب .. اذا فرح غص طرفه .. كلن ضحكة
ابتساما .. وكان الضحك منه نادرا ..
ولم يقهقه .. ما تشاء قط .. ليس بمسترخي
البدن .. سهل الخلق .. لين الجانب .. ليس
بغظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا فراح .. وكان يمزح ولا يقول الا حقا ..
يقابل السيئة بالحسنة .. يصل من قطعه ..
ويعطى من حرمه .. ويعفو عن ظلمه .. لا يتكلم
الا فيما يرجو ثوابه .. ويصبر للغريب على
الجفوة في المنطق والمسالمة .. لا يقطع على احد
حديثه .. ولا يتكلم في غير حاجة .. وكان كلامه
يحفظه عنه كل من سمع .. يعظم النعمة وان
دقت .. لا بغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما
يغضب اذا تعرض للحق بشيء .. ويكرم كريم
قوم ويوليهم عليهم .. ويتفقد اصحابه ويسأل
منهم .. فان كان غائبا دعا له .. وان كان شاهدا
زاره .. وان كان مريضا عاده .. واذا انتهى الى
قوم جلس حيث ينتهي به المجلس - تواضعا -
من جالسه او نادمه لحاجة صابره حتى يكون هو
المنصرف عنه .. من ساله حاجة لم يرده الا بها
.. عنده الناس في الحق سواء .. مجلسه
مجلس علم وحياء .. لا ترفع فيه الاصوات ..
ولا يتنازعون عنده الحديث .. اذا تكلم اترك
جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير .. وقد قال -
عليه السلام - « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ..
كان اشد الناس خشية وخوفا من الله ..
ما ضرب بيده الشريفة امرأة ولا خادما من اهله ..
حلته يسبق غضبه .. ولا تزيد شدة الجهل
عليه الا حلما .. اسخى الناس كفا .. واشدهم
حياء .. يحب الفال الحسن .. ويغير الاسم
القبيح بالحسن .. يشاور اصحابه في الامر ..
وكان اذا كره شيئا عرف في وجهه .. ولم يشافه
احدا بمكرهه .. يمازح صبيان اصحابه ..

ويجلسهم في حجره .. ويقعدون في صدره
الشريف .. ويقبلهم ويلتزمهم .. يشهد الجنائز
.. ويقبل عذر المعتذر .. ما وضع احد قدمه في
أذنه الا استمر صافيا له حتى يفرغ من حديثه
ويذهب .. يمشى مع الأرملة والمسكين والضعيف
في حوائجهم .. وما صافح احدا بيده فيرسل يده
منه حتى يكون الآخر هو الذي يرسلها .. يبدأ
من لقيه بالسلام .. ويبدأ اصحابه بالمصافحة
.. لم ير قط ماذا رجليه بين اصحابه .. كان
يجلس على الأرض والحصر والبساط .. يكرم
من دخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره
بالوسادة التي تحته .. ويعزم عليه ان ابى ..
ويدعو اصحابه بأحب اسمائهم وبكنيتهم ..
ولا يجلس اليه احد وهو يصلى الا خفف صلاته
وسأله عن حاجته .. فاذا فرغ عاد الى صلاته .

كان يركب الحمار .. وربما ركه عريانا
ويردف خلفه .. وكان يحب السواك .. ويكتحل
بالأمد عند النوم ثلاثا في كل عين .. وحج على
رحل رث .. عليه قطيفة ما تساوى اربعة
دراهم وقال : « اللهم اجعله حجا مبرورا ..
لا رياء فيه ولا سمعة » وكان غالبا ما يلبس هو
واصحابه ما نسج من القطن .. وربما لبسوا
ما نسج من الصوف والكتان .

.. يحلب شاله .. ويخصف نعله .. ويرقع
ثوبه .. ويخدم نفسه .. ما يرى قط فارغا
في بيته .. ويأكل مع الخادم وطحن معه ..
ويحمل بضاعته من السوق .. ويجب الطيب
ويأمر به .. ويأمر اصحابه بالمشي امامه .

توفي ودرعه مرهونة عند يهودى على نفقة
عياله .. ما شبع ثلاثة ايام تباعا من خبز البر
.. حتى فارق الدنيا .. ولا اكل خبزا منخولا ..
وكان يبيت الليالى المتتابعة خاويا .. وما اكل

على خوان قط .. انما كان ياكل على السفرة ..
وربما وضع طعامه على الأرض .. لا يجمع في
بطنه بين طعامين .. ان اكل احما لم يزد عليه
.. وان اكل تمرا لم يزد عليه .. وان اكل خبزا
لم يزد عليه .

وكان يصلى على الحصير .. ومع الفروة
المدبوغة .. وربما نام على الحصير فائرت في
جسده الشريف .. وكان ينام على شيء من ادم
مخشو ليفا .

وكان - صلى الله عليه وسلم - افصح
الناس .. واعلمهم كلاما .. واسرعهم اداء ..
واحلاهم منطقا .. حتى ان كلامه يأخذ بالقلوب
.. ويسبى الارواح .. وكان اذا تكلم تكلم بكلام
مفصل مبين يعده العاد .. ليس بهذر مسرع
لا يحفظ .. ولا منقطع تتخلله السكتات بين
أفراد الكلام .

لم يكن بكاؤه بشهيق ورفع صسوت ..
كما لم يكن ضحكه بقهقهة .. وكان يبكى اخيانا
في صلاة الليل .

وخطب رسول الله - عليه الصلاة والسلام -
على الأرض .. وعلى المنبر .. وعلى البعر ..
وعلى الناقة .. وكان اذا خطب احمرت عيناه
.. وعلا صوته .. واشتد غضبه .. كأنه منذر
جيش .. وكان لا يخطب خطبة .. الا افتتحها
بحمد الله .. وكان اذا صعد المنبر أقبل بوجهه
على الناس وقال : السلام عليكم .. ويختتم
خطبته بالاستغفار .. وكان كثيرا ما يخطب
بالقرآن .. واذا قام يخطب اخذ عصا فتوكأ
عليها .. وكان احيانا يتوكأ على قوس .. ولم
يحفظ عنه انه توكأ على سيف .

ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - يفجأ أهله
عند دخوله اليهم بفتة يتخونهم .. ولكن كان
يدخل على أهله على علم منهم بدخوله .. وكان
يسلم عليهم .. وكان اذا دخل بدا بالسؤال -
اي سأل عنهم - وربما قال : هل عندكم من غداء ؟
.. وربما سكت حتى يحضر بين يديه ما تيسر ..
وكان اذا دخل على أهله بالليل يسلم تسليما
لا يوقظ النائمين ويسمع اليقظان .

واذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء
وجهه .. ولكن من ركنه الايمن او الأيسر ..
فيقول : السلام عليكم .. السلام عليكم .. لم
يكن يرد السلام بيده ولا رأسه ولا أصبعه .
وكان - صلى الله عليه وسلم - اذا رجع
يديه في الدعاء .. لم يحطمها حتى يمسح بهما
وجهه .. وكان أكثر دعائه :

« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك »
.. وكان اذا أصابه غم او كرب يقول :

« حسبي الرب من العباد .. حسبي الخالق
من المخلوقين .. حسبي الرازق من المرزوقين
.. حسبي الذي هو حسبي .. حسبي الله
ونعم الوكيل .. حسبي الله لا اله الا هو عليه
توكلت وهو رب العرش العظيم » .

واذا اجتهد في الدعاء قال : « يا حي يا قيوم »
واذا أراد امرا قال :

« اللهم خذ لي واختر لي » .. واذا جاءه
امر يسر به .. خر ساجدا .. شكرا لله - عز
وجل -

وكان يعجبه ان يدعو الرجل بأحبه اسمائه
.. واذا عزى قال : « يرحمه الله ويؤجركم » ..

واذا هنا قال : « بارك الله لكم وبارك الله عليكم » .. واذا اراد سفرا قال :

« اللهم بك احول وبك اسير » .. واذا سمع المؤذن قال مثل ما يقول .. حتى اذا بلغ « حى على الصلاة .. حى على الفلاح » .. قال :
« لا حول ولا قوة الا بالله » .

قال معاذ بن جبل - رضى الله عنه - :
اوصانى رسول الله - صلى الله عليه وسلم .. فقال :

« يا معاذ اوصيك باتقاء الله .. وصدق الحديث .. والوفاء بالعهد .. وأداء الأمانة .. وترك الخيانة .. وحفظ الجار .. ورحمة اليتيم

.. ولين الكلام .. وافشاء السلام .. وحسن العمل .. وقصر الأمل .. ولزوم الايمان .. والتفقه فى القرآن .. وحب الآخرة .. والجزع من الحساب .. وحفظ الجناح .

وانهاك أن تسب حكيما .. او تكذب صادقا .. او تطيع آثما .. او تعصى اماما عادلا .. او تفسد أرضا .

وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر .. وبأن تحدث لكل ذنب توبة .. السر بالسر .. والعلانية بالعلانية » .

وهكنا أدبه ربه .. وهكنا أدبنا .. ودعانا الى مكارم الأخلاق .. ومحاسن الآداب .

المراقبة الوجدانية .. في الرسالة المحمدية



فعلينا ان نأخذ طريقنا مع الشاهد المبشر النذير
.. الداعي الى الله بأذنه .. السراج المنير .. حتى
لا يتخبطنا الشيطان من المس .. وننتيه في وديان
الضلالة .. والذين يفتنون محمدا - الرؤوف الرحيم -
ينخلونه اسيرة لهم .. فيكون كل واحد منهم بالمؤمنين
رءوفا رحيفا

المراقبة الوجدانية في الرسالة المحمدية

وهم الأولون من المهاجرين والأنصار وتابعيهم ..
أم أنها شهادة أبدية .. لا تزال قائمة ؟
فعلى الفرض الأول .. يكون شاهدا محدودا
في الزمن .. والمشهود عليهم هم أهل هذا
الزمن فقط .. وهذا فيما يبدو وجه بعيد ..
لا يتفق مع كونه - عليه الصلاة والسلام - مرسلًا
إلى الناس كافة .

ويتعين علينا الاستناد إلى الوجه الثاني ..
وهو كونه شاهدا أبديا .. تعرض عليه أعمال
أمتة وأحوالها .. فيراها نوعا من العرض ..
فلا بد أن تكون الأعمال والأحوال مشهودة له ..
يراهها ويقدرها .. والا لزم بطلان الشهادة شرعا
.. إذ لا تجوز على السماع المجرد .

فاذا أحس المؤمن شهادة إمامه على جميع
أعماله .. استحيا أن يعمل ما لا يسره - صلى
الله عليه وسلم - أن يراه .

أن النفحات الروحية هبة من الله تعالى ..
غير كسبية (يختص برحمته من يشاء) .
ومن المقرر في متن الكتاب الحكيم .. أنه
بتضمن الخطوط العريضة لرسائله .. - صلى
الله عليه وسلم - بتركيز كامل .. في قوله
نعالي :

(يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا (١)) .
فلا بد للمؤمن من رعاية التجليات الإلهية
.. والنفحات القدسية .. والمعاني الكلية ..
وفي كل خط من تلك الخطوط .. التي بدأت
بكونه - عليه الصلاة والسلام - :

شاهدا :

وعلى الذين يتدبرون القرآن .. أن ينظروا
في أمر شهادته .. أهى من حضوره بينهم ؟ ..

(١) ٤٥ - الأحزاب)

ومن هنا تكون المراقبة - التى أشارت إليها كتب الحكماء - وذكرها ابن سينا فى كتاب - النجاة -

والمراقبة ليست بعينى الراس .. بل هى مراقبة بصرية محضة .

فاذا كان الانطباق تاما بين الشاهد والمشهود عليه وجدانيا .. فهذا ما نسميه بالاستقامة .. والنص صريح .. فى ان الاستقامة .. اصل لتنزل الملائكة :

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة (١) .

اما اذا كان هناك انحراف بين المشهود عليه والشاهد .. كان ذلك سببا لتنزل الشياطين :

(هل انبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل افاك ايثم (٢) .

والافاك : هو الكذاب .. ولهذا يكون الكذب من معالم الانحراف عن مطابقة المشهود عليه بالنسبة للشاهد - عليه الصلاة والسلام -

وهذا المبحث القائم على المراقبة الوجدانية .. مبحث بعيد الاطراف .. مترامى الانحاء .. ليس هذا مقام الاسترسال فيه .. حتى يخرج بنا عن خطوط رسالته - صلى الله عليه وسلم - التى بدانا نوجه الاضواء اليها . فهو اذا - عليه السلام - بوصف كونه شاهدا ابديا .. يا امرنا بحبه :

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم (٣)) .

ويقول عمر - رضى الله عنه - انى احببك يا رسول الله .. ولكن لا كنفسى .. فاجابه على الفور بقوله : « والذى نفسى بيده .. لن يؤمن احدكم .. حتى اكون احب اليه من نفسه وماله .. وولده ووالده .. والناس اجمعين » . وما المراد بذلك الحب .. سوى صدق المتابعة .. ومراقبة التجليات القدسية .. من فيض تنزل الملائكة .. وهو المعنى المراد من قوله تعالى :

(هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤)) .. وقوله لرسوله (وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم) (٥) .

فقل لى لعمرك .. ماذا يراد بهذا السكن .. سوى السكينة التى تسكن بها النفس .. وتانس بها المشاعر .. الى مشاهد لا يمكن تحديدها .. تمد المؤمن بقوى الاستعداد .. لقبول الفيض .. وتنزل التثبيت .. لازدياد الايمان .

(هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم والله جنود السماوات والارض وكان الله عليما حكيما) (٦) .

هذا كله فى مراقبة خط الشهادة .. الذى اذا تم كماله نسبيا .. كان مؤهلا لانتقال المؤمن الى الخطتين الثانى والثالث .. اللذين يكون فيهما - عليه الصلاة والسلام -

مبشرا ونذيرا :

مبشرا الذين آمنوا .. وحاولوا جهد

(٢) ٢٢١ - ٢٢٢ - الشعراء .

(٤) ٤٣ - الاحزاب .

(٦) ٤ - البتج .

(١) ٣٠ - فصلت .

(٣) ٣١ - آل عمران .

(٥) ١٠٣ - التوبة .

الطاقة أن يشبوا على الاستقامة .. وأن يتجنبوا الانحراف .. مبشرا لهم .. بناء على كونهم بالمراقبة .. يخافون مقام ربهم .. مبشرا لهم بجنتين :

(ولمن خاف مقام ربه جنتان) (١) .

جنة برزخية - القبر - وهى « روح وريحان » .

وجنة سرمدية - بعد البعث - وهى « جنة نعيم » .

اقرأ معنى : (فاما ان كان من المقربين) فى الدنيا (فروح وريحان) تلك هى جنة البرزخ . (وجنة نعيم) (٢) وهذه هى الجنة الأبدية السرمدية .

فالجنة الاولى .. يدخلونها اثر مفارقة الارواح للأجساد .

والجنة الثانية .. يدخلونها فى الآخرة . (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين) (٣) .

هذا المعنى نفسه .. نجده فى قوله (يبشروهم ربهم برحمة منه ورضوان) .. تلك هى الجنة البرزخية .

(وجنات لهم فيها نعيم مقيم) (٤) وهذه هى الجنة السرمدية الأبدية .

المعنى نفسه أيضا فى قوله - عليه الصلاة والسلام :

« القبر اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار » .

فقوله : « روضة من رياض الجنة » مطابق تماما لقوله تعالى .. فى سورة الواقعة :

(فروح وريحان) .. وقوله فى سورة التوبة برحمة منه ورضوان) .

وهو برزخ بين الحياة الدنيا .. وبين نعيم خالد سرمدى .. فلا يكون المؤمن على الأرض .. لأن المؤمن مع كتابه (وكل انسان الزمان طائره فى عنقه) (٥) .

وطائره : كتابه .. وكتاب المؤمنين فى عليين .. كما قال تعالى :

(كلا ان كتاب الابرار لفى عليين) (٦) .

فلا علاقة بتاتا بين الأرض وبين عليين

فكتاب المؤمن معه بالالزام الالهى .. وهو مع كتابه .. وحيث ان كتابه فى عليين فهو أيضا فى عليين .

ونص الحكم فى البرزخ يقول : (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) (٧) .

فيكون البرزخ من لحظة الوفاة .. الى لحظة البعث .

ومن براهين اثبات البرزخية .. فوله تعالى :

(الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (٨) .

وقد اشار الى ذلك .. فى العصر الحديث .. رجل فاضل .. من جماعة كبار العلماء ..

(٢) ٨٩ - الواقعة .
(٤) ٢١ - التوبة .
(٦) ١٨ - المطففين .
(٨) ٤٢ - الزمر .

(١) ٤٦ - الرحمن .
(٢) ١٧ - السجدة .
(٥) ١٣ - الاسراء .
(٧) ١٠٠ - المؤمنون .

وكان مفنيا رسميا للديار المصرية .. هو المغفور له .. الشيخ محمد بختيار .. في كتابه - توفيق الرحمن - فقال حول تلك الآية ا

(الله ينوفى الانفس حين موتها ويتوفى الى لم تمت في منامها) .. فلا يقطع علاقتها بالبدن .. علاقة التصرف والتدبير (فيمسك التي مضى عليها الموت) فيقطع علاقتها بالبدن .. علاقة التصرف والتدبير .. فلا يردها الى ابدانها .. بنص قوله تعالى :

(وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) (١) .

(ويرسل الاخرى) الى النائمة (الى اجل مسمى) .. ثم قال رحمه الله عن بنية الآية : (ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون) .. اى ينظرون بمفعولهم السليمة .. نظرا محررا من عبود المادة .. وحس المحسوسات (٢) .

كما جاء في غير موضع .. من تفسير الامام المغفور له - الشيخ محمد عبده - عن الحياة البرزخية .. وعلى الاخص حياة الشهداء .. بانها حياة غيبية .. لا نخوض في تفصيلها .. ونعف فيها عندما وقف المشرع - صلوات الله وسلامه عليه - لا نزيد عليه شيئا .

ثم اورد - رحمه الله - ما كان بين النبى - صلى الله عليه وسلم - وبين عبد الله بن جابر الاسارى - رضى الله عنه - عندما كان جالسا بين يدي النبى .. صلى الله عليه وسلم - وهو مدبب .. فقال له النبى : « يا ابن جابر .. ما اى اراك منكسرا » ..

فقال : يا رسول الله .. استشهد ابنى وتركنا وعيالا .. فقال - عليه السلام -

(١) ٩٥ - الانبياء .

(٢) ١٦٩ - ١٧٠ - آل عمران .

« أما يكفيك ان يحيى الله أبلك .. يخاطبه كفاحا - اى مباشرة - اى عبد .. تمن على اعطاك .. فقال أبوك : لى رب .. اتمنى ان تعيدنى الى الدنيا لاقتل فى سبيلك مرة اخرى .. فقال الرب - جل وعلا - « سبق القول منى انهم لا يرجعون » .

فقال : اى رب .. فاتمنى ان تبلغ من خلفنا من اخواننا .. عما لقينا من الكرامة عندك .. ومن حسن المصير اليك .. حتى لا ينكلوا من القتال .. فقال الله - تعالى - له انا ابلغهم ذلك .. وانزل الآيات :

(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣) .

ثم اورد قوله - عليه الصلاة والسلام - : « ارواح الشهداء فى حواصل طيور خضر .. ترد انهار الجنة .. فتاكل من ثمراتها .. وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش » . والحديث على هذا النحو .. للاشارة بالاملاح الى جلال الحياة فى دار الشهداء .

وان من تأمل معنى النهى عن حسابان القتلى فى سبيل الله أمواتا .. وعن القول بأنهم أموات .. يتبين له ان مظاهر الحياة الجسدية .. على اى صورة من الصور .. لا تدل بحال على حقيقة ما فيه الارواح .. من نعيم او عذاب .. لاننا اتفقنا على ان النعيم والعذاب برزخيان روحيان . ويؤيد هذا النهج .. النظر فى قول النبى - صلى الله عليه وسلم - يوم رأى عمه حمزة

(٣) راجع كتاب - توفيق الرحمن .

— أسد الله — رضى الله عنه — وقد مثل الاعداء بجسده شر مثله .. فبقروا بطنه .. وصلبوا اذنيه .. وسلموا عينيه — وجدعوا انفه .. فلما رأى النبی هذا المشهد .. ابتسم ابتسامة مكتئبة .. وقال : « والله لولا ان تحزن صفية — اخته — لتركته حتى يكون فى بطون السباع وجوارح الطير » .

وعلى هذا .. اذا رأينا فى ميادين القتال .. ومصارع الحق .. جسما ممزقا .. تناثرت أشلاؤه .. فان لنا أن نحكم بأنه لا علاقة مطلقا بين هذا المشهد الذى تتقزز منه النفس .. ويشتمل منه الحى .. وبين الحقيقة الداتية لصاحب هذا الجسد الممزق .. لأن فرض وجود علاقة بين الحى الممزق .. الذى اشار اليه القرآن بقوله : (بل احياء عند ربهم يرزقون) .. أن فرض وجود علاقة بينه وبين هذا الجسد الممزق .. فرض سفسطائى — أى مغالطى — لأن السفسطة مغالطة .. ثموه فيها المقدمات .. لابرار نتيجة باطلة .. ويترتب على فرض هذه العلاقة بطلان معنى الحديث « القبر اما روضه من رياض الجنة .. أو حفرة من حفر النار .

وكذلك بطلان معنى الآية (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) . والذين يتعصبون للحس والمحسوسات — كما هى عبارة الشيخ بخيت — فى كتابه — توفيق الرحمن — هم عن الحق منقلبون .. وعن طريقه ناكبون (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) .

ونحن اذا تدبرنا معانى القرآن الكريم .. الذى لا يمس معانيه الا المطهرون من ادناس الشرك .. وأرجاس الشك .. نجد ان الأدلة قاطعة على انقطاع صلة الروح بالجسد .. وعدم عودتها الى الرميم المدفون .. فى مثل قوله تعالى :

(ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (١) فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون) (٢) .

ومن ثم يتضح بجلء .. أن قومنا المسلمين .. قد تخبطوا .. عندما اعتمدوا على نظرية ابليس : وهو أن آدم ليس الا من طين .. أو ماء مهين .. متغافلا عن معنى النفخ فيه .. فالشيطان واتباعه .. وقفوا عند ادنى الشرطين للسجود .. كما قال تعالى (انى خالق بشرا من طين * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (٣) وكانت نظرية ابليس فى الامتناع عن السجود .. نعاميه عن شرط الروح الأعلى .. وتمسكه بشرط الطين .. وهو — الشرط الأدنى .. فقال :

(قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) (٤) .

وقد اضل الشيطان بهذا كثيرا من الناس .. الذين يستعينون برفات الموتى .. على قضاء حوائجهم .. وشفاء مرضاهم .. وتيسير شئونهم .. والشفاعة لهم عند ربهم . ولعلنا نخرج من خطى التبشيس والانذار

(٢) ٤٩ - ٥٠ يس .

(٤) ٧٦ - ص .

(١) يتجادلون .

(٣) ٧١ - ٧٢ - ص .

« ومبشرا ونذيرا » .. بمعرفتنا أن أساس توحيد الله تعالى : هو التجريد التام .. والتفريد المطلق .. حتى لا يقع منا نظر الا عليه .. ولا يسير بنا وطرا الا اليه .. وعلمنا أن الشيطان فتان بارع .. وغرور خادع .. حيث يأتى الناس عن ايمانهم .. بمثل هذه المظاهر .. كما اشار الى ذلك الكتاب الحكيم (افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) (١) . وهؤلاء ينطبق عليهم قوله تعالى :

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) (٢) .
وقد انذر .. عليه الصلاة والسلام - بالامر الوحي اليه .

(قل انما انا بشر مثلكم ^{خبركم} يوحى الى انما الحكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) (٣) .
ومن هنا نعلم انه - عليه الصلاة والسلام - في هذا المقام نذير .. وكونه نذيرا مقتضى ذاتيا لجميع ما ذكرنا من صنوف الانحراف والضلالة .. كما قال تعالى في أول سورة الكهف :

(وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ﴿ فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا) .

فانظر الى قوله (فلعلك باخع نفسك) أى

قاتل نفسك .. ولولا انه - عليه السلام - شاهد ومبشر ونذير .. ما كان يقف منهم مثل هذا الموقف القاتل من شدة الاسى والاسف .
وداعيا الى الله باذنه :

وليست الدعوة الى الله مجرد الفاظ يقولها القائل .. وانما هى حال تقوم بنفس الداعى .. وتعتلج في صدره .. فتكون ملكة راسخة من ملكات نفسه .. وهذا بحاجة الى كمال استعداد النفس .. لقبول فيض التنزلات الالهية .. ونفاذ البصرة .. والاحاطة بالسبيل .. كما قال تعالى لنبيه :
(قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) (٤) . ويؤيد هذا قوله :

(فاستقم كما أمرت وما تاب معك) (٥) .
ومن هذا يتبين ما يجب ان يكون عليه الداعى نفسيا .. وما يتحلى به من صفات .. وما يختمر في نفسه من ملكات .. تعتبر اساسا لتنزل الفيض الذى هو ضياء البصرة .. ذلك الضياء الذى لا تقوم الدعوة الا به .
والرسول - عليه السلام - في هذا المقام .. يسمى نورا يكشف سبيل الحق .. وهو الصراط المستقيم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) (٦) .
وتلك الهداية الارشادية .. والعناية التوجيهية من الداعى .. تجعله اسوة حسنة :
(لفسد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) (٧) .

(٢) ١٠٣ - ١٠٤ - الكهف .

(٥) ١١٢ - هود .

(٧) ٢١ - الاحزاب .

(١) ٨ - سورة فاطر .

(٣) ١١٠ - الكهف .

(٤) ١٠٨ - يوسف .

(٦) ٥٢ - الشورى .

والمقصود بالأسوة : الانسان النموذجي . .
الذى يعتبر مقياسا للكمال الذاتى . . الذى
يحصل به العبد على مقام المحبة .

ومقام المحبة له شعبتان : عليا . . ودنيا .
فالعليا : محبة الله لعبده . . كاساس .
والدنيا : محبة العبد لربه . . كبناء .

وعلى هذا تكون المحبة الالهية للعبد . .
سببا لتوجه محبة العبد لربه . . كما يقول
تعالى :

(فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) (١)
فهو مصدر الحب . . ويكون هذا مفهوم قوله
تعالى :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا) (٢) .

ومتى ثبتت المحبة . . وقامت المودة —
كانت انفعالية لا فعلية . . ويكون الداعى سعيدا
بدعوته . . مسترسلا مع ملكاتها النفسية . .
ومن اجل هذا قال :

(على بصيرة انا ومن اتبعنى) .

والاتباع هو تحرى الاسوة . . التى يأنس
بها كل مؤمن :

(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم
الله ويغفر لكم ذنوبكم) لان الاتباع هو ملازمة
الأسوة . . واذا انقطعت الملازمة . . كان الفاعل
مخالفا عن أمره — عليه ^{السلام} والسلام — وهنا يدخل
المنقطع فى قسم — المنذرين — ويكون الرسول
بالنسبة له نذيرا . . وليس بشيرا .

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان
تهيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) (٣) .

والمقصود بالعذاب الاليم . . ليس مجرد
الآلام . . او امراض البدن . . فهذا امر لا يخلو
منه المؤمنون ولا المرسلون . . وانما المقصود به
الانقطاع الوجدانى . . وحيرة الضمير . . وظلمات
الشك . . فهذه كلها من أهول ألوان العذاب :
(ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) (٤)

فقوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن
أمره) . . الخ . . انما يراد به عذاب الخزي
الاليم والارتباط الوخيم . . والشك المضطرب
.. وعدم الاستقرار . . وفساد البال . . لان
الذين اتقوا آثام تقواهم . . واصلح بالهم . .
فساد البال نوع من انواع العذاب الاليم . .
الناجم عن تعمد مخالفة سيرة الأسوة الحسنة . .

واذكر مثلا . . ضربه لى صديق مؤمن . .
حول هذا المقام :

فالقطار الذى احكمت حلقات الصلة بينه
وبين ما خلفه من العربات . . لا يتم نظام
السير لهذه العربات . . الا مادامت مع القطار على
صراط مستقيم — الشريط — اما اذا انفلتت
عربة عن الشريط . . فان الحلقة الرابطة بينها
وبين القطار ان تنفصم . . ومعنى هذا ان تلك
العربة ستجر جرا الى مصيرها المحتوم . .
ولا تكاد تصل مع القطار الى محطة الوصول . .
الا وقد تحطمت تحطيمًا شديدا . . وهو نفس
العذاب الاليم . . المقصود فى الآية السابقة . .
فلا سلامة للعربة الا فى اتزانها وملازمتها للطريق

(٢) ٩٦ - مريم .

(٤) ١٦ - فصلت .

(١) ٥٤ - المائدة .

(٣) ٦٣ - النور .

الرسوم .. حتى تصل بسلام الى مثواها الاخير .
على ان الصلة الامدادية قائمة بين الاسوة ..
 وبين المؤتسرين به .. كما يقوم في مثل القطار
 - خرطوم الباكم - بالهيمنة على سير العجلات
 .. حتى لا تزيغ ولا تنزل عن الصراط - الشريط -
 وهذا معنى قوله عليه السلام - في حديثه :
 « فانا آخذ بحجزكم عن النار .. وانتم
 تغلبونني فتقعون فيها » .

فاذا علمت ان داعيا دعاك .. ومناديا ناداك
 .. وهو على بصيرة من امر دعوته .. وعلى خبرة
 من بواطن ندائه .. فليس امامك الا احد امرين :
 اما المتابعة الصادقة .. والاسوة الحسنة ..
 والطاعة المطلقة .. واما الانفلات والسقوط ..
 اهاذنا الله واياك منهما .. وهذا معنى قوله
 تعالى :

(ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .
 فعليك ان تميز وتتدبر ما تنطوى عليه المعاني
 العليا لقوله تعالى مثلاً المقام الاسمي لعباده :
 (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان
 آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا
 سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١)) .

وليس الأبرار هم الاطفال - كما يزعم
 البعض - فالملائكة ابرار (بايدي سفرة كرام
 بررة (٢)) .. فالأبرار جمع .. مفردة بر ..
 وهو اسم من أسماء الله تعالى الكونية .. لجواز
 اطلاق هذا الاسم على الانسان .. فيكون البر : هو
 القائم بالبر .. وقد حدد الله تعالى لنا صفة
 الأبرار .. في قوله تعالى :

(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
 والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه
 ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة
 والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء
 والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا
 وأولئك هم المتقون (٣)) .

هؤلاء هم الأبرار .. الذين سمعوا نداء
 ربهم .. ودعوة نبيهم .. فآمنوا وقالوا ا
 « ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
 وتوفنا مع الأبرار » .. ثم قالوا :

« ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
 يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » (٤) .
 وأجاب جل شأنه على دعائهم هذا بقوله :

« فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل
 عامل منكم من ذكر او أنثى بعضهم من بعض
 فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في
 سبيلى وقاتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم
 ولادخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا
 من عند الله والله عنده حسن الثواب » (٥) .
اما كونه سراجا منيرا :

فهو نور يسرى في تلك الدعوة .. يبدد
 ظلمات الاوهام .. وآلام الليالى والايام .. فقد
 اجمع جمهور الأمة .. على انه - عليه الصلاة
 والسلام - هو النور الثانى .. في قوله تعالى
 « نور على نور » (٦) .

فالنور الاعلى : هو نور الله - المصور
 المتجلى - والنور الثانى : هو نور محمد -

(٢) ١٦ - عيس .
 (٤) ١٩٤ - آل عمران .
 (٦) ٢٣ - النور .

(١) ١٩٣ - آل عمران .
 (٣) ١٧٧ - البقرة .
 (٥) ١٩٥ - آل عمران .

المجلى الذى سطع على صفائه ذلك النور الاعلى
.. فلا غرو جعل هؤلاء المستمدين من نور
محمد ذلك النور السرمدى .. جعلهم « ائمة
يهدون بأمرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا
عابدين » (١) .

فالدائمى هو ذاته نور يسرى فى ظلمات
الجهالة وعماياتها .. فيجعل تلك الظلمات نهارا
متألقا .. فالى الاصباح .. ويكون هذا المقام
تمهيدا لمواجهة هذه الحقيقة النورانية لقوله
تعالى عنه « وسراجا منيرا » .

فقد اخبرنا - سبحانه - بانه جعل دعوته -
عليه السلام - صادرة باذن ربه وامره ..
« وداعيا الى الله باذنه » .. وعلامة الاذن ..
تيسير سبيل الدعوة .. واعداد الداعي بقوة
احتمال هائلة .. لان جميع الامم الضالة .. انما
استقبلوا انبياءهم بالتكذيب والكفران .. والاهانة
والاتهام .. والامتحان والقتل .. فلا بد ان يكون
نصيبتهم من الصبر .. وقوة الاحتمال او فى
نصيب .

ولهذا يقول - عليه السلام - « اشدكم بلاء
الانبياء .. ثم الاولياء .. ثم الامثل فالامثل »
وكل هذا مندرج فى قوله « باذنه » .. فلولا
هذا الاذن ما صرف لهم تموينهم من الصبر ..
الذى لا يوجد مطلقا الا عند الله :

« واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم
ولاتك فى ضيق مما يمكرون » ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون » (٢) .

والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك .

ونحن اذا اهتدينا بذلك السراج المنير ..
الابدئى السرمدى .. الذى يبدد ظلمات النفس ..
وينزل ركام الاوهام .. انجلت بصائرنا
.. وشفت افئدتنا .

وفرق بين البصر والبصيرة .. فلو انجلت
البصائر .. لراينا الله يتجلى فى مشاهد الوجود
بالاحكام والاتقان والابداع وكمال التكوين وجمال
التلوين .

انظر اليه كيف تجلى فى نظرات النرجس ..
وبسمات الورد .. وبهاء الزهور !!

ثم انظر اليه كيف سرى سريان الماء فى الورود
.. فامد بحياة الانسان والحيوان والنبات ..
وما فى بطون الجبال من عناصر ومعادن وغازات !!
ثم تعمق ببصيرتك واسبح بفكرك فى عالم
الاعماق فى المحيطات .. وما شحنت به الاحياء
المائية من قوى ذاتية .. ومواد فسفورية تضىء
لها مسالك الاعماق .. ومجاهل البحار
والمحيطات !!

ثم اصعد ببصيرتك ايضا .. لترى كيف
ادار الكواكب السيارة .. ونظم الافلاك ! ..
ثم جعل كل ذلك مسخرا لهذا الانسان الكريم .
« فلا اتسم بمواقع النجوم » وانه لقسم
لو تعلمون عظيم » (٣) .

« قل انظروا ماذا فى السماوات والارض » (٤)
« او لم ينظروا فى ملكوت السماوات
والارض » (٥) .

(٢) ١٢٧ - ١٢٨ - النحل .

(٤) ١٠١ يونس .

(١) ٧٣ - الانبياء .

(٢) ٧٥ - ٧٦ - الواقعة .

(٥) ١٨٥ - الاعراف .

وقد جعل هذه الآية الأخيرة .. مشبعة في
استفهامها بواو التنديد (اولم) .

ثم بين سبحانه انه هو الذى تجلى لابراهيم
- عليه السلام - .

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السماوات
والارض وليكون من الموقنين » .

فاذا كنا بعد كل هذا لا نراه .. فسلام على
البصائر .

انه - سبحانه - وان كان باطنا على الأبصار
.. الا انه تجلى ظاهرا بمبدعائه ومكوناته ..
ولوامع بيناته .. ومحكمات آياته للبصائر ..
بل جعل الآيات نفسها بصائر .. فقال :

« هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم
يوقنون » (١) .. وقال :

« قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر
فلنفسه (٢) .

فعلينا ان نأخذ طريقنا .. الى الشاهد
البشير النذير .. الدامى الى الله باذنه .. السراج
المنير .. حتى لا يتخبطنا الشيطان من المس ..
ونتيه في وديان الضلالة :

« كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران
له أصحاب يدمونه الى الهدى اثننا (٣) .

ومن اجل هذا .. كان محمد رحمة للعالمين
.. السابقين واللاحقين .. من انس وجن بل
وملائكة مقربين .. من قبل آدم الى يوم الدين .

والذين يحبون محمدا الرعوف الرحيم ..
يتخذونه أسوة لهم .. فيكون كل واحد منهم
بالمؤمنين رعوفا رحيمًا .

وقد سجلت التوراة .. المنزلة على موسى -
غير المحرفة - صفة محمد - صلى الله عليه
وسلم - والذين معه .. اى الذين اتخلوه أسوة
لهم .. وصفتهم التوراة بالرافة والرحمة ..
حيث قال تعالى .. عن مثل أمة محمد فى التوراة :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على
الكفا رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا
من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من اثر
السجود ذلك مثلهم فى التوراة » (٤) .

**هذا هو منهج الدعوة .. فأين هو ؟ ..
وماذا يكون ؟ .**

آمنت بالقدر المقدور ان هدى
من العناية وافي وهو يهدينا
وانعش القلب بالنور المبين على
ذكر تخلدناه فى احوالنا دينا
لا نفتري فيه من تلقاء انفسنا
ولا نحاول تحضيرا وتمدينا
لكنه الحق .. لم نشرك به احدا
حياك ربك اما قلت آمينا
تلك هى الرسالة الحميدة :

« يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما » .

(٢) ٢٠ - الجالية .
(٤) ٧١ - الانعام .

(١) ١٠٤ - الانعام .
(٣) ٢٩ - النج .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِسْكُ الْخَتَامِ

الحمد لله العزيز الحكيم .. الغنى الكريم .. العلى العظيم .. رب السموات والأرض .. العليم بـخفيات القلوب .. الغفار لجميع الذنوب ..

اللهم انا اذا عدنا بك فاننا نعوذ بمعاذ .. واذا استفتشنا بك فاننا نستفتي بـ
بغيات .. يا نـجدة المستنجد .. وغوث المـضيق عند الشدة .. يسر لنا طريق
رضاك .. واعنا على انفسنا حتى نـجـمها تحت طاعتك .. وانصرنا على اعدائنا حتى
تنصرنا على اعدائنا .. واجعل اللهم أسعد ساعاتنا ساعة لقائك .. معترفين
ببقائك ..

اللهم واشهدنا انوار قدسك في جميع تجلياتك .. حتى تكون نظراتنا ولفتنا
وحركاتنا كلها منطبقة على ما امرت .. بعيدة عما نهيت .. وتقبل منا عبرات
هامة .. نسالك العفو والعافية .. والنـجاة من النار ..

اللهم انعم علينا بصلاح البال .. وهـدوء الحال .. والبـعد عن أسباب
النـكال والويل .. وخذ بأيدينا الى صراطك المستقيم .. ومنهاجك القويم ..
مصحوبا بعنايتك ونصرك وعطفك .. ولا تكلنا الى تدبير انفسنا طرفة عين ..

اللهم انا نسالك بعظمة ذاتك .. ومشاهد اسمائك وصفاتك .. ان تصلى
على سيدنا محمد .. صلاة تامة كاملة .. لا حصر لهدا .. ولا انقطاع لهدا ..
وهبنا من صلاتك وسلامك عليه وآله صلاة علينا .. اخرجنا بها من الظلمات الى
النور .. ويسر لنا ما يرضيك في جميع الأمور .. وسلام على المرسلين ..
والحمد لله رب العالمين ..

تم الكتاب بحمد الله .. في يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان ١٤١٠

الثاني عشر من مارس ١٩٩٠

المؤلف

عبد السلام محمد بدوي

فهرس المجلد الثاني

الموضوع	الصفحة
● الجزء العاشر	
١- مقدمة بين الحقيقة والصورة)	٣
١ - أحمد في عالم الأمر	٨
٢ - الى عالم الخلق	١٤
٣- الدبيح لاسماعيل	١٨
٤ - لمحات عن أجداده	٢٢
٥- الدبيح عبد الله	٢٦
٦ - حرب السماء في عام الفيل	٣٠
٧ - أنادعوة أبي إبراهيم	٣٦
٨ - مولد النور	٤٢
٩ - آيات وبشريات	٤٦
١٠ - إلى بادية بنى سعد	٥٢
١١ - بلاء الأنبياء	٥٨
١٢ - بين أبي طالب وبحيرا الراهب	٦٤
● الجزء الحادي عشر	
١٣ - راعى الغنم بين حرب الفجار وحلف الفضول	٦٨
١٤ - رحلة وزواج	٧٢
١٥ - صاحب الخلق العظيم	٧٨
١٦ - حول بناء الكعبة	٨٢
١٧ - الرجل الأمة	٨٨
١٨ - على مشارف النبوة	٩٢
١٩ - إلى غار حراء	٩٨
٢٠ - ساء العزة في قلب محمد	١٠٢
٢١ - نبوة ورسالة وصديق	١٠٨

الصفحة	الموضوع
١١٤	٢٢ - العرب أمام معجزة القرآن
١٢٢	٢٣ - حديث الغيب
١٢٨	٢٤ - مفاوضات

● الجزء الثاني عشر

١٣٤	٢٥ - إسلام حمزة وعمر
١٤٠	٢٦ - حصار . وآية . وحزن
١٤٦	٢٧ - إلى الطائف
١٥٠	٢٨ - مع رسل الجن
١٥٦	٢٩ - إلى المسجد الأقصى
١٦٢	٣٠ - إلى الملأ الأعلى
١٧٠	٣١ - تكذيب ذلّة
١٧٦	٣٢ - نصديق وبيعة
١٨٢	٣٣ - روح القرآن في الهجرة
١٨٨	٣٤ - طالع البدر على يثرب

● الجزء الثالث عشر

١٩٤	٣٥ - حول يثرب
٢٠٠	٣٦ - مؤاخاة ومهادنة
٢٠٤	٣٧ - الإسلام بين اليهودية والنفاق
٢١٢	٣٨ - روح الإسلام في الحرب
٢١٨	٣٩ - حول بدر الكبرى
٢٢٤	٤٠ - غزوة بدر الكبرى
٢٣٦	٤١ - عام أفراح وزواج وغنائم
٢٤٠	٤٢ - حول درس أحد
٢٥٦	٤٣ - بين أحد والخندق

● الجزء الرابع عشر

٢٦٤	٤٤ - غزوة بني المصطلق وحديث الأفك
٢٧٢	٤٥ - بين حصارين
٢٨٦	٤٦ - على مشارف الحديبية

الموضوع	الصفحة
٤٧ - هدنة الحاديية	٢٩٢
٤٨ - فتح خيبر	٣٠٤
٤٩ - الدعوة تشرق خارج الجزيرة	٣١٤
● الجزء الخامس عشر	
٥٠ - عودة إلى الحرم	٣٣٢
٥١ - حرب الروم	٣٤٠
٥٢ - على مشارف الفتح الأعظم	٣٤٦
٥٣ - الفتح الأعظم	٣٥٠
٥٤ - يوم حنين	٣٦٦
٥٥ - إلى الطائف	٣٧٢
٥٦ - إلى نبوك	٣٧٨
● الجزء السادس عشر	
٥٧ - إلى أحضان طيبة وأحد	٣٨٦
٥٨ - وأسلمت ثقيف وحطمت الطاغية	٣٩٤
٥٩ - وفود... وفود	٢٩٨
٦٠ - الرداع... وليس بوداع	٤٠٨
٦١ - إلى الرفيس الأعلى	٤١٦
٦٢ - من محاسن أخلاقه	٤٢٦
٦٣ - المراقبة الوجدانية في الرسالة المحمدية	٤٣٢
مسلك الختام	٤٤٣

تم بحمد الله وعونه



مخانه و کارخانه اسناد و کتابخانه

۹۲ شارع قصر العبدی، ت. ۰۱۸۱۰۸۱۰۰-۲۵۵۱۵۹۹